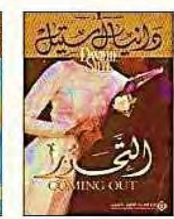


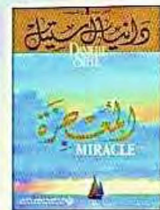


TOXIC BACHELORS

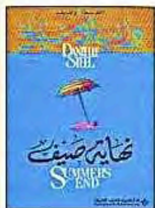


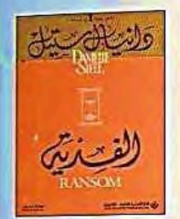
اقرأ أيضاً لدانيال ستيل

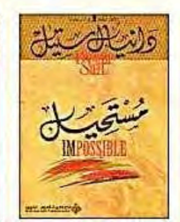


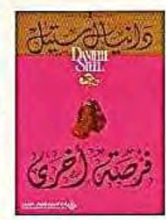


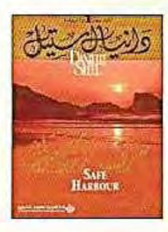


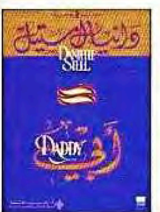


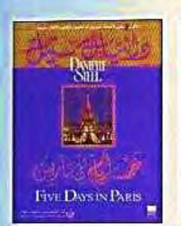


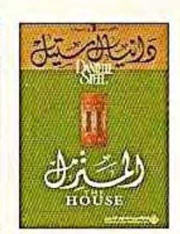


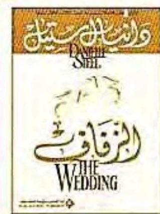


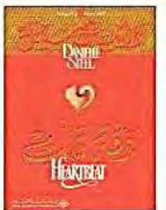


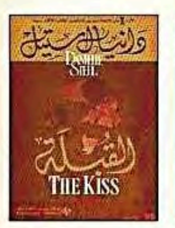


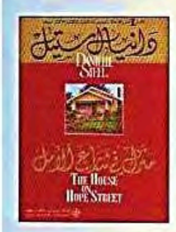














www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

ص.ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت - لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

جميع كتبنا متوفرة على شبكة الإنترنت



ISBN 978-9953-87-234-6



يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
TOXIC BACHELORS
حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلفة
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينها وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

ردمك 978-9953-87-234-6

الطبعة الأولى
1428 هـ - 2007 م



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

1

بدت شمس الظهيرة ساطعة وحارة، وقد غمرت بأشعتها، يخت القمر الأزرق. كان اليخت أنيق المظهر، ذا تصميم مميّز وجوانب مصقولة، ويبلغ طوله ثمانين متراً. ضمّ اليخت بركة للسباحة وجناحاً رئيسياً يصلح لتصوير مشهد سينمائي وست غرف فخمة للضيوف. أما طاقم اليخت فيتألف من ستة عشر موظفاً ذوي خبرة عالية، ولطالما ظهرت صورة هذا اليخت مع مالكه في المجلات المختصة بأخبار اليخوت حول العالم. لقد اشتراه تشارلز سامنر هارينغتون من أمير سعودي منذ ستة أعوام تقريباً. أما أوّل يخت قام تشارلز بشرائه، فكان مركباً شراعياً يدعى دريم، طوله اثنان وعشرون متراً. اشترى تشارلز هذا اليخت وهو في الحادية والعشرين من عمره، وأمضى أربعة وعشرين عاماً من حياته وهو يشعر بالمتعة على متنه، تماماً كما فعل في أوّل يوم اشتراه.

أدرك تشارلز هارينغتون حين أصبح في السادسة والأربعين من عمره أنه رجل محظوظ جداً. فبطرق مختلفة، بدت الحياة سهلة بالنسبة إليه. حين كان في الحادية والعشرين من عمره ورث ثروة ضخمة، قام بإدارتها بنفسه خلال السنوات الخمس والعشرين اللاحقة.

اتّخذ شارلي إدارة استثماراته الخاصّة وإدارة شركة عائلته عملاً دائماً له. وسرعان ما أدرك أن قلّة من الناس في العالم يملكون حظاً وافراً كحظه، لذا

حاول مساعدة العديد من الناس الأقل حظاً منه، سواء من خلال شركة العائلة أم بطريقة شخصية. أدرك أيضاً أن عليه أن يتحمّل العديد من المسؤوليات، ولطالما أعطى الآخرين الأولوية في اهتماماته، حتى حين كان شاباً يافعاً.

كان يشعر برغبة عميقة في مساعدة الشباب والأطفال غير المحظوظين في الحياة. كما أن التقديمات التي أمّنتها شركته كانت مؤثّرة في مجال توفير الفرص التعليمية والخدمات الطبية للفقراء، خصوصاً في الدول النامية، وذلك بهدف منع استغلال الأطفال في شوارع المدن. كان تشارلز هارينغتون قائد هذه الحملة، وهو يقوم بأعماله الخيرية بصمت من خلال الشركة أو بشكل فردي حين يتمكّن من ذلك. إنه يتمتّع بحسّ إنساني وبقدرة على الاهتمام بالآخرين، وهو ذو ضمير حي في الوقت نفسه. إنه يضحك بقوة حين يعترف أنه مستهتر، ولا يقدّم أية اعتذارات لكونه يعيش بطريقة سيئة. يمكنه أن ينفق الملايين على الأشخاص الآخرين كل عام، وفي الوقت نفسه هو ينفق الكثير على نفسه أيضاً. لم يتزوّج تشارلز بعد، وليس لديه أولاد وهو يتمتّع بالعيش الجميل، ويحاول مشاركة الأوقات الطيبة وأسلوب حياته مع أصدقائه متى استطاع ذلك. اعتاد تشارلز كل عام، أن يمضي شهر آب/أغسطس مع صديقيه الحميمين آدم ويس وغراي هوك على متن يخته. يقوم الأصدقاء الثلاثة ببعض الرحلات في البحر المتوسط، ويتوقّفون في المكان الذي يعجبهم. قاموا بذلك، طوال السنوات العشر المنصرمة، وهي مغامرة يتطلّعون طيلة العام إليها، ولا يسمحون لأنفسهم بتفويتها أبداً. في الأوّل من آب/أغسطس من كل عام يستقل آدم وغراي الطائرة إلى نيس، ويمضيان الشهر بأكمله على متن القمر الأزرق، تماماً كما كانا يفعلان في السابق حين كان شارلي يملك يخوتاً أخرى. أما شارلي، فعادة ما تبدأ عطلته على متن القمر الأزرق منذ الأوّل من تموز/يوليو، وأحياناً لا يعود إلى نيويورك إلاّ في منتصف أيلول/سبتمبر أو آخره. وفيما هو على متن اليخت، يقوم تشارلز بمتابعة أعمال مؤسساته ويهتمّ بشؤونها المالية.

لكن خلال شهر آب/أغسطس بالتحديد، فإنه ينسى جميع الأعمال ويتفرّغ للمرح فقط. وهذا العام لم يبدُ مختلفاً عن غيره.

جلس شارلي صامتاً يتناول فطوره على الجهة الخلفية لظهر المركب، بينما أخذ اليخت يتحرك بلطف فوق المياه عند المرسى خارج ميناء سان تروبيز. لقد أمضى مع رفيقيه سهرة طويلة جداً بالأمس، ولم يعودوا إلى اليخت قبل الرابعة فجراً. ورغم سهرتهم الطويلة، استيقظ شارلي باكراً اليوم، لكنه لم يتذكّر أحداث الليلة الماضية إلاّ بشكل غامض جداً. وهذا أمر اعتاد عليه، فهذا ما يحصل معه دائماً حين تكون الأحداث مرتبطة بغراي وآدم. إنهم ثلاثي رهيب، لكن مرحهم لا يسبّب الأذية لأحد. فهم الثلاثة غير متزوجين، وفي هذه الفترة بالذات، لم يكونوا مرتبطين بأية فتيات. لقد اتّفقوا منذ مدة طويلة على أنه مهما كانت ظروفهم، سيأتون إلى هذه الرحلة بمفردهم، وسيمضون الشهر كثلاثة شبان عازبين. سيعيشون في عالم للرجال ويدلّلون أنفسهم. إنهم لا يدينون لأي شخص باعتذار أو بتبرير عن تصرفاتهم. فهم يعملون بجهد طيلة العام، كل على طريقته؛ فشارلي يهتمّ بأعمال الإحسان، أما آدم فهو محامٍ، وغراي فنان. ويحلو لشارلي دائماً أن يقول بأنهم يجنون ما يكفي من المال للاستمتاع بعطلتهم، وهم يستحقّون فترة الراحة هذه.

اثنان من هؤلاء الرجال الثلاثة ما يزالان عازبَين بسبب اختيارهما الشخصي. أمّا شارلي فعدم ارتباطه سببه حظه السيئ فقط. لطالما قال إنه يريد الزواج لكنه لم يجد المرأة المناسبة بعد، رغم أنه أمضى حياته وهو يبحث عنها. لكنه لا يزال يبحث عن تلك المرأة بتصميم كبير. فحين كان شاباً صغير السن خطب أربع مرّات وفي كل مرة يحدث أمر ما ليمنع إقامة حفل الزفاف.

خطيبته الأولى مثلاً أقامت علاقة مع صديقه المفضل قبل ثلاثة أسابيع فقط من زفافهما، مما أحدث انفجاراً صاعقاً في حياته. كان في الثلاثين من عمره حينها، وبالطبع لم يبقَ أمامه سوى إلغاء حفل الزفاف. أما خطيبته الثانية

فقد اتّخذت عملاً جديداً لها في لندن مباشرة بعد خطوبتهما، وأصبح يبذل جهداً كبيراً كي يتمكّن من السفر لرؤيتها بشكل مستمر. أما هي فكانت تعمل في وكالة الأزياء البريطانية، وبالكاد تسنّى لها الوقت لمقابلته رغم أنه استأجر شقة خصيصاً لكي يستطيع لقاءها فيها حين يسافر إليها، فيمضيان وقتاً طويلاً معاً. لكن قبل شهرين من موعد الزفاف اعترفت له أنها تريد مهنة ثابتة، وأنها ليست قادرة على التخلي عن العمل كي يتزوّجا. هذا الأمر سبّب صدمة لشارلي، فهو يريد منها البقاء في المنزل والاهتمام بالأولاد ولا يريد الزواج من امرأة لديها عمل ثابت، لذلك اتّفقا على فسخ الخطوبة. لكن ذلك بالتأكيد شكّل صدمة كبيرة له. كان في الثانية والثلاثين من عمره في ذلك الوقت، وبقي مصمماً فعلاً على إيجاد امرأة أحلامه.

بعد مرور سنة أصبح متأكداً أنه وجدها بالتأكيد... كانت فتاةً مميّزة وأرادت أن تتخلّى عن متابعة دراسة الطب من أجله. ذهبا معاً إلى أميركا الجنوبية في رحلات نظّمتها المؤسسة كي يزورا أطفال الدول النامية. بدا كأنهما يملكان العديد من القواسم المشتركة، وبعد مضي ستة أشهر على لقائهما أعلنا خطوبتهما. كان كل شيء يسير على ما يرام، إلى أن أدرك شارلي أخيراً أن خطيبته لا يمكنها الانفصال أبداً عن شقيقتها التوأم، وتوقّعت أن يصطحباها معهما أينما ذهبا. لكنه وشقيقتها بدآ يكرهان بعضهما، وانقلب ذلك إلى نقاش دائم حاد، فأخذا يختلفان في كل مرة يلتقيان فيها. وأصبح شارلي متأكداً أنهما لن يستطيعا أبداً التأقلم مع بعضهما، لذا استسلم للمرة الثالثة، ووافقت خطيبته على فسخ الخطوبة، إذ كانت شقيقتها التوأم مهمة جداً بالنسبة لها، ولم يكن باستطاعتها أن تتزوّج من رجل يكرهها. تزوّجت تلك الفتاة بعد عام من رجل آخر، وانتقلت شقيقتها للعيش معها ومع زوجها، مما أكّد لشارلي أنه قام بالعمل الصحيح حين انفصل عنها.

أما خطوبته الأخيرة التي مضى عليها خمس سنوات حتى الآن، فقد انتهت بكارثة فعلية. أحبّته خطيبته كثيراً، لكن حتى بعد حضورهما

الاجتماعات التي تقدّم النصائح للثنائي الذي يودّ الزواج، بقيت مصرّة على أنها لا تريد إنجاب الأطفال. ومع أنها أكّدت له أنها تحبّه، فهي لم تكن تريد التنازل عن تلك الفكرة مطلقاً. في بادئ الأمر ظن أنه سيتمكّن من إقناعها، لكنه لم يتوصّل إلى ذلك أبداً، لذا انفصلا كصديقين. لطالما فعل شارلي ذلك، فهو يحافظ دائماً على علاقة صداقة بينه وبين أي امرأة يخرج برفقتها. لهذا السبب ينهال عليه في المناسبات سيل من بطاقات المعايدة من النساء اللواتي اهتمّ لأمرهن في ما مضى ثم قرّر عدم الزواج بهنّ، حتى من أولئك اللواتي تزوّجن من رجال آخرين. بلمحة سريعة، إن نظر أحدهم إلى صور هؤلاء النساء مع عائلاتهن، للاحظ التشابه الكبير بينهن. فهن جميعاً شقراوات، ومن عائلات أرستقراطية، وقد تخرّجن من أفضل المدارس والجامعات، وتزوّجن من الرجال المناسبين فعلاً لهن. بدت هؤلاء النساء كأنهن يبتسمن له من خلال بطاقات المعايدة مع أزواجهن الأثرياء، الذين يقفون بجانبهن برفقة أطفالهم الصغار. لا يزال شارلي على اتصال مع الكثير من اللواتي أغرمن به يوماً ما، وكن مولعات بحبه.

أما غراي وآدم فهما ينصحانه دائماً بالتوقف عن العبث مع الفتيات اللواتي لا يملكن خبرة كافية بمشاكل الحياة، ومع نساء المجتمع البارزات، ليبدأ بالبحث عن امرأة حقيقية. أما صفات المرأة الحقيقية فتختلف عن صفات المرأة العادية بالنسبة لهما، لكن شارلي يعلم تماماً أي نوع من النساء يريد. يريد فتاة نشأت في جو تربوي ممتاز، ويريدها مثقفة وذكية. امرأة تشاركه القيم والمبادئ نفسها، ولديها الخلفية الأرستقراطية مثله تماماً. وهذا أمر مهم جداً بالنسبة له، فهو ينتمي إلى عائلة يمكن تعقب تاريخها حتى القرن الخامس عشر في إنكلترا، وثروته قد توارثتها أجيال عديدة. فهو قد تعلّم في برنستون كوالده وجدّه. أما والدته فتخرّجت من إحدى مدارس أوروبا، وكذلك فعلت شقيقته. إنه يريد للمرأة التي سيتزوّج بها أن تكون مثلهم تماماً. إنّه تفكير قديم الطراز، وقد يعكس نظرة فوقية

نحو الأشخاص الآخرين، لكن شارلي يعرف حقاً ما يريد، وما يحتاج إليه، وما يناسبه تماماً. إنه رجل محافظ ومحترم. حتى تصرّفاته المندفعة تأتي دائماً بشكل مهذب ولطيف، لأنه منطقي كيفما تصرّف. إنه رجل شهم وأنيق وذو روح متميّزة، ولطالما كان لطيفاً وكريماً وساحراً. تصرّفاته خالية دائماً من العيوب وهذا أكثر ما أحبّته النساء فيه. لقد أصبح شارلي منذ فترة طويلة موضوع تحدٍّ بين النساء في نيويورك، وفي كل الأماكن التي يزورها. فالجميع يحبّه ومن الصعب أن يتمكّن أي شخص من ألاّ يحبّه...

الزواج من تشارلز هارينغتون ضربة موفقة جداً لأي امرأة. لكن تماماً مثل الأمير الوسيم في حكايات الجنيات، لقد جاب شارلي العالم كله بحثاً عن المرأة المناسبة له، والتقى بالكثير من النساء الفاتنات اللواتي يظهرن مميّزات وساحرات في البدء، لكن سرعان ما يحصل أمر مشؤوم يوقفه في منتصف الطريق، ويمنعه من اصطحاب عروسه إلى المذبح. بالتأكيد، يجعله ذلك يصاب بالاحباط، تماماً كما يحصل لأولئك النساء. ففي كل مرّة ينهار مشروعه في إنشاء عائلة وإنجاب أولاد.

إنه الآن في السادسة والأربعين من عمره وهو لا يزال عازباً، والذنب ليس ذنبه كما يقول. إنه مصمم على إيجاد تلك المرأة المناسبة أينما كانت تختبىء، وهو متأكد من أنه سيفعل ذلك في يوم ما، لكنه لا يعرف متى سيحصل ذلك. أمّا بالنسبة للنساء ذوات المظهر المخادع، واللواتي يوحين بأنهن النساء المناسبات، فقد أصبح قادراً على اكتشاف مساوئهن سريعاً. الأمر الوحيد الذي يواسي شارلي نفسه به، هو أنه لم يقم بعد بالزواج بالمرأة غير المناسبة، فهو حريص جداً على عدم حصول خطأ كهذا. هو ممتن جداً لأنه رجل حذر، ولطالما كان متنبهاً وعديم الشفقة عندما يتعلّق الأمر بمسألة الزواج. إنه متأكد أن المرأة المناسبة له لا تزال في مكان ما في هذا العالم، لكنه لم يتمكّن من العثور عليها حتى الآن، إلاّ أنه يعلم بأنه سوف يجدها.

جلس شارلي وقد أغمض عينيه وأدار وجهه نحو الشمس، بينما أتى خادمان ليقدّما له الطعام، ثم سكبا له فنجاناً ثانياً من القهوة. لقد أفرط في الشرب ليلة البارحة، ما جعله يشعر بعدم الارتياح طيلة الليل، لكنه سبح قليلاً قبل الجلوس لتناول الفطور، وها هو يشعر الآن أنه بحال أفضل. إنّه سبّاح قوي، وراكب أمواج محترف. كان شارلي قائد فريق السباحة في جامعة برنستون. وبالرغم من سنّه، فهو ما زال رياضياً ممتازاً. فهو يتزحلق بمهارة، ويلعب الاسكواتش في الشتاء كلّما سنحت له الفرصة، كما يلعب التنس في الصيف. لم يساعده ذلك على تحسين صحته فقط، بل جعله يبدو أصغر بعشر سنوات. شارلي رجل وسيم جداً، فهو طويل ونحيف، ويبدو شعره أشقر بلون الرمال مما يخفي وجود الخصل الرمادية لديه، أما عيناه فزرقاوان. والآن، بعد قضاء الشهر الماضي على ظهر اليخت، اكتسبت بشرته سمرةً جميلةً. إنه رجل ذو مظهر ساحر، أمّا المرأة المفضلة لديه فهي المرأة الشقراء الطويلة الأرستقراطية. لم يربط شارلي يوماً حبه لهذا النوع من النساء بمظهر أمه وأخته، لكنهما كانتا أيضاً شقراوين طويلتي القامة.

كان الجميع يعتبر والدة شارلي امرأة جميلة بشكل ملفت للنظر، أما شقيقته ألين فكانت نجمة رياضية في كرة المضرب في الجامعة، وذلك قبل أن تتركها لكي تهتمّ به. توفّي والدا شارلي معاً في حادث سير مروّع، بينما كانا يمضيان عطلة في إيطاليا وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره، أمّا شقيقته فكانت حينها في الحادية والعشرين من عمرها. بعد وفاة والديهما اضطرّت ألين إلى ترك الجامعة وهي لا تزال في السنة الأولى، لتعود إلى الوطن، وتتحمّل مسؤوليات العائلة بعد غياب والديها. ما زالت الدموع تملأ عيني شارلي كلما تذكّر شقيقته. لقد أخبرته أنها ستعود إلى الجامعة بعد سنتين حين يصبح هو أيضاً في الجامعة. بدت تلك تضحية كبيرة تقوم بها من أجله... كانت ألين امرأة مميزة وغير اعتيادية، وقد عشقها شارلي بقوة. لكن حين غادر المنزل ليلتحق بالجامعة، لم تقل ألين

له بأنها مريضة، لذا لم يعلم شارلي شيئاً عن هذا الموضوع. تمكّنت ألين من إبقاء خبر مرضها سراً عنه لثلاث سنوات. قالت له إنها مشغولة جداً بإدارة شركة العائلة، لذا لن تتمكّن من العودة إلى الجامعة. وصدّق هو كلامها. في الواقع، أصيبت ألين بسرطان في الدماغ، وقد عانت كثيراً بسبب ذلك المرض، فقد أخبرها الأطباء منذ بداية المرض أن الورم السرطاني لديها لا يمكن استئصاله بعملية، بسبب موقعه الحساس في رأسها. وما لبثت أن توفّيت وهي في السادسة والعشرين من عمرها، قبل أن يتخرّج شارلي من برنستون بعدة شهور فقط، وهكذا لم يأتِ أحد لحضور حفل تخرجه. ومع وفاة أخته ووالديه، أصبح شارلي وحيداً في هذا العالم، مع ثروة ضخمة وحس كبير بالمسؤولية، بسبب كل ما تركوه له.

بعد تخرجه بفترة قصيرة قام شارلي بشراء أول قارب شراعي له. أخذ يبحر حول العالم لمدة عامين. خلال تلك الفترة، لم يمضِ عليه يوم واحد لم يتذكّر خلاله شقيقته وكل ما فعلته من أجله. لقد تخلّت ألين عن الجامعة من أجله، ولطالما كانت موجودة لتدعمه، تماماً كما كان يفعل والداه قبل وفاتهما. كانت حياتهم العائلية محبة ومتناغمة على الدوام. الأمر المؤلم الوحيد الذي حصل معه هو أن الأشخاص الذين أحبّهم وأحبّوه، توفّوا جميعهم وتركوه وحيداً. لذلك أصبح لديه خوف كبير من أن يحبّ فتاةً ما ويخسرها مجدداً بنفس الطريقة التي خسر بها عائلته.

حين عاد من رحلته التي دامت عامين، كان قد أصبح في الرابعة والعشرين من عمره، فالتحق بجامعة كولومبيا لإدارة الأعمال، وحصل على شهادة الماجيستير في إدارة الأعمال، وتعلّم الكثير من الأمور المتعلقة باستثماراته، وبكيفية إدارة مؤسسته. بين ليلة وضحاها، وجد شارلي نفسه وقد أصبح رجلاً ناضجاً، ومسؤولاً عن كل ما يتعلّق بعالمه. كان يعلم أن والديه وشقيقته لم يتخلّوا عنه بإرادتهم، لكنه أصبح وحيداً في هذا العالم ومن دون عائلة وهو في سن مبكرة. إنه يستفيد بالتأكيد من مدخول ضخم جداً ولديه

بعض الأصدقاء المختارين بدقة، لكن شارلي سيظلّ يشعر بالوحدة إلى أن يجد المرأة المناسبة، وهو لن يرضى أبداً بما هو أقل ممّا يستحقّه: امرأة تشبه أمه وشقيقته، امرأة تدعمه وتقف إلى جانبه حتى النهاية. لم يعترف شارلي يوماً أن والديه وشقيقته قد تركوه وحيداً ومذعوراً في يوم من الأيام، إذ لم يكن ذلك ذنبهم. إنه مجرّد قدر رديء وفاسد. وقد جعله ذلك مقتنعاً أكثر بالبحث عن المرأة المناسبة. المرأة التي سيتمكّن من الاعتماد عليها والوثوق بها، والتي ستعامل أولاده بشكل ممتاز. يجب أن تكون هذه المرأة مثالية، وكاملة الأوصاف في كل شيء. كانت هذه فكرة شديدة الأهمية لديه. وبالنسبة له، تلك المرأة تستحقّ منه فعلاً الانتظار كي يجدها.

"آه، يا إلهي!"، سمع شارلي همهمة خلفه على ظهر اليخت، فضحك حالما سمع ذلك الصوت. فتح عينيه واستدار كي يرى آدم. كان آدم يرتدي سروالاً قصيراً أبيض اللون مع قميص زرقاء داكنة ذات كمين قصيرين. جلس إلى طاولة قبالة شارلي، وأتى الخادم فوراً كي يسكب له فنجان قهوة. رشف آدم عدة رشفات من الفنجان قبل أن يتفوّه بأي كلمة أخرى، ثم قال: "ما الذي شربته ليلة أمس؟ أعتقد أن أحدهم قد وضع لي السم!" بدا شعره داكناً وعيناه بلون خشب الإبنوس، وهو لم يكلّف نفسه عناء حلق ذقنه بعد! كان آدم ذا قامة متوسطة، وكتفين عريضتين قويتين، وذا مظهر خشن، وهو دائم التجهّم. لم يكن رجلاً وسيماً مثل شارلي، لكنه ذكي ومرح وجذاب، كما أن لديه سحراً خاصاً تحبّه النساء كثيراً. كان آدم يفتقد لمظهر النجم السينمائي، لكنه عوّض عن ذلك بعقله وقوته وماله. ذلك المال الذي جمع منه ثروة كبيرة في الأعوام الأخيرة!

– "أعتقد أنك أسرفت في الشرب على العشاء، وأعتقد أنني حين رأيتك آخر مرة في صالة الرقص قبل أن أرحل كنت تشرب المزيد أيضاً".
لقد تناول شراباً فاخراً على متن اليخت قبل أن ينزلوا إلى سان تروبيز ليبحثوا عن المقاهي وصالات الرقص. بالتأكيد لم يكن شارلي ليجد المرأة

المناسبة هناك، لكن هناك العديد من النساء الأخريات اللواتي يلهو معهن برفقة أصدقائه في الوقت الحالي.

– "أعتقد أن هذا تأثير الشراب عليّ. أتحول إلى مدمن على متن هذا اليخت كل عام. لو أنني أشرب هكذا طيلة العام لما تمكنت من العمل". أجفل آدم بسبب أشعة الشمس، فوضع نظارتيه الشمسيتين، ثم تابع وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "لديك تأثير سيء عليّ شارلي، لكنك مضيف رائع. في أي ساعة عدتُ إلى اليخت؟" لم يبدُ على شارلي التشجيع أو الانتقاد وهو يقول: "عدت عند الخامسة فجراً على ما أعتقد". إنه لا يقوم عادة بالحكم على تصرفات صديقيه. إنه يريدهما فقط أن يتمتّعا بوقتهما، ولطالما استمتعا بالفعل مثله تماماً. آدم وغراي هما أفضل صديقين حصل شارلي عليهما في حياته. وقد نما بينهم رابط أقوى من الصداقة العادية. لطالما شعر الرجال الثلاثة بأنهم كالأخوة، فقد تشاركوا أحداثاً كثيرة خلال السنوات العشر الماضية.

التقى آدم بشارلي بعد أن تطلّقت راشيل منه بفترة وجيزة. وكان آدم قد التقى براشيل في جامعة هارفرد، وهما في السنة الجامعية الثانية، ثم انتقلا إلى كلية الحقوق في الجامعة معاً. تخرّجت راشيل من الجامعة بشهادة امتياز وتخطّت امتحان المرافعة من التجربة الأولى، لكنها لم تمارس المحاماة أبداً. أما آدم فاحتاج إلى محاولة ثانية كي ينجح باجتياز ذلك ألامتحان، إلاّ أنه أصبح بعد ذلك محامياً ممتازاً. انضمّ آدم إلى شركة مختصّة بتمثيل نجوم الروك والرياضة، وأحبّ عمله كثيراً. تزوّج من راشيل في اليوم التالي لحفل تخرجهما من كلية الحقوق. رحّبت عائلتاهما بذلك الزواج واحتفلتا معهما به فوق جزيرة لونغ، فقد كانت العائلتان تعرفان بعضهما منذ زمن بعيد.

راشيل وآدم لم يلتقيا إلا في كلية الحقوق رغم الصداقة الموجودة بين العائلتين، فآدم لم يحبّ يوماً أن يلتقي ببنات أصدقاء أهله، لذا وجدها بنفسه، رغم أنه علم تماماً من تكون حالما التقيا. بدت راشيل في ذلك الوقت المرأة المثالية له.

حين تزوّجا تشاركا جميع الأمور، وكانت بانتظارهما حياة مليئة بالسعادة. أصبحت راشيل حاملاً خلال شهر العسل، وبعد عامين أصبح لديهما ولدان: أماندا وهي الآن في الرابعة عشرة من عمرها، وجاك وهو في الثالثة عشرة من عمره. استمرّ زواجهما خمس سنوات، كان آدم خلالها منشغلاً دائماً بأعماله وبسعيه لبناء مهنة مستقرة. كان يعود إلى المنزل في الثالثة فجراً، بعد حضور حفلات موسيقية أو مباريات مع زبائنه وأصدقائه. ورغم الإغراءات الكثيرة التي أحاطت به ظلّ مخلصاً لزوجته. أما راشيل فقد أصابها الضجر من قضاء الليالي بمفردها، فوقعت في غرام طبيب أطفالها، وكانت تعرفه منذ أيام الدراسة الثانوية. أقامت راشيل علاقة معه بينما كان آدم يعمل بجهد لجمع الأموال لعائلته. وبعد أن أصبح شريكاً في شركة المحاماة، تركته قائلة إنه سيكون بحالة جيدة من دونها. أخذت راشيل الولدين معها وكذلك أثاث المنزل ونصف مدّخراتهما، ثم تزوّجت بذلك الطبيب حالما جفّ الحبر فوق ورقة طلاقهما. مرّت عشر سنوات على انفصالهما الآن، لكن آدم ما زال يكرهها، وبالكاد يمكنه التعامل بشكل حضاريّ معها. والآن، آخر ما يريده هو الزواج مرة أخرى، خوفاً من تكرار ما حدث معه في السابق. فقد كاد الأمر يقتله حين أخذت الولدين وتركته.

خلال العقد الماضي تجنّب آدم أي ارتباط جدي، فأخذ يواعد فتيات في مثل نصف عمره، ذوات عقولٍ صغيرة. كان من السهل عليه إيجاد هذا النوع من الفتيات في محيط عمله. في سن الحادية والأربعين أخذ يواعد فتيات تتراوح أعمارهن بين سن الحادية والعشرين والخامسة والعشرين. فتيات يعملن، عارضات أو فنانات صاعدات أو من هؤلاء الفتيات اللواتي يتتبّعن نجوم الروك ونجوم الرياضة. وهو في معظم الأوقات، لا يتذكّر أسماءهن. كلّما التقى بإحداهن يخبرها أنه لا يفكّر مطلقاً بالزواج من جديد، وأن كل ما سيقومان به هو مجرد تسلية وقضاء وقت ممتع معاً. لم تدم أي

من علاقاته لأكثر من شهر... هذا إن دامت لشهر كامل... كان آدم مهتماً فقط بالخروج لتناول العشاء وإقامة علاقات عابرة معهن، ثم المضي مجدداً بحياته الطبيعية. لقد أخذت راشيل قلبه معها، ودفنته في مكان بعيد. إنه يتكلّم معها الآن فقط حين يكون مضطراً إلى ذلك، وقد أصبحت تلك اللقاءات قليلة بعد أن كبر الولدان. إنه يبعث لها عادةً رسائل الكترونية أو بطلب من سكرتيرته أن تتّصل بها، فهو لا يريد أي علاقة جديدة معها، كما لا يريد علاقات أخرى أيضاً. يحبّ آدم حريته كثيراً، ولن يجعله أي شيء على هذه الأرض يخاطر بتلك الحرية مجدداً.

لقد كفّت والدته أخيراً عن التذمر من حياة العزوبية التي يعيشها، وتوقّفت تقريباً عن تعريفه إلى فتيات لطيفات. إنه يملك تماماً ما يريده، علاقات عابرة مسلية وفتيات يلهو برفقتهن لفترات وجيزة. إن أراد آدم أن يتكلّم مع شخص ما، فهو يتّصل بأصدقائه. النساء بالنسبة له هن فقط مخلوقات من أجل ممارسة الحب واللهو، وعليه أن يبقى دائماً على مسافة بعيدة منهن. إنه لا ينوي الاقتراب من إحداهن كثيراً كي لا يتألّم من جديد. على العكس من شارلي، هو لا يبحث عن المرأة المثالية، بل كل ما يريده هو شريكة سرير مثالية، لا تدوم علاقته بها طويلاً... العلاقة المثالية هي التي تدوم لأسبوعين، وهو يحافظ على هذا المبدأ دائماً. لم يكن آدم يريد التورط في علاقة جدية. الأشياء الوحيدة التي يتعامل معها بجدية هي: ولداه وعمله وأصدقاؤه. بالنسبة له لم تكن أي من النساء اللواتي عرفهنّ طيلة حياته من صديقاته. إنه يعتبر راشيل عدوته اللدودة، ووالدته المرأة المعارضة التي لا ينسجم معها أبداً، وشقيقته الفتاة المزعجة، أمّا النساء اللواتي يخرج برفقتهن فهن مجرد أشخاص غرباء. يشعر آدم أنه سعيد وأكثر أماناً وارتياحاً حين يتواجد مع الرجال، لا سيّما مع شارلي وغراي.

قال آدم وقد ظهرت ابتسامة عريضة على وجهه: "أعتقد أنني مرحت كثيراً ليلة البارحة. آخر ما أتذكّره هو الرقص مع مجموعة من النساء

البرازيليات اللواتي لا يتكلّمن الإنكليزية... إلا أنهن يتحركن جيداً يا رجل. لقد رقصت السامبا حتى الجنون. لا بد أنني شربت حوالى ست مئة نوع من الشراب... هؤلاء النساء بدَون مذهلات!" ضحك شارلي عالياً وقال: "وأنت أيضاً بدوت مذهلاً".

أدار الرجلان وجهيهما نحو أشعة الشمس. ساورهما شعور رائع، رغم ألم الرأس الحاد الذي كان آدم مصاباً به. إنه يلهو بقدر ما يعمل، فهو إنه من المحامين اللامعين هذه الأيام، وهو دائم الانشغال، ويحمل ثلاثة هواتف خلوية، ودفتر مواعيد إلكترونياً. لقد أمضى حياته في الاجتماعات والسفر على متن طائرته للقاء زبائنه، فهو وكيل مجموعة كبيرة من المشاهير، ويبدو أن هؤلاء المشاهير يورّطون أنفسهم بشكل مستمر. لكن آدم يحبّ العمل الذي يقوم به، ويملك صبراً يمكّنه من تحمّل زبائنه أكثر ممّا يملك صبراً لتحمّل أي شخص آخر، باستثناء ولديه طبعاً. فأماندا وجاك هما كل شيء بالنسبة له، وهما النفحة الجميلة التي تزيّن حياته.

ابتسم آدم وهو يتذكّر جمال الفتيات البرازيليات، وقال: "أعتقد أنني أعطيت موعداً لاثنتين منهن الليلة. لكنهما لم تفهما كلمة ممّا قلته. سيكون علينا العودة إلى هناك الليلة لنرى إن كانتا ستأتيان أم لا".

بدأ آدم ينتعش وينشّط ذاكرته بعد تناول فنجان ثانٍ من القهوة. فجأة ظهر غراي وهو يضع نظارتين سوداوين، وقد وقف شعر رأسه الأبيض غير المسرح عالياً. غالباً ما يبدو غراي بذلك المظهر. سرعان ما بدأ يتثاءب وهو يجلس إلى الطاولة. كان يرتدي سروال السباحة مع قميص ذات كمين قصيرين. بدت القميص نظيفة لكنها مغطاة ببقع من الألوان.

– "لقد كبرت على هذه الأمور". قبل غراي فنجان القهوة شاكراً، ثم فتح زجاجة مشروب غازي، فهدأ طعم هذا المشروب من مفعول ما تناوله بالأمس على معدته. على العكس من شارلي وآدم، لم يكن غراي ذا جسم رياضي. بدا طويلاً ومنحني الكتفين، كأنه يعاني من سوء التغذية. حين

كان صغيراً، كان غراي يبدو كطفل خارج من ملصق إعلاني عن الأطفال الذين يعانون من المجاعة، وهو حتى الآن يبدو نحيلاً جداً. إنه فنان ويعيش في قرية غربية، حيث يعمل منذ أشهر على رسم لوحات جميلة ومعقدة. إنه يؤمن لنفسه معيشة جيدة ولو بصعوبة إن تمكّن من بيع لوحتين كل عام. تماماً مثل شارلي، لم يتزوّج غراي يوماً ولم يرزق بأطفال. كان محترماً في مجتمع الفنانين، لكنه لم يحظ يوماً بحملة دعائية ناجحة، إلا أنه لا يأبه لذلك كثيراً، فالمال لا يعني له الكثير، ولطالما قال إنّ كل ما يهمه هو تكامل أعماله وتميزها. عرض على شارلي وآدم أن يشاركاه الشراب، لكنهما كشّرا بقرف وهزّا رأسيهما رافضين.

كشّر آدم وقد وصلته رائحة الشراب، وقال: "لا أعلم كيف يمكنك تناول الشراب في هذا الوقت، أنا أفضل أن أشنق على أن أتناول منه".

– "إنه عظيم ومفعوله قوي. ربما عليكما أن تضعا لي هذا الشراب في مصل أحمله دائماً إن كنا سنستمرّ بالاكثار من الشرب مثلما فعلنا بالأمس. أنسى دائماً كم تسوء حالتي بعد السهرات المماثلة. هل وصلنا إلى الحالة القصوى من التسلية؟" قال غراي ذلك وهو يضع زجاجة المشروب الغازي على الطاولة وكذلك فنجان القهوة، ثم يمدّ يده نحو صحن من البيض.

أجابه شارلي بفرح: "يحصل ذلك في الأسبوع الثاني عادة، وليس في الأسبوع الأول". يحبّ شارلي كثيراً التواجد مع صديقيه، ورغم إطلاقهم العنان لأنفسهم بالأمس إلاّ أنهم يصبحون كسالى وغير متحمسين لسهرات مماثلة بعد مضي بضعة أيام. الأمر ليس سيئاً كما جعلوه يبدو، فرغم أنهم أكثروا فعلاً من تناول المشروبات، لكنهم مرحوا كثيراً، ورقصوا، وراقبوا الناس، واستمتعوا برفقة بعضهم. كان شارلي متحمساً لقضاء هذا الشهر برفقة صديقيه، فهو أكثر الأشهر جمالاً في السنة بالنسبة إليهم جميعاً. إنهم يعيشون أشهراً طويلة بانتظار حلول هذا الشهر، ثم يعيشون بعد انتهائه

أشهراً مستمتعين بدفء الذكريات، وقد أصبح لديهم الكثير من الذكريات عن الرحلات التي قاموا بها. فهم يضحكون طويلاً كلّما التقوا وتذكّروا الحكايات التي مرّت بهم عبر هذه السنوات.

علّق غراي وقد بدا عليه القلق وهو ينهي تناول البيض الذي كان في الصحن: "أعتقد أننا بدأنا باكراً هذه السنة في قضاء ليالٍ طويلة كليلة الأمس. أشعر كأن كبدي قد تشمّعت! أكاد أشعر بذلك!" أكل غراي قطعة من التوست. كان رأسه لا يزال يرتجّ بقوة لكن المشروب الغازي ساعده قليلاً. لم يكن آدم ليتحمّل تناول الطعام الذي أكله غراي عند الفطور، لكن ذلك الشراب الذي يتناوله كل صباح وهم على متن اليخت بدا نافعاً جداً. لحسن الحظ أن لا أحد منهم يصاب بدوار البحر. "أنا أكبر منكما سناً، وإن لم نهدأ قليلاً سيقتلني ذلك بالتأكيد. أو ربما الرقص وحده سيتكفّل بقتلي... تباً! أنا لا أملك جسداً رياضياً مثلكما". لقد دخل غراي في سنته الخمسين منذ فترة قصيرة، لكنه يبدو أكبر بكثير من صديقيه. فشارلي يملك مظهراً فتياً رغم كونه في منتصف الأربعينات، ما يجعله يبدو أصغر بخمس أو حتى عشر سنوات. أمّا آدم فهو في الحادية والأربعين من عمره، ومظهره مذهل. فأينما حلّ في أنحاء العالم، ومهما كان منشغلاً فهو يذهب إلى نادٍ رياضيّ كل يوم. وهو يقول إن هذه هي وسيلته الوحيدة ليتعامل مع وطأة الإجهاد والضغط. أمّا غراي فلم يهتمّ يوماً بنفسه، إنه لا ينام بما يكفي، ولا يأكل ما يكفي أيضاً. لكنه تماماً مثل آدم، يعيش من أجل عمله. يمضي غراي ساعات طويلة وهو يقف أمام لوح الرسم، لا يفعل شيئاً سوى أنه يفكر ويحلم ويتنفس فناً. إنه لا يكبرهما كثيراً إلا أن هيئته تظهر سنه الحقيقية، لا سيّما أن شعره أصبح أبيض. أما النساء اللواتي يلتقيهنّ فيجدنه فاتناً ولطيفاً، لكنهن سرعان ما يبتعدن عنه.

خلافاً لشارلي وآدم، لم يقم غراي يوماً بمطاردة امرأة ما، ولم يبذل حتى أي جهد لفعل ذلك. إنه يتحرّك في عالم الفن فقط. وكالحمام الزاجل

تقوم النساء اللواتي يتعلّقن به، بإيجاده دائماً. وكما يقول آدم، إنه كالمغنطيس الذي يجذب النساء الغريبات الأطوار والمجنونات، وغراي لا يعارضه في ذلك أبداً. فالمرأة التي يخرج برفقتها عادة إمّا أن تكون قد توقّفت للتو عن تناول الأدوية، أو أنها تتوقّف عن تناولها حالما يبدأان بالخروج معاً. جميع النساء اللواتي يرافقهنّ هن نساء تعرّضن للاستغلال من قبل أزواجهن، أو من قبل الأصدقاء السابقين الذين لا يزالون يتّصلون بهن رغم تخليهم عنهن ورميهم لهن في الشارع. لم يفشل غراي يوماً بإنقاذ هؤلاء النساء، فحتى لو لم يجد المرأة جذابة، أو فكّر بأنها قد تجلب له المشاكل، فهو يقوم بتأمين مسكن لها، حتى لو لم يقم علاقة معها بعد. إنه يفعل ذلك لأسابيع قليلة فقط إلى أن تتمكّن المرأة من الوقوف على قدميها من جديد كما يقول. وفي النهاية تكون القدم التي تقف عليها، والتي تساعدها على تغيير مجرى حياتها قدمه بالتأكيد. يقوم غراي بتحضير الطعام لها وبالاهتمام بها وبإيجاد الأطباء والأخصائيين لمساعدتها. وهو يعطيها المال أيضاً مما يجعله أسوأ حالاً عمّا كان عليه قبل أن يلتقيها.

يوفّر غراي لهؤلاء النساء ملاذاً آمناً ومعاملة لطيفة ليشعرهنّ بالارتياح. فيقوم بكل ما يمكنه فعله وبتقديم كل ما تحتاجه هؤلاء النساء أما إذا كان لديهن أولاد... فالأولاد هم الشيء الوحيد الذي لا يمكن لغراي التعامل معه. الأطفال يرهبونه، ويذكّرونه بطفولته الخاصة، وطفولته لم تكن يوماً مليئة بالذكريات السعيدة. وجوده قرب الأطفال والعائلات يزيد من إدراكه المؤلم للخلل الذي كان يشوب عائلته.

النساء اللواتي يتورّط غراي معهن لا يبدون شريرات في البدء، ويقلن إنهن لن يؤلمنه أبداً. لكنهن جميعاً غير منظمات، وهستيريات، وحياتهن عبارة عن فوضى عارمة. تدوم علاقته بهن بين شهر وعام. يقوم غراي خلال هذه الفترة بإيجاد عمل لهن، وبتعريفهن على أشخاص يتمكّنون من مساعدتهن. وفي النهاية، إن لم ينتهِ أمرهن بدخول مستشفى أو

مصح ما، فهن يتركنه من أجل رجل آخر. لم يملك غراي يوماً الرغبة في الزواج بامرأة، لكنه يتعوّد على المرأة التي يقيم علاقة معها، لذا فهو يصاب بالخيبة حين ترحل عنه. إلاّ أنه أصبح يتوقّع حصول ذلك دائماً. إنه رجل محب جداً، يمكنه الاهتمام بالناس كثيراً، لكنه أشبه بالوالدين في العائلة، فهو يتوقّع أن تغادر نساؤه عشّه كما يغادر الأولاد عش والديهم. يشعر غراي بالدهشة لأنه يحسّ بصدمة قوية وانزعاج في كل مرة تهجره إحدى النساء. نادراً ما تغادر المرأة التي يعاشرها بشرف، بل غالباً ما تسرق بعض أغراضه، وتدخل معه في شجارات، ويبدأ الصراخ، مما يجعل الجيران في بعض المرات يستدعون رجال الشرطة. لو كان يملك سيارة، لقامت المرأة أيضاً بتمزيق إطارات السيارة بآلة حادة، ولرمت بحاجياته من النافذة، أو افتعلت معه شجاراً يجعله يشعر بالارتباك أو يسبّب له الألم. نادراً ما كانت النساء يشكرنه على الوقت، والجهد، والمال، والعاطفة التي كان يغدقها عليهن. وفي النهاية، كان رحيلهن يشعره بالارتياح والسعادة. على العكس من آدم وشارلي، لم يشعر غراي مطلقاً بالانجذاب إلى الفتيات الصغيرات. فالنساء اللواتي يثرن إعجابه هن عادة في الأربعينيات من أعمارهن، وهن دوماً من النساء اللواتي يعانين من التشوش. يقول غراي إنه يحب حساسيتهن المفرطة، ويشعر بالأسف نحوهن. ولطالما لمّح له آدم كي يعمل لحساب الصليب الأحمر، أو مركز علاج الأزمات الطارئة، فذلك قد يطبّب قلبه المسكين، بدلاً من تكريس حبه وحياته إلى حدّ الانتحار من أجل النساء المخبولات، المتوسطات في السن.

أما غراي فيجيب بارتباك: "لا أستطيع التوقف عن ذلك، فأنا أتصوّر دوماً أنني إذا لم أساعدهنّ، فلا أحد سيفعل ذلك".

- "نعم أنت محق. لكنك محظوظ إذ لم تحاول إحدى هؤلاء النساء قتلك وأنت نائم". خلال كل هذه السنوات حاولت واحدة أو اثنتان القيام بذلك فعلاً، لكن حظ غراي الجيّد جعل تلك المحاولات تبوء بالفشل. يشعر غراي

بحماس شديد لإنقاذ العالم، وبرغبة لا يمكنه مقاومتها لإنقاذ النساء اللواتي يحتجن إلى المساعدة. لكن يبدو أن ما تحتاجه تلك النساء هو رجل غير، غراي. فكل امرأة واعدها تقريباً هجرته من أجل رجل آخر. وما إن تتركه إحدى النساء حتى تظهر امرأة أخرى في حياته لا تختلف عن الأخريات، إذ تكون في حالة مزرية، وتعاني من كوارث جمة، وعندها تنقلب حياته رأساً على عقب من جديد. أصبح الأمر بالنسبة إليه كركوب الأفعوانية، وقد اعتاد ذلك عبر السنين، فهو لم يعش يوماً بطريقة أخرى.

إنه على العكس من شارلي وآدم اللذين يتحدّران من عائلتين تقليديتين محترمتين ومحافظتين. لقد تربّى آدم في جزيرة لونغ وشارلي في الجادة الخامسة في نيويورك، أمّا غراي فقد نشأ وكبر في أنحاء مختلفة من العالم، فالوالدان اللذان تبنّياه عند ولادته كانا ينتميان إلى مجموعة من أكثر فرق الروك نجاحاً في التاريخ. نشأ غراي محاطاً بأكبر نجوم الروك في ذلك الوقت، وكانوا يشاركونه في تناول الشراب والتدخين وهو لا يزال في الثامنة من عمره. تبنّى والداه فتاة أخرى أيضاً، وأطلقوا عليه اسم غراي وعلى أخته اسم سبارو.

حين أصبح غراي في العاشرة من عمره، ابتعد والداه عن الفن وتقاعدا. انتقلوا أوّلاً إلى الهند ثم إلى النيبال، واستقرّوا لبعض الوقت في الكاريبي، ثم أمضوا أربع سنوات في الأمازون وهم يعيشون على متن قارب. ما زال غراي يتذكّر حتى الآن الفقر الذي رأوه في تلك البلدان والسكان الأصليين الذين التقوا بهم، أكثر ممّا يتذكّر السنوات الأولى من حياته حيث جلسات اللهو والمجون وسوى ذلك. لكنه ما زال يذكر تلك الأحداث أيضاً. أصبحت أخته راهبة بوذية، وعادت إلى الهند كي تعمل في خدمة الفقراء والجياع في كالكوتا، أما غراي فقد غادر القارب حين أصبح في الثامنة عشرة من عمره، وذهب إلى نيويورك كي يبدأ بالرسم. كانت عائلته لا تزال تملك المال في ذلك الوقت لكنه أراد أن يجني ماله الخاص

بنفسه. أمضى بدايات العشرينيات من عمره وهو يدرس في باريس، قبل أن يعود من جديد إلى نيويورك.

كان والداه قد انتقلا إلى سنتا في، وحين أصبح غراي في الخامسة والعشرين من عمره، قام والداه بتبني طفل من هنود أميركا الأصليين، أطلقوا عليه اسم بوي. كانت عملية التبني صعبة، لكن القبيلة وافقت في النهاية على السماح لبوي بالمغادرة. بدا بوي طفلاً لطيفاً، لكن نادراً ما تمكّن غراي من رؤية بوي وهو يكبر. حين أصبح بوي في الثامنة عشرة من عمره توفّي والداه بالتبني، فعاد للعيش مجدداً مع القبيلة.

حصل ذلك منذ سبع سنوات، ورغم أن غراي يعلم أين يجد بوي، لكن لم يجرِ بينهما أي اتصال منذ ذلك الوقت. يتلقّى غراي كل عدّة سنوات رسالة من سبارو في الهند. هو وسبارو لم يحبّا بعضهما يوماً، فقد أمضيا سنوات عمرهما الأولى يعيشان تقلّب مزاج والديهما وشذوذهما. علم غراي أن سبارو أمضت سنوات طويلة وهي تبحث عن والديها الحقيقيين، ربما لأنها أرادت أن تضفي بعض الجو الطبيعي على حياتها. ويبدو أنها وجدتهما في مكان ما في كانتاكي، لكنها لم تجد أي وجه تشابه معهما، لذا لم تعاود الاتصال بهما مطلقاً. أما غراي فلم يمتلك يوماً رغبة بالبحث عن والديه الحقيقيين، ربما شعر ببعض الفضول أحياناً، لكنه رأى ما يكفي من والديه بالتبني ولم يكن مستعداً لإضافة أشخاص جدد غريبي الأطوار أيضاً إلى حياته. فالمجانين الذين ارتبطت بهم حياته حتى اليوم أكثر من كافين بالنسبة له. حتى النساء اللواتي عاشرهن كن مجنونات أيضاً، فالفوضى العارمة التي عاشها مع كل واحدة منهن ومحاولاته لحل مشاكلهن، تشبه تماماً ما رآه وهو يكبر برفقة والديه. إلا أنه كان معتاداً على ذلك الوضع ومرتاحاً له. الأمر الوحيد الذي هو متأكد منه هو أنه لا يريد أن يرزق يوماً بأطفال، كي لا يفعل بهم ما فعله والداه به.

قرّر غراي أن يترك مسألة إنجاب الأطفال للآخرين، كآدم مثلاً، لأنه قادر على تربيتهم على نحو لائق. أما هو فيعلم أنه لا يستطيع تربية الأطفال، فهو لا يملك مثالاً جيداً للأهل الصالحين كي يقتدي به، وهو لا يملك أيضاً حياةً عائلية ومنزلية حقيقية كي يشارك الأولاد فيها... باختصار ليس لديه أي شيء يقدمه لهم... أو على الأقل هذا ما يشعر به. كل ما يريد القيام به هو الرسم، وهذا ما يقوم به فعلاً.

مهما كانت الجينات التي يحملها غراي بالأساس، وأياً يكن والداه، فهو يملك موهبة كبيرة. ورغم محدودية المدخول المادي لمهنته إلاّ أن عمله كرسام جعل منه رجلاً محترماً ومقدّراً. حتى إن النقّاد اعترفوا بأنه بارع جداً، لكن المشكلة هي أنه لم يتمكّن يوماً من الحفاظ على نمط واحد في حياته، كي يحصل على مدخول مرتفع لفترة طويلة. كل ما جناه والداه في السنوات الأولى من حياتهما أنفقاه على السفر حول العالم. اعتاد غراي على البقاء مفلساً ولم يزعجه ذلك يوماً، وحين يحصل على بعض المال فإنه يعطيه لمن يرى أنه بحاجة له أكثر منه. وسواء كان غراي يرتاح على متن يخت شارلي المترف أو يتجمّد في محترفه الواقع في المنطقة المزدحمة في نيويورك، فالأمر سيّان بالنسبة إليه. وجود امرأة في حياته أو عدم وجودها هو أمر لا يعني الكثير له أيضاً. العملُ والأصدقاء هما كل ما يهمّه في الحياة. أثبت غراي لنفسه منذ فترة طويلة، أنه حتى لو أعجب بامرأة ما وأحب الإحساس بجسدها الدافئ بقربه في السرير ليرتاح في الليالي الباردة، فهي مجنونة كجميع النساء، أو على الأقل كجميع النساء اللواتي عرفهنّ غراي. لا مجال لطرح السؤال عن عقول النساء اللواتي يخرج معهن، فمجرد وجودهن معه يعني أنهن على الأرجح من النساء المجنونات.

إنها لعنة أصبح غراي يتقبّلها الآن، وشعور لا يمكنه مقاومته. فبعد الطفولة المزرية التي عاشها، شعر أن الطريقة الوحيدة لإيقاف السحر أو

اللعنة التي ألقيت عليه بسبب والديه المجنونين هي رفضه لنقل هذا النمط من الحياة إلى طفل آخر. ستكون هديته لهذا العالم كما يقول هي عدم إنجاب الأولاد. إنه وعد سيحرص على الوفاء به طيلة حياته، وهو متأكد من ذلك. يقول غراي إن لديه حساسية ضد الأولاد، وهم لديهم تلك الحساسية تجاهه أيضاً. وعلى العكس من شارلي، لم يكن غراي يبحث عن المرأة المثالية، لكنه يتمنّى فعلاً أن يجد يوماً ما امرأة غير مجنونة. في الوقت الحالي، كل النساء اللواتي وجدهن يقمن فقط بتأمين الحماس والتسلية له ولأصدقائه.

بينما تمدّد الرجال الثلاثة فوق المقاعد المريحة على ظهر اليخت بعد تناول الفطور، سأل شارلي: "إذاً، ما الذي سنفعله اليوم؟" كانت الشمس في كبد السماء وقد اقترب وقت الظهيرة، أما الطقس فلم يكن يوماً أفضل مما هو عليه اليوم. وبدا النهار رائعاً جداً. قال آدم إنه يريد الذهاب للتسوق في سان تروبيز لإحضار هدايا لولديه، فأماندا تحبّ دائماً الأشياء التي يحضرها لها، أما جاك فيسهل إرضاؤه أيضاً. بدا هذان الولدان مولعين بوالدهما، رغم أنهما يحبّان أيضاً والدتهما وزوج والدتهما. لقد أنجبت راشيل من طبيب الأطفال طفلين آخرين. تظاهر آدم أن هذين الطفلين غير موجودين، لكن أماندا وجاك كانا مولعين بهما ويحبّانهما كثيراً، وكأنهما شقيقاهما الأصليان. أمّا آدم فلم يكن يريد أن يعلم شيئاً عن هذين الطفلين، فهو لم يسامح راشيل يوماً على خيانتها له، ولن يسامحها أبداً نظراً لما مرّ به. لقد استنتج منذ سنوات أن جميع النساء ساقطات، فلطالما كانت أمه سيئة تجاه والده، وعاملته بقلة احترام، فيما يتعامل والده مع وابل الإهانات الكلامية بالصمت. أما أخته فهي أكثر خبثاً من والدته وتحصل دائماً على كل ما تريده بالعويل والنحيب. وفي المرّات القليلة التي لا تحصل فيها على مبتغاها بتلك الطريقة، تظهر مخالبها وتكشّر عن أنيابها وتصبح شريرة. بالنسبة لآدم الطريقة الوحيدة للتعامل مع امرأة ما هي إيجاد فتاة

غبية وإبقائها على مسافة منه، وعدم التورط معها لفترة طويلة. سيبقى كل شيء بخير طالما يمضي بعلاقاته بشكل سريع. الوقت الوحيد الذي يتوقّف فيه آدم بهدوء ليشمّ وردة ما وينزل سلاحه عن كتفه، هو الوقت الذي يمضيه على اليخت مع غراي وشارلي أو مع ولديه. ذكّره شارلي قائلاً: "تقفل المتاجر عند الساعة الواحدة من أجل الغداء. يمكننا الذهاب في فترة ما بعد الظهر حين تفتح من جديد". تذكّر آدم أن تلك المتاجر لا تفتح قبل الساعة الثالثة والنصف أو الرابعة، وأن الوقت لا يزال مبكراً لتناول الغداء.

لقد تناولوا فطورهم للتو، رغم أن آدم لم يستطع أن يأكل سوى قطعة صغيرة من الحلوى مع القهوة بسبب الإفراط في احتساء الشراب ليلة الأمس. لدى آدم معدة حساسة، فقد أصيب العام الفائت بالقرحة، وهو عادة لا يأكل كثيراً. إنه يدفع ثمن الانجراف في العمل والتعرض لضغط كبير. فبعد كل هذه الأعوام في التفاوض على عقود الرياضيين والمشاهير أصبح ينجح بسبب اندفاعه في العمل وحبه الكبير له. إنه يخرج بعضهم من السجون، ويدخل آخرين إلى الفريق الذي يريدون الانضمام إليه، وهو يجعل الفنانين يوقّعون عقوداً للقيام بجولات فنية، ويفاوض في طلاقهم، ويدفع النفقات لخليلاتهم حين يقومون بهجرهن، كما يقوم بتأمين المساعدات المادية لأطفالهم الذين يولدون من دون زواج. كل تلك الأمور تبقيه منشغلاً ومتعباً وسعيداً، والآن ها هو يأخذ عطلة أخيراً. يأخذ آدم عادة عطلتين كل عام؛ واحدة في شهر آب يمضيها على متن يخت شارلي وهي التزام مقدس لا يمكنه تفويته، وعطلة أخرى في الشتاء لمدة أسبوع يمضيها أيضاً على متن اليخت مع شارلي في الكاريبي. غراي لم ينضمّ يوماً إليهما في الشتاء، فهو يملك العديد من الذكريات السيئة في الكاريبي حيث عاش مع أهله. وهو يقول إن لا شيء سيغريه للعودة إلى هناك. في نهاية شهر آب يمضي آدم أسبوعاً وهو يسافر في أوروبا مع ولديه، وهوكالعادة سيلتقي بهما حين

ينتهي من هذه الرحلة. ستقلّهما طائرته الخاصة من نيويورك، وستتوقّف في نيس كي يلتحق بهما على متن الطائرة، ثم سيذهب الثلاثة إلى لندن لقضاء أسبوع كاملٍ هناك.

اقترح شارلي قائلاً: "ما رأيكما لو نذهب لنجلس في المرفأ لفترة؟ يمكننا أن نرسو على الشاطئ، ثم نتناول الغداء في نادي النجوم". أومأ رفيقاه بالموافقة على اقتراحه، فهذا ما يفعلونه عادة في سان تروبيز.

لدى شارلي في اليخت جميع المعدات المناسبة للضيوف من أدوات التزلج المائي إلى القوارب الصغيرة، والمراكب الشراعية، ومعدات الغطس. لكن الرجال الثلاثة يستمتعون معظم الوقت بالاستلقاء بتكاسل. أما الوقت الذي يتشاركون به، فيمضونه بتناول الغداء أو العشاء بصحبة النساء، وتناول الشراب، وممارسة السباحة. لكنهم يمضون فترات كثيرة من أوقاتهم في النوم، لا سيما آدم الذي يصل عادة مرهقاً كثيراً. يقول آدم إنه لا يحصل على قسط كافٍ من النوم إلاّ على متن يخت شارلي في شهر آب. إنه الوقت الوحيد خلال العام الذي ينسى فيه كل قلقه. لكنه رغم ذلك، يتلقّى يومياً العديد من الرسائل بواسطة الفاكس والبريد الإلكتروني، وهو يتفقّد كل الرسائل بشكل منتظم. لكن سكرتيراته ومساعديه وشركاءه يعلمون أنّ من الأفضل ألاّ يزعجوه إلاّ بما هو ضروري جداً خلال هذا الشهر. وإن لم يلتزموا بذلك، فليكن الله في عونهم. فعطلته هذه هي الوقت الوحيد الذي يسحب فيه آدم يديه من العمل، ويحاول عدم التفكير بزبائنه. كل من يعرفه جيداً ويعرف كم يعمل بجهد يمكنه أن يدرك مدى حاجته إلى فترة راحة. بعد مرور هذه العطلة، أي في شهر أيلول، يصبح التعامل معه أكثر سهولة. فهو يعيش أسابيع وأحياناً أشهراً طويلة وهو لا يزال يشعر بالسعادة بعد الشهر الذي أمضاه مع غراي وشارلي.

- التقى الرجال الثلاثة ببعضهم في البدء بسبب النزعة الخيرية لديهم. كانت مؤسسة شارلي تنظم حفلاً يعود ريعه لتأسيس بيت رعاية في منطقة

الغرب الأعلى، من أجل النساء والأطفال المظلومين الذين تُساء معاملتهم. أراد مدير الحفل أن يجد نجماً يتبرّع بأداء بعض الوصلات الفنية خلال السهرة، لذا اتّصل بآدم وهو وكيل الفنان المطلوب. نتيجة لذلك اجتمع شارلي مع آدم على الغداء لمناقشة الأمر، ووجدا أنهما يتفاهمان كثيراً، وحتى وصول ليلة الاحتفال كان الرجلان قد أصبحا صديقين بسرعة.

في الواقع تمكّن آدم من جعل ذلك النجم يتبرّع بمليون دولار عن الحفلة الموسيقية، وذلك أمر غريب جداً... لكنه تمكّن من فعله! في السهرة نفسها عرضت إحدى لوحات غراي في المزاد العلني، وقد تبرّع غراي بتلك اللوحة بنفسه. كانت تلك تضحية كبيرة منه، لأنها توازي ستة أشهر من مدخوله. بعد انتهاء الحفل تطوّع غراي لرسم لوحة جدارية في بيت الرعاية الذي أسّسه شارلي. بعدئذٍ التقى شارلي وآدم حين دعا شارلي غراي وآدم إلى شقته لتناول العشاء معه كي يشكرهما. بدا الرجال الثلاثة مختلفين تماماً عن بعضهم، لكنهم رغم ذلك اكتشفوا رابطاً يجمعهم، بسبب الأمور التي يهتمّون بها، ولأنهم هم الثلاثة غير متزوجين أو مرتبطين فعلياً بشكل جدي. كان آدم قد خرج للتو من مشاكل طلاقه، وشارلي كان قد ترك خطيبته ولم يرتبط بأخرى بعد، لذا دعاهما إلى القارب الذي كان يملكه في ذلك الوقت، كي يتسلّى برفقتهما خلال شهر آب. كان شارلي قد خطّط لأن يكون على متن القارب في شهر عسله في الفترة نفسها، لذا فكّر أن رحلة مع رجلين ستشغله وتجعله ينسى، واتّضح له أن الأمر غدا أفضل مما توقّع، فلقد أمضوا وقتاً ممتعاً. أما غراي، فالفتاة التي كان يخرج برفقتها حاولت الانتحار في شهر حزيران، ثم تركته في شهر تموز مع أحد تلاميذه. وفي شهر آب شعر بالراحة كثيراً لتمكنه من مغادرة البلد، وبدا ممتناً لتلك الفرصة التي منحه إياها شارلي. كان غراي محطماً أكثر من العادة في تلك المرحلة، أمّا آدم فقد أمضى ربيعاً قاسياً بسبب تعرض رياضيين بارزين لإصابات خطيرة، وبسبب إلغاء فرقة مصنفة عالمياً

لجولة موسيقية ما أدّى إلى مواجهة عدد من الدعاوى المقدمة ضدها. بدت الرحلة إلى أوروبا على متن يخت شارلي مثالية. ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه رحلة سنوية لا يفوّتونها أبداً، وهذه السنة لم يبدُ هناك أي اختلاف. سيزورون سان تروبيز ثم مونت كارلو، ومن بعدها بورتوفينو وسردينيا وكابري، وأي مكان آخر يشعرون برغبة في التوقف فيه. إنهم على متن اليخت منذ يومين حتى الآن، والرجال الثلاثة متحمسون للتواجد هناك. فشارلي يستمتع كثيراً برفقتهما، وهما كذلك بالتأكيد. بدا القمر الأزرق المكان المثالي ليتشاركوا عليه المرح.

أكّد شارلي كلامه كي يعرف القبطان تماماً كيف ستكون وجهتهم: "إذاً، ماذا سنفعل أيها السادة؟ سنذهب إلى نادي النجوم لتناول الغداء، لكننا سنسبح قليلاً أوّلاً".

قال آدم: "نعم... لا مشكلة على ما أعتقد".

التفت نحو هاتفه الخلوي الفرنسي، لكنه عاد فتجاهله. يمكنه رؤية الرسائل لاحقاً. إنه لا يحمل إلى أوروبا إلاّ هاتفاً واحداً وذلك أمر مختلف تماماً عمّا يفعل في نيويورك، حيث يحمل دائماً أكثر من هاتف، وتكون أوراقه دائماً برفقته. ابتسم ابتسامة عريضة وتابع يقول: "إنه عمل متعب، لكن على أحدهم أن يقوم به".

سألهما شارلي ببراءة زائفة وهو يشير بإصبعه إلى الخادم: "هل يود أحدكما تناول شراب ما؟" أما الموظف الذي كان يقف بجانبهم وهو شاب نيوزلندي وسيم، فهزّ رأسه قبل أن يذهب ويخبر القبطان بمشاريعهم، ويقوم بتأكيد الحجز في نادي النجوم. لم يسأل الموظف أي سؤال آخر، فقد كان يعلم أن شارلي يريد الوصول إلى الشاطئ عند الساعة الثانية والنصف من أجل الغداء. يفضّل شارلي في معظم الأحيان أن يأكل على متن اليخت، لكن المناظر في سان تروبيز كانت مغرية جداً. والجميع هنا يذهب إلى نادي النجوم لتناول الغداء، كما يذهبون إلى مطعم سبون لتناول العشاء.

قال غراي وهو يبتسم للخادم: "أريد تناول بعض الشراب من فضلك. أعتقد أنني سأؤجل مسألة إعادة التأهيل قليلاً الآن".

قال آدم وهو يكشّر بينما بدأ شارلي يضحك: "أنا أريد مشروباً دافئاً وحاراً... اسمع! بعد التفكير بالموضوع... أريد شراباً قوياً".

قال شارلي: "أمّا أنا فسأتناول شراباً خفيفاً".

إن تناول الشراب هو وسيلة سهلة لبدء يوم مليء بالمغامرات والاسترخاء. كان شارلي مولعاً بتدخين السيجار الكوبي، وهو يملك الكثير منه على متن هذا اليخت.

جلس الرجال الثلاثة يشربون ويسترخون فوق متن اليخت بينما انطلق اليخت بهدوء من الميناء. حرك القبطان اليخت بحذر ليتجنّب الاصطدام بالقوارب الأصغر حجماً، وقوارب الجولات السياحية اليومية المليئة بالحمقى الذين يلتقطون صوراً لهم وهم يمرّون بقربهم. عادة يتجمّع الصحفيون والمصورون الذين يلاحقون المشاهير في زاوية المرسى بانتظار وصول اليخوت الكبيرة، كي يتمكّنوا من اكتشاف هوية الأشخاص الذين يسافرون على متنها. فهم يلحقون بالمشاهير على الدراجات النارية، ويتتبّعون كل خطوة يقومون بها. لقد التقطوا الآن الصور الأخيرة للقمر الأزرق وهو يغادر، وافترضوا بأن اليخت الضخم سيعود بالتأكيد في الليل. يلتقط المصورون الصور لشارلي في معظم الأحيان وهو يتجول بين المدن، لكنه نادراً ما يعطيهم المادة الدسمة لمقالاتهم الصحفية. فباستثناء ضخامة حجم يخته وروعته الملفتة للنظر، يعيش شارلي حياةً هادئة، متجنباً الفضائح بجميع الوسائل. إنه فقط رجل غني جداً، يسافر مع صديقيه اللذين لم يسمع بهما أحدٌ من الذين يقرأون ذلك النوع من المجلات. إذ رغم كون آدم وكيلاً لنجوم مشهورين، فقد بقي دائماً في الخلفية غير المعروفة، أما غراي هاوك فهو مجرّد فنانٍ فقير. إنهم ثلاثة رجال عازبين وأصدقاء مخلصين يخرجون في شهر آب للهو قليلاً والمرح.

سبح شارلي وآدم وغراي لنصف ساعة قبل الغداء. بعدها أخرج آدم لوح تزلج على الماء من اليخت وقام ببضع جولات بين القوارب الأخرى، فأفرغ جزءاً من طاقته وحيويته بينما استلقى غراي فوق ظهر القارب لينام قليلاً، أما شارلي فدخّن سيجاراً كوبياً. إنها الحياة المثالية لهم. عند الساعة الثانية والنصف استقلوا القارب لينقلهم إلى نادي النجوم. وجدوا هناك كالعادة آلان ديلون وجيرارد ديبارديو وكذلك كاثرين دونوف التي تجعل الأصدقاء الثلاثة يتناقشون حولها لوقت طويل دائماً. اتّفق الثلاثة على أنها ما زالت جميلة رغم تقدمها في السن. إنها من النوع الذي يحبّه شارلي، رغم أنها أكبر سناً من الفتيات اللواتي خرج معهن سابقاً. فهؤلاء النساء يكن عادةً في العقد الثالث من أعمارهن أو أصغر بقليلٍ من ذلك. نادراً ما خرج شارلي مع امرأة من سنه. فهو يترك عادة النساء اللواتي هن في العقد الرابع للرجال الذين يبلغون الستين من العمر. أما آدم فيحبّ النساء الشابات جداً جداً.

يقول غراي إنه سيشعر بالسعادة مع كاثرين مهما كان عمرها. فهو يحبّ النساء اللواتي يقربنه في السن أو حتى أكبر منه قليلاً. لكن الآنسة دونوف لم تملك المقومات المناسبة في حالته، لأنها بدت طبيعية جداً ومرتاحة وهي تضحك وتتكلّم مع أصدقائها. أما المرأة التي يبحث غراي عنها أو يلاحظ وجودها، فقد تكون منزوية في زاوية ما، تبكي أو تتكلّم بتشنج عبر هاتفها، وهي تبدو مضطربة جداً. بالنسبة لآدم، المرأة التي يرى صورتها في خياله قد تكون أكبر بعشر سنوات فقط من ابنته المراهقة. وسيكون عليه أن يدفع لها ثمن عمليات التجميل لأنفها وغير ذلك... أما فتاة أحلام شارلي فتبدو له مرتدية ثوباً أنيقاً ومنتعلة حذاءً من الزجاج ذا كعبين مرتفعين. لكن في قصته الخيالية الخاصة لا تقوم هذه الفتاة بالهرب عند منتصف الليل وتختفي، بل تبقى معه في الحفلة الراقصة وتعده بأنها لن تتركه أبداً، وسترقص فتاته بين ذراعيه إلى الأبد.

تمنّى شارلي أن يحظى يوماً ما بهذه الفتاة!

2

أرسى القبطان القمر الأزرق عند آخر رصيف السفن في سان تروبيز مع حلول فترة ما بعد الظهر. كان ذلك عملاً بطولياً، إذ من الصعب جداً إيجاد مكانٍ لرسو القوارب في ذلك الميناء خلال فترة المواسم السياحية. وبسبب حجم اليخت الكبير كان عليهم تأمين المكان الأوسع له. لكن حالما قاموا بتثبيته في مكانه، شعر شارلي بالندم لأنه لم يأتِ بالقارب الصغير كما يفعل عادة. كان المصوّرون الذين يلاحقون المشاهير منتشرين حول المكان بكثافة، وقد ذهلوا وتحمّسوا لحجم اليخت الكبير. التقطوا الصور للرجال الثلاثة وهم يركبون في سيارة كانت تنتظرهم هناك. تجاهل شارلي وآدم المصورين، أما غراي فلوّح لهم بيده. تذمّر آدم من المصورين، فهو يكره الصحافة كثيراً.

قال غراي بنبرة ملؤها الشفقة: "يا لهم من مساكين! ويا لها من طريقة لعينة لكسب العيش!"

فقال آدم: "إنهم طفيليون، يشبعون أنفسهم على حساب الغير". لطالما خلقت الصحافة مشاكل في حياة زبائنه. لقد تلقّى اتصالاً منذ بعض الوقت فقط من مكتبه بشأن حالة مماثلة. رأى أحد المصورين أحد زبائنه وهو يخرج من الفندق بصحبة امرأة غير زوجته، وأحدث ذلك الموقف خضّة كبيرة. فالزوجة المنزعجة اتّصلت بالمكتب عشر مرّات،

وهدّدت بالطلاق. لم تكن تلك المرّة الأولى التي يمرّ فيها أمرٌ مماثل على آدم. فهي إما تريد مبلغاً ضخماً بعد الطلاق أو خمسة ملايين دولار كي تبقى متزوجة من ذلك الزبون. أمر جميل! لم يعد هناك ما يفاجئ آدم. كل ما يريده الآن هو إيجاد الفتيات البرازيليات من جديد كي يرقص السامبا، حتى ساعات الليل المتأخرة. يمكنه الاهتمام بشؤون العمل كلها حين يعود إلى نيويورك. أما الآن، فهو ليس مهتماً لا بالتعامل مع الصحافة ولا بالتفكير بخيانات زبائنه. إنهم يقومون بتلك الأعمال دائماً ولن يتغيروا يوماً، أمّا هذا الوقت بالذات فهو مخصص له فقط. إنه وقت استراحة، ولن يفكّر بالعمل أكثر.

بعد ظهر ذلك اليوم ذهب الأصدقاء الثلاثة للتبضّع، ثم أخذوا قيلولة صغيرة قبل أن يتناولوا العشاء في مطعم سبون في فندق بيبلوس. هناك ظهرت عارضة أزياء روسية ترتدي سروالاً من الحرير الأبيض مع سترة قصيرة مفتوحة عند الصدر. تمكّن جميع من في المطعم من رؤية رقصها الملفت، وبدوا جميعاً مستمتعين بذلك. أما شارلي فشعر بالكثير من التسلية بينما أخذ آدم يُضحك مستمتعاً.

علّق غراي بعد أن طلبوا الطعام وزجاجة من الشراب الفاخر: "تملك تلك الفتاة جسداً مذهلاً!"

أجابه آدم وهو الخبير بعمليات التجميل قائلاً: "تعم. لكن معظم أجزاء جسدها غير أصليّة". بدا متسلياً أيضاً، إلاّ أنه لم يعجب بها أبداً. تطلّب الأمر جرأة كبيرة من تلك الفتاة بأن تجلس في المطعم بتلك الثياب الفاضحة، رغم أنهم رأوا ذلك يحدث من قبل. ففي السنة الماضية دخلت فتاة ألمانية إلى مطعم وهي ترتدي قميصاً مصنوعاً من الشبك فقط، ولم يستطع أحد تفويت ذلك المشهد. جلست تلك المرأة هناك تتناول العشاء طيلة الليل، فراحت تتحدّث وتضحك وتدخّن، وبدا واضحاً أنها تستمتع برؤية ردّة فعل الناس تجاه مظهرها.

سأله غراي باهتمام: "كيف تعلم أنه غير حقيقي؟" رأى غراي أن جسدها رائع، وتمنّى لو أن بإمكانه رسمها لا سيّما أنه بدأ يثمل قليلاً. لقد بدأوا بتناول الشراب وهم لا يزالون على متن القارب. إنها ليلة أخرى من اللهو والاستمتاع.

أجابه آدم بثقة: "أنا أعطيك كلمتي بذلك، وأنا واثق تماماً. لقد أنفقت حتى الآن مئة ألف دولار... أو في الواقع، مئة وخمسين ألف دولار على عمليات تجميل للفتيات اللواتي خرجت برفقتهن".

قال شارلي وهو يشعر بالتسلية: "يبدو ذلك مثيراً للاهتمام". ثم تذوّق الشراب وأومأ برأسه للساقي، فقد وجده ذا جودة عالية، بل وجده ممتازاً.

– "إذاً، بدل أن تصطحبهنّ إلى المطاعم والسينما تقوم بأخذهن إلى عيادات التجميل أولاً!"

– "لا! لكن في كل مرّة أخرج مع ممثلة صاعدة تقول إنها تحتاج إلى بعض عمليات التجميل، لذا بدلاً من مناقشتها والتصادم معها، من الأفضل تحقيق ذلك لها. لكنهن دائماً يبتعدن حين يحصلن على مطلبهن".

علّق شارلي بجفاء: "في الماضي كان الرجال يحضرون للنساء اللؤلؤ والماس كهدايا. أعتقد أنهم أصبحوا يحضرون لهن الآن الأعضاء الاصطناعية".

لم تكن أي امرأة من اللواتي خرج شارلي برفقتهن لتطلب منه أموراً مماثلة. وإن أرادت القيام ببعض عمليات التجميل فستدفع ذلك من حسابها، ولا تتمّ أبداً مناقشة الأمر. لم يستطع التخيل بأن واحدة من اللواتي عاشرهن قامت بإجراء عمليات تجميل... على الأقل ليس بعلمه. في حين أن فتيات آدم – كما يدعوهما غراي وشارلي – فقد تمّ تغيير أشكالهن بالكامل. أمّا النساء اللواتي يخرج غراي برفقتهن، فهن بحاجة إلى عمليات في الدماغ أو إلى بعض المسكنات القوية، أكثر من حاجتهن لأي شيء آخر. لقد قام بتسديد حسابات المعالجين النفسيين وبرامج إعادة التأهيل، كما سدّد في بعض الأحيان أجر

المحامين الذين يساعدون هؤلاء النساء في مقاضاة الرجال السابقين في حياتهن. أولئك الرجال الذين يطاردونهنّ أو يهدّدون بقتلهن وبقتل غراي. ربما يكون دفع تكاليف عمليات التجميل أمراً أكثر سهولة في النهاية. فبعد العمليات تقوم رفيقة آدم بشكره ثم تختفي، أما رفيقة غراي فتتملّص تدريجياً منه أو تعود لتتّصل به حين يبدأ رجل جديد في حياتها باستغلالها. نادراً ما تبقى النساء برفقة غراي لأكثر من عام، رغم أنه يعاملهن جميعاً بلطف. أما النساء اللواتي يخرج شارلي برفقتهن، فيصبحن دائماً صديقات له في النهاية. وبعد أن يتركهنّ يقمن بدعوته إلى حفل زفافهنّ من رجال آخرين. قال شارلي وهو يضحك: "ربما عليّ أن أجرب ذلك ولو مرّة".

بدا غراي مشوشاً، إذ كان مأخوذاً بتلك الفتاة الروسية فسأله: "ما الذي ستقوم بتجربته؟"

– "أن أدفع تكاليف عمليات التجميل. قد تكون تلك هدية جميلة بمناسبة الأعياد أو حتى كهدية زفاف".

هزّ آدم رأسه وقال: "ذلك مقرف. إنه أمر سيء كفاية كي أقوم به أنا. أما النساء اللواتي تخرج أنت برفقتهن، فهن راقيات جداً ولا يحتجن إلى عمليات التجميل". أراد آدم من النساء اللواتي يخرج برفقتهن أن يصبحن فنانات وعارضات أزياء، لذا لم يكن مهتماً للفتيات الراقيات. فالمرأة الراقية ستكون عائقاً في وجه عمله. امرأة كالتي يخرج شارلي برفقتها قد تجلب لآدم أوجاع الرأس، فهو لا يريد البقاء مرتبطاً. أمّا شارلي فيدّعي دائماً أنه يريد ذلك. بالنسبة لغراي، تجري الأمور كما تسوقها الريح. إنه لا يملك مشاريع ثابتة بشأن أي شيء، بل يعيش الحياة كما تأتي، بعكس آدم الذي لا يحصل في حياته أي أمر إلاّ بحسب الخطط والمواعيد التي يرسمها.

ـ ابتسم شارلي وهو يدخّن سيجاره: "على الأقل ستكون هدية غير اعتيادية. لقد مللت شراء الخزف الصيني للنساء".

قال آدم بنبرة لاذعة: "عليك أن تشعر بالسعادة، لأنك لست مضطراً إلى دفع نفقات الطلاق ومساعدات رعاية الأطفال. صدّقني، أواني الخزف أرخص بكثير". لقد توقّف عن دفع نفقة راشيل حين تزوجت من جديد، لكنها أخذت نصف ما كان يملكه. ولا يزال آدم يدفع نفقة ضخمة لولديه، لكنه بالتأكيد لا يشعر برغبة في التقتير عليهما. إلاّ أنه نادم على ما اتّفقا على أن يدفعه لها لاحقاً بعد الطلاق. فهي بالفعل تمكّنت من الحصول على الكثير منه منذ عشر سنوات يوم تطلّقا، وكان يومها قد أصبح شريكاً في مكتب المحاماة. برأيه، نالت راشيل منه أكثر بكثير ممّا تستحقّ. لقد عيّن لها والداها محامياً مرعباً، وآدم لا يزال يشعر بالامتعاض والمرارة بسبب ذلك، حتى بعد مرور عشر سنوات. إنه لم يتخطَّ بعد الضرر الذي سبّبته له، وهو على الأرجح لن يتمكّن يوماً من ذلك. بالنسبة له، دفع مصاريف عمليات التجميل أفضل بكثير من دفع نفقة الطلاق.

علّق غراي ببراءة قائلاً: "أعتقد أن من السيّئ جداً شراء أي شيء للنساء لأنهن يطلبنه. أنا أفضل شراء هدية للمرأة لأنني أنا أريد ذلك بدلاً من الدفع لمحاميها ومعالجها أو لتقوم بعملية تصغير لأنفها". مقارنة بالمبالغ الصغيرة التي يجنيها غراي، فهو يضطرّ عادة إلى صرف ثروة كلما تورّط في علاقة مع امرأة ما. لكنه دائماً يشعر برغبة من تلقاء نفسه في مساعدة تلك المرأة. في علاقاته الغرامية يعتبر غراي كالصليب الأحمر. أمّا آدم فهو كالوكيل التجاري، يرسم الحدود الواضحة، ويقوم بالمقايضات. شارلي هو أكثر الرجال رومنسية وتهذيباً، وله سحر خاص على النساء. غراي يقول دائماً إنه رومنسي أيضاً، إلاّ أنّ النساء اللواتي يتورّط معهن لسن رومنسيات في نظره. فهن يائسات ويحتجن للاهتمام أكثر ممّا هن بحاجة إلى الرومنسية. على الرغم من رغبة غراي بأن يلتقي بامرأة ذات طبع رومنسي، إلاّ أنه لم يستطع الاختلاط بأشخاص أسوياء تماماً ويبدو أنه لن يستطيع فعل ذلك أبداً. أما آدم فيدّعي أنه لم يعد هناك مكان للرومنسية

في حياته، وهو فخور بذلك. فهو يقول إنه يفضّل إقامة علاقة مع فتاة جذابة على الحصول على حياةٍ رومنسية متعبة.

سأله غراي فيما هو يتناول كوب الشراب الثالث: "ما الخطب في الحصول على الأمرين معاً؟ لمَ لا يمكنك الحصول على فتاة جذابة ورومنسية في الوقت نفسه؟ وربما تحبّك أيضاً، وقد تحبّها أنت بدورك".

وافقه شارلي قائلاً: "يبدو هذا أمراً جيّداً بالنسبة لي". بالطبع! في حالته، سيودّ شارلي أن تكون الفتاة من طبقة النبلاء أيضاً، فهو يعترف دائماً أنه متكبّر في ما يختصّ بالنساء. لطالما سخر منه آدم، فهو يقول إن شارلي لا يريد أن يختلط دمه مع دماء الفلاحات. لكن شارلي يعترض على ذلك الكلام، رغم أن كليهما يعلم أنه كلام صحيح.

قال آدم منتقداً: "أعتقد أن كليكما تعيشان في عالم الخيال. فالرومنسية تدمّر كلّ شيء. إنها تجعل الجميع يشعرون بخيبات أمل، وعندها تبدأ المأساة. لو أن الجميع يكتفون بالعلاقات الغرامية العابرة وببعض المرح، لما أصيب أحد بأية أذية".

سأله غراي ببساطة: "إذاً، لمَ تشعر جميع النساء اللواتي تخرج برفقتهن بخيبات أمل؟" كان لدى غراي وجهة نظر صائبة في كلامه.

أجابه آدم: "لأن النساء لا يصدّقن ما تقوله لهن. في الدقيقة التي تخبر فيها امرأة أنك لا تنوي الزواج بها، تصبح بالنسبة إليها موضوع تحدٍّ، وتبدأ عندها بالتسوّق والتفتيش عن فستان الزفاف. لكنني صادق معهن على الأقل، وإن لم يصدّقنني فهذه مشكلتهن. الله وحده يشهد بأنني أقول ذلك لهن بصراحة". هذه هي حسنات الخروج مع فتاة صغيرة في السن، فالفتاة التي ما تزال في الثانية والعشرين من عمرها مثلاً لا تبحث عادة عن الزواج، بل تبحث فقط عن التسلية وقضاء وقت ممتع. لكن حين تصبح المرأة في بداية الثلاثينيات من عمرها، تبدأ بالبحث بذعر عمّا ستؤول إليه العلاقة. الفتيات الشابات يُردن فقط الذهاب إلى النوادي والملاهي، وشراء بعض

الفساتين على حساب الرجل، وكذلك حضور الحفلات الموسيقية وتناول العشاء في المطاعم. وحين يصطحب إحدى هؤلاء الفتيات إلى لاس ڤيغاس مثلاً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع هناك، بسبب انشغاله مع زبائنه في ذلك المكان، تشعر كأنها قد ذهبت إلى الجنة.

لكن لعائلة آدم مواقف مختلفة تماماً. فوالدته مثلاً تتّهمه دائماً بمعاشرة الساقطات، لا سيّما حين ترى صوره في الصحف والمجلات. يقوم آدم دائماً بتصحيح معلوماتها، فيقول لها إن هؤلاء النساء هن ممثلات أو عارضات أزياء، لكنها تؤكّد له أن مصاحبة الممثلات والعارضات هو أمر مماثل. أمّا أخته فتشعر دائماً بالخجل حين تتمّ مناقشة هذا الموضوع أثناء حفلات العشاء العائلية. أخوه يقول إن الأمر مضحك، لكنه منذ بضع سنوات بدأ ينصحه بالاستقرار. لكن آدم لا يكترث لما يفكّر به أهله، فهو يرى أن حياتهم الخاصة مملّة جداً، أما حياته فلا. وهو يؤكّد لنفسه دائماً أنهم يغارون منه لأنه يستمتع بوقته ويمرح، أما هم فلا يفعلون. بالطبع لم يكن والداه يغاران منه، لكنهما كانا يعارضانه على أسلوب حياته الغريب. يظنّ آدم أحياناً أن والدته ربما بقيت مقربة من راشيل فقط كي تؤكّد استهجانها لتصرفاته، ولكي تزعجه قليلاً. فوالدته تحبّ راشيل وزوجها الجديد، وتذكّر آدم دائماً بأنها تقابل راشيل وتبقى على اتصال بها لأنها والدة أحفادها. لكن مهما كانت المسألة أو المشكلة فإن والدة آدم تختار دائماً الجهة المعاكسة له، إذ لا يمكنها التحكم بنفسها. يعرف آدم أن والدته تحبّه برغم كل شيء، لكنها تشعر كأنها مكرهة على انتقاده وجعل حياته صعبة، ويبدو أنها تعترض على كل خطوة يقوم بها.

إنها لا تزال تلومه على الطلاق، وتعتقد أنه فعل شيئاً فظيعاً لراشيل كي تقوم بتركه والارتباط بشخص آخر. لم تتعاطف والدته معه يوماً لأن زوجته خانته وتركته بعد ذلك. لطالما رأت أنه هو المذنب. لكن خلف تلك الانتقادات والاعتراضات، يعتقد آدم أن والدته بالتأكيد فخورة به، رغم أنها لم تعترف له يوماً بذلك.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة حين ترك الأصدقاء الثلاثة طاولة العشاء وخرجوا للتنزه قليلاً في سان تروبيز. بدت الشوارع مكتظة والناس في المقاهي وعلى الرصيف أو في المطاعم والملاهي، وقد سُمعت أصوات الموسيقى الصاخبة من عدة ملاهٍ ليلية. توقّف الثلاثة لتناول مشروب في شي نانو، ثم وصلوا إلى ليكاف دوروي عند الواحدة بعد منتصف الليل. كان المكان يعجّ بالحياة والحيوية. ظهرت النساء هناك وهن يرتدين القمصان القصيرة والسراويل الضيقة أو الفساتين الملفتة للنظر. كانت جميع النساء قد صفّفن شعرهن بتسريحات مشعثة غريبة، وكن ينتعلن الأحذية ذات الكعوب المرتفعة. شعر آدم كأنه طفل في متجر الحلويات، كما أن شارلي وغراي استمتعا أيضاً. لكن غراي كان أكثرهم خجلاً في اختيار النساء، فعادة ما تقوم النساء بإيجاده. أما شارلي فكان ذوقه رفيعاً جداً، لكنه أحبّ مشاهدة النساء المختلفات.

عند الساعة الواحدة والنصف كان الرجال الثلاثة يرقصون وهم يشعرون بالغرور قليلاً. لم تظهر الفتيات البرازيليات مجدّداً، لكن آدم لم يكترث لذلك. لقد رقص مع اثنتي عشرة فتاة غيرهن، وفي النهاية استقر على فتاة ألمانية أخبرته أن والديها يملكان منزلاً في راماتويل، وهي مدينة قريبة من سان تروبيز. بدت تلك الفتاة في الرابعة عشرة من عمرها، لكن حين بدأت بالرقص مع آدم اتّضح له أنها أكثر نضجاً من العمر الذي قدّره لها. بدا واضحاً أنها تدرك تماماً ما تقوم به وما تريده منه. تعدّت الساعة الثالثة فجراً، وبدأ شارلي يتثاءب، وما هي إلاّ دقائق حتى غادر برفقة غراي ليعودا إلى القارب، أمّا آدم فقال إنه سيتمكّن من معرفة طريق العودة بمفرده. لقد أرسوا اليخت عند الميناء تلك الليلة. ترك شارلي جهاز اتصال مع آدم كي يقوم بالاتصال بهم إذا ما احتاج إلى ذلك. هزّ آدم رأسه حين أخبره شارلي بالأمر، وواصل الرقص مع الفتاة الألمانية. كانت تلك الفتاة ذات شعر أحمر، وقالت إن اسمها أوشي. نظر آدم إلى شارلي

بطرف عينه وهو يغادر مع غراي، فابتسم له شارلي. بدا واضحاً أن آدم يستمتع بوقته كثيراً، ويلهو جيداً.

سأل غراي وهما يمشيان عائدين إلى اليخت: "ما الذي سنفعله غداً؟"

كان باستطاعتهما سماع الموسيقى من كل ناحية طيلة الطريق، لكن الجو بدا هادئاً حين وصلا إلى داخل اليخت وأقفلا الأبواب خلفهما. عرض شارلي على غراي تناول شراب ما قبل الخلود إلى الفراش، لكن غراي قال إنه ما عاد يستطيع تناول أي شراب. بدلاً من ذلك، وقفا على متن اليخت ليدخّنا السيجار، ويراقبا الناس الذين يتجوّلون على رصيف الميناء أو الذين خرجوا ليتحدّثوا على متون اليخوت الأخرى المتوقفة في مكان قريب. بدت سان تروبيز بلدة ساحرة، حيث يبقى الناس مستيقظين طيلة الليل.

أجابه شارلي: "كنت أفكّر أن علينا التوجه إلى بورتوفينو أو ربما التوقف في مونت كارلو". بعد مضي أيام قليلة، تصبح الحياة في سان تروبيز متكررة ومملة، إلاّ إن كان لديك هناك أصدقاء، وهذه ليست حالة شارلي وغراي وآدم. بدا من الممتع تناول الطعام في المطاعم ودخول النوادي الليلية، بالإضافة إلى أماكن أخرى كثيرة يودّون زيارتها أيضاً خلال هذا الشهر. بعض تلك الأماكن كانَ مبهجاً واحتفالياً كسان تروبيز، وبعضها الآخر أكثر هدوءاً. مونت كارلو مثلاً هي أكثر أناقة وتسكيناً للآلام، وهم الثلاثة يستمتعون كثيراً بزيارة الكازينو هناك.

علّق غراي وهو يفكّر بصديقهما: "ربما سيودّ آدم أن نبقى هنا لليلة أو ليلتين إضافيتين، كي يتمكّن من رؤية الفتاة الألمانية من جديد". لم يكن غراي يريد أن يفسد مرح آدم وفرحته، لكن شارلي كان يعرف آدم أكثر لذلك بدا أكثر إدراكاً للأمر. إن كان فعلاً يعرف آدم، وإن كان للرحلات الماضية أي دلالة، فإن ليلة واحدة برفقة الفتاة الألمانية هي كل ما يريده.

كانت الساعة قد اقتربت من الرابعة صباحاً حين دخل غراي وشارلي كلٌ إلى غرفته. لقد كانت ليلة طويلة، لكنها ممتعة. نام شارلي على الفور، ولم يشعر أحد منهما بآدم حين عاد في الخامسة صباحاً.

كان شارلي وغراي يتناولان الفطور على شرفة اليخت الخلفية حين ظهر آدم برفقة أوشي وهو يبتسم. لم يبدُ على الفتاة أي شعور بالخجل حين رأت الرجلين.

قالت بتهذيب: "صباح الخير". فكّر شارلي أنها تبدو في السادسة عشرة من عمرها في ضوء النهار. لم تكن تضع مساحيق تجميل، لكنها بدت بمظهرٍ جميل وهي ترتدي سروال الجينز مع القميص ذات الكمين القصيرين، اللذين كانت ترتديهما ليلة أمس. كانت تمسك بيدها حذاءها الذهبي ذا الكعبين المرتفعين، وبدا شعرها الأحمر طويلاً وكثيفاً، وكان آدم يغمرها بذراعه.

طلبت المضيفة التي كانت تقف بجانبهم الفطور لكليهما. أصرّت أوشي أن كل ما تريده هو القهوة والكعك المحلى، أما آدم فطلب اللحم المقدّد والبيض والفطائر المحلاة. بدا بمزاج جيد جداً، وحاول صديقاه منع نفسيهما من الابتسام.

جلس الأربعة يتحادثون بودّ، وحالما أنهت أوشي تناول الفطور قام أحد الموظفين بطلب سيارة أجرة لها، لكن آدم أخذها بجولة في المركب قبل أن تغادر. وحين أوصلها إلى سيارة الأجرة بدت وكأن النجوم لا زالت تدور في رأسها بسبب تلك الجولة، فقد كانت تلك ليلة لا تُنسى.

وعدها بشكل مبهم قبل أن يقبّلها مودّعاً: "سأتّصل بك". رغم أن صديقيه علما أنه سرعان ما سينساها، وبعد مضيّ عام من الآن سيكون عليهما تذكيره بها إن أرادا ذلك.

ـ سألته أوشي وهو يقف بجانب سيارة الأجرة: "متى ستتّصل؟ هل ستكون في النادي هذه الليلة؟"

أجــاب آدم عــن سؤالها الثاني فقط وقال: "أعتقد أننا سنغادر الليلة".
أعطــته المــرأة رقم هاتفها في راماتويل وأخبرته أنها ستكون هناك طيلة شــهر آب. وبعد ذلك ستعود إلى ميونخ مع والديها. أعطته أيضاً عنوانها في ألمانيا حين أخبرها أنه ذهب إلى هناك في رحلات عمل. قالت له إنها في الثانية والعشرين من عمرها، وإنها تدرس الطب في فرانكفورت. حاول آدم أن يكــون صادقاً، على الأقل كي لا يخيّب أملها على نحو غير ملائم، فقــال لهــا: "إن بقينا حتى المساء، سأعود لأراك، لكنني أشكّ ببقائنا". لكن الفــتاة بالطــبع لم تكن منخدعة أيضاً. لقد اختارت شخصاً غريباً وأمضت الليلة برفقته، لذا فهي تدرك تماماً أنها على الأرجح لن تراه من جديد. ففي الــنهاية كانت أوشي تبحث عن التسلية لليلة واحدة على الأقل مثله تماماً، وقــد حــصلت على ما تريده. كذلك حصل آدم على ما يريده أيضاً، فلقد استمتع بالليلة التي أمضاها برفقتها. في ضوء النهار لم يعد بالإمكان إخفاء حقــيقة أنهمــا غريبان بالكامل عن بعضهما، وعلى الأرجح أنهما لن يلتقيا مجــدداً طــيلة حــياتهما. فقواعد السير عبر الحياة بدت واضحة بالنسبة لكليهما.

عانقها آدم وساعدها لتجلس في سيارة الأجرة. تعلّقت به للحظة وهي تقول بنبرة حالمة: "وداعاً... وشكراً..."

عانقهــا مجــدّداً، وهمــس لها قائلاً: "شكراً لك أوشي". وربّت على كــتفها. فجلــست في السيارة ولوّحت له حالما انطلقت. كانت هذه أمسية أخــرى من التسلية. إنها طريقة رائعة لقضاء الوقت، ولجعل العطلة أكثر حيوية.

علّق شارلي حين انضمّ آدم إلى صديقيه مجدّداً على طاولة الفطور، وقــد ظهرت ابتسامة ملتوية على وجهه: "حسناً! كانت تلك مفاجأة صغيرة وجمــيلة. أحبّ تسلية الضيوف عند الفطور، لا سيّما الضيفات الجميلات. هل تعتقد أن علينا مغادرة البلدة قبل أن يأتي إليك والداها شاهرين السلاح؟"

ابتــسم آدم ابتسامة عريضة وهو يشعر بالرضى عن نفسه. إنه يحبّ أن يحوّل يخت شارلي إلى قارب احتفال من وقت إلى آخر. قال له: "أتمنّى ألاّ يفعــلا. إنها في الثانية والعشرين من عمرها، وهي طالبة طب، وغير خجــولة أبداً". لكن، حتى آدم كان عليه الاعتراف أنها بدت أصغر سناً من ذلك.

علّــق شارلي مراوغاً وهو يشعل سيجاره: "يا للخيبة!" في الصيف، يقــوم شارلي بتدخين السيجار حتى بعد تناول الفطور. الشيء الوحيد الذي يحــبّه الرجال الثلاثة في حياتهم هو أنهم – رغم وحدتهم– يقومون بكل ما يحــبّون القــيام به. إنها إحدى حسنات حياة العازبين. بإمكانهم أن يتناولوا الطعام ساعة يشاؤون، وأن يرتدوا ما يختارونه من الملابس، وأن يشربوا كما يحلو لهم... حتى الثمالة إن أرادوا ذلك. وكذلك بإمكانهم قضاء وقتهم مــع أي شــخص يــريدون، إذ ليس هناك من يتذمّر أويشتكي. هم ليسوا مــضطرين إلى إيجاد تسوية أو اعتذار أو التكيّف مع أي كان. ليس لديهم ســوى بعــضهم البعض، وفي الوقت الحاضر، كان هذا كل ما يريدونه. بالنــسبة لهم، بدت حياتهم الآن مثالية. "ربما في محطتنا التالية سنبحث لك عن فتاة خجولة. أعتقد أنه يصعب إيجاد فتاة مماثلة هنا".

ابتــسم آدم مجــدداً وهــو يشعر بالرضى عن ليلته الماضية قائلاً: "مــضحك جــداً! أنت تشعر بالغيرة فقط. على فكرة، أين ستكون محطتنا التالــية؟" أحــبّ آدم الطريقة التي يتنقّلون بها من مكانٍ إلى آخر، وكأنّهم يأخــذون منزلهم أو الفندق الذي ينزلون فيه حيثما ذهبوا. بإمكانهم العيش بترف ووضع خططهم الخاصة لسير رحلاتهم، وبإمكانهم أيضاً تغيير تلك الخطط متى أرادوا، بينما يقوم طاقم سفينة بكاملها بتقديم أفضل خدمة لهم. بدت تلك الحياة للرجال الثلاثة كالعيش في الجنة، لهذا السبب بالذات أحبّ شارلي يخته، ولهذا السبب هو يمضي أيام الصيف وعدّة أسابيع من الشتاء على متنه.

سأل شارلي: "إلى أين تريدان الذهاب؟ أنا كنت أفكّر بموناكو أو بورتوفينو". بعد نقاش طويل قرّروا الذهاب أولاً إلى موناكو وإلى بورتوفينو في اليوم التالي. سيذهبون مباشرة إلى مونت كارلو فهي تبعد ساعتين فقط عن سان تروبيز، بينما ستأخذ الطريق إلى بورتوفينو ثماني ساعات تقريباً. كما توقّع شارلي، فإن غراي لم يكترث كثيراً بالوجهة التي سيقصدونها، أما آدم فأراد بالتأكيد زيارة كازينو مونت كارلو.

غادر اليخت الميناء بعد أن تناولوا الغداء، وكان غداؤهم مؤلفاً من أطباق المأكولات البحرية. كانت الساعة قد قاربت الثالثة حين غادروا. توقّفوا في منتصف الطريق للسباحة قليلاً، ثم تمدّد الرجال فوق متن المركب ليأخذوا قيلولة صغيرة قبل أن يصلوا إلى موناكو، وحين وصلوا، بدوا كأنهم يغطّون بالنوم فوق المقاعد الطويلة على متن المركب. أرسى القبطان بمساعدة الطاقم القمر الأزرق باحتراف في الميناء. استخدمت العجلات المطاطية لمنع اصطدام اليخت بالسفن الأخرى. وكالعادة بدا ميناء مونت كارلو مكتظاً باليخوت التي تبدو بحجم يختهم وباليخوت الأكبر حجماً.

استيقظ شارلي عند الساعة السادسة ليجد أنهم وصلوا إلى المكان الذي يقصدونه، اكتشف أن صديقيه ما زالا يغطّان في النوم، فدخل إلى غرفته ليستحمّ ويغيّر ملابسه. استيقظ غراي وآدم عند الساعة السابعة، وبدا آدم منهكاً بسبب الليلة الماضية. أما غراي فلم يكن معتاداً على تلك السهرات الطويلة، إذ يلزمه دائماً عدّة أيام كي يتأقلم مع حياة الليل التي يعيشونها خلال سفرهم سوياً. لكن الأصدقاء الثلاثة شعروا بالراحة حين خرجوا لتناول العشاء.

كان أحد الموظفين قد طلب لهم سيارة أجرة، وحجز لهم في مطعم لويس الخامس عشر حيث تناولوا عشاءً عظيماً. بدا ذلك المطعم ذا طابع رسمي أكثر من الأماكن التي زاروها في سان تروبيز. ارتدى الثلاثة

معاطف وربطات عنق. شارلي كان يرتدي بذلة من الكتان بلون القشدة مع قميص ملائمة تماماً للبذلة. أما آدم فكان يرتدي سروال جينز أبيض اللون مع سترة فضفاضة وينتعل حذاء من جلد التماسيح، ولم يكن يرتدي جوارب. فيما ارتدى غراي قميصاً زرقاء وسروالاً من اللون الكاكي مع سترته القديمة الطراز. بدا غراي بشعره الأبيض رئيس الفريق المكوّن من الرجال الثلاثة. لكن مظهره بدا غريباً ولا يخلو من الجرأة، فقد ارتدى ربطة عنق حمراء. مهما حاول غراي أن يحسّن من هندامه، كان يبدو دائماً بوضوح أنه فنان. أخذ يشير بيديه ويومئ خلال العشاء وهو يخبرهم قصصاً عن أيام طفولته، ويصف لهم القبائل التي عاشوا معها لفترة قصيرة في الأمازون. بدت تلك الأحداث قصصاً مشوقة الآن، لكنها ما زالت تبدو له كالكابوس، لأنه اضطرّ لعيشها بينما كان الأولاد في سنه يذهبون إلى المدارس، ويركبون الدراجات، ويحضرون صفوف الرقص. أما هو فكان يتجوّل في أنحاء الهند الفقيرة، أويعيش في دير بوذي في النيبال، أو يخيّم مع سكان البرازيل الأصليين ويقرأ تعاليم الدالاي لاما. لم تسنح له الفرصة مطلقاً للاستمتاع بكونه طفلاً صغيراً.

- "ما الذي يمكنني قوله لكم؟ كان والداي مجنونَين. لكن أعتقد أنهما على الأقل لم يكونا مملّين". اعتقد آدم أن طفولته كانت مؤلمة لكثرة الروتين والأحداث العادية التي عاشها. لا شيء مما رآه في جزيرة لونغ يمكن أن يقارن بما رآه غراي. أمّا شارلي، فنادراً ما تكلّم عن طفولته. كانت طفولته مدروسة بشكل منظّم. بدت محترمة وتقليدية إلى أن توفّي والداه. حينها أصبحت حياته مشوّهة، كما أصبحت عبارة عن مأساة حقيقية عند وفاة شقيقته، بعد مرور خمس سنوات فقط على وفاة والديه. يفضّل شارلي التكلّم عن تلك الأحداث مع معالجه النفسي لا في سهرة اجتماعية. لا بد أن أشياء مفرحة ومضحكة حدثت في حياته قبل حصول تلك المأسي، لكنه ما عاد يتذكّرها الآن. كل ما يتذكّره هو الجزء المحزن. كان من

الأسهل له إبقاء تفكيره مركزاً على الأحداث الحاضرة، مع أن معالجه يصرّ على جعله يتذكّر. لكنه حين يفعل ذلك فهو يناضل كي يستحضر الذكريات من دون أن يشعر بالاحباط بسببها. إن حياة الرفاهية والرغد التي يعيشها لا تعوّضه عن الأشخاص العزيزين الذين خسرهم، أو عن حياته العائلية التي تلاشت بموتهم. ورغم محاولاته، لم يستطع إعادة بناء حياته العائلية. بدا إيجاد الاستقرار العائلي وإقامة روابط قوية مع شخص ما أمر صعب المنال بالنسبة إليه. إن الرجلين اللذين يسافر برفقتهما كانا أقرب ما يكون لعائلته الآن، ومنذ خمسة وعشرين عاماً، أي بعد موت شقيقته. لم يشعر بالوحدة في حياته بقدر ما شعر يومها، حين أحسّ بالألم والوجع لإدراكه أنه بات وحيداً في هذا العالم، ولم يعد هناك من يهتمّ لأمره ويحبّه. أمّا الآن فلديه على الأقل غراي وآدم، وهو متأكد أنه مهما حدث له، فواحد منهما أو كلاهما سيكونان هناك بجانبه، تماماً كما سيتصرّف هو بدوره معهما. لقد أعطى ذلك الشعور راحة نفسية كبيرة للرجال الثلاثة. إنهم يتشاركون في رابط لا يقدّر بثمن من الثقة والمحبة والصداقة.

جلس الثلاثة يشربون القهوة، ويدخّنون السيجار، ويتحدّثون عن حياتهم وعن طفولتهم، أو بالأحرى عن طفولة غراي وآدم. ما لفت انتباه شارلي هو أنهما تدبّرا أمورهما بطرق مختلفة. تقبّل غراي منذ فترة طويلة فكرة أنّ والديه بالتبنّي كانا غريبي الأطوار وأنانيين، ونتيجة لذلك فهما والدان غير صالحين. لم يشعر غراي يوماً بالأمان وكأنه في منزل حقيقي، لقد تنقّل مع عائلته من قارة إلى أخرى ليبحثوا عن أمر ما لكنهم لم يصلوا يوماً إلى شيء. كان غراي يشبّه والديه بالرجل الذي تاه في الصحراء لأربعين عاماً، ولم يكن يملك مشعلاً ليهتدي به. حين استقرّ والداه في نيومكسيكو وتبنّيا طفلاً آخر، كان غراي قد رحل منذ فترة بعيدة. التقى غراي بأخيه حين كان يقوم بزياراته القليلة لأهله، لكنه قاوم كثيراً التعلّق به، إذ لم يكن غراي يريد شيئاً يربطه بأهله. آخر مرّة التقى غراي ببوي

كان يوم مأتم والديه، ثم أضاع الطريق إليه. شعر بالذنب حياله في بعض الأحيان لكنه لم يسمح لنفسه بأن يمعن التفكير بهذا الأمر. لقد محى غراي أخيراً جميع الآثار التي تذكّره بعائلته التي لم تجلب له سوى الألم. فبالنسبة إليه لم تكن كلمة عائلة توحي إلاّ بالألم. لكنه يتساءل بين الحين والآخر ما الذي حدث لبوي بعد وفاة والديه. مهما حدث معه، يظنّ غراي أنه بالتأكيد بحال أفضل ممّا سيكون عليه لو أنه ما زال يتشارك في حياته مع والديه غير المسؤولين. حارب غراي كل شعور قوي بالمسؤولية أو بالرغبة في الاتصال ببوي. فكّر أنه قد يتّصل به يوماً لكن ذلك اليوم لم يأتِ بعد، وربما لن يأتي أبداً! من الأفضل ترك بوي مجرّد ذكرى من ذكريات الماضي الغابر، وجزءاً من حياة لا يملك أي رغبة بعيشها أو الاحساس بها من جديد. لكن غراي كان يتذكّر بوي كطفل بريء ولطيف.

أمّا آدم فيشعر بالمرارة والغضب من والديه. لم تفارق ذهنه مطلقاً صورة والدته الدائمة التذمّر، وصورة والده الصامت. لطالما شعر آدم بالغضب لتدخلهما في حياته، إلى حدّ المبالغة في بعض الأحيان، ولعدم وجودهما بجانبه حين يحتاج إليهما في أوقات أخرى. يقول آدم إن كل ما يتذكّره عن طفولته هو والدته المتذمّرة من الجميع، والتي تنتقده باستمرار لأنه الولد الأصغر الذي بدا كالدخيل على حياتها، بسبب دخوله إليها في وقت متأخر. إحدى ذكرياته التي لا يمكن نسيانها هي عدم عودة والده من العمل إلى المنزل. لكن من يستطيع لومه على ذلك؟ منذ أن غادر آدم وهو في الثامنة عشرة من عمره ليلتحق بجامعة هارفرد، لم يعد ليسكن في المنزل من جديد، فقضاء العطل برفقة عائلته بدا سيئاً بما فيه الكفاية. يقول آدم إن الجو غير المريح في المنزل أوجد بين الأخوة الثلاثة فجوة لا يمكن إصلاحها. كل ما تعلّموه من والديهم هو الانتقاد ومراقبة بعضهم البعض، وعدم الاكتراث لحياة بعضهم مطلقاً.

– "لم يكن هناك احترام متبادل بين أفراد العائلة. أمي لم تكن تحترم والدي. وأعتقد أن والدي على الأرجح كان يكرهها، رغم أنه لم يعترف يوماً بذلك. أمّا بيننا نحن الأولاد فلم يكن هناك احترام أيضاً. أعتقد أن أختي مملة ومثيرة للشفقة، وأنّ شقيقي متباهٍ ومتكبر، ولديه زوجة تشبه والدتي تماماً. هم جميعاً يعتقدون أنني أخرج برفقة نساءٍ عاهرات وغير محترمات. لا أحد منهم يبدي أي احترام لما أقوم به، ولا يريدون حتى أن يفهموا ما هو عملي أساساً. كل ما يركّزون اهتمامهم عليه هو النساء اللواتي أخرج برفقتهن، وليس من أكون وما أحبّه في الحياة. في هذه المرحلة أصبحت ألتقي بهم فقط في حفلات الزفاف والمآتم وفي العطل الكبيرة، وأتمنّى لو لم أكن مجبراً على رؤيتهم مطلقاً. لو وجدت عذراً دائماً لما التقيت بهم مجدداً. راشيل تأخذ الولدين إليهم لكي يروهما، لذا أنا لست مضطراً لفعل ذلك. وهم يحبّونها أكثر ممّا يحبّونني، ولطالما فعلوا ذلك. حتى إنهم يفكّرون أن بإمكانها الزواج بأي رجل تريد طالما أنها تربّي الولدين حسب طريقتهم. راشيل بنظرهم لا تخطئ أبداً، أمّا أنا فلا أقوم بشيء صائب، لكنني الآن لا أكترث لرأيهم أبداً، ولا أهتمّ لهم". بدت المرارة واضحة في صوته وهو يخبرهم بذلك.

علّق غراي باهتمام: "لكنك ما زلت تذهب لرؤيتهم. ربما أنت تهتمّ فعلاً لأمرهم. ربما ما زلت تحتاج لطلب رضاهم أو تريد ذلك. وان كنت كذلك فلا بأس بالأمر. كل ما هناك، أنه علينا الاعتراف أحياناً أن أهلنا غير قادرين على إيجاد الحب الذي كنا نريده بيأس عندما كنا أطفالاً. إنهم لا يملكون ذلك الحب لكي يقدّموه لنا. والداي لم يملكاه قط، فقد انشغلا بحياة العبث حين كانا شابين، ثم انشغلا فيما بعد بالبحث عن ذاتيهما. كانا مجنونين فعلاً. أعتقد أنهما أحبّاني أنا وأختي بقدر ما تمكّنا، لكنهما لم يعرفا كيف يتصرّفان كوالدين. شعرت بالأسى على بوي حين قاما بتبنيه. كان عليهما أن يقتنيا كلباً بدلاً من تبني طفل. أعتقد أنهما شعرا بالوحدة بعد أن

غادرنا أنا وأختي، لذا أحضروه بدلاً منّا. أختي المسكينة موجودة في مكان ما في الهند، وهي تعيش في الشوارع مع الفقراء كراهبة. كانت تتظاهر طيلة حياتها بأنها آسيوية، والآن يبدو أنها اقتنعت بذلك فعلاً. لم تكن تملك أية فكرة عمّن تكون. حتى أنا لم أكتشف نفسي إلا حين ابتعدت عنهم، وما زلت حتى الآن أتساءل في بعض الأحيان من أنا في الحقيقة! أعتقد أن هذا هو المفتاح لنا جميعاً. من نكون فعلاً؟ وبماذا نؤمن؟ وكيف نعيش؟ وهل هذه هي الحياة التي نريد أن نحياها؟ أحاول أن أطرح هذه الأسئلة على نفسي كل يوم، ولا أعرف الأجوبة دائماً. لكنني على الأقل أحاول، ولست أؤذي أحداً وأنا أفعل ذلك. أعتقد أن من السخرية أن يقوم أشخاص مثل والديّ بإنجاب الأولاد أو بتبنّيهم، فهما لم يعرفا كيف يتعاملان مع الأولاد. أنا أعرف هذا الأمر عن نفسي، لذا لا أريد إنجاب الأولاد، ولن أفعل ذلك مطلقاً. أحاول دائماً إقناع نفسي بأن والديّ قاما بأفضل ما يمكنهما، مع أنهما كانا فاشلين جداً معي. أنا فقط لا أريد جعل أطفال آخرين يعيشون البؤس الذي عشته أنا. لا أريد أن أؤذي أشخاصاً آخرين فقط بسبب أنانيتي ورغبتي بالإنجاب. أعتقد أنّ من الأفضل أن يتوقّف النسل والجنون عندي".

لطالما كان غراي مسؤولاً عن قراره بعدم الإنجاب، وهو لا يزال غير نادم على ذلك القرار. إنه يشعر بعدم قدرته على الاهتمام بالأولاد، وتقديم كل ما يحتاجون إليه. لمجرّد التفكير بأنهم سيرتبطون به ويعتمدون عليه يشعر غراي بالرهبة، فهو لا يريد أن يخيّب آمالهم حين يتوقّعون منه أشياءً ولا يتمكّن من تقديمها لهم. إنه لا يريد أن يؤذي أي إنسان أو يخيّب أمل أي إنسان كما شعر هو بالأذية والخيبة في صغره. لم يكن غراي يدرك أن النساء اللواتي ينقذهنّ ويهتمّ بهنّ كالطيور المكسورة الأجنحة هنّ في الواقع كأطفال له. إنه بحاجة دائماً للاهتمام بشخص ما، والنساء اللواتي يساعدهنّ يشبعن هذه الرغبة لديه. يعتقد آدم أن غراي يمكنه أن يكون والداً

ناجحاً جداً، لأنه رجل ذكي وطيب، ولديه قيم أخلاقية عالية. لكن غراي لا يوافقه في ذلك مطلقاً.

سأل آدم شارلي: "ماذا عنك شارلي؟" لطالما كان آدم أكثر قدرة على طرق الأبواب المحرّمة، وتخطي الحدود، ودخول الأماكن التي تخاف حتى الملائكة من وطئها. تابع آدم: "أنت عشت في جوٍّ عائلي طبيعي وأنت طفل. أليس كذلك؟ أنا وغراي نتنافس من منّا سيفوز بجائزة أسوأ والدين للعام، ولست واثقاً بعد من منا سيفوز بالجائزة الأولى. فكما يبدو، كان والداي تقليديين أكثر، لكنهما لم يملكا شيئاً أكثر من والديه ليقدّماه لي". كانوا جميعهم قد شربوا كمية مقبولة من الشراب، لذا لم يشعر آدم بالخجل مطلقاً لأنه يسأل شارلي أن يتكلّم عن طفولته. ما من أسرار بينهم، ولطالما أخبرهم آدم كل شيء عنه، كذلك فعل غراي، أما شارلي فهو بطبيعته أكثر تكتماً منهما، وهو بعيدٌ جداً عن طفولته وهو ليس متأثراً بها.

قال شارلي وهو يتنهّد: "في الواقع كان والداي كاملين. كانا محبين معطاءين وطيبين ومتفهمين، ولم يسيئا معاملتي يوماً. والدتي كانت أكثر النساء رقة وطيبة، وكانت حسّاسة جداً، كما كانت حنونة ومرحة وجميلة أيضاً. أما والدي فكان رجلاً طيباً فعلاً، وقد كان بطلاً ومثالاً صالحاً في كل شيء. بدا والداي رائعين وكذلك طفولتي، إلا أنهما توفيّا باكراً وانتهت القصة. أمضيت ستة عشر عاماً من السعادة، ثم أصبحت أعيش أنا وشقيقتي وحدنا في منزل كبير جداً مع الكثير من المال والخدم الذين يهتمّون بشؤوننا، بالإضافة إلى مؤسستنا التي تعلّمت أختي كيف تديرها. توقّفت أختي عن إكمال دراستها الجامعية في ڤاسار كي تهتمّ بي، وقد قامت بذلك بشكل رائع لمدّة عامين إلى أن ذهبت أنا إلى الجامعة. في تلك الفترة، كنت أنا كل حياتها. لا أعتقد أنها حصلت حتى على موعد غرامي واحد خلال تلك الفترة. وحين انتقلت أنا إلى برينستون بدأت تعاني من المرض، رغم أنني لم أعلم بالأمر لفترة طويلة، ثم توفّيت... لقد رحل

الأشخاص الثلاثة الذين كانوا الأحب على قلبي. بعد أن استمعت إليكما أدركت أنني كنت محظوظاً، ليس بسبب امتلاكي للمال، لكن بسبب الأشخاص الطيبين الذين كانوا بجانبي. كان والداي رائعين وكذلك كانت ألين. لكن، هناك دائماً أناس يموتون وآخرون يعيشون. تلك هي الحياة! فجأة تشعر وكأن عالماً بحاله قد رحل، وأن حياتك قد تغيّرت تماماً. تمنّيت ألف مرّة لو أنني فقدت أموالي كلها ولم أخسر أياً من أفراد عائلتي، لكن الخيار لا يُعطى لنا مطلقاً، لذا علينا دائماً أن نجاري لعبة القدر التي تحدّد مصائرنا. بالحديث عن اللعب، هل ترغبان بلعب الورق؟" سألهما شارلي ذلك بنبرة مفاجئة، رغبة منه في تغيير الموضوع فهزّ الرجلان الآخران رأسيهما بالموافقة وهما لا يزالان صامتين.

بدت قصة شارلي مؤثرة، وعلم الرجلان أن هذا قد يكون السبب الذي منع شارلي من الارتباط بفتاة ما بشكل دائم. إنه على الأرجح يخشى أن تموت وتتركه أو أن تخيّب أمله. شارلي يعرف ذلك عن نفسه، لقد ناقش هذا الأمر مع طبيبه النفسي آلاف المرّات، لكن ذلك لم يغيّر شيئاً. فَقَد والديه وهو في السادسة عشرة من عمره، وأخته التي كانت آخر أنسبائه توفّيت بسبب مرض فظيع حين كان في الحادية والعشرين من عمره. لن تتغيّر تلك الوقائع أبداً مهما أمضى من سنوات وهو يزور الطبيب النفسي. أصبح من الصعب عليه الوثوق بأي شخص منذ ذلك الوقت. ماذا إن أحببت شخصاً ما، ثم توفّي هذا الشخص وتركك؟ من الأسهل إيجاد العلل في النساء ثم تركهن قبل أن يحصل ذلك. رغم نشأته في كنف عائلة مثالية وهو طفل، لكن وفاة والدي شارلي وأخته جعلته يواجه حياة مليئة بالرعب؛ إن تجرّأ وأحبّ امرأة ما، فهي بالتأكيد ستموت أو أنها ستهجره، وإن لم تفعل وبدت صادقة، فهناك دائماً مجازفة. هو لا يزال يرى تلك المجازفة مرعبة، وهو ليس مستعداً ليفتح قلبه إلاّ إذا رأى أن ذلك سيكون آمناً بنسبة ألف في المئة. إنه يريد الحصول على

الضمانات منذ البداية، وحتى اليوم لم تأتِ أي امرأة مع ضمانٍ ما، بل مع علم أحمر يخيفه حتى الموت، لذا فهو يقوم دائماً بتركهن بطريقة مهذبة. لم يجـد حتى اليوم امرأة تستحقّ أن يجازف بنفسه من أجلها، لكنه يشعر أنه سـيجدها في أحد الأيام. لم يكن آدم وغراي واثقين من ذلك مثله، فبرأيهما إنه يتدبّر أمره بصورة أفضل بمفرده. هم الثلاثة مناسبون لبعضهم كما هم، فكـل واحد منهم يبدو مدركاً للمخاطرة التي سيقدم عليها إن كان فعلاً يريد الارتباط بامرأة ما لوقت طويل، لا لمجرد علاقة عابرة. إنها لعنة أورثتهم إياها أسرهم، ولا يمكن لأي منهم أن يلغي وجودها أو يتخلّص منها. فالقلق والخوف اللذان يرافقانهم الآن هما هدية أهلهم الأخيرة.

جلس شارلي وغراي يلعبان الورق، فيما راح آدم يراقبهما. وما لبث أن انـضمّ إليهما هو أيضاً. أمضى الثلاثة وقتاً ممتعاً في اللعب، وقتاً مليئاً بالتسلية والمرح.

عـند الساعة الثانية صباحاً عادوا إلى اليخت، وحالما وصلوا، دخلوا إلـى غـرفهم. لقـد أمضوا نهاراً جميلاً وتعرّفوا إلى عدد من الأصدقاء اللطفـاء، وقـرّروا المغـادرة إلى بورتوفينو في اليوم التالي. أبلغ شارلي القـبطان أن يـنطلق قبل أن يستيقظوا، عند الساعة السابعة صباحاً. هكذا، سيـصلون إلى بورتوفينو في وقت متأخر من بعد الظهر، وسيكون أمامهم وقت كافٍ ليتنزّهوا هناك. لطالما كانت بورتوفينو من أفضل الأماكن التي يـزورونها فـي جولـتهم الـصيفية، فقـد أحـبّ غراي الفن المعماري والمـنحوتات، وأعجب بكنائسها التي تقع عند التلال، وأحبّ شارلي الجو الإيطالـي البسيط والمطاعم والأشخاص هناك. فقد بدا المكان فعلاً مميزاً وجميلاً بالنسبة له، أمّا آدم فأحبّ المتاجر وموقع فندق سبلنديدو الواقع على قمة التلة، والذي يطلّ على المرفأ.

كـان آدم يحبّ المرفأ الصغير والفتيات الإيطاليات الرائعات اللواتي التقـى بهـن عبـر السنوات، وكذلك الفتيات اللواتي أتين من بلدان أخرى

والتقـى بهن هناك. كان لذلك المكان تأثير سحري على الرجال الثلاثة. لذا خلـدوا إلـى الـنوم تلك الليلة وهم يشعرون بالسعادة لأنهم أخذوا يفكرون بالوصول إلى بورتوفينو في اليوم التالي.

ككـل عـام، بدا هذا الشهر على متن القمر الأزرق أشبه برحلة إلى الجنة.

3

وصلوا إلى بورتوفينو عند الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي. كانــت المتاجــر قد فتحت أبوابها للتو مجدداً بعد فترة الغداء. كان عليهم الــبقاء في المرسى خارج الميناء لأن رافدة القص في يخت القمر الأزرق عمــيقة جــداً، وعمق مياه الميناء ليس كافياً لها. أخذ الناس يسبحون حول ســفنهن، تماماً كما فعل غراي وآدم وشارلي حين استيقظوا من النوم. عند الــساعة الــسادسة وصل عدد من اليخوت الكبيرة الأخرى، فأصبح الجو حــولهم احتفالــياً. بدا طقس بعد الظهر، ذا شمس ذهبية رائعة. وحين أتى مــوعد العشاء لم يكن أي منهم يريد مغادرة اليخت، لذا قرّروا ألاّ يفعلوا. شــعروا بالسعادة وهم يسترخون ليستمتعوا بالمشاهدَ المحيطة بهم، كما أن الطعام على متن يخت شارلي هو دائماً لذيذ. المطاعم في البلدة ذات نوعية جيدة أيضاً، وهناك عدة أماكن ممتازة لتناول الطعام. يقع الكثير منها داخل الميــناء، وهي موزعة بين المتاجر. المتاجر في بورتوفينو أكثر أناقة من متاجر سان تروبيز. من هذه المتاجر: كارتييه، وڤويتون، ودولشي وغابانا، وســيلين، بالإضــافة إلــى عــدد كبير من متاجر المجوهرات الإيطالية. وجمــيعها تتميّــز بالفخامة، رغم أن البلدة تبدو صغيرة جداً. حركة الناس التــي تتمركــز حــول منطقة الميناء في الريف المجاور وفي المنحدرات المــشرفة علــى الــسفن بدت كلها فاتنة الجمال. أما كنيسة سان جورجيو

وفــندق ســبلنديدو فيتربّعان فوق تلّتين منفصلتين، تطلاّن على الميناء من ناحيتين مقابلتين لبعضهما البعض.

قال آدم وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقد أخذ يراقب الحركة حولهم: "يــا إلهــي، كم أحبّ هذا المكان!" قفزت مجموعة من النساء الفاتنات في المــياه مــن يخــت قــريب. كان غراي قد أمسك مسبقاً بدفتر الرسم وبدأ يرسمهن، أمّا شارلي فكان سعيداً على متن السفينة وهو يدخن سيجاره. هذا المــرفأ هو المفضل لديه في إيطاليا، وهو يشعر بالسعادة للبقاء هناك بقدر ما يشاء، فهو ليس على عجلة من أمره للانتقال إلى أي مكانٍ آخر. إنه في الواقع يفضّل هذا المرفأ على مرافئ فرنسا أيضاً. إنه مكان يسهل التحرّك فــيه، بــدلاً من تجنب عدسات المصورين والصحفيين الفضوليين في سان تروبيــز، أو من التجول في طرقات تعجّ بالناس الخارجين والداخلين إلى المــراقص الليلــية والمقاهي. بورتوفينو هي ذات رونق ريفي خاص بها، وتتميّز بسحر وجاذبية إيطاليين مذهلين. لقد أحبّها شارلي فعلاً، وكذلك فعل صديقاه.

ارتــدى الــثلاثة ســراويل الجينز والقمصان ذات الأكمام القصيرة، وخــرجوا لتناول العشاء. حجزوا طاولة لهم في مطعم قريب من الساحة، حيث تناولوا الطعام من قبل لمرات عديدة. تعرّف النادل إليهم حالما دخلوا، وتذكّــر *القمــر الأزرق* على الفور. قُدّمت لهم طاولة ممتازة في الخارج، حــيث تمكّــنوا من مراقبة الناس وهم يتحرّكون. طلبوا المعكرونة وثمار البحــر ونــوعاً من الشراب الإيطالي الفاخر. كان غراي يتحدّث عن فن العمــارة المحلي حين قاطعهم صوت نسائي من الطاولة المجاورة. كل ما قالته المرأة هو: "القرن الثاني عشر".

صــحّحت تلك المرأة المعلومة التي كان غراي قد أخبرهما بها للتو، حــين قال إن قصر سان جورجيو بني في القرن الرابع عشر. أدار رأسه لينظــر نحــو الشخص الذي تكلّم. بدت المرأة طويلة وذات هيئة غريبة.

كانت ترتدي قميصاً حمراء اللون وتنورة بيضاء من القطن وتنتعل حذاءً صيفياً. بدا شعرها داكناً وقد انسدل في جديلة فوق ظهرها، وبدت عيناها خضراوين وبشرتها ذات لون قشدي. حين استدار غراي لينظر نحوها أخذت تضحك واعتذرت قائلة: "أنا آسفة، كانت تلك فظاظة مني، لكن صودف أنني أعرف بأنه بُني في القرن الثاني عشر وليس الرابع عشر. ظننتُ أنه يتوجّب عليّ قول ذلك. أنا أوافقك الرأي. إنه أحد التصاميم العمرانية المفضلة لدي في إيطاليا، أظن أنّ موقعه هو الأفضل في أوروبا كلها. في الواقع، تمّت إعادة بناء القصر في القرن السادس عشر". ثم كرّرت له مجدداً وقد ظهرت ابتسامة على وجهها: "لقد بني أساساً في القرن الثاني عشر وليس الرابع عشر. وكنيسة سان جورجيو بنيت أيضاً في القرن الثاني عشر". حدّقت المرأة بقميصه ذات الألوان المتعددة، وأدركت على الفور أنه فنان. لقد تمكّنت من تصحيح المعلومات حول القصر من دون أن تبدو مغرورة، بل بدت مثقّفة وخفيفة الظل، وقد اعتذرت عن التدخل في محادثة جيرانها.

سألها غراي باهتمام: "هل أنت عالمة في تاريخ الفنون؟" بدت امرأة جذابة جداً، رغم أنها لم تكن شابة بالنسبة لمقياس شارلي وغراي. فقد بدت في الخامسة والأربعين من عمرها أو أصغرَ قليلاً. كانت تجلس إلى طاولة كبيرة مع عدد من الرجال والنساء الأوروبيين الذين يتكلّمون الإيطاليّة والفرنسية، أمّا هي فكانت تتكلّم اللغتين بطلاقة.

أجابت عن سؤال غراي، فقالت: "لا! لست كذلك. أنا فقط شخص كثير الانشغال يأتي كل عام إلى هنا. أنا أمتلك صالة عرض في نيويورك". عندها نظر غراي نحوها شزراً وقد أدرك من تكون. إنها تدعى سيلڤيا رينولدز، وهي معروفة جداً في عالم الفنون في نيويورك. لقد ساهمت في انطلاقة عددٍ كبيرٍ من الفنانين الذين أصبحوا يعتبرون من أهم فناني اليوم. معظم ما كانت تبيعه هو من أعمال الروّاد في

الفن، وهؤلاء مختلفون جداً عن غراي، وأعمالهم لا تشبه أعماله. لم يلتقِ غراي بسيلڤيا من قبل، لكنه قرأ الكثير عنها، كان معجباً جداً بها. حدّقت سيلڤيا به وبالرجلين اللذين يجلسان معه إلى الطاولة باهتمام، وقد ظهرت على وجهها ابتسامة دافئة. بدت مليئة بالحياة والطاقة والحماسة، وهي تضع في زندها سواراً من اللونين الفضي والأزرق. كل ما فيها يدل على أنها تملك أسلوباً خاصاً في الأناقة. "هل أنت رسام أم أنك أوقعت تلك الألوان على قميصك وأنت تدهن منزلك؟" شعرت بالخجل بسبب سؤالها.

ابتسم غراي لها وقال: "الاثنان معاً، على الأرجح". ثم مدّ يده نحوها وقال: "أنا غراي هاوك". بعد ذلك عرّفها على صديقيه فابتسمت لهم بلطف، ثم عادت لتبتسم لغراي من جديد، مبدية ردة فعل إيجابية لسماعها اسمه.

قالت بنبرة دافئة مليئة بالإطراء: "أنا أحبّ أعمالك. أنا آسفة فعلاً للمقاطعة. هل تنزلون في فندق سبلنديدو؟" سألته ذلك باهتمام، وقد تجاهلت للحظات وجود أصدقائها الأوروبيين معها. كان بين أصدقائها عدد من النساء اللواتي يتمتّعن بالجاذبية وعدد كبير من الرجال الوسيمين. من بين هؤلاء، هناك امرأة شابة جميلة تتحدّث بالفرنسية إلى رجل يجلس قربها. لاحظ آدم وجود تلك الشابة منذ وصولهم إلى المطعم، لكنه لم يتمكّن من معرفة إذا ما كان الرجل الجالس بجانبها زوجها أم والدها. كانت المرأة قريبة جداً منه، وكانت تلك الناحية من الطاولة مليئة بالفرنسيين. بدا أن سيلڤيا هي الأميركية الوحيدة بين المجموعة، ولم يبدُ أن هذا الأمر يزعجها على الإطلاق. بالنسبة لها بدا التكلم بالإنكليزية والفرنسية والإيطالية بالسهولة نفسها.

شرح لها غراي مجيباً عن سؤالها حول مكان إقامتهم: "لا، لقد أتينا في اليخت".

قالت ممازحة: "أنتمَ محظوظون، أتصوّر أنه واحد من تلك اليخوت الضخمة". لم تكن تقصد فعلاً ما قالته، لذا لم يجبها غراي في البدء بل قام بهز رأسه فقط. علم أنها تمزح ولم يشأ أن يبدو مغروراً. إنها تبدو امرأة جيّدة، وحسب سمعتها ونجاحها إنها فعلاً كذلك.

تدخّل شارلي وقال بنبرة ودية: "في الواقع، أتينا في زورق تجذيف من فرنسا ونصبنا خيمتنا عند الشاطئ الليلة". ضحكت سيلڤيا، فيما تابع شارلي قائلاً: "شعر صديقي بالاحراج، فلم يقل لك ذلك. تمكنّا من جمع ما يكفي لتناول العشاء هنا، لكننا لم نتمكّن من تأمين ثمن غرف الفندق. وقصة قدومنا في اليخت كانت فقط كي يؤثّر بك. إنه يكذب باستمرار، كلما التقى بامرأة جذابة". ضحكت سيلڤيا مجدداً من كلامه، وابتسم الآخرون.

- "لقد أثّر بي فعلاً. يمكنني تخيّل أماكن أكثر سوءاً من بورتوڤينو لنصب الخيم فيها". تابعت تسأل شارلي وقد تمكّن الرجال الثلاثة من خداعها: "هل تسافرون معاً؟" كان مظهرهم ملفتاً للنظر فعلاً. ظهر غراي تماماً كما يجب أن يظهر الفنان، أمّا آدم فبدا كممثل، وشارلي ظهر كأنه يملك مصرفاً، أو يدير واحداً. تحبّ سيلڤيا التكهن بما يفعله الآخرون، وبطريقة ما لم تكن تقديراتها بعيدة عن الواقع. بدت على آدم ملامح مميزة أظهرته كممثل محترف، لذا كان من السهل تخيّله وهو يقف على المسرح. أمّا شارلي فبدا مرتباً حتى وهو يرتدي قميصاً ذات كمين قصيرين، وينتعل حذاء من محلات هرمس من دون جوربين. لم يبدُ لها أنهم شبان مستهترون، فلقد أحاطت بهم هالة خاصة أظهرت أنهم رجالٌ ذوو قيمة. وجدت سيلڤيا أن من الأسهل التكلّم مع غراي لأنه هو من فتح الحديث في البداية. لقد استمعت إلى حديثهم، وأعجبت بما قاله عن الفن والعمارة، وباستثناء غلطته الوحيدة حول تاريخ تشييد القصر، كل ما قاله بدا دقيقاً وذكياً. في الواقع، بدا أنه يعرف الكثير عن الفن.

دفع شركاؤها في العشاء ثمن العشاء بواسطة شيك، وأصبحوا مستعدين للمغادرة بعد أن وقفت المجموعة كلها. استدارت سيلڤيا حول الطاولة لتلحق برفاقها، فلاحظ الشبان الأميركيون الثلاثة أنها تمتلك ساقين جميلتين. حدّق أصدقاؤها نحو الطاولة حيث جلس الرجال الثلاثة خلفهم، فقامت سيلڤيا بتعريفهم عليهم بتهذيب، كما لو أنها تعرف غراي وشارلي وآدم حق المعرفة. سأل آدم سيلڤيا: "هل ستعودين إلى الفندق؟" راحت الفتاة الفرنسية تنظر إليه، فقرّر أن ذلك الرجل الذي يرافقها هو والدها، لأنها ببساطة تعبث مع آدم، ولم تبدِ اهتماماً بأي شخص آخر.

- "أظن أننا سنتمشّى في الخارج قليلاً. من المؤسف أن الأسواق تفتح فقط حتى الساعة الحادية عشرة. أنا أبذّر الكثير من المال حين آتي إلى هنا كل عام، لكن لا يمكنني مقاومة شراء ما أريد شراءه".

استجمع غراي شجاعته وسألها: "أتودّين تناول الشراب لاحقاً؟" لم يكن غراي يسعى وراءها لكنه أحبّ هذه الصديقة الجديدة. بدت سهلة المعشر ومنفتحة ودافئة، وأراد أن يتحدّث معها أكثر عن الفن المحلي.

اقترحت قائلة: "لِمَ لا تأتون كلّكم إلى سبلنديدو؟ يبدو أننا سنمضي نصف السهرة في المقهى. أنا واثقة أننا سنكون هناك عندما تذهبون".

أكّد شارلي لها وهي تستعجل اللحاق بأصدقائها: "سنلتقيكم هناك".

علّق آدم حالما ابتعدت ولم تعد تسمعهم: "أصبنا هدفاً!"

هزّ غراي رأسه وهو يصحّح له: "لا أعتقد ذلك. إنها فقط تريد التحدث عن الفن".

هزّ آدم رأسه الآن وقال: "لا، أنت... أنا... أيها الغبي! هل رأيت الفتاة الفرنسية التي كانت تجلس على الطرف الآخر من الطاولة؟ إنها برفقة رجل كبير. ظننت في البداية أنه زوجها، لكنني لا أعتقد أنه كذلك، فقد كانت ترمقني بنظرات مثيرة".

قال غراي وهو يقلّب عينيه: "آه، بحق الله! لقد حصلت على ما تريد الليلة الماضية. أنت مهووس!"

- "نعم، أنا كذلك. وهي جميلة جداً".

بدا غراي متفاجئاً حين قال: "سيلفيا رينولدز؟" إنها ليست من النوع الذي يحبّه آدم. فهي في سن يبلغ ضعف سن أولئك النساء اللواتي يرغب بهن عادة. إنها في السن الذي يفضّله غراي، رغم أنه لم يشعر باهتمام رومنسي بها. بل إن اهتمامه ينحصر فقط في الناحية الفنية، فهي قد تؤمّن له علاقات جيّدة. إنها امرأة مشهورة جداً في عالم الفن في نيويورك. قال شارلي إنه لم يتعرّف عليها على الفور، لكنه أصبح الآن يدرك تماماً من تكون.

صحّح آدم لغراي مجدّداً: "لا، بل أقصد الشابة الصغيرة. إنها جميلة جداً. بدت لي كراقصة باليه، لكن في أوروبا لا يمكنك التأكد من ذلك. فكلما التقيت بفتاة جميلة وطريفة، يتبيّن لي أنها تدرس الطب أو القانون أو تاريخ الهند أو حتى علم الصواريخ".

- "حسناً! لكن عليك التصرف بتهذيب، فقد تكون ابنة سيلفيا. من يعلم؟"

لكن ذلك لم يوقف آدم عند حدوده. حين يتعلّق الأمر بالنساء، فهو لا يخاف، بل يتصرّف دون وعي أو ندم... إلى حدٍّ ما بالتأكيد. لكنه يعتقد أن إقامة العلاقات مع النساء أمر لا عيب فيه طالما هن غير متزوجات. إنه يقف عند تلك الحدود ليس إلاّ.

كما فعل الجميع تماماً، خرج الأصدقاء الثلاثة بعد العشاء ليتمشّوا في الميناء الصغير حيث راحوا يتجوّلون حول الساحة وبين الأسواق، وحين اقترب منتصف الليل أكملوا طريقهم نحو الفندق. تماماً كما توقّعت سيلفيا، كانت لا تزال جالسة مع أصدقائها في المقهى، وهم يضحكون ويدخّنون. حين رأت الرجال الثلاثة يدخلون لوّحت لهم، وقد ظهرت ابتسامة على

وجهها. عرّفتهم إلى أصدقائها من جديد. كان المقعد إلى جانب الفتاة الشابة الجميلة التي لفتت انتباه آدم خالياً، فسألها آدم إن كان بإمكانه الجلوس بقربها. ابتسمت الفتاة وأشارت له ليجلس. حين تكلّمت بدت لغتها الإنكليزية جيّدة رغم أنه استطاع أن يعرف أنها فرنسية من لكنتها. شرحت سيلفيا لغراي أن الفتاة التي يتحدّث آدم إليها هي ابنة أختها. وجد شارلي نفسه يجلس بين رجلين؛ أحدهما إيطالي والآخر فرنسي، وما هي إلا دقائق حتى انخرط الثلاثة في حديث عن السياسة الأميركية والوضع في الشرق الأوسط. إنه أحد الأحاديث الأوروبية النموذجية التي تدخل مباشرة في عمق الأمور، من دون الدوران حول الموضوع من أطرافه. الجميع يعبّر عن رأيه بشكل قوي وواضح. يحبّ شارلي هذا النوع من الأحاديث. خلال دقائق كان غراي وسيلفيا يتحدّثان عن الفنون. اتّضح له أنها درست الهندسة المعمارية وعاشت في باريس عشرين عاماً، كما تزوّجت من رجل فرنسي، ثم تطلّقت، وقد حصل ذلك منذ عشر سنوات.

- "حين تطلّقت، لم أكن أمتلك أية فكرة عمّا سأفعله أو أين سأعيش. كان زوجي فناناً، وأنا كنت محطّمة جداً. أردت العودة إلى بلدتي، لكنني أدركت أن ذلك بلا معنى. لقد نشأت في كليفلاند وكان والداي قد رحلا، أما أنا فقد تركت ذلك المكان بعد المدرسة. لذا أخذت ولديّ وانتقلت للعيش في نيويورك، حيث حصلت على وظيفة في معرض في سوهو، وحالما تمكّنت قمت بإنشاء صالة عرض بمبلغ صغير جداً، ولدهشتي نجحت في ذلك. لذا ها أنا الآن، بعد عشر سنوات من العودة، ما زلت أدير المعرض. ابنتي الآن تدرس في فلورنسا، وابني يتابع دراساته العليا في أوكسفورد. أتساءل هذه الأيام ما الذي أفعله حتى الآن في نيويورك". أخذت نفساً عميقاً وابتسمت، ثم قالت له: "أخبرني عن عملك".

شرح غراي لها الاتجاه الذي يسير فيه منذ عشر سنوات حتى الآن، والدوافع الكامنة خلف ذلك. فهمت سيلفيا تماماً ما يقصده حين أخبرها عن

التأثيرات الخاصة التي تلهم رسوماته. لقد شعرت بما يقوله وفهمته، رغم أن اتجاهه في الرسم ليس من النوع الذي تقوم بعرضه في صالتها، لكنها أبدت احتراماً شديداً لما قاله، ولما رأته في أعماله عبر تلك السنوات. قال لها إن ذوقه تغيّر كثيراً في الفترة الأخيرة، لكنها أبدت إعجابها بأعماله القديمة. اكتشفا أنهما كانا يعيشان في مبنيين قريبين جداً من بعضهما في باريس في نفس الفترة تقريباً. اعترفت من دون خجل أن عمرها الآن تسعة وأربعون عاماً، لكن لم يبدُ عليها أنها تجاوزت الثانية والأربعين. كان حضورها دافئاً وحساساً جداً، ولم تبدُ أميركية ولا فرنسية. لكن مع شعرها المربوط إلى الخلف وعينيها الخضراوين الكبيرتين بدت غريبة جداً. ربما هي تشبه سكان أميركا الجنوبية. بدت مرتاحة جداً مع جسدها ومع من ترافق. إنها أصغر من غراي بسنة واحدة فقط، وقد سارت حياتاهما بشكل متوازٍ ومتماثل في أوقات كثيرة. إنها مثله تحبّ الرسم، لكنها تقول إنها ليست بارعة فيه. وهي تمارس الرسم للتسلية فقط، كما أنها تكنّ محبة واحتراماً كبيرين للفن.

جلس الجميع هناك حتى الساعة الثالثة، ثم وقف الرجال الثلاثة ليذهبوا إلى القمر الأزرق.

قال شارلي: "من الأفضل أن نعود". كانت هذه سهرة ممتعة لهم. قام شارلي بالتحدث إلى ذينك الرجلين لساعات طويلة. أما غراي وسيلڤيا فلم يتوقفا أبداً عن الكلام طيلة السهرة. ورغم أن ابنة أخت سيلڤيا كانت فعلاً فتاة جميلة، إلاّ أن آدم انصرف إلى التحدث مع محامٍ من روما، واستمتع بالنقاش الحامي أكثر ممّا كان سيستمتع بالعبث مع الفتاة. بدت السهرة رائعة للجميع، وأخيراً وقفت سيلڤيا وأصدقاؤها يودّعونهم وهم يشعرون بالأسف لانتهاء السهرة.

دعا شارلي المجموعة كلها لقضاء اليوم التالي على متن يخته، وقال: "أتودّون قضاء نهار الغد معنا على متن القمر الأزرق؟" ابتسم الجميع وهزّوا رؤوسهم إيجاباً.

مازحته سيلڤيا قائلة: "أيتّسع زورق التجذيف لنا جميعاً؟ أعتقد أنه علينا الصعود إليه بالدور".

وعدها شارلي قائلاً: "سأحاول التفكير بحلٍ مناسب حتى صباح الغد! سننتظركم في المرفأ عند الساعة الحادية عشرة. كتب رقم هاتف اليخت على ورقة أعطاها لسيلڤيا، تحسّباً لأي تغيير في الخطة. ثم غادر الأصدقاء الجدد خلال دقائق. بدا الرجال الثلاثة راضين وهم يعودون عبر التلة إلى اليخت التي ينتظرهم في المرفأ. ذلك تماماً ما يحبّونه في رحلاتهم. فهم يقصدون أماكن مسليّة ويلتقون بأشخاص مشوّقين. وافق الثلاثة على أنهم أمضوا مع المجموعة ليلة من أفضل لياليهم.

علّق غراي بإعجاب قائلاً: "سيلڤيا امرأة مذهلة". ضحك آدم وقال وهم في طريق العودة: "حسناً! على الأقل أنت لست منجذباً إليها".

حين وصلوا كان المركب بانتظارهم مع موظفين جاهزين لاستقبالهم. يكون الموظفون دائماً جاهزين على مدار الساعة عندما يتواجد شارلي وأصدقاؤه على متن اليخت.

سأل غراي وقد ظهرت في عينيه نظرات التسلية: "كيف تعرف أنني لست منجذباً إليها؟ في الواقع أنا لست كذلك، لكنني أعجبت بتفكيرها. وأحببت التحدث إليها. إنها صادقة بشكل مذهلٍ، ولديها نظرة مستقبلية جميلة عن الفن في نيويورك. إنها ليست من النوع التافه من الناس".

قال آدم وهو يسخر من غراي: "أعلم ذلك. تمكّنت من رؤية ذلك وهي تتحدّث معك. وأعلم أنك لست منجذباً إليها، لأنها ليست مجنونة. بدت امرأة طبيعية جداً. لا أحد يهدّد حياتها، ولا يبدو عليها بأنها مستغلّة من قبل أي شخص. ولا يبدو أن دواء الأعصاب الذي تتناوله قد انتهى مفعوله. لذا لا أعتقد أن هناك احتمالاً ولو بسيطاً بأن تقع في غرام امرأة مماثلة، غراي". لم تكن سيلڤيا تشبه أبداً النساء اللواتي يداوي غراي عادة

جراحهن. بدت متماسكة تماماً وسعيدة وبكامل قواها العقلية، بل أعقل من معظم النساء في الواقع.

قال شارلي بنبرة فلسفية: "لا يمكنك التأكد من ذلك. تحدث أحياناً أمور ساحرة في بورتوفينو. إنه مكان رومنسي جداً".

جادله آدم قائلاً: "إنه لا يبحث عن هذا النوع من الرومنسيّة، إلاّ إذا أصيبت المرأة بانهيار عصبي بحلول الساعة الحادية عشرة من نهار الغد".

قال غراي بصدق: "إنه محق على ما أعتقد. فأنا لدي ضعف كبير تجاه النساء اللواتي يحتجن إلى المساعدة. أما سيلڤيا، فحين تركها زوجها، أخذت ولديها وانتقلت إلى نيويورك ولم تكن تملك أي فلس، وبعد عامين فقط أصبحت تدير صالة عرض. أمّا الآن فإنها إحدى أكثر النساء نجاحاً في نيويورك. نساء مماثلات لسن بحاجة أبداً إلى المساعدة أو الإنقاذ". غراي يعرف نفسه جيّداً، وكذلك يفعل أصدقاؤه، لكن شارلي كان أكثر تفاؤلاً منهما. إنه دائماً كذلك حتى في الأمور التي تخصّه.

علّق شارلي وهو يبتسم لغراي: "قد يكون ذلك تغييراً منعشاً".

قال غراي بتأثر: "أفضّل أن أبقى صديقاً لها. فهذه علاقة تدوم لمدة أطول". وافق شارلي وآدم على كلامه وكانوا قد وصلوا إلى اليخت، بعدئذ ودّعوا بعضهم، وخلدوا إلى النوم. كانت تلك ليلة رائعة لهم جميعاً.

في صباح اليوم التالي أتت المجموعة كلها إلى المرفأ، وكان الأصدقاء الثلاثة قد أنهوا تناول الفطور لتوهم. أخذهم شارلي في جولة داخل اليخت لرؤيته، وبعد فترة قصيرة انطلقوا في نزهة في البحر. أعجب الجميع باليخت، لأنه فعلاً يخت مميّز.

قالت سيلڤيا وهي تبتسم لغراي بينما كانا يتناولان الشراب: "أخبرني شارلي أنكم تقومون برحلة معاً في اليخت لمدة شهر كاملٍ كل عام. يا له من أمر مدهش وجميل!"

قرّر غراي أنّ من الأفضل له أن يحافظ على رصانته أثناء التحدث مع سيلڤيا. رغم أنه لم يكن يعاني من مشكلة، لكنه عادةً يقوم مع صديقيه بالإكثار من تناول الشراب فوق ظهر اليخت. فهم يتصرّفون كالمراهقين الذين هربوا من بيوت أهلهم. لكن بسبب وجود سيلڤيا، كان هناك تحدٍّ أمام غراي كي يتصرّف كالراشدين. إنها ذكية جداً وخبيرة في كل الأمور تقريباً، لذا لم يكن يريد أن تتخدّر حواسه أبداً وهو يتكلّم معها. أخذا يتحدّثان بعمق عن ملامح النهضة في اللوحات الجصيّة في إيطاليا، وذلك قبل أن يتوقّف اليخت ليرسو على الشاطئ.

خلال دقائق كان الجميع يرتدون بذلات السباحة، وبدأوا ينزلون إلى المياه، منتشرين فيها كالأطفال. أخذ اثنان من أصدقاء سيلڤيا يتزلجان على المياه، ولاحظ غراي أن آدم قد ركب الجت سكي مع ابنة أخت سيلڤيا.

استمروا بالسباحة واللعب حتى الساعة الثانية تقريباً، ثم حضّر طاقم اليخت مائدة رائعة من أنواع الطعام البحري والمعكرونة. جلس الجميع لتناول غداء لذيذ مشبع، وتذوّق الشراب الإيطالي الشهير. عند الساعة الرابعة كانوا ما يزالون جالسين إلى المائدة وهم يتبادلون الأحاديث المفعمة بالحيوية. أما آدم فوجد نفسه مجبراً على التكلّم بذكاء وبتفكير مع ابنة أخت سيلڤيا، فقد اكتشف أنها تدرس العلوم السياسية في باريس وتخطّط لمتابعة الدكتوراه، وهي، تماماً كخالتها، ليست من الأشخاص الذين يُستخف بهم. والدها كان وزير الثقافة وأن والدتها طبيبة جرّاحة، وشقيقيها طبيبان، وهي تتكلّم خمس لغات، وتفكّر بدراسة القانون بعد إنهاء الدكتوراه في العلوم السياسية. كانت تفكّر بالمجال السياسي كمهنة لها، لذا لم تكن هذه الفتاة من الفتيات اللواتي ينتظرن منه تمويل عملياتهن التجميلية. توقّعت الشابة إجراء محادثة على مستوى ثقافي رفيع، مما سبّب الصدمة لآدم، فهو لم يكن معتاداً على التعرّف إلى فتيات من جيلها غير لعوبات وجدّيات في

دراستهن. سخر منه شارلي حين مرّ بقربها وسمعها تناقش معه موضوع الأسواق المالية الأجنبية، وقد بدا على آدم التوتر. اعترف آدم لاحقاً بأنها أوصلته بأحاديثها إلى حبل المشنقة، وأنه لم يتمكّن من مجاراة مستواها الفكري رغم صغر سنها.

أمضى غراي وسيلفيا بعد الظهر وهما يتناقشان بالأمور الفنية بشكل مطوّل، وقد استمتعا بالنقاش. تنقّلا من عصر تاريخي إلى عصر آخر وهما يرسمان روابط بين السياسة والفن. راقب شارلي الجميع بسعادة أبويّة، وراح يتأكّد باستمرار أن طاقم الموظفين يقوم بواجبه بشكل جيّد كي يشعر الجميع كأنهم في منزلهم. وليتأكّد أن جميع ضيوفه ينالون كل ما يريدونه.

بدا النهار جميلاً جداً، وقرّر الجميع البقاء لتناول العشاء على اليخت بعد أن دعاهم شارلي إلى المكوث. كان الوقت يقارب منتصف الليل حين عادوا ببطء إلى المرفأ، بعد أن توقّفوا للسباحة قليلاً تحت ضوء القمر. للمرّة الأولى، توقّف غراي وسيلفيا عن الكلام عن الفن كي يستمتعا بالمياه. تبيّن أن سيلفيا سبّاحة ماهرة، وبدت قادرة على إتمام كل ما تقوم به بشكل كامل، سواء كان ذلك في الرياضة أو الفنون. لم يسبق لغراي أن التقى بامرأة تشبهها من قبل. سبحا عائدين إلى اليخت، وتمنّى غراي عندها لو أنه يتمتّع بجسد رياضي. إنه لا يفكّر بهذا الأمر عادة، لكنها بدت رشيقة، ولم يبدُ عليها التعب كثيراً حين وصلا إلى اليخت. مقارنة بالنساء اللواتي هن من عمرها وحتى الأصغر سناً منها، بدت سيلفيا رائعة في ثوب السباحة، لكنها لم تتعمّد التقرب من غراي، على العكس من ابنة أختها التي كانت تعبث مع آدم بشكل واضح. لم تعلّق خالتها على تصرّفاتها، فسيلفيا تدرك تماماً أن ابنة أختها امرأة راشدة وحرة في ما تريد فعله. سيلفيا لا تتدخّل عادة في حياة الآخرين، فابنة أختها قادرة على إدارة شؤون حياتها بمفردها.

قبل أن يغادروا سألت سيلفيا غراي إن كان يودّ مرافقتها إلى سان جورجيو في صباح اليوم التالي. لقد زارت ذلك المكان مرّات عديدة، لكنها أحبّت رؤيته مجدّداً. قالت إنها ترى فيه كل مرّة أشياء جديدة. قبل غراي دعوتها على الفور، ووافق على مقابلتها في المرفأ عند الساعة العاشرة صباحاً. لم يكن هناك من غرابة في عرضها له، فهو مجرّد رابطٍ بين شخصين محبين للفنون. قالت إنهم سيغادرون في اليوم التالي، وشعر غراي بالفرح لأن الفرصة ستسنح له برؤيتها مجدّداً.

علّق شارلي بعد أن رحلوا: "يا لهم من أشخاص طيبين!" وافقه آدم وغراي تماماً. كان يوماً رائعاً وأمسية أروع. بدت الأحاديث جميلة والسباحة ممتعة والطعام لذيذاً جداً. كان أصدقاؤهم الجدد أذكياء جداً وجذّابين. سأل شارلي آدم ممازحاً: "لاحظت أن ابنة أخت سيلفيا لم تمضِ الليل معك. ألم تنسجما معاً؟" بدا الغمّ على آدم، وقال: "أنا لست واثقاً إن كنت ذكياً بما يكفي لأنجح في مجاراتها. تلك الفتاة تجعل من دراستي في هارفرد تبدو كشهادة مَدرسية عادية. حين بدأنا نتكلّم عن القوانين وعن الخلل في الجُسم القضائي الأميركي ودستور البلاد مقارنةً بالدستور الفرنسي، شعرت أنني غبي جداً. لم أستطع استجماع أفكاري والتركيز معها، وحين حاولت شعرت بالتعب والإرهاق. يمكنها التفوق على أي رجل قابلته من قبل. يجب عليها أن تواعد بروفسوراً من أساتذة هارفرد وليس أنا".

بطريقة ما، ذكّرته تلك الفتاة براشيل حين كانا لا يزالان شابين، فقد كانت ذكية جداً وتخرّجت من جامعة هارفرد للقانون بدرجة امتياز، ولم تكن المقارنة بينهما يوماً لصالحه. قرر آدم ألاّ يلاحقها، فهي تحتاج إلى الكثير من الجهد، كما أنه نسي معظم الأشياء التي سألته عنها منذ زمن بعيد. لقد لاحقته بالنقاشات الفكرية طيلة النهار والليل. في البدء وجد في الأمر تحدّياً لنفسه، لكنه في النهاية شعر بالتعب، وبأنه عجوز. بكل

بــساطة، لــم يعد عقله يعمل أبداً، وفكّر أن من الأسهل دفع كلفة عمليات التجمــيل علــى الكفــاح مع عقل امرأة مثلها. جعله ذلك يشعر أن مستواه الفكــري أدنى من مستواها، مما جعل كبرياءه وغروره يتقلّصان، ولم يبدُ ذلــك مــستحباً أو مثيــراً بالنــسبة له، على العكس من غراي الذي أحبّ النقاشــات مــع خالتها. فقد شعر غراي بالانتعاش بسبب المعلومات التي تــشاركا بهــا والأمــور التي تعلّمها منها. كانت سيلڤيا على معرفة عميقة بأمور مختلفة، لاسيّما الفنون. فالفن هو عالمها، مثله تماماً. لم يكن غراي يريد إقامة علاقة معها، مع أنها جميلة وجذابة، كل ما أراده هو أن يتعرّف عليها أكثر، ويتحدّث معها لأطول فترة ممكنة. فقد شعر بالسعادة القصوى لأنهما التقيا.

تشارك الرجال الثلاثة كوب شراب أخير، قبل أن يدخّنوا السيجار ويدخلــوا إلى غرفهم. شعروا بالسعادة والارتياح بعد قضاء نهار ممتع على متن اليخت، ولم يكن لديهم مشاريع لليوم التالي. قال آدم وشارلي إنهمــا سينامان حتى ساعة متأخرة من الصباح، أما غراي فكان يشعر بالحمــاس لأنــه سيلتقي بسيلڤيا غداً، وسيزوران الكنيسة. أخبر شارلي بمــشاريعه وهما ينزلان إلى غرفتيهما، وشعر شارلي بالرضى لأجله. علــم شارلي أن غراي يعيش في وحدة، وفكّر أن سيلڤيا ستكون صديقة جــيّدة له، كما يمكنها أن تفيده في مجال عمله أيضاً. كافح غراي كثيراً في مسيرته الفنية، وهو موهوب جداً. أمل شارلي أن يرتاح صديقه من تلك الأيام الصعبة، وأن تعرّفه سيلڤيا على الأشخاص المناسبين في عالم الفــن والرســم في نيويورك. قد لا ينتج عن علاقتهما قصة رومنسية، لأنهــا ليــست مــن نــوع النساء اللواتي يشعر بالانجذاب إليهن، لكنها بالتأكيد ستكون صديقة رائعة. فشارلي نفسه استمتع بالتحدث إليها. إنها امرأة مثقفة وذكية، وليست مدّعية أو مغرورة بسبب ذلك. لاحظ شارلي أنهــا امــرأة لطيفة جداً، وقد تفاجأ لأنها ليست مرتبطة بأي رجل من

المجمــوعة التــي كانت برفقتها. إنها من النساء اللواتي ينجذب إليهن رجــال كثيرون لا سيّما في أوروبا، رغم أنها أكبر بخمسة عشر عاماً مــن النساء اللواتي يخرج هو برفقتهن، فهي تكبره بثلاث سنوات. فكّر شارلي أن الحياة ليست عادلة، خصوصاً في الولايات المتحدة. فالنساء فــي العشرينيات والثلاثينيات من أعمارهن هن الرابحات دوماً، ذلك أن الموضــوع كلــه يتعلّق بالشباب. النساء في سن سيلڤيا مميّزات، وهن يجــذبن قلّة فقط من الرجال الذين لا يخافون من ذكائهن وقدراتهن. أما الفتيات اللواتي يخرج آدم برفقتهن فيجذبن عادة الرجال أكثر من النساء الذكــيات ذوات التفكير العميق، مثل سيلڤيا. علم شارلي أن هناك نساء كثيــرات مثلها في نيويورك، وهن ناجحات وذكيات، لكنهن مجروحات ويعشن وحدهن. كان يعتقد أن رجلاً ما ينتظرها في باريس أو نيويورك أو في أي مكانٍ آخر، لكنه أصبح يشكّ في ذلك، فقد فهم من كلامها أنها غيــر مرتبطة، وأنها تحبّ العيش كذلك. لم يبدُ أنها منزعجة من ذلك، وبــدا بوضــوح أنهــا لا تحاول التملق للرجال. لقد تشارك شارلي في تقديراته مع غراي تلك الليلة وهم يدخّنون السيجار.

فــي صــباح اليوم التالي، بينما كان غراي يمشي مع سيلڤيا صعوداً على التلة للوصول إلى سان جورجيو اكتشف أن شارلي محق بأفكاره عن سيلڤيا. سألها بحذر وهو يشعر بالفضول نحوها، تماماً كما كانت تشعر هي بالفــضول حول اكتشاف تلك الكنيسة: "ألست متزوجة؟" بدت امرأة مثيرة للاهــتمام وأراد فعلاً أن يصبح صديقها. أجابته بحذر أيضاً: "لا! لقد قمت بــذلك مرّة، وأحببت الأمر حين كنت متزوجة، لكنني لست واثقة إن كنت ســأقوم بذلك من جديد. أفكّر أحياناً بأنني أحبّ الالتزام ونمط الحياة، أكثر ممّــا أحبّ الرجل. كان زوجي فناناً نرجسياً جداً، ويشعر أنه محور الحياة كلهــا. كــنت أعشقه تماماً كما يعشق نفسه، لكن لم يكن هنالك وجود لأحد سواه بنظره".

راحت سيلفيا تتكلّم وكأنها تنقل الوقائع بشكل موضوعي. لم تكن تشعر بالمرارة، وبدا أنها تخطّت الأمر. وتمكّن غراي من سماع ذلك في صوتها. تابعت سيلفيا تقول: "كل شيء يتعلّق به وحده، لا وجود لي ولا للأولاد أو لأي كان. أصبح ذلك اعتيادياً مع الوقت. كنت لأبقى متزوجة به لولا أنه تركني ورحل مع امرأة أخرى. كان في الخامسة والخمسين من عمره، وأنا كنت في التاسعة والثلاثين، أمّا الفتاة التي رحل معها فكانت في التاسعة عشرة من عمرها. كانت تلك صدمة كبيرة لي. لقد تزوّجا وأنجبا ثلاثة أولاد خلال ثلاث سنوات، ثم تركها هي أيضاً. على الأقل أنا بقيت معه مدة أطول. لقد أمضيت برفقته عشر سنوات، أما هي فأربع سنوات فقط".

قال غراي وقد شعر بالغضب لأجلها: "أعتقد أنه تركها من أجل فتاة في الثانية عشرة من عمرها هذه المرة!" بدا له ذلك صفقة فاسدة. فهم غراي ممّا عرفه منها من قبل أنها بعد طلاقها أخذت ولديها، وذهبت إلى نيويورك وهي لا تملك أي فلس، ومن دون أي مساعدة من زوجها.

– "لا! في الواقع، الأخيرة كانت في الثانية والعشرين من عمرها. كبيرة قليلاً عليه! أنا كنت في التاسعة عشرة من عمري حين تزوّجت منه. كنت طالبة فنون في باريس. أما المرأتان اللتان تزوّج بهما لاحقاً فهما عارضتان".

– "هل يرى الولدين؟"

تردّدت سيلفيا في الإجابة عن هذا السؤال، وهزّت رأسها. بدا الجواب مؤلماً بالنسبة لها: "لا! لقد رآهما مرتين فقط خلال تسع سنوات، وكان ذلك صعباً جداً عليهما. ترك ذلك العديد من التساؤلات لديهما حول ما يعنيان له، هذا إن كانا حقاً قد عنيا شيئاً بالنسبة له. كان ذلك محزناً لي أيضاً. لقد أحببته فعلاً، لكنه نرجسي، والنرجسيون لا يحبّون سوى أنفسهم. لقد توفّي في العام الماضي". بدا أن ما قالته يدلّ على واقع حقيقي. ظهر الندم والأسف في صوتها، لكن لم تظهر فيه المرارة.

– "أعتقد أنني التقيت بنساء مماثلات". لم يحاول غراي أن يشرح لها الجنون الذي تحمّله في حياته العاطفية. بدا من المستحيل أن يحاول، وكانت على الأرجح ستضحك منه، تماماً كما يفعل الجميع. الجنون في حياته أمرٌ مألوف جداً له. سألها: "ألم تشعري برغبة بالمحاولة مجدّداً مع شخص آخر؟" علم غراي أنه يبدو فضولياً في أسئلته، لكنها لم تبدُ متضايقة. كانت صادقة بشكل ملفت، ومنفتحة جداً بشأن نفسها، وقدّر غراي ذلك فيها كثيراً. إنها شخص لا يخفي أسراراً مظلمة ولا عقداً مخبأة إنها لا تشعر بالارتباك حول ما تشعر به أو تريده أو تؤمن به، لكن من المؤكد أن بعض الندوب ما زالت موجودة لديها. أي شخص في مثل سنهما لديه مثل تلك الندوب، وليس هناك استثناءات أبداً.

– "لا، لم أفكّر يوماً بالزواج من جديد. لا أرى أي جدوى من ذلك في مثل سنّي. أنا لا أريد المزيد من الأولاد... ليس أولاداً لي على الأقل. رغم أنني لا أمانع في التعامل مع أولاد شخص آخر. الزواج مؤسسة ذات هيبة، وأنا أؤمن بها من أجل ذلك، لكنني لا أعلم إن كنت أؤمن بها لنفسي. على الأرجح لاُ! لا أعتقد أنني أملك الشجاعة لفعل ذلك مجدّداً. عشت مع رجل لمدة ست سنوات بعد طلاقي. كان رجلاً مميزاً ورساماً ونحاتاً مدهشاً. كان يعانى من الإحباط المزمن ورفض أن يتعالج، كما كان مدمناً، وبدت حياته غارقة في الفوضى. بكل الأحوال، أغرمت به، لكن الحياة معه باتت مستحيلة. بدا الوضع مستحيلاً أكثر ممّا يمكنني وصفه لك". صمتت قليلاً بعد ذلك، وأخذ غراي يراقب وجهها. ظهر شيء من العذاب عليه. أراد أن يعرف السبب الحقيقي، لذلك فكّر أن عليه معرفة قصتها كلها ليتمكّن من التعرف على حقيقتها. بدا حذراً وهو يسألها بينما اقتربا من الكنيسة: "هل تركته؟"

– "لا، لم أفعل. ربما كان عليّ فعل ذلك. لو أنني تركته، لربما توقّف عن الشرب وأخذ العلاج المناسب.. وربما لا.. تصعب معرفة ذلك". بدت

كأنها تشعر بالسلام والحزن معاً، وكأنها تقبّلت مأساة فظيعة وخسارة لا تعوّض.

– "هل تركك هو؟" لم يتخيّل غراي أن أحداً قد يفعل ذلك بها.. ليس مرتين على الأقل. لكن، هناك أشخاص غريبو الأطوار في هذه الدنيا، وهم يخسرون الفرص التي تعطى لهم، ويهدمون سعادتهم بأيديهم، ويدمّرون حياتهم، ولا يمكن للمرء أن يفعل شيئاً حيالهم. تعلّم غراي ذلك من تجاربه الخاصة عبر السنين.

قالت سيلڤيا بهدوء: "لا، لقد انتحر منذ ثلاث سنوات. احتجت إلى وقت طويل كي أتخطّى هذا الأمر، وأتقبّل ما حدث. وبدا الموقف أصعب حين توفّي جون ماري والد ولديّ في العام الماضي. أعادت إلي الخسارة بعضاً من الذكريات، فالحزن يفعل ذلك على ما أعتقد. لكن ما حصل قد حصل، ولا يمكنني تغيير شيء. حتى لو كنت قد أحببته، فهو ليس قادراً على تغيير مصيره الآن، ولا أنا قادرة على ذلك. لكن يبدو من الصعب العيش بسلام مع هذا الأمر". لكن غراي لاحظ، مع ذلك، أنها تمكّنت من العيش بسلام، فقد سمع ذلك في نبرة صوتها. لقد مرّت عليها أحداث صعبة، لكنها خرجت منها في النهاية سالمة. بمجرد النظر إليها علم غراي أنها امرأة مناضلة ومصرّة على المضي في حياتها. أراد أن يلفّ ذراعيه حولها ويحتضنها، لكنه لم يكن يعرفها بما فيه الكفاية. ولم يشأ أن يتصرّف كدخيل على مآسيها، إذ لا يحقّ له القيام بذلك.

قال بنعومة، وبكل المشاعر التي يحسّ بها: "أنا آسف". رغم معرفته للكثير من النساء المجنونات اللواتي تورّط معهن، فهو يواجه الآن امرأة عاقلة. امرأة عاشت مأساة حقيقية، ورفضت أن تسمح لذلك بتدميرها، فقد تعلّمت من أحزانها ونضجت.

ابتسمت له وهما يدخلان إلى الكنيسة وقالت: "شكراً لك". جلسا صامتين لفترة طويلة، ثم مشيا حول الكنيسة وفي داخلها. كانت الكنيسة

عبارة عن مبنى جميل جداً يعود بناؤه إلى القرن الثاني عشر. لفتت سيلڤيا انتباهه إلى أشياء لم يتمكّن من ملاحظتها وحده من قبل، رغم أنه زار المكان مرّات عديدة في السابق. مرّت ساعتان قبل أن يعودا إلى المرفأ. قال لها بفضول: "أخبريني عن ولديك". أثار اهتمامه أن يتعرّف إليها كأم، لأنها بدت ذات استقلالية، وكاملة لوحدها. توقّع أن تكون أمّاً جيدة، رغم أنه كان يفضّل أن يفكر فيها كصديقة فقط.

قالت بصدق: "إنهما رائعان، وذكيّان جداً". بدت فخورة في كلامها مما جعله يبتسم، ثم تابعت: "ابنتي رسامة، تدرس في فلورنسا، وابني طالب يدرس تاريخ اليونان القديم. إنه يشبه والده في أمور عديدة، لكن قلبه أطيب من قلب والده، والحمد لله. لقد ورثت ابنتي موهبتها منه لكنها لم ترث طباعه. إنها تشبهني كثيراً، فهي مليئة بالحماسة والحياة. أتمنّى أن تتولّى إدارة المعرض عني يوماً ما، لكنني لست واثقة من ذلك، لأنها ترسم لنفسها مسيرة خاصة بها. لكن للجينات الوراثية تأثيراً كبيراً، فأنا أرى فيهما مزيجاً مني ومن والدهما معاً، بالإضافة إلى اللمسة الخاصة في شخصيتيهما طبعاً. تظهر الوراثة وطبائع الأسلاف دائماً حتى في نكهات البوظة التي يحبّها الأولاد، والألوان التي يفضّلونها. أصبحت ألاحظ أكثر فأكثر العامل الوراثي بعد أن كبر ولداي، ولم أعد واثقة أن ما نفعله كأهل يجدي أي نفع أو يؤثّر بأولادنا".

توقّفا في مقهى صغير، ودعاها غراي لتناول القهوة معه. جلسا هناك، وعندها وجّهت سيلڤيا الحديث نحوه فسألته: "ماذا عنك؟ أنت ما زلت من دون زوجة وأولاد، فما سبب ذلك؟"

– "لقد قلت للتو إنه العامل الوراثي. أنا متبنّى وليس لدي أدنى فكرة عن والديّ الحقيقيين، وما الذي سأقوم بتوريثه لأولادي. أجد ذلك مخيفاً جداً ـ ماذا لو كان أحد أفراد عائلتي مجرماً؟ هل أودّ فعلاً توريط شخص آخر في ذلك؟ بالإضافة إلى أن حياتي كانت مليئة بالجنون حين كنت طفلاً.

كبرت وأنا أعتقد أن الطفولة هي لعنة لا أكثر، ولا أستطيع التسبب لأطفال آخرين بالمعاناة مثلي". راح يحدّثها عن الهند والنيبال والكاريبي والبرازيل والأمـــازون. بدا كأنه يتصفّح أطلساً للعالم. أخبرها كيف تربّى عند والدين لا يملكان أي فكرة عمّا يقومان به، وهما مولعان بالمخدّرات، وكيف اكتشفا فجـأة وجـود الله وتغيّرت حياتهما. بدا ذلك حديثاً يصعب شرحه فيما هما يتـناولان فنجان القهوة، لكنه قام بكل ما في وسعه ليوضح أفكاره، وبدت سيلفيا شديدة الاهتمام بحديثه.

- "حـسناً، فـي مكـان ما في تاريخ وراثتك، لا بد من وجود فنان موهوب جداً. هذا ليس أمراً تافهاً كي لا تقوم بذكره".

- "الله وحـده يعلم ما هي الأشياء الأخرى الموجودة في موروثاتي الجينـية. لقـد تعـرّفت على أشخاص مجانين في حياتي، بدءاً من والديّ وصـولاً إلـى معظـم النساء اللواتي ارتبطت بهن. لم أفكّر يوماً بإنجاب الأولاد مـن نساء مماثلات". تكلّم معها غراي بصراحة شديدة، تماماً كما فعلت بدورها.

ابتـسمت سيلفيا له وقالت: "هل الوضع بذلك السوء؟" لم يخبرها بعد شيئاً يجعلها تشعر بالنفور منه، وكل ما شعرت به هو التعاطف معه. عاش غراي حياة صعبة وهو طفل، ثم عقّد حياته أكثر بخيار منه. لكن البداية لم تكن من اختياره أبداً، لقد أهداه إياها القدر حين وُلد.

ابتـسم ابتـسامة عريضة وهو يقول: "بل أسوأ! أمضيت حياتي وأنا أقـوم بعمليات إنقاذ هائلة، والله وحده يعرف السبب. اعتقدت أن هذه هي مهمتي في الحياة كي أكفّر عن خطاياي".

- "كـنت أفكـر مـثلك تماماً، وصديقي النحات مثال واضح على تجربتـي. أردت أن أجعـل جميع الأمور مناسبة له وأن أحلّ كل مشاكله، لكننـي في النهاية لم أتمكّن من ذلك. لا تستطيع أبداً أن تفعل ذلك من أجل شـخص آخر". لقد مرّت عليها تلك التجارب بالطريقة الصعبة مثله تماماً.

تابعـت تقـول: "من المثير للاهتمام أننا نشعر بالمسؤولية تجاه الأشخاص الـذين يـتعاملون معـنا بطريقة سيئة، ونتحمّل ذنوبهم. لم أفهم يوماً ذلك الأمـر، لكن يبدو أنني لا أستطيع تغيير نفسي". قالت ذلك بذكاء، وبدا من الواضح أنها فكّرت من قبل بعمق في هذا الأمر.

قـال غراي بأسى: "بدأت أقتنع بذلك أنا أيضاً". كان من المحرج أن يعتـرف بمـدى جنون وعدم اتزان النساء اللواتي مررن في حياته، وبأنهن تركنه جميعاً من أجل رجالٍ آخرين، بعد كل ما فعله من أجلهن. بـدت تجارب سيلفيا مشابهة لتجاربه، لكنها بدت أكثر تقبلاً وأكثر قدرة على تخطّي الأمر منه. سألته ببساطة وبشكل منفتح: "هل تخضع لعلاجٍ نفسي؟" سألته ذلك كأنما تسأله إن كان قد أتى من قبل إلى إيطاليا. لكنه هـزّ رأسـه، وقال: "لا! قرأت الكثير من الكتب التي تعلّم كيفيّة العلاج الذاتـي، وأنا شخص مؤمن جداً. دفعت أجر ساعات طويلة من العلاج النفسي للنساء اللواتي خرجت معهن، لكن لم يخطر ببالي يوماً أن أذهب للعـلاج بنفـسي. لطالما ظننت أنني بخير، وأنهن مجنونات. ربما كان الوضع معكوساً. عليك أن تسألي نفسك في بعض الأحيان لما تتورّطين مع أشخاص مجانين على الدوام. كانت تلك العلاقات غير مرضية على الإطـلاق". ابتسم غراي وضحكت سلفيا. لقد وصلت إلى النتيجة نفسها هـي أيضاً، فهي لم تحصل على علاقة جدّية منذ أن أقدم النحات على الانتحار.

اسـتغرقها الأمـر سنتين لتتخطّى الموضوع، وكانت تعمل عليه مع معالجهـا النفـسي. خـرجت فـي الأشهر الستة الأخيرة في عدة مواعيد غـرامية؛ مرة مع فنان أصغر منها سناً، وكان طفلاً كبيراً مدللاً، ومرتين أخريين مع رجلين يكبرانها بعشرين عاماً.

لكـن بعد تلك المواعيد الغرامية، أدركت أن فارق عشرين سنة من العمر هو فارق كبير جداً، إلاّ أنها تخطّت ذلك الآن.

أما الرجال الذين هم في مثل سنها فيفضّلون الفتيات الأكثر شباباً! بعد أن حصلت على مواعيد غرامية سيئة عشوائية، قرّرت أنها تشعر بحال أفضل حين تكون بمفردها. مع أنها لا تحبّ ذلك، فهي تفتقد إلى رجل يدفئ سريرها في الليل. بعد رحيل ولديها أصبحت أوقات الإجازة والعطلات تشعرها بالوحدة، فهي تحسّ أنها ما زالت شابة كي تستسلم. لكنها ناقشت مع طبيبها النفسي مسألة أنها قد لا تلتقي مجدداً بأي شخص تكمل معه حياتها، لذا عليها أن تكون بخير بمفردها. إنها لا تريد شخصاً يقلب حياتها رأساً على عقب. بدت لها العلاقات بدت معقدة جداً، والوحدة صعبة جداً. لذا فهي الآن على مفترق طرق؛ فهي ليست شابة وليست عجوزاً بعد. إنها كبيرة بما يكفي كي لا ترتبط بالرجل الخاطئ أو الرجل الصعب، وشابة جداً كي تقبل بالبقاء وحيدة لبقية حياتها. لكنها الآن تدرك أن ذلك قد يحصل. هذا الأمر يخيفها قليلاً، لكن مأساة أخرى أو كارثة أخرى سوف تخيفها أيضاً. تحاول سيلڤيا أن تعيش كل يوم بيومه، لذا لا يوجد رجل في حياتها الآن، وهي تسافر مع الأصدقاء. لقد أخبرته ذلك ببساطة، ولم تبدُ مثيرة للشفقة أو يائسة أو بحاجة للمساعدة. لم يبدُ عليها الارتباك مطلقاً! إنها امرأة تحاول أن تكتشف الحياة، وهي قادرة على الاهتمام بنفسها فيما هي تفعل ذلك.

جلس غراي يحدّق فيها لفترة طويلة، بينما راح يستمع إليها ويهزّ رأسه، ثم سألته: "هل يبدو ذلك سيئاً أو جنوناً بنظرك؟ في بعض الأحيان أتساءل عن ذلك كثيراً". بدت صريحة ومنطقية في كلامها، كما بدت قوية وحساسة في الوقت نفسه. جعله ذلك يشعر بحماسٍ كبير، فهو لم يتعرّف في حياته قط إلى شخص مماثل، رجلاً كان أو امرأة. كل ما أراده الآن هو معرفة المزيد عنها.

– "كلا، لا يبدو سيئاً. يبدو صعباً، لكنه حقيقي. وكذلك الحياة، فهي صعبة وحقيقية. تبدين بكامل عقلك ووعيك بالنسبة لي. أنت أكثر عقلانية مني

بالتأكيد. لا تسأليني عن النساء اللواتي خرجت معهن، فهن الآن في مصحات حيث كنّ حين تعرّفت إليهن. لا أعرف ما الذي جعلني أظنّ أن بإمكاني أن أغيّر كل ما حصل لهن، ومعظم ما مررن به كان من صنع أيديهن. لا أعرف لماذا اعتقدت أنني أستحقّ ذلك العذاب، لكن الأمر لم يعد مسلياً بالنسبة لي منذ فترة طويلة. لم يعد باستطاعتي القيام بذلك بعد الآن، وأصبحت أفضّل البقاء وحدي". لقد عنى غراي ما قاله تماماً، لا سيّما بعد ما سمعه منها، فالوحدة أفضل بكثير من العيش مع مجنونات كاللواتي كان يرافقهن. ومع أن سيلڤيا تعيش وحيدة، لكنها على الأقل عاقلة. شعر غراي بالتقدير نحوها، فهي تتعلّم من أخطائها. أراد أن يحذو حذوها، فهي مثال للصحة والاستقرار النفسي. بينما كان يستمع إليها لم يعد يفهم إن كان يرغب بها كامرأة أم كصديقة فقط، فكلتا العلاقتين بدتا جيدتين له. راح يتأمّلها بدقة، ولاحظ مدى جمالها. لكنه بالإضافة إلى ذلك، قدّر الصداقة معها. اقترح عليها بحذر: "ربما أمكننا الذهاب لحضور فيلم سينمائي معاً، حين نعود إلى نيويورك".

أجابت سيلڤيا وهي تشعر بالارتياح: "سأحبّ ذلك بالتأكيد. لكنني أحذرك، فأنا أملك ذوقاً مزعجاً في الأفلام. حتى أولادي لا يحبّون الذهاب معي إلى السينما. أنا أكره الأفلام الأجنبية التي تتحدّث عن الفنون، وكذلك عن الجنس والعنف، والأفلام ذات النهايات المحزنة، والأفلام التافهة. أنا أحبّ الأفلام ذات النهايات السعيدة. الأفلام التي تجعلني أضحك وأبكي، وتبقيني مستيقظة طيلة الوقت. إن كنت ستتساءل حين تتركني ماذا أعني بكلامي، إذاً سيكون عليك اصطحاب شخص آخر معك سواي".

– "هذا ممتاز! إذاً سنشاهد الأفلام القديمة مثل *أنا أحب لوسي* أو نستأجر أفلام ديزني. أنت تحضرين الفشار، وأنا أستأجر الأفلام".

أظهرت له ابتسامة عريضة وقالت: "اتفقنا إذاً". أوصلها إلى الفندق، وقبل أن يغادر عانقها مودّعاً، وشكرها على الصباح المذهل الذي أمضاه برفقتها.

سألها وهو يشعر بالقلق: "أحقاً ستغادرون غداً؟" أراد رؤيتها مجدّداً قبل أن يغادرا بورتوفينو، وقبل أن يعودا إلى نيويورك. سيكون من الصعب عليه الانتظار حتى عودتهما كي يتصل بها. لم يلتقِ غراي من قبل امرأة مثلها، امرأة يشعر بحماس كبير للتحدّث معها. كان منشغلاً بإنقاذ النساء، حتى إنه لم يستطع البحث عن امرأة لتكون صديقته فقط، وسيلفيا رينولدز كانت تلك المرأة... إنها في العقد الخامس من عمرها، وهاهو قد التقاها في بورتوفينو. يبدو ذلك جنوناً حتى لغراي نفسه، لكنه شعر أنه وجد امرأة أحلامه. لم تكن لديه أي فكرة عمّا ستكون ردّة فعلها تجاه فكرته. على الأرجح أنها ستركض بعيداً، وتتّصل بالشرطة. تساءل إن كانت عدوى الجنون قد انتقلت إليه من النساء اللواتي عاشرهن أم أنه كان مجنوناً من قبل. لكن سيلفيا ليست مجنونة، إنها جميلة وذكية وحسّاسة وصادقة. قالت سيلفيا بهدوء وهي تشعر بالحزن أيضاً لأنهما سيفترقان، ما جعلها تتوتّر قليلاً: "نعم، سنرحل غداً". رغم أنها أخبرت المحلّل النفسي أنها أصبحت جاهزة لتلتقي الشخص المناسب، لكنها شعرت الآن برغبة في الهرب بعيداً كي لا تتأذّى من جديد. مع ذلك، أرادت رؤية غراي مرة ثانية قبل أن تهرب فعلاً. شعرت برأسها يدور وهي تبتسم له، وقالت: "سنذهب إلى سردينيا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، ثم سأذهب إلى باريس لألتقي بعض الفنانين. بعد ذلك سأمضي أسبوعاً في صقلية مع ولديّ، وسأعود إلى نيويورك بعد أسبوعين".

قال لها وقد بدا وجهه مشرقاً وهو يتكلّم: "أنا سأعود إلى نيويورك خلال ثلاثة أسابيع. أعتقد أننا سنذهب إلى صقلية في نهاية الأسبوع أيضاً. سنغادر إلى هناك بعد بورتوفينو". أراد غراي أن يغادر بورتوفينو على الفور بعد أن تغادرها سيلفيا، إن وافقه شارلي وآدم على ذلك.

قالت وهي تبتسم له وقد بدت أكثر شباباً: "حسناً! سيكون ذلك من حسن حظنا. لِمَ لا تنضمّوا أنتم الثلاثة إلينا في المرفأ هذه الليلة؟ هناك

معكرونة لذيذة وشراب سيّء، لا يشبه أبداً الشراب الذين اعتدتم على شربه". تابعت تقول: "لا تتأثّر كثيراً. إن أتيت لتناول العشاء في منزلي، فسأقدّم لك الشراب المهضّم الذي أشربه أنا".

ابتسمت مرة أخرى وهي تقول: "أنا سأحضّر الشراب، وأنت تطهو. فأنا طاهية فاشلة".

- "حسناً. من الجيد أن أعرف أن هناك أمراً ما لا تجيدين القيام به. يقولون إنني أكاد أصبح طاهياً محترفاً، فأنا أجيد طهو المعكرونة والتاكوس والبوريتوس واليخاني والفطائر المحشوة باللحم، كما أجيد تحضير السلطات وزبدة الفول والجلو والفطائر المحلاة والبيض المخفوق والمعكرونة مع الجبن. هذا كل شيء".

- "الفطائر المحلاة؟ أنا أحبّها كثيراً، لكنني أحرقها دائماً. لا أحد يأكل من الفطائر التي أعدّها". ضحكت سيلفيا، وابتسم غراي حين تخيّل مشهد الطهو لديها.

- "ممتاز! إذاً سوف نشاهد أنا أحبّ لوسي، ونأكل االفطائر المحلاة. أي نوع من المثلجات تفضّلين للتحلية أيضاً، الشوكولا أم الفانيليا؟"

قالت بثقة: "الشوكولا بنكهة النعناع والعليق، أو الموز مع الجوز". بدأت سيلفيا تحبّ المشاعر التي تحسّها وهي معه. بدا ذلك مخيفاً، لكنه جميل في الوقت نفسه، فقد شعرت كأنها تركب الأفعوانية. لم يساورها هذا الشعور منذ فترة طويلة. أدركت الآن كم تشتاق إلى تلك الحياة. لم يستطع أي رجل أن يلفت نظرها منذ سنوات طويلة، أما غراي فقد فعل ذلك.

- "آه، يا إلهي! لماذا تصعّبين الأمر عليّ؟"

- "سأحضّر المثلجات والشراب، إن كنت تظنّني أصعّب الأمر".

ذكّرها قائلاً: "لا تنسي الفشار!" علم غراي أن الأمر لن يكون خيالياً لكنه سيكون جميلاً. فكل شيء له علاقة بها جيّد، تماماً كقضاء هذا النهار

معها في سان جورجيو. فقد كان جيداً جداً. سألها وهو يعانقها: "في أي ساعة سيقدّم العشاء الليلة؟" عناقه لها كان نابعاً من الصداقة ليس إلاّ. لا شيء يخيفها أو يربطهما معاً لأبعد من عشاء خفيف في منزلها. أما الباقي فسوف يكتشفانه، ويقرّران بشأنه في وقت لاحق، إن شعرا بأنه أمر مناسب لهما. كما تمنّى بالتأكيد!

ابتسمت له برقة وقالت: "عند التاسعة والنصف في دابوني. أراك هناك إذاً". لوّحت له ثم اختفت داخل الفندق. مشى غراي نزولاً إلى المرفأ باندفاع، حيث كان اليخت والطاقم بانتظاره. ابتسم وهو يعود إلى اليخت، وكان لا يزال يبتسم حين رآه شارلي وهو يصعد. كانت الساعة قد أصبحت الواحدة من بعد الظهر، وكان صديقاه بانتظاره ليتناولوا الغداء معاً.

علّق شارلي بشكلٍ لعوب وهو ينظر نحو صديقه القديم: "إنه وقت طويل لتمضيه في كنيسة مع امرأة بالكاد تعرفها. هل تقدّمت طالباً يدها للزواج؟"

– "ربما كان يجدر بي فعل ذلك، لكنني أفسدت الأمر. بالإضافة إلى أنّ لديها ولدين، وأنا أكره الأولاد". ضحك شارلي بسبب ردّ غراي، وأدرك أنه يمزح.

– "إنهما ليسا ولدين بل راشدين. بالإضافة إلى أنها تعيش في نيويورك، بينما يعيش ولداها في إيطاليا وإنكلترا. أعتقد أنك بأمان".

– " نعم، ربما. لكن الأولاد يبقون أولاداً مهما كان عمرهم". لم يكن الجو العائلي يجذب غراي، وشارلي يعلم ذلك جيداً. أخبره غراي عن دعوة العشاء لهذا المساء، وأعجب الموضوع الأصدقاء الثلاثة. لكن آدم أخذ يراقب غراي بحذر أكبر من شارلي.

ظهرت على وجه آدم نظرات الشك وهو يقول: "هل هناك شيء ما بينك وبين سيلفيا؟" ظهرت التسلية على ملامح غراي. لم يكن مستعداً بعد ليشاركهما بالأمر، إذ لم يحدث شيء بعد. إنه فقط معجب بها، وتمنّى أن

تكون قد أعجبت به أيضاً. لم يحصل بينهما شيء معيّن ليتحدّث إليهما عنه.

– "أتمنّى ذلك. لديها ساقان رائعتان، لكن هناك خطب كبير فيها، حسب ما أرى".

سأله شارلي باهتمام: "ما هو ذلك الخطب؟" لطالما أدهشته العيوب الموجودة في النساء، فهو مهووس بهذا الموضوع.

– "إنها عاقلة، وليست مجنونة. لذا أخشى أنها ليست من النوع المفضّل لدي".

– وافقه آدم قائلاً: "نعم، أدركت ذلك".

أخبرهم غراي لاحقاً أن المجموعة ستغادر إلى سردينيا في اليوم التالي. وأعجبهم هذا الأمر كثيراً. بدت بورتوفينو مكاناً رائعاً، لكنهم فكّروا أنها ستصبح أقل متعة بعد مغادرة أصدقائهم. اقترح شارلي أن يغادروا بعد العشاء هذه الليلة ليسافروا إلى سردينيا. إن غادروا في منتصف الليل يمكنهم الوصول غداً مساءً في موعد العشاء. سيكون من الممتع لقاء المجموعة نفسها في بورتوسيرفو مجدداً، عندها ستصبح نهاية الأسبوع أفضل. سيعطي ذلك آدم فرصة ثانية مع ابنة أخت سيلفيا إذا ما فكّر بتغيير رأيه فيها. لكن حتى لو لم يحدث ذلك، فهم سيستمتعون مع المجموعة كلها التي تبدو مزيجاً جميلاً من مختلف الجنسيات.

أبلغ شارلي القبطان بخطتهم، ووافق على تنظيم الطاقم. الإبحار في الليل كان سهلاً على الركاب، لكنه صعب بالنسبة لطاقم العمل. لكنهم يقومون بذلك كثيراً. قال القبطان إنه سينام بينما يتناول شارلي وضيفاه العشاء، ثم يبدأ الإبحار حالما يعودون إلى اليخت. هكذا سيصلون إلى سردينيا في الوقت المناسب للعشاء تماماً، في اليوم التالي.

أخبر غراي سيلفيا عن خطتهم أثناء تناولهم العشاء تلك الليلة، فابتسمت له، وتساءلت عمّا أخبر به صديقيه، وشعرت بالاحراج لانجذابها

إلـــيه. لم تشعر سيلفيا بما تشعر به الآن منذ سنوات، لكنها لم تكن مستعدة لمـــشاركة غـــراي بتلك المعلومات بعد. أحسّت أن المشاعر بينهما متبادلة وبأنه أعجب بها أيضاً، وشعرت كأنها عادت طفلة من جديد.

أمـــضى الأصـــدقاء وقتاً ممتعاً عند العشاء، جلست سيلفيا في المقعد المواجه لغراي على الطاولة، لكن لا شيء مما قالته أو فعلته جعلها تنسى مـــشاعرها تجاهـــه. حـــين غادروا قبلته على وجنته، تماماً كما فعلت مع الـــرجلين الآخـــرين. وعدتهم أن تلتقي بهم غداً مساءً عند العشاء في نادي الـــيخوت في بورتوسيرفو. استدار غراي لينظر نحوها للمرة الأخيرة وهم يمشون بعيداً، لكنها لم تستدر لتنظر نحوه، بل تعمّدت أن تنشغل في حديث مـــع ابنة أختها، ثم توقفتا في الساحة لشراء الحلوى الهلامية. لاحظ غراي مجدّداً أن سيلفيا تمتلك قواماً جميلاً جداً، كما تمتلك عقلاً راجحاً أيضاً، ولم يعد واثقاً ما الذي يجذبه إليها أكثر. علّق آدم وهم يصلون إلى القارب الذي سيوصـــلهم إلـــى الـــيخت: "إنها معجبة بك". ذكّره الأمر بمرحلة الدراسة الثانوية. أمّا شارلي فضحك منهما.

أجـــاب غراي بنبرة صوت عادية: "وأنا أيضاً معجب بها". ثم جلس في القارب ينظر عبر المياه نحو القمر الأزرق الذي كان بانتظارهم.

– "أعنـــي أنهـــا حقـــاً معجـــبة بك، إنها تودّ أيضاً مشاركتك في السرير".

قـــال غـــراي وقد أصبح وجهه متجمّداً كالحجر: "إنها ليست من هذا النوع من النساء". أراد أن يحميها من التعليقات التي قالها آدم. فقد أصبحت تلك التعابير فجأة تنمّ عن قلّة احترام بالنسبة له.

– "لا تقـــل لـــي هـــذا! إنها امرأة جميلة، وعليها أن تقيم علاقة مع أحـــدهم. لذا من الأفضل أن يكون هذا الشخص أنت وليس غيرك. أم أنك تعتقد أنها كبيرة في السن بالنسبة لك؟" فكّر آدم بذلك السؤال ملياً حين أخذ غراي يهزّ رأسه.

– "إنها ليست كبيرة في السن، لكنها كما أخبرتك عاقلة جداً".

– "نعم، أعتقد أنها كذلك. لكن حتى النساء العاقلات يرغبن في إقامة علاقات".

قال غراي: "سأتذكّر كلامك إذا ما التقيت بامرأة أخرى عاقلة". ابتسم شـــارلي، وبـــدأ يـــراقبهما باهتمام، ويتساءل إن كان ما يجري بين غراي وسيلفيا هو أمر جدي فعلاً.

ضحك آدم وهو يقول: "لا تقلق. لن تلتقي بامرأة عاقلة غيرها".

ما لبثوا أن وصلوا إلى اليخت، وسكب شارلي كوباً من الشراب لكلٍ منهم قبل أن يخلدوا إلى النوم. جلسوا في الجهة الخلفية تحت ضوء القمر، فـــيما تدبّـــر الطاقم أمر المرساة، وانطلقوا من جديد. جلس غراي يراقب رقـــصة ضوء القمر فوق المياه. فكّر بسيلفيا وهي في غرفتها في الفندق، وتمنّـــى لو أنه معها. لم يتخيّل أنه محظوظ بما يكفي كي يحصل معه أمر مماثل، لكن ربما يحدث ذلك ذات يوم. أوّلاً سيحصلان على موعد للفطائر المحلاة والمثلجات في نيويورك، وبعد ذلك من يعلم ما الذي سيحدث. حتى قـــبل ذلك، سيلتقيان في سردينيا خلال عطلة نهاية الأسبوع. لأوّل مرة منذ فتـــرة طـــويلة شـــعر غراي كأنه شاب صغير من جديد، بل كأنه ولدٌ في الخمسين من عمره برفقة فتاةٍ في التاسعة والأربعين من عمرها.

4

بدت الرحلة إلى سردينيا ممتعة جداً برفقة سيلڤيا وأصدقائها، تماماً كما تمنّى الرجال الثلاثة. انضمّ إليهم زوجان آخران في بورتوسيرڤو ودعا شارلي الجميع إلى يخته لتناول الغداء ثم العشاء، ولكي يتزلّجوا على المياه ويسبحوا. بعد مراقبته لغراي وسيلڤيا طيلة عطلة نهاية الأسبوع، قرّر آدم أن ما يربطهما هو مجرّد صداقة، أمّا شارلي فلم يبدُ مقتنعاً بكلامه، لكنه احتفظ بانطباعاته لنفسه. إذا أراد غراي أن يخبره بأمر ما فسيفعل من تلقاء نفسه. تحدّث شارلي مع سيلڤيا قليلاً، فتكلّما عن مؤسسته الخيرية والعمل الذي يقوم به، كما تكلّما أيضاً عن معرضها والفنانين الذين تمثّلهم. بدا واضحاً أنها تحبّ عملها كثيراً، وبدا بنفس الوضوح أنها معجبة بصديقه، كما أن غراي معجب بها أيضاً. تبادل الاثنان الكثير من الأحاديث، وذهبا للسباحة معاً، ورقصا في النوادي، وضحكا كثيراً. مع انتهاء عطلة نهاية الأسبوع شعر الجميع أنهم أصبحوا أصدقاء. وحين غادرت سيلڤيا مع أصدقائها، ذهب شارلي مع صديقيه إلى كورسيكا لمدة يومين. لقد اكتفوا من صقلية بالإضافة إلى أنهم لن يشعروا بالمتعة إذا مكثوا هناك بعد أن رحلت سيلڤيا مع أصدقائها. تكلّم غراي مع سيلڤيا للمرة الأخيرة قبل أن تغادر اليخت، وأخبرها أنه سيتّصل بها ما إن يصل إلى نيويورك، فابتسمت له وعانقته، وتمنّت لهم رحلة موفّقة.

من كورسيكا ذهبوا إلى إستشيا ثم إلى كابري. بعدئذٍ عادوا مجدّداً إلى الشاطئ الإيطالي. أمضوا آخر أسبوع في الريفييرا في فرنسا، وأرسوا اليخت في أنتيبز. كالعادة، حين يكونون معاً يبدو المكان مذهلاً. خرجوا للرقص مع النساء، وحوّلوا الأغراب إلى أصدقاء. وفي إحدى لياليهم الأخيرة تناولوا العشاء في إدن روك، واتّفق الأصدقاء الثلاثة على أن الرحلة كانت ممتعة حقاً. ألحّ آدم على غراي قائلاً: "عليك المجيء إلى سان بارتس هذا الشتاء". إذ يسافر آدم دائماً إلى هناك لكي يلتقي بشارلي على ظهر اليخت لأسبوع أو اثنين خلال فترة الأعياد. أمّا غراي فيقول إن شهراً في الصيف يبدو كافياً بالنسبة له. جميعهم يعرفون لماذا يكره غراي منطقة الكاريبي، فهي تحمل الكثير من الذكريات السيئة له.

قال غراي بشكل مبهم: "ربما سأفعل ذلك في وقت ما". فأجابه شارلي أنه يتمنّى أن يفعل ذلك.

الليلة الأخيرة تكون دائماً مليئة بالحنين، فهم يكرهون ترك بعضهم والعودة إلى الحياة الحقيقية. سوف يلتقي آدم بأماندا وجاك لأسبوع في لندن، وسيأخذهما إلى باريس بطائرته الخاصة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. سيكون ذلك تغييراً لطيفاً بالنسبة له، بعد الرفاهية التي استمتع بها على متن القمر الأزرق، أمّا غراي فسيسافر مباشرة من نيس إلى نيويورك، ما سيشكّل صدمة حقيقية له. سيعود إلى محترفه الذي يقع في مبنى غير مجهّز بمصعد في منطقة ميتباكنغ، وهي منطقة بدأت تواكب التطور. منزله لم يكن مجهّزاً بوسائل الراحة، وما زال على حالته منذ فترة طويلة، لكن إيجاره زهيد على الأقل. بدا غراي ينتظر بحماسٍ عودته إلى منزله كي يتّصل بسيلڤيا. فكّر بالاتصال بها من اليخت، لكنه لم يرغب بإجراء مكالمات باهضة الثمن على حساب شارلي، إذ سيبدو ذلك وقاحة منه. علم أنها غادرت إلى نيويورك في الأسبوع الماضي، بعد رحلتها إلى صقلية مع ولديها. أما شارلي فسيبقى في فرنسا على متن اليخت لمدة ثلاثة

أسابيع إضافية ليستمتع بالاختلاء بنفسه، لكن مشاعر الوحدة تنتابه دائماً حين يغادر صديقاه، فهو يكره رؤيتهما يرحلان.

في الصباح، عندما غادرا، توجّه غراي وآدم إلى المطار في سيارة ليموزين استأجرها لهما أحد موظفي اليخت، فيما وقف شارلي في الجهة الخلفية لليخت، ولوّح لهما بيده، وهو يشعر بالحزن لرحيلهما. آدم وغراي هما صديقاه المقربان، وهما رجلان طيبان. برغم نزواتهما وتعليقات آدم حول النساء، وضعفه تجاه الفتيات الشابات، يعرف شارلي أنهما رجلان محترمان، وأنهما يهتمّان لأمره كثيراً، تماماً كما يهتمّ هو لأمرهما. إنه مستعد للقيام بأي شيء من أجلهما، وهو واثق من أنهما يبادلانه بالمثل. إنهم كالفرسان الثلاثة يتشاركون في كل صغيرة وكبيرة.

اتّصل آدم بشارلي من لندن ليشكره على الرحلة المذهلة، وفي اليوم التالي أرسل غراي له رسالة في البريد الإلكتروني للسبب ذاته. اتّفق الثلاثة على أن رحلتهم هذه كانت أفضل رحلة قاموا بها على الإطلاق. من الصعب تخيّل ذلك، لكن رحلاتهم تصبح أجمل من عامٍ إلى عام. أصبحوا يلتقون بأشخاص رائعين، ويزورون أماكن جميلة، ويستمتعون مع بعضهم أكثر فأكثر. جعل ذلك شارلي يفكّر أن الحياة لن تكون بذلك السوء إن لم يلتقِ بالفتاة المناسبة، فهو على الأقل يملك أفضل صديقين في العالم... قد تكون الحياة أسوأ من ذلك بكثير.

أمضى الأسبوعين الأخيرين على متن اليخت، وهو يتابع أعماله عبر جهاز الكمبيوتر، ويجهّز لبعض الاجتماعات عند عودته. أعدّ أيضاً للقبطان لائحة بما عليه القيام به لصيانة اليخت. في تشرين الثاني، سيقومون بعبور الكاريبي، وسيحبّ شارلي أن يكون على متن اليخت عندها. إنه يجد ذلك مريحاً للأعصاب وباعثاً للهدوء في النفس، مع أنّ لديه الكثير من الأعمال هذا العام. لقد قدّمت مؤسسته حوالى المليون دولار لمأوى جديد للأطفال، ويودّ شارلي أن يكون قريباً ليبقى على اطلاع على كيفية صرف المبلغ.

حين غادر اليخت في الثالث من أيلول كان جاهزاً لرؤية الأصدقاء والعودة إلى المكتب مجدداً. لقد غاب لمدة ثلاثة أشهر تقريباً، وقد حان الوقت للعودة إلى الوطن. بالنسبة لشارلي كان ذلك يعني العودة إلى شقة فارغة، وإلى مكتب يقوم فيه بمتابعة تقاليد العائلة. كما يعني الصعود إلى المنصات، والمشاركة في لجانٍ، وقضاء بعض الوقت مع الأصدقاء، والخروج إلى حفلات العشاء والمناسبات الثقافية. لم يعنِ له الأمر أن يعود لكي يلتقي بشخص كان بانتظار عودته ليشاركه الحياة التي يعيشها. بدأ يشعر أن احتمال إيجاد ذلك الشخص يقلّ يوماً بعد يوم، لكن رغم ذلك عليه العودة إلى الوطن، إذ ليس لديه مكان آخر يقصده، ولا يمكنه الاختباء من الحياة الواقعية إلى الأبد، فيبقى دوماً على متن يخته. من جهة أخرى، غراي وآدم موجودان دائماً في نيويورك، وهو سيتّصل بهما حالما يصل إلى هناك ليرى إن كان بإمكانهما أن يخرجا معه لتناول العشاء. في الواقع بدأ يقتنع أن هناك من يدفعه للعودة إلى الوطن. إنهما بمثابة شقيقين له، وهو يحبّهما كثيراً، كما أنه ممتنّ جداً لوجودهما بجانبه.

لم يحدث أي شيء مميّز خلال رحلة عودته إلى نيويورك. على العكس من آدم، سافر شارلي على متن طائرة تجارية عامة. لم يبدُ له يوماً أن الأمر يستحقّ منه شراء طائرة خاصة، أما آدم فيسافر كثيراً ومن المنطقي أن يشتري واحدة. علم شارلي من رسالة بعثتها له سكريتيرة آدم أن آدم سيعود في الليلة نفسها إلى نيويورك. لقد أمضى أسبوعاً كاملاً في لاس فيغاس، بعد رحلته إلى أوروبا مع ولديه. استلم شارلي رسالة إلكترونية من آدم أيضاً، يسأله فيها إن كان يودّ الذهاب معه لحضور حفلة موسيقية في الأسبوع القادم. إنها إحدى الحفلات الموسيقية المميزة التي يحبّها شارلي ويستمتع بها، أما آدم فيقول إنه يكرهها. أرسل له شارلي جواباً يوافق فيه على الانضمام إليه، فردّ آدم ليقول بأنه سعيد بذلك.

لم يتلقَّ شارلي الكثير من الأخبار عن غراي في الأسابيع الماضية، لذا ظنّ أنه غارق في العمل، وضائع في عالمه الخاص في المحترف، بعد أن أمضى شهراً بكامله في الرحلة من دون أن يرسم. في أحيانٍ كثيرة يختفي غراي، ثم يظهر بعد حين وقد أنهى مرحلة عمل صعبة جعلت اللوحة طوع يديه. توقّع شارلي أن يكون هذه المرة غارقاً في إحدى اللوحات الصعبة المماثلة، وكان ينوي الاتصال به في وقت ما من هذا الأسبوع. كالعادة، سيشعر غراي بالمفاجأة لسماع صوته، فهو يفقد الإحساس بالوقت حين ينكبّ على العمل. في بعض الأحيان لا يملك غراي فكرة عن الفترة الزمنية التي يعيشها، وهو أحياناً لا يترك المحترف لأيام بل لأسابيع. تلك هي طريقته في العمل.

كان الطقس في نيويورك حاراً ورطباً حين وصل شارلي في وقت متأخر من بعد الظهر. خرج بسرعة من منطقة الركاب إذ لم يكن يحمل شيئاً ليصرّح عنه، وكان مكتبه قد أرسل له سيارة لتقلّه. اقترب من المدينة وشعر بالاحباط حين رأى ما يدور حوله. بدا كل شيء وسخاً، وبدا الناس مرهقين وهم يشعرون بالحر الشديد، وحين أنزل زجاج نافذة السيارة لفح الهواء ذو الرائحة الكريهة وجهه محمّلاً بالدخان المؤذي، كأنه يقول له: "أهلاً بعودتك!" حين وصل شارلي إلى شقته، بدت الأمور أسوأ. كان العمال قد نظّفوا الشقة وفتحوا النوافذ، لكن رائحة العفن ما زالت فيها، كما أنها بدت كئيبة، إذ لم يكن فيها أزهار ولا علامات للحياة. مرّت ثلاثة أشهر طويلة منذ رحيله، وكان البريد الذي لم يرسل إلى فرنسا بانتظاره على المكتب، كما كان هناك بعض الطعام في الثلاجة لكنه يحتاج إلى من يقوم بطهوه، وشارلي لم يكن يشعر بالجوع أساساً. لم يجد رسائل على مجيب الهاتف، فلا أحد يعلم أنه سيعود، والأسوأ من ذلك أن لا أحد يكترث لهذا. لأوّل مرّة وقف شارلي وسط شقته الفارغة، وأخذ يتساءل ما الخطب فيه وفي صديقيه. هل هذا ما يريدونه؟ هل هذا ما يتوق إليه آدم فيجعله

يبذل مجهوداً كبيراً كي يتجنّب الارتباط، ويخرج مع الفنانات الصاعدات؟ بمَ يفكرون بحق السماء؟ بدت الإجابة عن هذه الأسئلة غاية في الصعوبة.

خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية، حاول شارلي نخل النساء كما يُنخل الطحين بحثاً عن النواقص فيهن. فعل تماماً كما تفعل القردة الأم وهي تبحث عن الحشرات في جسم ابنها. لقد وجد نساءً مناسبات، لكنه كان دائماً يرميهن خلفه. هذا ما أوصله إلى هنا: واقفاً وحده في شقته الفارغة ليلة الاثنين، ينظر نحو الحديقة العامة. رأى قبالته الأزواج يتمشّون ممسكين بأيدي بعضهم البعض، أو يتمدّدون فوق العشب وينظرون نحو الأشجار معاً. بالتأكيد لم يكن أي منهم كامل الصفات، لكنهم يشعرون بالرضى رغم ذلك، أما هو فلا يشعر بالرضى. أيجب أن يكون كل شيء مكتملاً في حياته؟ ولمَ لا يستطيع إيجاد امرأة جيّدة بما يكفي بالنسبة إليه؟ مرّت خمسة وعشرون عاماً على وفاة أخته وثلاثون عاماً على وفاة والديه في إيطاليا. وبعد كل تلك السنوات، لا يزال يقف حارساً فوق حياته الخالية، يراقب بحذر وصول أي بربري إلى بوابته. بدأ يتساءل إن كان الوقت مناسباً لإدخال بربري ما. فمهما بدا ذلك الأمر مخيفاً حتى الآن، ربما يحمل معه الفرج لحياته.

5

رغم رغبة غراي بأن يظهر بعض البرودة، إلاّ أنه لم يستطع منع نفسه من الاتصال بسيلفيا في الليلة التي وصل فيها إلى نيويورك. كان ذلك اليوم عيد العمّال، وتساءل إن كانت مسافرة إلى الخارج في هذا الوقت، وسرعان ما اتّضح له أنها ليست كذلك. بدت متفاجئة لسماع صوته، وللحظة تساءل إن كان قد أخطأ في ما سمعه أو في فهم ما كانت تريده، وبأنه يقوم بالعمل غير الصائب.

سألها بتوتر: "هل أنت مشغولة؟" بدت شاردة الذهن وغير راضية تماماً.

لا، أنا آسفة! لكن هناك تسرّب للمياه في مطبخي، وليس لدي أدنى فكرة عمّا سأفعله". كان كل من في المبنى الذي تسكنه في إجازة عطلة نهاية أسبوع طويلة.

- "هل اتّصلت بمسؤول المبنى؟"

- "نعم، لكن يبدو أن زوجته تضع مولوداً الليلة، والسمكري الذي اتّصلت به قال إنه لا يستطيع المجيء إلاّ بعد ظهر نهار غد، وإنه يريد أجراً مضاعفاً لأن غداً يصادف يوم عطلة. اتّصل بي جاري الذي يسكن في الطابق السفلي ليقول إن السقف بدأ يرشح في شقته". بدت ساخطة جداً، وهو أمر مألوف لدى غراي. فالنساء اللواتي يشعرن بالضيق هن من اختصاصه.

- "ما الذي حدث؟ هل بدأ التسرب فجأة، أم حدث أمر معين؟" رغم أن السمكرة ليست من اختصاصه، لكنه يعرف كيفية معالجة بعض الأمور، وهذا بالطبع لا تعرفه سيلفيا مثله. إن السمكرة هي أحد الأعمال القليلة التي لا تعرفها. بدأت تضحك بخجل، وقالت: "في الواقع أوقعت خاتمي في المغسلة، لذا حاولت أن أسترجعه كي لا يؤذي شبكة مجاري مانهاتن. تمكّنت من استرجاع الخاتم لكن أمراً خاطئاً حدث، ولم أستطع إعادة كل شيء كما كان بشكل سريع. يبدو أنني أحدثت تسرّباً رئيسياً للمياه. والآن ليس لدي أدنى فكرة عمّا يجب أن أفعله".

اقترح غراي قائلاً: "تخلّي عن الشقة، وابحثي عن مكان آخر على الفور". ضحكت سيلفيا لاقتراحه، وقالت: "يا لها من مساعدة! اعتقدت أنك منقذ ذو خبرة في العمل. لقد ساعدتني كثيراً!"

- "أنا متخصص بمساعدة النساء اللّواتي يعانين من مشاكل في الأعصاب، ولست متخصصاً في أعمال السمكرة. وأنت تتمتّعين بصحة كاملة، لذا عليك الاتصال بسمكري آخر". ثم راودته فكرة أفضل فقال: "هل تودّين أن آتي إليك؟" لقد وصل منذ عشر دقائق فقط من المطار، ولم يكلّف نفسه حتى النظر إلى بريده بعد، بل توجّه مباشرة إلى الهاتف كي يتّصل بها.

- "شيء ما ينبئني أنك لن تعرف كيف ستتصرّف أيضاً. بالإضافة إلى ذلك أنا أبدو بأسوأ حالاتي. حتى إنني لم أسرّح شعري اليوم بعد". لقد بقيت في المنزل لتنجز بعض الأعمال والأوراق، وتتسلّى بحلّ الكلمات المتقاطعة ليوم الأحد في جريدة التايمز. إنه أحد الأيام التي تشعر فيها بالتكاسل، وبأن ليس لديها ما تقوم به. في بعض الأحيان يبدو لها من الجيّد أن تكون وحدها في المنزل من دون وجود شخص آخر، لكنها تشعر في نهاية اليوم أن الوحدة تقتلها حين لا تجد من تتكلّم معه، مما جعل من الجميل أن تسمع صوته.

– "أنـــا أبدو بحالة سيئة أيضاً. لقد نزلت من الطائرة للتو. بالإضافة إلـــى ذلك، لا شكّ أنك تبدين أفضل ممّا تتصورّين". تساءل كيف يمكنها أن تـــبدو بحال سيئة؟ لم يتمكّن من تخيّل شكلها إلاّ رائعاً، حتى إن لم تكن قد ســرّحت شـــعرها اليوم. "سأقول لك ما سنفعل. أنت تسرّحين شعرك، وأنا أهتمّ بالمغسلة. أو ربما بإمكاني تسريح شعرك بينما تهتمّين أنت بالمغسلة. يمكننا تبادل الأدوار".

قالـــت وهي تشعر بالارتياح والتسلية: "أنت مجنون!" كان هذا اليوم يـــوم أحد مملّ وطويل بالنسبة إليها، وبدت سعيدة لسماع صوته. "سأخبرك شـــيئاً، إن أصلحت المغسلة سأشتري لك البيتزا أو الطعام الصيني. يمكنك أن تختار".

– "كمـــا تـــريدين. مع أنني أكلت على متن الطائرة. سأرتدي ثياب السمكرة، وأكون عندك خلال عشر دقائق. انتظريني".

بدت خجولة مع أنها شعرت بالرضى وهي تقول: "هل أنت واثق؟"

– "أنـــا واثق". كانت هذه طريقة سهلة ليتمكّنا من رؤية بعضهما من جديد. لا توقعات ولا ثياب رسمية ولا موعد أوّل مربك. إنه مجرّد تسرّب مـــياه فـــي مطبخها وشعر غير مسرّح. غسل غراي وجهه ونظّف أسنانه، وحلـــق ذقـــنه، ثم لبس قميصاً نظيفة، وخرج من منزله بعد عشر دقائق. وصـــل إلـــى منزلها بعد مضي عشر دقائق أخرى. إنها تسكن إلى الجهة الجنوبـــية مـــن منزله في سوهو. لقد تمّ تجديد المبنى الذي تسكن فيه فبدا مـــرتباً جـــداً. تـــسكن سيلڤيا في الطابق الأخير، وما إن خرج غراي من المـــصعد حتـــى طالعـــته اللـــوحات التي بدت جدّية ومعبّرة. لم تكن تلك اللـــوحات من الطراز الذي يقوم هو برسمه، لكنه يعرف أنها تبيع اللوحات المماثلـــة. كـــان هـــناك بعض اللوحات التي تعود لرسامين مشهورين بين مجموعـــتها الخاصة، وقد جذب ذلك انتباهه على الفور. كان من السهل أن يرى من مظهر الشقة أنها تملك ذوقاً رفيعاً.

قامت سيلڤيا بالمجهود نفسه الذي قام به غراي قبل أن يصل. غسلت وجههـــا، وســـرّحت شعرها، ونظّفت أسنانها، ولبست قميصاً نظيفة. كانت حافية القدمين، وترتدي سروال جينز، وقد بدت سعيدة جداً لرؤيته.

– "أنت لا تبدو كسمكري!"

– "آســـف. لـــم أجـــد ثـــياباً خاصـــة بالسمكرة، لكن ملابسي ستفي بالغـــرض". كـــان غراي يرتدي سروال جينز نظيفاً وينتعل حذاءً مرتباً. سألها وهي ترشده إلى المطبخ: "هل قطعت المياه؟" بدا المطبخ مكاناً جميلاً مـــصمّماً من الغرانيت الأسود والكروم. أخبرته سيلڤيا أنها قامت بتصميم معظمه بنفسها.

أجابت عن سؤاله عن المياه وهي تبدو غافلة تماماً: "لا أعرف كيف أفعل ذلك".

– "حسناً!" تمتم بذلك لنفسه وهو ينزل تحت المغسلة. بدا كأن شلالاً مـــن المـــياه يتدفّق من المغسلة. كانت سيلڤيا قد وضعت المناشف في كلّ مكان على الأرض لامتصاص المياه. ركع غراي على ركبتيه ليبحث عن الصنبور الأساسي لقطع المياه، ثم سألها أن تعطيه مفتاح ربط. أعطته إياه، ومـــا هـــي إلاّ دقيقة حتى توقّف تدفّق المياه. ها قد حُلّت المشكلة، أو على الأقـــل وُضـــع حـــدٌّ لها في الوقت الحاضر. وقف غراي وهو يبتسم، وقد أصبح سرواله مبلّلا من ركبتيه نزولاً حتى طرفيه.

ابتـــسمت سيلڤيا له وهي تقول: "أنت عبقري. شكراً لك". ثم نظرت نحـــو سرواله الجينز وقالت: "آسفة، لقد بلّلت ثيابك. أستطيع أن أجفّف لك ســـروالك، لكـــن سيكون من المبكر جداً أن أطلب منك خلع سروالك منذ موعدنا الأول. أنا لست خبيرة بذلك، لكنني أعتقد أن ذلك يجب ألاّ يحصل الـــيوم". مـــن جهـــة أخرى، أدركت أنها إن لم تفعل فسوف يمضي غراي الـــوقت وهـــو يـــشعر بالانـــزعاج بسبب ثيابه المبللة، بالإضافة إلى أنها افترضت أنه متعب بعد الرحلة، ولا ينقصه أن يشعر بالبلل وعدم الارتياح،

وكانت مصيبة في ذلك. "ربما علينا عدم التقيد بقواعد الموعد الأول. اخلع سروالك وسأضعه لك في النشّافة. سأحضر لك منشفة. يمكننا طلب البيتزا أيضاً". عادت سيلڤيا بعد خمس دقائق وهي تحمل منشفة حمام كبيرة. بدت منـــشفة كبيـــرة مترفة وذات زغب. أشارت له نحو غرفة حمام الضيوف حيث بإمكانه تبديل ملابسه. عاد غراي بعد دقيقة وهو يحمل سروال الجينز ويلـــفّ المنشفة حول خصره. بدا مظهره مضحكاً وهو يرتدي معها قميصاً وجوربين وينتعل حذاء.

اعترف وهو يبتسم بسخرية: "أبدو سخيفاً بهذا المظهر، لكنني سأبدو أكثـــر ســـخفاً لو تناولت العشاء وأنا أرتدي ثيابي الداخلية فقط". ضحكت ســـيلڤيا مـــنه، ثـــم لحقهـــا إلى غرفة الجلوس. كانت الغرفة كبيرة ومليئة بالتماثـــيل واللوحات. بدت كالستارة الخلفية للأعمال الفنية التي تعرضها. لاحظ غراي أسماء رسامين مشهورين وهو يجول بنظره حول الغرفة. "آه! لديك مجموعة لوحات رائعة".

– "أنا أجمع هذه اللوحات منذ سنوات طويلة. يوماً ما سأعطيها لولديّ". ذكّـــره ما قالته أن الأمر ليس بالبساطة التي يبدو عليها، بالنسبة له على الأقل. بـــدا له ذكر ولديها كالرعد الذي ضربه فجأة. لم يكن يريد يوماً أن يتقرّب من امرأة لديها أولاد، لكن سيلڤيا بدت مختلفة. كلّ ما يخصّها بدا مختلفاً عن النساء اللواتي تورّط معهن من قبل. ربما كان ولداها مختلفين أيضاً. على الأقل، هما ليـــسا ولديه. إنه يعاني من الرهاب عندما يتعلّق الأمر بالأولاد. لم يفهم معنى ذلك تماماً، لكنه يعرف أنه ليس أمراً جيداً. سألها وهو ينظر حوله بتوتر: "أين همـــا الآن؟" وكأنّـــه ينتظـــر أن يخرجا من الخزانة ويقفزا عليه كالأفاعي أو كالثيران. رأت سيلڤيا تلك النظرة على وجهه وشعرت بالتسلية.

– "إنهمـــا فـــي أوروبـــا، ألا تذكـــر؟ إنهمـــا يعيشان في أوكسفورد وفلورنـــسا، لن يأتيا إلى المنزل حتى عطلة الأعياد. أنت بأمان الآن، رغم أنني أتمنّى لو أنهما هنا الآن".

سألها بتهذيب بعد أن ذهبت إلى المطبخ وأدارت النشافة ثم عادت إلى غرفة الجلوس: "هل أمضيت عطلة جميلة برفقتهما؟"

– "جمـــيلة جـــداً. ماذا عنك؟ كيف كانت بقية الرحلة؟" جلست على الأريكـــة بينما جلس غراي في مقعد ضخم من الجلد الأسود قبالتها. بدت جميلة وهي حافية القدمين ومرتدية سروال الجينز. وبدا هو سعيداً لرؤيتها، أسعد من أي وقت مضى خلال السنوات الأخيرة الماضية. لقد افتقدها، وقد بـــدا ذلك أشبه بالجنون حتى بالنسبة إليه. فهو بالكاد يعرفها، لكنه فكّر فيها كثيراً خلال الأسابيع الأخيرة من رحلته.

جلس غراي في ذلك المقعد الجلدي، وهو يلفّ المنشفة حول جسمه، وحاولـــت ســـيلڤيا أن تمنع نفسها من الضحك وهي تنظر إليه. بدا مضحكاً وحساساً ولطيفاً. أجابها قائلاً: "كانت رائعة". ثم صحّح لنفسه: "في الواقع، لـــم تكـــن... كانت جيّدة، لكن ليس بجمال الرحلة إلى بورتوڤينو وسردينيا برفقتك. فكّرت بك كثيراً بعد أن غادرت".

اعترفت سيلڤيا قائلة: "وأنا أيضاً فكّرت بك". ثم ابتسمت له وتابعت: "أنا مسرورة بعودتك. لم أتوقّع أن تتّصل بي بهذه السرعة".

– "ولا أنا... أو في الواقع، بلى. أردت أن أتّصل بك حالما أصل".

– "أنا سعيدة لأنك فعلت. على فكرة، أي نوع من البيتزا تفضّل؟"

– "ما الذي تفضلينه أنتِ؟"

– "لا فـــرق عـــندي... البيبيرونـــي، البيستو، كرات اللحم والبيتزا العادية".

قال وهو يرمقها بنظرة متفحصة: "أنا أحبها كلّها أيضاً". بدت مرتاحة جداً في منزلها. قالت وهي تغادر الغرفة: "سأطلب واحدة تحتوي على كل النكهات، لكن من دون سمك، فأنا أكره السمك".

– "وأنا أيضاً".

ذهبت لتتفقّد النشافة ثم عادت وهي تحمل سرواله، وأعطته إياه.

– "البس سروالك، وأنا سأطلب البيتزا. شكراً مجدداً لأنك أصلحت المغسلة".

ذكّرها غراي قائلاً: "أنا لم أفعل. لقد قطعت المياه فقط كي يتوقّف التسرب. عليك إحضار سمكري يوم الثلاثاء".

ابتسمت قائلة: "أعلم"، أخذ غراي سرواله واختفى في غرفة الحمام وما لبث أن عاد وهو يحمل المنشفة مطوية. بدت سيلفيا متفاجئة حين أخذتها منه.

– "ما الخطب؟"

– "أنت لم تتركها مرمية على الأرض. أنت ما خطبك؟ اعتقدت أن هذا ما يفعله الرجال". ابتسمت له فقابل ابتسامتها بابتسامة عريضة. لدقيقة جعلته يشعر بالقلق، فقد بدا عليها الذهول وهو يعطيها المنشفة المطوية. بدت الشقة مرتبة جداً لذا لم يعرف غراي ما الذي سيفعله بالمنشفة سوى إعطائها لها بنفسه. سألها: "هل تودّين أن أعود إلى غرفة الحمام وأرميها على الأرض؟" هزّت سيلفيا رأسها، ثم اتّصلت بالمطعم لتطلب البيتزا. بعد أن فعلت، عرضت عليه أن يشربا العصير. كان لديها في المطبخ عدد من زجاجات العصير من مختلف الأنواع، واتفق كلاهما على شرب عصير المانغا. حين تذوّق غراي ذلك العصير وجده لذيذاً جداً.

عادا إلى غرفة الجلوس من جديد، وهذه المرة جلسا معاً على الأريكة بدلاً من الجلوس في مواجهة بعضهما بحيث تفصل بينهما الطاولة الزجاجية. شعر غراي برغبة ملحة بالاقتراب منها لجذبها إليه، لكنه لم يكن مستعداً بعد لذلك، وهي أيضاً لم تكن مستعدة. تمكّن غراي من الإحساس بالحذر الكبير بينهما، فهما بالكاد يعرفان بعضهما، ولم يلتقيا سوى منذ بضعة أسابيع فقط.

علّق على ردة فعلها لأنه لم يرمِ المنشفة البيضاء على الأرض كما يفعل الآخرون قائلاً: "أنتِ أيضاً لست من الأشخاص المناسبين لي. لو كنت كذلك لرحت تصرخين بشكل هستيري بسبب تسرّب المياه، أو لقلت إنني أنا المذنب في هذا الأمر أو إنه عمل إرهابي سبّبه صديقك السابق أو زوجك السابق، لأنه يريد قتلنا نحن الاثنين. وإن ذلك الرجل سيأتي عبر سلّم النجاة في أي لحظة وهو يحمل مسدّساً".

قالت تعتذر وهي تضحك على ما قاله: "آه! لا يوجد في المبنى سلّم نجاة" لم تستطع حتى تخيّل النساء اللواتي تورّط غراي معهن من قبلن والآن حتى هو لم يعد يستطيع تخيّلهن.

قال بهدوء مبدياً إعجابه بها: "هذا يجعل الأمور أكثر بساطة. لقد أحببت شقتك سيلفيا. إنها جميلة وأنيقة وبسيطة... مثلك تماماً". لم تبدُ مدّعية أو متفاخرة بل كان كل شيء ذا أسلوب مميّز وذا نوعية جيدة جداً.

– "أنا أيضاً أحبّها. لدي هنا الكثير من التحف التي تعني لي الكثير".

– "يمكنني رؤية ذلك". فكّر غراي أنها أصبحت بالنسبة إليه وبشكل سريع، كنزاً يعني الكثير له. الآن وقد رآها من جديد، أدرك أنه معجب بها أكثر ممّا كان في السابق. بدا له الأمر حقيقياً الآن، وذا معنى عميق، لأنه رآها هنا حيث تسكن. بدا ذلك مختلفاً عن رؤيتها في المطاعم، أو على متن يخت شارلي. لقد بدت له عندها جميلة جداً وملفتة للنظر، أما الآن فتبدو حقيقية أكثر.

تكلّما لاحقاً، وهما بانتظار البيتزا، عن معرضها وعن الفنانين الذين تمثّلهم. قالت له بجدية: "أودّ كثيراً أن أرى أعمالك". هزّ غراي رأسه وقال لها: "وأنا أودّ أن أريك إياها أيضاً".

سألته بفضول: "أي معرض يعرض لوحاتك؟" لم يذكر غراي لها الموضوع من قبل. هزّ كتفيه وهو يجيب: "لست أتعامل مع أي معرض في الوقت الحالي. لم أكن سعيداً مع صاحب المعرض الأخير الذي تعاملت

معــه، والآن عليّ البحث عن معرض آخر. على أي حال، ليس لدي من اللوحات الآن ما يكفي لإقامة معرض، لذا لست على عجلة من أمري".

وصلت البيتزا، ودفعت سيلڤيا ثمنها، رغم أن غراي عرض عليها أن يدفع بنفسه. قالت له إن هذا هو بدل أتعابه لأنه أوقف تسرّب المياه. جلسا إلى طاولة المطبخ ليأكلا البيتزا، ويتحادثا بشكل مريح، ويتشاركا في شرب العــصير. أطفــأت سيلڤيا الأنوار، وأضاءت الشموع، وقدّمت البيتزا في صـــحون إيطالية جميلة. كل ما فعلته أو لمسته أو امتلكته بدا أنيقاً ومميّزاً، تمامــاً كمـــا بدت هي بشعرها المربوط على شكل ذيل الحصان، وبقدميها الحافيتين، وبسروال الجينز الذي ترتديه. لاحظ غراي أنها تضع في زندها السوار الأزرق نفسه الذي كانت تضعه في إيطاليا.

جلــسا هــناك لــوقت طــويل يتحدّثان عن أشياء مختلفة، واستمتعا بوجودهما معاً، وشعرت سيلڤيا بالسعادة لأنه أتى وساعدها في منع تسرّب المــياه. أخيراً، عند الساعة العاشرة، اعترف غراي أنه بدأ يشعر بالنعاس، إذ لم يتسنّ له بعد أخذ قسط من الراحة بعد السفر. نهض من خلف الطاولة وهو يشعر بالأسف. ساعدها في وضع الصحون في غسالة الصحون رغم أنها أصرت أنها ستتمكّن من فعل ذلك بمفردها بعد أن يغادر. أحبّ غراي أن يـــساعدها، ولاحظ أنها لم تكن متآلفة مع ذلك. كانت معتادة على القيام بكــل الأمور بمفردها، تماماً كما يفعل هو طيلة حياته. لكنه وجد أن القيام بالأمـــور سوياً هو أمر لطيف. شعر بالأسف لأنه سيغادر، فقد أحبّ البقاء معها. حين استدار نحوها وهو يغادر كانت تنظر نحوه أيضاً.

– "شكراً لقدومك غراي، وشكراً لمساعدتك. أنا أقدّر لك ذلك. لكنت أسبح في المطبخ الآن لو لم تقم بقطع المياه".

قـــال غـــراي بصدق: "أنت من اكتشف العطل، ومساعدتك في وقف تسرّب المياه كانت مجرّد حجة لكي أراك. شكراً على البيتزا وعلى الرفقة الجــيدة". اقتـــرب منها وعانقها، ثم قبّلها على وجنتيها. بعدها توقّف وراح

يــتأمّلها وهـــو يمسك بها، متسائلاً إن كان الوقت لا يزال مبكراً للقيام بما يـــدور فـــي رأسه. ظهر السؤال في عينيه، فقدّمت سيلڤيا له الجواب على الفـــور. اقتـــربت منه أكثر وشدّته نحوها. وما إن فعلت ذلك، حتى التقت شفاههما، وبدا من الصعب معرفة إن كانت هي من قامت بتقبيله أم هو من قـــبّلها. لكـــن ذلك لم يعد مهماً، فقد كانا يمسكان جيداً ببعضهما بعد مرور أســـابيع طـــويلة وهما بانتظار هذا اللقاء، وبعد أن عاشا لأشهر وسنين من الفـــراغ من قبل. كانت هذه قبلة تخطف الأنفاس وتطيل الحياة. حين أمسك غراي سيلڤيا بعد ذلك، أحنت رأسها وألقته على صدره.

همـــست قائلـــة: "آه! لم أكن أتوقّع أن أفعل هذا... اعتقدت أنك أتيت لتصلح المغسلة".

أجابهـــا قـــائلاً: "هذا صحيح. كنت أريد أن أقبّلك في إيطاليا، لكنني ظنـــنت أن الـــوقت مبكر جداً". أومأت سيلڤيا موافقة وهي تعلم أنه لو فعل لكان ذلك مبكراً فعلاً. أرادت مشاركته السرير أيضاً، لكن ذلك بالتأكيد يبدو مبكراً بشكل أكبر، نظراً للأعراف السائدة. فهما بالكاد يعرفان بعضهما منذ شهر، ولم يلتقيا معاً منذ أسابيع. كانت سيلڤيا لا تزال تتمتّع بقبلتهما الأولى، وكمـــا توقّعت، عاد غراي وقبّلها من جديد. كانت هذه القبلة أكثر حرارة، ولـــم تستطع سيلڤيا إلاّ أن تتساءل كم مرّة فعل ذلك مع نساء أخريات، وكم علاقـــة مـــرّ بها في حياته. تساءلت ما هو عدد النساء المجنونات اللواتي دخلـــن حـــياته بانـــتظار أن ينقذهن، وكم مرّة انتهت تلك العلاقات وبدأت علاقـــات أخرى من جديد. لقد عاش غراي حياةً كاملة وهو يمرّ بعلاقات تافهـــة، وكأنـــه فـــي دوّامة من النساء. أما هي فلم تحبّ في حياتها سوى رجلين، والآن أصبحوا ثلاثة رجال. فكّرت أنها لم تحبّه بعد، لكنها قد تفعل ذلـــك يوماً ما. أحسّت أن فيه شيئاً ما يجعلها تريد منه البقاء بقربها دائماً، من دون أن يغادر أبداً. تماماً مثل الرجل الذي دعته إلى العشاء ولم يغادر مطلقاً، بل انتقل للعيش هنا.

قـال غراي بصوت لطيف وجذّاب قام بإغرائها بمجرد سماعه: "من الأفـضل أن أذهب". هزّت سيلڤيا رأسها وهي تفكّر أنّ من الأفضل لها أن توافـق رغـم أنهـا لم تستطع أن تقتنع بذلك، لكنها فتحت له الباب فتردّد غراي بالخروج.

همـست تقول: "إن فتحت المياه غداً، هل ستأتي لتقطعها من جديد؟" نظـرت إلـيه ببـراءة، وقد بدا شعرها أشعث، وعيناها مليئتين بالدموع. ضـحك غراي ضحكة خفيّة، وقال متأمّلاً: "يمكنني فتح المياه الآن، وهكذا أعطي لنفسي عذراً لأبقى هنا".

قالـت له متظاهرة بالرزانة: "أنا لست بحاجة لعذرٍ ما، لكن لا أعتقد أنه يجدر بك البقاء".

– "لمَ تقولين هذا؟" مرّر يده فوق رقبتها وقبّلها. قامت بدورها بتمرير يدها في شعره، وجذبته إليها قليلاً.

– "أعـتقد أنّ هـناك كتاباً ما يتضمّن القواعد التي يجب اتباعها في الحـالات المـشابهة. أعـتقد أنه يقول: "يجب ألاّ نتشارك السرير معاً منذ الموعد الأول بعد أكل البيتزا وتصليح تسرّب المياه"".

– "تـباً! لو أنني عرفت ذلك لما أوقفت تسرّب المياه من المغسلة أو أكلـت البيتـزا". ابتسم لها واستمرّ بتقبيلها. رغبته بالحصول عليها فاقت رغبـته بأي امرأة من قبل. وتمكّن من رؤية رغبتها به أيضاً، لكنها علمت أنّ عليها ألاّ تفعل، مع أنها استمتعت بكل لحظة من عناقهما.

قالـت له بنعومة: "أراك غداً". بدا الأمر وكأنها تحاول إغاظته، مع أنهـا ليست كذلك. وقد تفاجأ لأنه أحب ما قالته. فكّر أنه سينتظرها إلى أن يحين الوقت المناسب. بالنسبة له الوقت مناسب الآن أو في أي وقت تريده. إنه مستعد للانتظار إن كانت سيلڤيا تفضّل ذلك. فهي تستحقّ الانتظار. لقد انتظر خمسين عاماً من أجلها.

همـس في أذنها يسألها: "في منزلي أو في منزلك؟" ثم تابع: "أودّ أن تأتـي إلـي، لكنني أعيش في فوضى عارمة. لقد رحلت لشهر كامل ولم يـنظّف أحـد المنـزل في غيابي. ربما سأقوم بالتنظيف في عطلة نهاية الأسـبوع. لمَ لا آتي غداً إلى هنا لأتفقّد مغسلتك؟" سيكون المعرض مقفلاً غداً بسبب عطلة عيد العمال، وسيلڤيا تنوي العمل في المنزل.

– "سأكون هنا طيلة النهار، تعال متى شئت. سأحضّر لك العشاء".

– "أنـا سأحـضّر العـشاء. أتّصل بك غداً". قبّلها مجدّداً، ثم غادر. وقفت سيلڤيا صامتة وهي تنظر نحو الباب بعد أن أغلقته. إنه رجل مميّز، وقد كانت هذه لحظات سحرية. دخلت إلى غرفة نومها، وكأنها تراها للمرة الأولى. تساءلت كيف كانت لتبدو لو كان غراي هنا.

حين خرج غراي إلى الشارع، واستقلّ سيارة الأجرة، شعر كأن كل شيء في حياته قد تغيّر في أمسية واحدة.

6

اتّصل غراي بسيلڤيا عند الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي. كانت شقته غارقة في فوضى عارمة، لكنه لم يكلّف نفسه حتى بتوضيب حقيبة سفره. لقد استلقى في مساء اليوم السابق في سريره وهو يفكّر فيها، وفي اللحظة التي استيقظ فيها قام بالاتصال بها. كانت سيلڤيا تعمل على بعض الأوراق، وابتسمت حين سمعت صوته.

سألا بعضهما إن كانا قد ناما جيداً. كانت سيلڤيا قد أمضت معظم الليل مستيقظة، وهي تفكّر فيه. أما هو فقد نام كالطفل.

– "كيف حال مغسلتك اليوم؟"

ابتسمت وهي تقول: "جيدة".

– "ربما الأفضل أن أمرّ عليك لأتفقّدها". ضحكت سيلڤيا، ثم تحدّثا لبضع دقائق. قال لها إن عليه ترتيب بعض الأشياء في منزله بعد الرحلة، لكنه عرض عليها إحضار الغداء لها عند الثانية عشرة والنصف.

قالت وهي تبدو متفاجئة: "اعتقدت أننا سنتشارك العشاء". كانت بالأمس قد أخبرته أنها ستمضي اليوم بكامله في المنزل، وبدا له في ذلك دعوة مضمرة.

قال لها بصدق: "لا أعتقد أن بإمكاني الانتظار طويلاً. لقد انتظرت خمسين عاماً لكي أجدك، تسع ساعات إضافية قد تقتلني". ثم سألها بتوتر:

"هل أنت حرة على الغداء؟" ابتسمت سيلڤيا وفكّرت أنها حرّة من أجل أي شيء يريده. لقد قرّرت حين قبّلها في الليلة السابقة أنها جاهزة لإدخاله إلى عالمها، ليشاركها حياتها. لم تعلم لما بدا الأمر مناسباً لها، لكن كل شيء فيه بدا كذلك. أرادت بشدة أن تكون برفقته.

– "أنا حرّة في أي وقت تأتي فيه".

– "هل أحضر معي شيئاً؟ جبنة أو معجنات؟"

– "لدي بعض الأغراض هنا. لست بحاجة إلى إحضار أي شيء". هناك أشياء كثيرة أرادت القيام بها برفقته. أرادت أن تمشي معه في الحديقة، وأن يتجوّلا حول البلدة، ويذهبا إلى السينما، ويستلقيا في السرير، ويشاهدا التلفاز معاً، ويخرجا لتناول العشاء. أرادت أن يبقيا معاً، في المنزل لتطهو له، وأن ترى أعماله وتريه المعرض، أو أن تبقى معه بكل بساطة في السرير وتتمسّك به. إنها بالكاد تعرفه، لكنها تشعر كأنها تعرفه منذ زمن بعيد.

في محترفه، قام غراي بفتح بريده. تفقّد فواتيره، وأفرغ حقائب سفره بشكل عشوائي، فترك معظم ثيابه مرمية على الأرض، وانتقى منها ما يريده. أخذ حماماً ساخناً، ثم حلق ذقنه، وارتدى ملابسه، وكتب بعض الشيكات بسرعة. خرج من المنزل وأرسل الشيكات بالبريد، ثم قصد متجر الأزهار الوحيد الذي وجده مفتوحاً. اشترى لها باقة كبيرة من الورود، واستقلّ سيارة الأجرة، وأعطى سائق السيارة عنوانها في سوهو. عند الظهر، كان يقف أمام باب منزلها وهو يقرع الجرس. كان السمكري قد غادر للتو، وحين رأت سيلڤيا باقة الورود اتّسعت عيناها من الصدمة.

– "آه، يا إلهي! إنها جميلة...! غراي لم يكن عليك إحضارها". لقد قصدت ما قالته فعلاً، فقد كانت تعلم أنه فنان فقير. جعلتها تلك اللفتة العطوفة والكريمة تنقلب رأساً على عقب. غراي هو فعلاً رجل رومنسي. فبعد حياة طويلة عاشتها مع النرجسيين، وجدت أخيراً، ليس رجلاً تهتم لأمره فحسب، بل رجلاً تعني له هي الكثير أيضاً.

قال بأسف: "لو أن إمكانياتي تسمح لي، لأرسلت لك وروداً مماثلة كل يوم. لكن قد تكون هذه الباقة الوحيدة لفترة ما". كان عليه أيضاً أن يدفع الإيجار، وفواتير الهاتف، فبطاقة السفر إلى فرنسا كلّفته مبلغاً باهظاً، وما كان ليسمح لشارلي بدفعها، فأقل ما يمكنه فعله هو دفع ثمن وصوله إلى هناك. كان يأمل أن يستقلّ الطائرة الخاصة مع آدم في رحلة العودة، لكن آدم اتّجه من أوروبا مباشرة إلى لاس فيغاس، ثم ذهب إلى بريطانيا ليرى ولديه. "أردت أن أحضر لك الورود اليوم، لأن هذا اليوم مميّز".

– "ولِمَ هو كذلك؟" سألته وهي ما زالت تحمل الأزهار بين ذراعيها، وتنظر نحوه بعينين واسعتين. بدَت متحمسة، لكنها بدت خائفة قليلاً أيضاً.

– "لأن اليوم هو البداية... نحن نبدأ من هنا... كل شيء يبدأ الآن. بعد اليوم لا أحد منا سيكون هو نفسه من جديد". نظر غراي نحوها، ثم أخذ الباقة منها، ووضعها على طاولة قريبة. أخذ سيلفيا بين ذراعيه وقبّلها، وبقي ممسكاً بها. شعر بجسدها يرتجف. نظر نحوها وهو يقول بلطف: "أريدك أن تكوني سعيدة، أريد أن يكون الأمر جيداً لكلينا". أراد أن يعوّضها الألم وخيبة الأمل اللذين عانت منهما، كما أراد أن يعوّض نفسه السخف والإساءة اللذين عاشهما في حياته من قبل. كانت هذه فرصتهما ليقوما بالعمل الصحيح، ويحدثان تغييراً في حياة بعضهما.

ذهبت سيلفيا لتضع الورود في الزهرية، ثم وضعتها على الطاولة في غرفة الجلوس. نادته وهي تشير نحو المطبخ قائلة: "هل أنت جائع؟" تبعها غراي، ووقف عند الباب يبتسم لها. بدت جميلة جداً. كانت ترتدي قميصاً بيضاء اللون وسروال جينز. ومن دون أن يقول أي كلمة، اقترب منها، وبدأ بفك أزرار قميصها. وقفت سيلفيا جامدة في مكانها ولم تقم بأي حركة، بل أخذت تُراقبه. بدت كاملة الأوصاف، إذ لا يظهر على بشرتها أي أثر للتقدم في السن. كان الشباب ينضح من جسدها الرياضي المشدود الذي لم يرَه أحد منذ فترة طويلة. قدّر غراي جمالها كأنها تحفة فنية أو

كأنها إحدى لوحاته. لم يكن في حياتها أي رجل يقدّر من تكون وما الذي تشعر به، ليهتمّ بحاجاتها وبما تريده. شعرت كأنها كانت بمفردها منذ ألف سنة، وأنه جاء أخيراً لينضمّ إليها. بدا الأمر لسيلفيا وكأنه يشاركها في رحلة ما، مصيرهما فيها ليس معروفاً لكنهما مسافران على دروب تلك الرحلة معاً.

أمسكها غراي من يدها واصطحبها إلى غرفة نومها. استلقيا في السرير بهدوء، وذابا في أحضان بعضهما البعض. بدا الأمر كرقصة يتقنانها معاً وقد تناغمت إيقاعاتهما فيها. توقّف الوقت بالنسبة إليهما، وبعد أن مارسا الحب، استلقت بين ذراعيه صامتة تقبّله وتبتسم.

همست له قائلة: "شكراً لك". ضمّها غراي إليه أكثر، وابتسم لها قائلاً: "كنت بانتظارك منذ وقتٍ طويل. لم أعرف أين أجدك... لكنني كنت واثقاً أنني سأجدك يوماً في مكان ما".

لم يكن لدى سيلفيا التوقع نفسه، فقد فقدت الأمل منذ بضع سنوات بإيجاد الشخص المناسب لها. منذ سنوات باتت مقتنعة أنه قُدّر لها تمضية حياتها بمفردها. كان حضوره في حياتها بمثابة هدية توقّفت عن توقعها منذ زمن بعيد، ولم تعد تعرف حتى أنها تريدها. والآن هاهو هنا في حياتها، في رأسها، في قلبها، وفي كل أنحاء جسدها. لقد أصبح غراي جزءاً منها إلى الأبد.

بقيا مستلقيين في السرير حتى غرقا في النوم. استيقظا بعد مرور ساعات وهما يشعران بالرضى والسعادة. أخيراً قاما ومشيا نحو المطبخ ليحضّرا الغداء معاً. أخذا الطعام إلى السرير، وأكلا هناك وهما يتحدّثان ويضحكان. كل شيء بينهما بدا بسيطاً وسهلاً ومضحكاً.

بعد ذلك أخذا حماماً ساخناً، وخرجا في جولة طويلة سيراً على الأقدام حول سوهو. توقّفا عند بعض المتاجر، وتفرّجا على المعارض الفنية، ثم اشتريا الهلام وتشاركا في أكله. كانت الساعة قد قاربت السادسة

مساءً حين عادا أخيراً إلى شقتها بعد أن استأجرا فيلمين قديمين. تمددا في السرير وشاهدا الفيلمين معاً. ثم مارسا الحب. عند الساعة العاشرة نهضت سيلفيا من السرير، وحضّرت له العشاء.

حين عادت إلى السرير وهي تحمل صينية العشاء لتقدّمها له، قال لها: "أريدك أن تأتي إلى منزلي غداً". حضّرت له البيض المخفوق مع الجبن والحلوى الإنكليزية. بدت هذه أفضل نهاية لهذا النهار المميّز. إنه يوم لن ينساه غراي وسيلفيا إلى الأبد. كان أمامهما الكثير ليكتشفاه في بعضهما البعض.

قالت سيلفيا وهي تفكّر في الموضوع من جديد فيما هما يتناولان البيض: "أودّ كثيراً أن أرى أعمالك".

– "لهذا أريدكِ أن تأتي إلى منزلي".

– "عليّ أن أكون في المعرض عند الظهر، لكن يمكننا الذهاب إلى منزلك في الصباح".

قال وهو يبتسم: "أحبّ ذلك كثيراً!" انتهيا من تناول العشاء، وأطفأا التلفاز، ثم استغرقا في النوم وهما يحتضنان بعضهما البعض.

همست له مجدداً: "شكراً لك غراي". كان غراي شبه نائم عندها، فابتسم لها فقط وهزّ رأسه. قبّلته بلطف على وجنته، واقتربت منه أكثر. وبعد لحظات كانا يغطّان في نوم عميق بسلام وسعادة تماماً كالأطفال.

7

استيقظت سيلفيا باكراً في صباح اليوم التالي، ورأت أن غراي ينام بقربها. للحظة، شعرت بالذهول، لكنها بعد ذلك استلقت بجانبه وهي تبتسم لما حدث بالأمس. إن حدث أي شيء جدي بينهما فسيكون ذلك تغييراً جذرياً بالنسبة لها، وكذلك له. فهو لم يحصل يوماً على امرأة عاقلة طبيعية في حياته، أمّا هي فلم تحظَ برفيق وشريك لحياتها منذ سنوات طويلة.

خرجت من السرير بسرعة، وذهبت لتستحمّ، تاركة إياه ينام لأطول وقت ممكن، ثم حضّرت الفطور لكليهما، بعد ذلك أيقظته، وقدّمت له الطعام في السرير. بدا ذلك مختلفاً تماماً عن تصرّف النساء اللواتي عرفهن من قبل. أولئك النساء اللواتي اهتمّ بهن واعتنى بصحتهن بإعطائهن الدواء وتحضير الطعام لهن، لأنهن كن ضعيفات وغير قادرات على تحمّل مسؤولية أنفسهن. نظر غراي إلى سيلفيا بدهشة، وهي تضع الطعام على السرير وتقبّل كتفه. بدا وسيماً وجذاباً وهو يستلقي في سريرها، رغم أن شعره لم يكن مسرحاً.

أحبّت سيلفيا مظهره، فقد بدا قوياً ومثيراً للاهتمام وذكورياً جداً.

– "هل متُّ وانتقلت إلى الجنّة، أم هذا مجرّد حلم؟"

وضع يديه خلف رأسه وهو يبتسم لها، وتابع يقول: "لا أعتقد أنني سبق وحصلت على الفطور في السرير إلاّ عندما تناولت مرّة بيتزا باردة

موجودة عندي منذ يومين موضوعة على منديل ورقي".

وضعت سيلفيا أيضاً زهرية صغيرة فيها وردة على الصينية. شعرت بالمتعة لأنها تدلّله. إنها تفتقد وجود شخص في حياتها لتهتمّ به وتعتني براحته. لقد أمضت معظم حياتها وهي تعتني بزوجٍ وولدين. والآن رحل الجميع عنها، لذا شعرت بالحماسة لكي تهتمّ بغراي.

اعتذرت منه قائلة: "آسفة لأنني أيقظتك". كانت الساعة قد أصبحت العاشرة صباحاً، وهي تريد أن تذهب معه إلى محترفه قبل أن تذهب إلى عملها كما قرّرا بالأمس. حدّق غراي في الساعة برعب.

- "يا إلهي! في أي ساعة استيقظت؟"

- "عند الساعة السابعة. قلّما أنام حتى وقت متأخر".

ابتسم لها وقال: "أنا أيضاً. لكنني نمت كالأطفال هذه الليلة". ثم نهض ليمشّط شعره وينظف أسنانه. عاد بعد بضع دقائق، وجلس في سريرها المريح. وضع أمامه الصينية، وقال: "ستفسدينني بهذا الدلال سيلفيا. سأصبح بديناً وكسولاً". شكّت سيلفيا أن يحصل هذا. لكنّها كانت تستمتع برفقته، وتستمتع بالقيام بذلك من أجله. قدّمت له الصحيفة التي كانت قد قرأتها في المطبخ حين شربت القهوة وتناولت التوست. نظر إليها قليلاً ثم وضعها جانباً. كان غراي يفضّل التحدّث مع سيلفيا على قراءة الصحيفة.

راحا يتحدّثان معاً بينما كان غراي يتناول فطوره، بعدئذ نهض غراي واستعدّ للخروج كي يذهبا إلى محترفه، وذلك عند الساعة الحادية عشرة. خرجا من شقتها وهما يمسكان بيدي بعضهما. شعرت سيلفيا كأنها مراهقة تعيش قصة حب رومنسية. مرّ وقت طويل على إحساسها بشعور مماثل، لذا كانت تستمتع بكل دقيقة تعيشها الآن. راحت تبتسم فيما هما يتمشيّان تحت أشعة شمس أيلول. أوقف غراي سيارة أجرة، وبعد أن قاما بجولة قصيرة وصلا إلى شقته. صعدا الطوابق الأربعة مشياً على السلالم

في المبنى القديم المتداعي ذي الحجارة البنية اللون، واعتذر غراي مسبقاً عن الفوضى التي تعمّ منزله.

- "لقد رحلت لمدة شهر، ولأكون صادقاً، كان المنزل في حالة فوضى حتى قبل أن أرحل. في الواقع... إنه في حالة فوضى منذ سنوات طويلة". ابتسم غراي ابتسامة عريضة، وقد كادت أنفاسه تنقطع بينما وصلا إلى منزله. حياته بكاملها كانت تعمّها الفوضى، لكنه لم يخبرها بذلك. لطالما كان بمثابة دعامة تساند النساء اللواتي عرفهن من قبل، لكن مقارنة بسيلفيا فقد بدا غير منظم وفوضوياً جداً. إنها تدير معرضاً ناجحاً، وقد حظيت بعلاقتين طويلتين في حياتها، وربّت ولدين طبيعيين معافيين حتى أصبحا راشدين. كل شيء في حياتها وفي شقتها بدا خالياً من العيوب، ومنظماً ومرتباً. حين فتح باب شقته، بالكاد تمكّنا من الدخول عبر الباب. إحدى حقائب سفره كانت تعيق طريقهما، وكان هناك أيضاً طرد كبير أحضره مسؤول المبنى، ومجموعة من الرسائل البريدية التي وقعت وانتشرت فوق الأرض. كم أن الفواتير التي دفعها في اليوم السابق كانت مبعثرة فوق طاولة كبيرة، كما كانت هناك مجموعة من الملابس المكوّمة فوق الأريكة، أمّا نباتاته فكانت يابسة، وكل ما في الشقة بدا مستهلكاً وغارقاً في الفوضى. بدت الشقة مريحة، ذات لمسة ذكورية واضحة. فالمفروشات ذات مظهر قديم رغم غطاء القماش المنجد. لقد اشترى غراي كل أغراضه من متاجر الأغراض المستعملة. كانت هناك طاولة طعام مستديرة في زاوية الغرفة حيث يستقبل أصدقاءه للعشاء أحياناً، وأمامها بدت الغرفة التي كان من المفترض أن تكون غرفة طعام لكنه حوّلها منذ البداية إلى محترف. تلك الغرفة كانت سبب مجيء سيلفيا إلى منزله.

مشت مباشرة نحو تلك الغرفة، فيما حاول غراي دون جدوى ترتيب المكان، لكن سرعان ما أدرك أن تلك مهمة مستحيلة. وبدلاً من القيام بالترتيب، لحق بها إلى الغرفة الثانية ووقف يراقب ردات فعلها إزاء

أعماله. كانت في الغرفة ثلاث لوحات مرفوعة فوق حاملات اللوحات وهي في مراحل مختلفة من العمل. الأولى كانت على وشك الانتهاء، والثانية بدأ برسمها قبل أن يسافر مباشرة، أمّا الثالثة فهو ما زال يخطّط لإجراء بعض التعديلات عليها لأنه يعتقد أنها غير صالحة. كانت هناك أيضاً دزينة أو أكثر من اللوحات المرصوفة بجانب الحائط. شعرت سيلڤيا بالذهول لجمال أعماله، والقوة التي تتجلّى فيها. بدت جميعها غاية في الدقة، ألوانها داكنة في معظم الأحيان مع وجود نور استثنائي فيها. واحدة من اللوحات كانت عبارة عن وجه امرأة في رداء قروي من العصور الوسطى، وكأنها مستوحاة من لوحة فنية بريشة معلّم قديم. بدت لوحاته جميلة حقاً. التفتت سيلڤيا نحوه وقد ظهرت على وجهها نظرات التقدير والإعجاب. كانت أعماله مختلفة تماماً عمّا تعرضه في معرضها، وهو عبارة عن لوحات حديثة وغير ناضجة.

كانت سيلڤيا مولعة بالفنانين الناشئين لذا فإن ما تعرضه في صالتها هو أعمال سهلة وممتعة للنظر. لكنها كانت تبيع أيضاً أعمال بعض الفنانين الشباب الناجحين، إلاّ أن أياً منهم لا يضاهي غراي وبراعته والخبرة التي تظهر في أعماله. علمت سيلڤيا أن غراي رسام من الطراز الأول، فما رأته الآن من أعماله بدا ناضجاً وحكيماً وفيه غنًى كبير. وقفت بجانبه تنظر إلى تلك الأعمال، وكأنها تريد أن تشرب من جمالها وروعتها.

"إنها مدهشة فعلاً!" فهمت الآن لما يقوم برسم لوحتين أو ثلاث فقط كل عام، حتى العمل على أكثر من لوحة في الوقت نفسه كما يفعل باقي الرسامين كان يأخذ منه عدّة أشهر، وحتى عدّة سنوات لكي ينهيها جميعها. تابعت تقول: "شعرت كأن عاصفة تجتاحني". بدا غراي مسحوراً بردّة فعلها. إحدى اللوحات أظهرت مشهد مياه فاتناً، تنعكس عليه أشعة الشمس في آخر النهار. يغريك ذلك المشهد بأن تقف أمامه وتحدّق فيه إلى الأبد. علمت سيلڤيا وهي تنظر إلى أعماله أنه بحاجة إلى معرض هام أكثر من

معرضها، ليرى أعماله ويعرضها له. كان غراي يعرف نوع الأعمال التي تعرضها، لكنه أرادها أن ترى أعماله لتعرف ما الذي يقوم برسمه. إنه يملك احتراماً شديداً لنظرتها إلى تاريخ الفن، وحتى إلى الفن الحديث. علم أنها إذا تفاعلت مع أعماله باستحسان فسيكون ذلك ثناءً كبيراً له. سواء أحبّت أعماله أم لا، فهذا هو النمط الذي يقوم بتقديمه. قالت له بحزم: "عليك إيجاد معرض يقدّرك، غراي". أخبرها أن لا أحد يعرض أعماله أو يمثّله منذ ثلاث سنوات تقريباً! إنه يبيع أعماله لأشخاص اشتروا من لوحاته من قبل، أو لأصدقاء كشارلي الذي اشترى عدداً كبيراً من لوحاته، وهو يعتقد أنها رائعة جداً. تابعت سيلڤيا تقول: "إنّ تركها هنا من دون مكان يحتضنها هو جريمة بحدّ ذاته". كانت هناك مجموعات كبيرة جداً من اللوحات الملقاة بجانب الحائط.

- "أنا أكره كل الوكلاء الذين التقيت بهم. إنهم لا يعطون أي أهمية للعمل بحد ذاته بل للربح فقط، لذا لا أرغب بتسليم أعمالي لهم. فالمسألة ليست مسألة مال، على الأقل بالنسبة لي". تمكّنت سيلڤيا بسهولة أن ترى ذلك من خلال الحياة التي يعيشها.

وبّخته بلطف قائلة: "لكن عليك أن تؤمن لقمة عيشك، كما أن الوكلاء ليسوا جميعاً جشعين وغير مسؤولين. هناك من يهتمّ فعلاً بما تقدّمه من فن جميل. أنا أفعل ذلك. ربما أنا لا أبيع أعمالاً بهذه الجودة والبراعة، لكنني يؤمن بالأعمال التي أعرضها وبالفنانين الذين يقدّمونها. إنهم موهوبون أيضاً على طريقتهم الخاصة. إنهم يعبّرون عن موهبتهم بطريقة مختلفة".

- "أعلم أنك تهتمّين لتلك الأعمال، فذلك واضح جداً، ولهذا السبب أردت أن تشاهدي أعمالي. لو كنت مثل الآخرين، لما دعوتك للمجيء إلى هنا. في الواقع، لو كنت مثلهم لما وقعت في حبك أيضاً". كانت تلك العبارة مميّزة بعد ليلتهما الأولى معاً. للحظة، لم تجب سيلڤيا. لقد أحبّت التواجد معه، وأرادت التعرف عليه أكثر. بدا الأمر جدياً بالنسبة لها أيضاً، لكنها لم

تستطع أن تعرف إن كانت قد وقعت في حبه. مهما كانت متحمسة للبقاء معه، بدا لها أن الوقت لا يزال مبكراً لقول ذلك، كما كان مبكراً بالنسبة إليه أيضاً، لكنه كان يقوم بخطوات سريعة أكثر ممّا كان قد خطط سابقاً. وكذلك فعلت سيلفيا. فرؤية أعماله والتعرّف إلى حسّه المرهف، جعلاها تهتمّ لأمره أكثر. نظرت إليه بطريقة تتجاوز ما يعبّر عنه الكلام، فأخذها بين ذراعيه وقبّلها.

همست له: "أنا أحبّ أعمالك غراي".

فمازحها قائلاً: "أنت لست وكيلتي، لذا كل ما عليك أن تحبّيه هو أنا".

قالت له بصدق: "أنا أصل إلى هناك". في الواقع كانت تصل إلى ذلك أسرع ممّا توقّعت.

فأجابها بوضوح: "وأنا أيضاً".

وقفت تتأمّل لوحاته للحظات طويلة وكأنها في كوكب آخر. وكأن عقلها يسافر ملايين الأميال في دقيقة.

– "أريد أن أجد معرضاً لك. يمكننا أن نذهب للبحث هذا الأسبوع لنرى ما الذي سيعجبك. وما الذي ستفكّر به حين ترى الوكلاء".

قال بتواضع: "لا يهمّ ما الذي أفكّر به. الأمر يعتمد على ما يفكرون هم به أيضاً. لا تقلقي بشأني، فأنت لديك ما يكفي من العمل، وأنا لا أمتلك مجموعة كاملة لأعرضها". لم يكن غراي يريد الاستفادة من علاقات سيلفيا ومعارفها، فما شعر به تجاهها كان أمراً شخصياً وخاصاً، ولا علاقة للعمل فيه. إنه لا يريدها أن تكون باباً لفتح علاقات مع الآخرين، وهي تعرف ذلك جيداً.

– "بحق الله! كيف تقول بأنك لا تمتلك مجموعة كاملة لتعرضها؟" قالت ذلك بقوة، كأنها توجّه كلامها لأحد الفنانين الشباب الذين تعرض لهم. إذ غالباً ما تفعل ذلك بصفتها وكيلتهم من جهة، ولدفعهم إلى الأمام كأم لهم من جهة ثانية. لكنّ الكثيرين منهم كانوا بحاجة إلى تلك الدفعة، فقلائل هم

من يدركون أهمية الموهبة التي يملكونها وهؤلاء ليسوا من الموهوبين في العادة. فالذين يتباهون بأنفسهم نادراً ما يكونون موهوبين فعلاً.

قالت بلطف وهي تحرّك الأغراض لترى اللوحات المكدسة جانباً: "انظر إلى كل هذا". إنها لوحات رائعة بجمال اللوحات الموضوعة فوق الحاملات، بل ربما أفضل منها.

بدا كأنه ينجز أعماله دائماً مستنيراً بشمعة مضاءة أو نارٍ قوية. لم ترَ سيلفيا مطلقاً في الأعمال الحديثة جودة كجودة الإضاءة في لوحاته.

بدت لوحاته كأنها آتية من عصر النهضة الفنية الأوروبية، أو كأنها مرسومة بيد أحد الفنانين القدامى والمعلمين الكبار، لكنها رغم ذلك حملت نفحة من العصر الحديث. بدت التقنية العالية واضحة، وهي فن مفقود هذه الأيام. علمت أنه درس في باريس وإيطاليا، تماماً كما تفعل ابنتها. لقد أعطاه ذلك أساساً راسخاً يبني عليه فنّه المميّز. كرّرت سيلفيا القول: "غراي، علينا أن نجد لك معرضاً، سواء أحببت ذلك أم لا".

سبق لغراي أن استخدم هذه الطريقة مع بعض نسائه السابقات ليساعدهن على إيجاد معرض أو وكيل أو عمل، لكنه كان يحصل دائماً على كارثة ما في النهاية. لم يعرض عليه أحد يوماً المساعدة باستثناء شارلي. لكن غراي لا يحبّ أن يفرض نفسه على أحد، لا سيّما أصدقاؤه والأشخاص الذين يحبّهم.

– "أنا لست بحاجة إلى معرض. صدّقيني سيلفيا".

– "ماذا لو وجدت لك معرضاً تحبّه؟ هل ستلقي عليه نظرة على الأقل وتتكلّم مع الوكيل؟" راحت تضغط عليه، لكنه أحبّها أكثر بسبب ذلك. هي لن تكسب شيئاً من هذا، أرادت فقط أن تساعده تماماً مثلما فعل مع الآخرين لفترة طويلة. ابتسم غراي لها، وهزّ رأسه. لقد فكّرت مسبقاً بمن ستتصل، فهناك ثلاثة احتمالات على الأقل تبدو مناسبة تماماً له. علمت سيلفيا أنها لو فكّرت أكثر لوجدت معارض هامة في الجزء الأعلى من

المدينة تعرض أعمالاً شبيهة بأعماله. بالتأكيد هي لن تفكر بمعارض سوهو كمعرضها مثلاً. إنه بحاجة إلى مكان مختلف تماماً كلندن ونيويورك. المعارض المناسبة له هي تلك التي لها اتصالات مع مدن أخرى. إنه ينتمي إلى تلك المعارض برأيها.

قال غراي بلطف وهو يعني تماماً ما يقول: "لا تقلقي بهذا الشأن. لديك ما يكفي من الهموم، وأنت لا تحتاجين إلى مشاريع أخرى. لا أريد أن أزيد من أثقال عملك. أريد فقط أن أكون بقربك".

قالت وهي تبتسم له: "وأنا أيضاً". لكنها أرادت أن تساعده أيضاً. ولمَ لا؟ إنه يستحق ذلك. تعرف سيلڤيا أن الفنانين هم رجال أعمال فاشلون جداً وغير قادرين على بيع أعمالهم الخاصة، لهذا يتعاملون مع الوكلاء. وغراي بحاجة إلى وكيل، وهي مصرّة على مساعدته فيما تتمنّى أن تحصل في الوقت نفسه على علاقة معه، لكن ذلك سيتقرّر مع الوقت. سواء كانت ستقيم علاقة معه أم لا، فهذا ليس له صلة بمدّ يدها له لإرشاده إلى معارض تقدّر فنّه. إنها تعرف الجميع تقريباً في عالم الفنون في نيويورك. لقد أثبتت أنها صادقة وجديرة بالاحترام، فأصبحت الأبواب مفتوحة أمامها بسهولة. إن فتحت الباب المناسب أمام غراي، فسيصبح بيده كل ما تبقّى. كل ما أرادت فعله هو تأمين الطريق الصحيح له، وهو هدف محترم جداً بينهما، حتى وإن اتّضح أن علاقتهما هي مجرّد صداقة مرّا خلالها في علاقة عاطفية قصيرة جداً.

حدّقت سيلڤيا في ساعة يدها. كان الوقت قد اقترب من ساعة الظهيرة. وأصبح عليها الذهاب إلى مكتبها. وعدها غراي أن يتّصل بها لاحقاً وهو يقبّلها قبلة الوداع. بعد لحظات كانت تتّجه نزولاً على السلالم حين ناداها.

صرخ عبر السلالم قائلاً: "شكراً لك". فنظرت نحوه بابتسامة عريضة، ولوّحت له، ثم رحلت.

حصلت بلبلة في المكتب حالما وصلت سيلڤيا، إذ اتّصل فنانان ثائران يسألان عن معرضهما المقبل. كما اتّصل أحد الزبائن وقد بدا غاضباً لأن إحدى اللوحات التي اشتراها لم تصله بعد. واتّصل آخرون يسألون عن عمولة لم يقبضوها بعد. أمّا الموزّع فقد تعرّض لحادث سير على دراجته النارية، فكسر ذراعيه، وهو لن يتمكّن من تنظيم المعرض المقبل. كان لدى سيلڤيا اجتماع مع أحد مصممي الإعلانات في فترة بعد الظهر، ليتناقشا حول النشرات الدعائية للمعرض المقبل. كان عليها أن تنتهي من تنفيذ تلك الإعلانات قبل الموعد الأخير لنشرها في المنتدى الفني، لكن المصور لم يرسل إليها بعد صور المنحوتة التي ستنزل في الإعلان. لم تتمكّن سيلڤيا من التنفس حتى الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم. لكن حالما فعلت، أجرت بعض الاتصالات لمساعدة غراي. بدا الأمر أكثر سهولة ممّا اعتقدت، فالوكلاء الذين اتّصلت بهم يثقون بسمعتها وبذوقها وبحكمها على الأعمال الفنية. معظم الأشخاص الذين عرفوها رأوا أنها تملك نظرة جيدة وغريزة قوية في الفن المميّز. اثنان من الوكلاء الذين اتّصلت بهم طلبا منها إرسال نسخ عن بعض أعماله، فيما تبيّن أن الوكيل الثالث سيعود إلى منزله تلك الليلة من باريس، لذا تركت له رسالة لكي يتّصل بها. اتّصلت سيلڤيا بغراي حالما انتهت من إجراء تلك المكالمات. إنها امرأة المهمات! ضحك غراي حالما سمع صوتها، فقد بدت له كالإعصار لشدة حماستها.

أخبرها أنه يملك نسخاً مصورة لأعماله. ولو لم يكن يملكها، لكانت سترسل إليه مصوراً ليلتقط صور اللوحات على الفور.

- "لدي بعض النسخ، ان كان هذا ما تريدينه".

قالت بفرح: "سيكون ذلك كافياً الآن". أخبرته أنها سترسل ساعياً ليحضر تلك النسخ بعد نصف ساعة من منزله.

- "أنت لا تعبثين أبداً في العمل، أليس كذلك؟"

– "ليس في الأعمال الجيدة كأعمالك. بالإضافة إلى ذلك..." تباطأت قليلاً في الكلام، وذكّرت نفسها لدقيقة أن كلامها لم يعد كلام عملٍ بل كلاماً رومنسياً فقالت: "أريد أن تحدث معك أشياءً جميلة".

– "سبق أن حدث ذلك معي في بورتوفينو، أما الباقي فكله على الهامش".

– "حسناً! إذاً دعني أهتمّ بذلك الهامش". قالت ذلك بثقة، بينما ابتسم غراي.

– "سيكون ذلك من دواعي سروري". لقد أحبّ غراي اهتمامها به، فهو أمر غير مألوف لديه. لم يكن يريد استغلالها، لكنه كان منذهلاً برؤيتها تعمل، وبرؤية كيفية سير حياتها. إنها ليست من النساء اللواتي ترهبهن العوائق، أو اللواتي يقبلن بالفشل والانهزام. إنها تستعدّ وتواجه العمل مهما كانت المهمة التي بين يديها صعبة. وصل الساعي إلى منزل غراي في تمام الرابعة والنصف، وأحضر الصور لسيلڤيا. عند الخامسة كانت الصور قد أصبحت في أيدي الوكيلين اللذين اتّصلت سيلڤيا بهما وأخبرتهما عن أعمال غراي مع رسالتين مرفقتين بها. غادرت المعرض عند الساعة السادسة، وحالما وصلت إلى المنزل اتّصل غرايٍ بها واقترح أن يتناولا العشاء معاً. أراد أن يأخذها إلى مطعم إيطالي صغيرٍ في الحي الذي يقطن فيه. شعرت سيلڤيا بالذهول هناك، فقد كان المكان مضحكاً وحميماً، وبدا الطعام لذيذاً. أحسّت بالارتياح عند رؤية لائحة الأسعار، إذ رأت أنه مكان منخفض الأسعار أيضاً. لم ترغب بأن ينفق غراي أمواله عليها، لكنها لم تشأ أيضاً أن تشعره بالإهانة فتعرض عليه أن تدفع عنه الحساب. خمّنت أنهما سيقومان بطهو الكثير من الطعام لبعضهما في المستقبل. بعد العشاء اصطحبها إلى منزلها وبقي عندها وغرقا في ما أصبح روتيناً جميلاً.

حضّرا الفطور معاً في صباح اليوم التالي، وهذه المرة قام هو بتقديمه لها في السرير. قال إنّ دورها حان لتحصل على الدلال، ولم تكن

سيلڤيا قد جرّبت من قبل أمراً مماثلاً. لكن هذه المرة، هما شريكان يفسدان بعضهما البعض ويدلّلان بعضهما، ويستمعان إلى بعضهما، ويتناقشان في ما يفكران به. حتى اللحظة بدا كل شيء رائعاً، لكن سيلڤيا خشيت من التفكير بالمستقبل، ومن بناء آمال كبيرة قد تكون أكبر بكثير من حدود علاقتهما في الواقع. لكن مهما كان الأمر وإلى أي وقت استمرّ، فهو يلائمهما الآن، وهو كل ما يريدانه في هذه اللحظة، فممارسة الحب بدت أمراً رائعاً. إنهما الآن راشدان بما يكفي، ولديهما خبرة كبيرة، وهما يعرفان كيف يهتمّان ببعضهما، وكيف يرضي أحدهما الآخر. لم يكن في العلاقة أي أثر للأنانية. لقد استمتعا بإسعاد بعضهما سواء كان ذلك في السرير أم خارجه. فبعد حياة طويلة من الأخطاء أصبحا أكثر حكمة وتمرّساً، تماماً كالنبيذ الممتاز الذي تخمّر جيّداً عبر السنين فأصبح لذيذاً ونابضاً بالحياة. قد يعتقد ولداها أنهما عجوزان، لكنهما في الواقع في العمر الأفضل للاستمتاع وتقدير بعضهما. لم تكن سيلڤيا يوماً أكثر سعادة في حياتها، وكذلك غراي.

الوكيلان اللذان أرسلت إليهما صور لوحات غراي اتّصلا بها في اليوم نفسه. كلاهما كانا مهتمين، وأرادا رؤية عيّنة من لوحاته. أما الوكيل الثالث فاتصل بها بعد يومين من وصوله من باريس، وطلب رؤية عيّنة أيضاً. أخبرت سيلڤيا غراي عن تلك الاتصالات حين كانا يتناولان العشاء.

قالت له سيلڤيا وقد بدت متحمسة جداً: "يبدو أنه سيكون لديك عدة خيارات". شعر غراي بالذهول. خلال بضعة أيام فقط انتشلته سيلڤيا من سباته، فأخذت صوراً عن أعماله إلى الأماكن المناسبة، وفتحت أمامه عدة أبواب.

قال لها وعيناه تبوحان بأكثر من كلامه: "أنت امرأة مدهشة سيلڤيا!"

– "وأنت رجل مدهش أيضاً، وفنان استثنائي". اتّفقت معه على موعد بعد ظهر يوم السبت لأخذ لوحاته إلى المعارض الثلاثة، قائلة إن بإمكانه

استخدام شاحنتها لنقلهما. وتماماً كما وعدته، ظهرت صباح ذلك اليوم وهي ترتدي قميصاً جميلة وسروال جينز، لتساعده في نقلها. أمضيا ساعتين وهما ينقلان كل ما أراد غراي نقله إلى الأسفل. شعر غراي بالخجل لأنه جعلها تعمل معه. سبق لها أن لعبت دور الأم الحنون معه، لكنه كره فكرة أن يجعلها تعمل في نقل الأغراض أيضاً.

كانت سيلڤيا قد أحضرت معها كنزة وحذاءً مناسبين لتستعملهما عندما يذهبان إلى المعارض، حيث كان الوكلاء بانتظارهما. مع حلول الساعة الخامسة كان الأمر قد انتهى، وأصبح أمام غراي ثلاثة عروض من أشخاص أبدوا إعجابهم بأعماله. لم يستطع أن يصدّق ما فعلته لأجله، وكان على سيلڤيا أيضاً أن تعترف بأنها شعرت بالرضى.

قالت وهي تبتسم له: "أنا فخورة بك جداً". كان كلاهما مرهقين، لكنهما كانا سعيدين أيضاً. استغرقهما العمل ساعتين لإعادة لوحاته إلى شقته. لم يكن غراي قد اتّخذ قراره بعد بشأن أي معرض سيختار. لكنه فعل تلك الليلة، ورأت سيلڤيا أنه قام بأخذ القرار الصحيح. اختار معرضاً يقع في الشارع 57، لديه فرع ضخم في لندن، ويتبادل الأعمال مع عدد من المعارض في باريس. بدا ذلك ممتازاً له، وقالت له سيلڤيا إنها سعيدة لحسن اختياره.

قال وهو يبتسم لها: "أنت مذهلة!" لم يعرف إن كان عليه أن يضحك أم يبكي، فقد بدا متأثراً جداً بما فعلته من أجله. كانا يجلسان فوق الأريكة في غرفة الجلوس في منزله وهو يقول لها ذلك. بدت الغرفة غارقة في فوضى عارمة أكثر ممّا بدت عليه في بداية الأسبوع. فقد أمضى غراي الأسبوع بكامله وهو يرسم، وقد شعر بالإلهام بفضل نشاطها وحيويتها، لذا لم يرهق نفسه بترتيب المكان أبداً. لم تهتّم سيلڤيا للفوضى، ولم تبدُ كأنها لاحظتها حتى، وأحبّ غراي تلك الناحية فيها. في الواقع، لم يكن هناك شيء لم يحبّه فيها. فبالنسبة له بدت سيلڤيا المرأة المثالية، وأراد هو أن

يكون الرجل المثالي لها، ويعطيها كل ما احتاجته ولم تحظَ به يوماً. لم يكن بإمكانه القيام بالكثير من أجلها، إلاّ أن يكون دائماً بقربها، وأن يحبّها، وهو أمر أراد أن يفعله بشدة. قال بهدوء وهو ينظر إليها: "أنا أحبّك سيلڤيا".
أجابته سيلڤيا بنعومة: "وأنا أيضاً أحبّك". لم تكن واثقة من أنها تريد قول ذلك له، لكن الأيام والليالي التي أمضتها معه عنت لها الكثير. إنها تحبّ طريقة تفكيره والأشياء التي يؤمن بها، كما تحبّ استقامته ومبادئه. حتى إنها تقدّر عمله. ليس عليهما أن يقلقا لأي شأن كان، إذ لا هدف يسعيان إليه من وراء حبهما، ولا قرارات خطيرة عليهما اتخاذها. كل ما عليهما فعله هو الاستمتاع بحبهما. لأول مرّة عبر مسيرتي حياتيهما المعقدتين، يبدو الأمر بسيطاً بهذا الشكل. سألته وهي تبتسم له: "هل تريدني أن أطهو لك؟" القرارات الوحيدة التي يجب عليهما اتخاذها هي بشأن الطعام والمكان الذي سيناما فيه. كان غراي يفضّل النوم في شقّتها، كما تفضّل ذلك هي أيضاً، فلقد بدت شقته في حالة من الفوضى الدائمة، رغم أن سيلڤيا أحبّت زيارته هناك لترى تقدّمه في أعماله.

قال غرايُ بحزم: "لا. لا أريد أن تعدّي لي العشاء. أريد أن أخرج معك لنحتفل. بفضلك حصلت على معرض رائع هذا الأسبوع. ما كنت لأحصل على ذلك بمفردي. لكنت جلست هنا فوق لوحاتي وأنا أشعر بالكسل وبعدم الرغبة في التحرك". إنه ليس متكاسلاً، لكنه متواضع حيال لوحاته. عرفت سيلڤيا العديد من الرسامين الذين لديهم تلك الصفة. إنهم يحتاجون إلى من يبني لهم جسراً فوق الفجوة التي تفصلهم عن عرض أعمالهم، ولقد شعرت بالسعادة لقيامها ببناء ذلك الجسر، ولحصولها على نتيجة جيدة.

تناولا العشاء تلك الليلة في مطعم فرنسي في شمال شرق المدينة، وحصلا على طعام فرنسي لذيذ وشراب فرنسي ممتاز. كان احتفالاً رائعاً، يليق بهما، وبالمعرض الجديد، وبكل ما ينتظرهما. في طريق عودتهما إلى

شقتها في سيارة الأجرة، تكلّما عن شارلي وآدم. غراي لم يرَ آدم أو يتّصل به منذ عاد من الرحلة، أما شارلي فلم يكن قد عاد بعد، لكن غراي لم يتّصل به أيضاً. في العادة هو لا يتّصل بهما، لاسيّما حين يكون غارقاً بين لوحاته. كان صديقاه معتادين على اختفائه عن وجه الأرض فجأة، وكانا يقومان بالاتصال به حين يريدان سماع أخباره. فسّر غراي لسيلڤيا صداقته العميقة بهما، وأخبرها كم هما طيبان معه. بدا لها شارلي رجلاً وحيداً، وقد أحزنها أن تسمع عن خسارته الفادحة لأخته ووالديه. ففي النهاية خسارتهم حرمته من فرصة التمتع بمحبة عائلته، مما زاد من هول الخسارة.

قال غراي بنبرته الفلسفية الخاصة: "يقول شارلي إنه يريد أن يتزوج، لكنني لا أعتقد أنه سيفعل ذلك يوماً ما". اتفق غراي وسيلڤيا أيضاً على أن آدم شخص مختلف تماماً، فهو يشعر بالمرارة من راشيل وبالغضب من والدته، وكل ما يريده هو الفتيات الجميلات اللواتي يصلحن لأن يكن بناته. بدت حياته فارغة بالنسبة لسيلڤيا. "إنه رجل طيّب، يمكنك اكتشاف ذلك عندما تتعرّفين عليه أكثر". قال غراي ذلك مدفوعاً بإخلاصه لصديقه، لكن سيلڤيا لم تقتنع. كان من السهل رؤية الفضيلة والأصالة في شخصية شارلي، أما آدم فهو من الرجال الذين ينجحون في إزعاجها. إنه من النوع الذكي، والواثق، والمغرور، والناجح، والذي لا وجود للمرأة في حياته إلا من أجل التسلية والعلاقة الجنسية، إذ لم يفكّر آدم يوماً بالخروج في موعد مع امرأة في مثل سنه. لم تقل سيلڤيا ذلك لغراي، لكنها لا تحترم أبداً الرجال المماثلين لآدم. بحسب ما رأت، إنه بحاجة إلى معالجة نفسية وإلى ضربة قوية يتعلّم منها درساً جيداً. تمنّت أن تتمكّن يوماً ما فتاة شابة ذكية من تلقينه ذلك الدرس. وبحسب ما رأته سيلڤيا، هذا بالتأكيد ما سيحصل، أما غراي فلم يرَ ذلك. لم يرَ الأمر بتلك الطريقة، فهو يظنّ أن آدم رجل طيّب انكسر قلبه حين تركته راشيل.

- "ذلك لا يبرّر استغلاله للأشخاص الآخرين وعدم احترامه للنساء".

لقد انكسر قلب سيلڤيا أيضاً أكثر من مرة، لكن ذلك لم يجعلها تحتقر جميع الرجال. بل على العكس من ذلك، ابتعدت وحاولت تضميد جراحها لتفكّر لماذا وكيف حدث ذلك، قبل أن تعود مجدّداً للاختلاط بالناس. لكنها امرأة، والنساء يعملن بطريقة مختلفة عن الرجال. ويصلن إلى نتائج مختلفة. فمعظم النساء اللواتي تألّمن بقسوة يداوين جراحهن، بينما يركض معظم الرجال المجروحين لمواجهة العالم، فيشفون غليلهم بالانتقام من نساء أخريات. كانت سيلڤيا واثقة بأن آدم يعامل النساء اللواتي يخرج برفقتهن بشكل جيّد كما قال غراي، لكن المشكلة هي أنه لا يحترمهن. هو لن يفهم ما يتشاركان به هي وغراي مثلاً، إذ ما كان آدم ليسمح بحدوث أمر مماثل، وما كان ليتجرأ على الوثوق بعلاقة مماثلة. جعلها ذلك تشعر كأن ما يحدث بينها وبين غراي معجزة، وأنه من الجيّد أنهما وجدا بعضهما البعض.

تلك الليلة، عانقت سيلڤيا غراي في السرير، وهي تشعر بالأمان والدفء والحظ. إن تركها غراي في النهاية، فهما على الأقل قد تشاركا هذه اللحظات السحرية. الآن ستتمكّن من متابعة حياتها مهما حدث، فهي قوية بما يكفي، وهي تحبّ الحياة وكذلك غراي، فقد أثبت ذلك طيلة حياته. لقد جعلتهما خيبات أملهما أكثر طيبة وذكاء وأكثر صبراً. إنهما لا يملكان أي نيّة بإيذاء بعضهما أو بإيذاء أي شخص آخر، ومهما دار بينهما من آمال وأحلام رومنسية وممارسة للحب، تبقى الصداقة التي بنياها بينهما أهم ما في الأمر. والأهم منها هو أنهما بدأا يتعلّمان أن يحبّا بعضهما.

8

يوم الاثنين، اتّصل شارلي بغراي في محترفه، وبدا قلقاً. قال له: "لقد عدت. هل أنت بخير؟ لم أسمع عنك شيئاً منذ أسابيع. اتّصلت بك عدّة مرات منذ وصولي، لكن، كان المجيب الآلي يردّ دائماً". أبدى شارلي تذمّره من ذلك، وأدرك غراي أنه على الأرجح كان عند سيلفيا حين اتّصل شارلي. لكن غراي لم يخبره بشيء. كانت نهاية الأسبوع سعيدة بالنسبة لغراي وسيلفيا، لكن شارلي ليس لديه أدنى فكرة عمّا حدث مع غراي منذ عودته إلى نيويورك. فقد أدرك فجأة، فيما كان يزور أحد أصدقائه في هامبتونز خلال عطلة نهاية الأسبوع، أنه لم يسمع كلمة من غراي منذ عودته. وصلته رسالتان إلكترونيتان منه في الأوّل من أيلول حين كان لا يزال على متن يخته، ليس إلاّ. في العادة، إن كان كل شيء يسير على ما يرام، يتفقّد غراي صديقه أكثر، لكنه هذه المرة لم يفعل.

قال غراي بسعادة: "أنا بحال جيدة. لكنني كنت أعمل". لم يقل شيئاً بعد عن سيلفيا، رغم أنه اتّفق معها خلال العطلة على أن الوقت قد حان لكي يطلع صديقيه على علاقتهما. أرادت سيلفيا أن ينتظر كي تخبر ولديها. إنها وغراي يلتقيان منذ شهر، وممّا تبيّن لهما، فإن ما يجري بينهما حقيقي. شعرت سيلفيا بالقلق من غيرة شارلي وآدم وامتعاضهما، فبوجود علاقة جدّية في حياة غراي لن يعود متوفراً كما كان في السابق. كان لديها

شعور بأن ذلك لن يناسبهما أبداً، إلاّ أن غراي أصرّ على أن ذلك لن يحدث مطلقاً، لكن سيلفيا لم تقتنع بكلامه.

أخبر غراي شارلي بشأن المعرض الجديد. فصفّر شارلي من الدهشة. قال وهو يشعر بالفرح من أجل صديقه: "كيف حدث ذلك؟ لا أصدّق أنك نفضت الرماد عنك، ووجدت معرضاً لبيع لوحاتك. إنه أمر رائع جداً".

- "أعتقد ذلك أيضاً". لم يذكر له أن لسيلفيا علاقة بالموضوع، لكنه كان ينوي إخباره حين يلتقي به شخصياً، إذ لم يكن يريد التكلم بهذا الموضوع على الهاتف.

قال شارلي: "ما رأيك بتناول الغداء معاً في يوم قريب؟ لم أرك منذ غادرت اليخت". كان شارلي سيلتقي بآدم ليذهبا إلى الحفل الموسيقي هذا الأسبوع، وكان من الصعب الاجتماع سوياً مع غراي، فهو دائماً ينكبّ على عمله ويعزل نفسه لأسابيع. لكنه بدا بحال جيدة هذه الأيام. وإن كان قد وقّع اتفاقاً مع أحد المعارض الكبيرة، فذلك يعني أن الأمور تسير على خير ما يرام معه.

قال غراي بسرعة: "أودّ كثيراً تناول الغداء معك. متى تريد أن نلتقي؟" من النادر أن يشعر غراي بمثل هذا الحماس للقاء شارلي. في معظم الأحيان، كان لا بد من نشله من جحره وسحبه بعيداً عن محترفه، لكن شارلي لم يعلّق على الموضوع، فقد اعتقد أن غراي متحمس بسبب اتفاقه مع أحد المعارض.

نظر شارلي سريعاً إلى دفتر مواعيده، فقد كان غارقاً في اجتماعات للمؤسسة التي يضمّ الكثير منها غداء عمل. لكنه وجد وقتاً ملائماً لتناول الغداء برفقة غراي في اليوم التالي فقال: "ما رأيك بنهار غد؟"

- "يبدو ذلك جيداً لي".

– "ما رأيك بنادي اليخوت؟" كان هذا المكان المفضل لدى شارلي لتناول الغداء من بين نوادٍ كثيرة ينتسب إليها. لطالما وجد غراي نادي اليخوت مكاناً غير ممتع، وكذلك آدم، لكنهما كانا يسايران شارلي بالذهاب إليه.

بدا غراي مفكراً وهو يقول: "يبدو ذلك جيداً".

أكّد له شارلي قائلاً: "إذاً، أراك عند الساعة الواحدة". ثم عاد كل من الرجلين إلى عمله.

أخبر غراي سيلفيا صباح اليوم التالي أنه سيتناول الغداء مع شارلي، فنظرت إليه من فوق الفطائر المحلاة التي أعدّها بنفسه، وسألته وهي تبدو متوترة: "هل هذا أمر جيّد أم لا؟"

– "إنه جيّد بالطبع". جلس خلف الطاولة قبالتها، وقد وضع صحناً من الفطائر أمامه. أحبّ غراي كثيراً أن يطهو لها، فقد كان بارعاً في تحضير الفطور، بينما اهتمّت سيلفيا بتحضير العشاء له في المساء، وأحياناً كثيرة كانا يتناولان الطعام في الخارج. كل شيء كان يسير بشكل جيّد، وقد أصبحت حياتهما منظّمة. يغادر غراي منزلها في الصباح ليذهب إلى محترفه، إذ لم يعد ينام هناك أبداً، وتذهب هي إلى المعرض، ثم يلتقيان عند الساعة السادسة حين يعودان إلى المنزل. يحضر غراي معه عادة زجاجة شراب وكيس بقالة. لقد اشترى الكركند في نهاية الأسبوع ما ذكرهما بالأيام الذهبية على متن اليخت. لم ينتقل غراي رسمياً للعيش معها، لكنه كان ينام في منزلها كل ليلة.

سألته بحذر: "هل ستخبره عن علاقتنا؟"

– "فكّرت بأن أفعل. أما زلت غير موافقة على الموضوع؟" غراي يعرف تماماً مدى استقلاليتها، ولم يكن يريد أن يجبرها على أمر لا تريده.

قالت ببساطة: "ذلك يبدو جيداً لي، لكنني لست واثقة من أنه سيكون كذلك بالنسبة له. ستكون تلك صدمة صغيرة له. ربما أعجبته كعابرة سبيل في بورتوفينو، لكنه سيصبح أقل حماسة تجاهي إن علم أنني مشروع ثابت". لقد أصبحت كذلك فعلاً خلال الأسابيع الأربعة التي تلت عودة غراي إلى نيويورك. كانا مسرورين كثيراً معاً، وسعيدين جداً.

– "لا تكوني سخيفة! سيشعر بالسعادة من أجلي. لطالما كان مهتماً بالنساء اللواتي أخرج برفقتهن".

ضحكت سيلفيا وهي تصبّ له فنجان قهوة، وقالت: "نعم. كان يبدي اهتمامه لأنهن لم يشكّلن تهديداً له. إنه على الأرجح كان يعلم أن مصيرهن سيكون إمّا السجن أو المصح، قبل أن يشكّلن حاجزاً بينك وبينه".

سألها باهتمام ممازحاً: "وهل تنوين أنت التسبّب بالمشاكل بيننا؟"

– "لا. بالطبع لا! لكن شارلي قد يعتقد ذلك. فأنتم الثلاثة لم تنفصلوا عن بعضكم منذ عشر سنوات".

– "نعم. وأنا أخطّط لاستمرار ذلك الاتصال بيننا. لا سبب يمنعهما من رؤيتي معك".

– "حسناً! انتظر ما سيقوله لك شارلي. ربما يجدر بنا دعوته لتناول العشاء. في الواقع، فكّرت بذلك بضع مرّات هذه الفترة، يمكننا دعوة آدم أيضاً". رغم أنها لم تكن تحبّ آدم بقدر كبير، إلاّ أنها تابعت تقول: "مع أنني لست مولعة بتناول العشاء مع نساء في مثل سن ولديّ أو أصغر، إلا أنني سأقوم بأي شيء تراه مناسباً". بدا ذلك أكثر دبلوماسية بالنسبة لسيلفيا.

اقترح غراي بودّ: "لمَ لا ندعو شارلي بمفرده أوّلاً؟" علم أنها لا تحبّ طريقة آدم، ولم يكن يريد أن يضغط عليها. على الأقل ليس في وقت قريب. لكنه أحبّ فكرة جمعها بصديقيه، فهما يشكّلان جزءاً مهمّاً من حياته بالإضافة إليها.

علم كلاهما أن ضمّ أصدقائهما إلى حياتهما الشخصية سيجعل علاقتهما صحيّة أكثر على المدى البعيد. لا يمكنهما الجلوس معاً بمفردهما

إلى الأبد، وهما يمسكان بأيدي بعضهما ويشاهدان التلفاز، أو يمضيان عطلة نهاية الأسبوع بكاملها في السرير، رغم أنهما يحبّان بعضهما. إنهما بحاجة إلى أشخاص آخرين في حياتهما، وإضافة الأصدقاء إليها ستكون خطوة ناجحة لتحقيق نوع من الاستقرار في علاقتهما. لطالما شعرت سيلڤيا أن هناك كتاباً يتضمّن قواعد العلاقات مخبأ في مكان ما، وأن الآخرين يعرفون مضمونه أكثر منها. أوّلاً يلتقي الشخصان معاً، ثم يمضي الرجل الليل في منزل المرأة، ويتكرّر ذلك بشكل ملحوظ لاحقاً. في وقت ما سيحتاج إلى خزانة ودُرج ليضع أغراضه. هي وغراي لم يصلا إلى تلك المرحلة بعد، فثيابه ما زالت تُعلّق في كل مكانٍ في غرفة الغسيل لديها. علمت أنه سيكون عليها القيام بشيء حيال ذلك يوماً ما. بعد ذلك يحصل الرجل على نسخة من مفتاح المنزل، حين تصبح المرأة متأكدة من أنها لن تعاشر رجلاً آخر، وذلك لتحاشي اللحظات السيئة حين يصل في الوقت غير المناسب. أما سيلڤيا فقد سبق لها أن أعطت غراي نسخة عن المفتاح، إذ ليس هناك شخص آخر في حياتها، وفي بعض الأحيان يأتي غراي إلى المنزل من محترفه قبل عودتها من المعرض. لم يكن من داعٍ لجعله يقف أمام المنزل بانتظار وصولها. لم تكن سيلڤيا واثقة ما الذي يحدث بعد ذلك. شراء البقالة؟ إنه يفعل ذلك... ربما تقاسم الفواتير والإجابة على المكالمات الهاتفية. إنها بالتأكيد لم تصل إلى تلك المرحلة بعد، فماذا لو كان أحد ولديها هو المتصل؟ إنها لا يعرفان شيئاً عن غراي. بعدئذٍ سيكون عليها أن تطلب منه الانتقال للعيش معها، وتغيير عنوان سكنه، ووضع اسمه على صندوق بريدها وفوق الجرس. الأصدقاء هم جزء من هذا التغيير أيضاً، ومن المهم أيضاً أن يكون لديهما بعض الأشخاص المشتركين. بعد ذلك سيأتي موعد تعريفه إلى ولديها. أرادت سيلڤيا أن يلتقي غراي بهما. علمت أن ذلك لن يكون سهلاً عليه. لقد أخبرها الكثير عن هذا الموضوع، مما جعلها تدرك أنه لن يكون أمراً

سهلاً. ولداها رائعان، وهي متأكدة أنه سيحبّهما أيضاً. كل ما أراده لها جيلبيرت وإميلي هو أن تكون سعيدة. إن وجدا أنه طيّب معها وأنهما يحبّان بعضهما البعض، سيرحبّان كثيراً بغراي في العائلة. إنها تعرف ولديها جيداً.

لا تزال الطريق طويلة أمام سيلڤيا وغراي، لكنهما يتقدّمان مع الوقت. هناك بعض الحواجز التي تخيفها، ولم تكن هي أو غراي مستعدين لها بعد، لكنها علمت أن إخبار آدم وشارلي هو خطوة مهمة له. لم تكن لديها أدنى فكرة عمّا ستكون ردة فعلهما حين يعرفان أنها وغراي يقيمان علاقة جدية. تمنت ألا يقوم شارلي بإحباط غراي أو إخافته بشأن ولديها، فهي تعلم أن الولدين يشكلان موقعاً غير منيع بالنسبة له. إنه يعاني من رهاب الأولاد، وذلك لا يقتصر فقط على أولادٍ من صلبه، بل يشمل الذين يمتّون بصلة لأشخاص آخرين، ولم يبدُ الأمر مختلفاً في حالتها، مع أن ولديها راشدان وليسا طفلين. إن شعوره بالذعر للارتباط بامرأة لديها أولاد بدا أكثر الأمور غباءً لرجل أمضى حياته وهو يساعد نساءً من أكثر النساء جنوناً على الأرض. بدا ذلك خوفاً غير طبيعي وغير مبرّر لسيلڤيا، أما بالنسبة لغراي فقد كان ذلك واقعاً مؤلماً.

ساعدها غراي في تنظيف الصحون التي استخدماها للفطور، ثم غادر إلى محترفه، فيما أجرت سيلڤيا بعض الاتصالات قبل أن تغادر إلى عملها. أرادت الاتصال بإميلي وجيلبيرت، لكن اختلاف التوقيت جعلها تؤجل الاتصال بهما إلى أن تعود من العمل. هما لن يأتيا إلى المنزل حتى عطلة الأعياد، وفكّرت سيلڤيا أنه لا يزال أمامها وقت طويل قبل حدوث ذلك. في الواقع، يمكنها الانتظار لثلاثة شهر لترى كيف ستصبح الأمور مع غراي، قبل أن تخبرهما بأي شيء. كان كلاهما خارجاً حين اتّصلت بهما في ذلك اليوم، لذا تركت لهما رسالتين على مجيبيهما الآليين، فهي تحبّ أن تبقى على اتصال دائم معهما.

حين غادرت سيلڤيا إلى عملها في ذلك اليوم كان غراي قد أصبح في نادي اليخوت مع شارلي، وقد جلسا إلى طاولته المفضلة. بدت غرفة الطعام واسعة، ذات سقف مقوّس، تغطّي جدرانها صور لرؤساء النادي القدامى، وهناك نماذج سفن معروضة في علب زجاجية موزعة حول الغرفة. فكّر غراي أن شارلي يبدو رائعاً ومرتاحاً، وقد اكتسب سمرة جميلة.

سأله بعد أن طلبا السلطة: "إذاً، كيف كانت نهاية رحلتك؟"

– "كانت جيدة. لم نذهب إلى أي مكان بعد أن غادرت. أنا قمت بإنجاز بعض الأعمال، فيما بدأ الطاقم بإجراء بعض التصليحات لليخت. لكن البقاء على متن اليخت يريحني أكثر من التواجد في الشقة هنا". كان شارلي قد بدأ يحسّ أن شقته موحشة وكئيبة، كما بدأ يشعر بالضجر. تابع يقول: "أخبرني عن المعرض الذي وقّعت معه العقد. إنه ويسلير هنكلي، أليس كذلك؟" كان هذا الاسم مثيراً للإعجاب في عالم الفن. بدا شارلي سعيداً من أجل صديقه، فلا أحد يستحقّ النجاح أكثر من غراي، لأنه يملك موهبة كبيرة. ابتسم شارلي متوقعاً القصة وهو يسأله: "ما الذي حدث؟ أو بالأحرى، كيف وجدت المعرض؟"

قال غراي: "في الواقع، عرّفني أحد الأصدقاء عليهم". لقد جعلته سيلڤيا متوتراً حيال ردّة فعل شارلي؛ رغم أنه كان يعلم أن ذلك أمر سخيف، لكنه شعر بالخوف وبدا ذلك عليه.

سأله شارلي باهتمام: "أي نوع من الأصدقاء؟" لم يعرف شارلي سبب شعوره بوجود شيء غريب في رواية صديقه.

قال غراي وهو يشعر كأنه تلميذ مدرسة ينقل خبراً لوالده: "إنه صديق.. صديق.. في الواقع، إنه امرأة".

بدت التسلية على شارلي وهو يقول: "يبدو أن هناك جانب غير متوقع في الموضوع. أي نوع من النساء هي؟ هل أعرفها؟ هل هناك عصفورة جريحة جديدة في عشّك هذه الأيام؟ أهي واحدة تعمل في

معرض، ولديها علاقات واسعة؟ إن كان الأمر كذلك، فهذه براعة منك". أشاد شارلي به، لكن الأمر لم يكن كما اعتقد. فغراي لم يكن يواعد امرأة تعمل في أحد المعارض ليطلب منها أن تقنع رب عملها بمقابلته. ولم تكن هناك عصفورة جريحة في عشّه، بل هناك امرأة شديدة الفاعلية أخذته تحت جناحها وطارت به كالنسر.

– "في الواقع لا أعتقد أن في الأمر براعة، بل مجرّد حظ جيّد".

قال شارلي مردّداً كلمات سيلڤيا لغراي: "لا يوجد حظ في الأمور المماثلة، وأنت تعلم ذلك. أنت تملك موهبة مميّزة، وإن كان هناك من شخص محظوظ فهو صاحب المعرض. لكنك لم تجب عن سؤالي". التقت عينا شارلي بعيني غراي، وثبتتا مكانهما للحظات قبل أن يسأله بإلحاح: "من هي تلك المرأة؟ أم أنها سرٌّ لا تريد البوح به؟" ربما كانت امرأة متزوجة. لقد حصل هذا معه من قبل، فالزوجة الهاربة تدّعي أنها منفصلة عن زوجها، مع أنها في الواقع ليست كذلك، ثم يظهر الزوج ويحاول قتل غراي. سبق لغراي أن لعب جميع الأدوار المحتملة عبر سنين عزوبيته. ولطالما شعر شارلي بالقلق عليه في كثير من الأحيان، ففي أحد الأيام قام صديق سابق لإحدى مجنوناته بمهاجمته، وكان على وشك إطلاق النار عليه. بدا القلق على شارلي الآن، وقال له: "أتمنّى ألاّ تكون في حالة فوضى جديدة".

ضحك غراي قليلاً وهو يهزّ رأسه: "لا، لست في حالة فوضى، لكن سمعتي في هذا المجال تسبقني. أليس كذلك؟ أعتقد أنني أستحقّ ذلك. لقد واعدت الكثير من النساء المجنونات". تنهّد وهزّ رأسه من جديد، وقرّر أن يكون شجاعاً فتابع يقول بفخر: "لكن ليس هذه المرة. نعم، أنا أقابل امرأة جديدة، لكنها مختلفة تماماً".

بدا شارلي فضولياً ليعرف من هي المرأة الجديدة، فسأله: "من هي؟ هل أعرفها؟" أياً تكن تلك المرأة، فغراي يبدو سعيداً جداً، وقد لاحظ شارلي

ذلك. بدا مرتاحاً وراضياً عن حياته وسعيداً جداً. بدا لشارلي وكأنه يتناول المهدئات المريحة للأعصاب، أو أقراصاً تبعث فيه الشعور بالسعادة. لكنه علم أن ذلك أمر غير معقول، رغم الانشراح الواضح الذي أظهره. قال غراي بشكل غامض، وهو لا يزال يفكّر بتحذيرات سيلڤيا: "لقد التقيتَ بها".

مازحه شارلي قائلاً: "وماذا بعد؟ هل أنت بحاجة إلى مؤثّرات صوتية لتكمل كلامك؟"

أخيراً قال غراي وهو لا يزال متوتراً: "التقيتَ بها في بورتوڤينو".

– "أحقاً؟ متى حصل ذلك؟" خلا ذهن شارلي فجأة من كل الذكريات، ولم يستطع أن يتذكّر أي امرأة خرج معها غراي خلال الرحلة. كل ما خطر في باله هو النساء اللواتي عاشرهن آدم في سان تروبيز وكورسيكا وكابري. لم يتذكّر أنه أو غراي قد قاما بالخروج مع امرأة ما.

قال غراي بهدوء: "سيلڤيا رينولدز. إنها واحدة من المجموعة التي التقينا بها في بورتوڤينو وسردينيا".

بدا شارلي مذهلاً وهو يقول: "سيلڤيا رينولدز؟ صاحبة صالة العرض الفني؟" تذكّر شارلي أن غراي أعجب بها، وأن آدم سخر منه حول هذا الموضوع، وقال إنها ليست من النوع الذي يعجب غراي عادة، لأنها ليست مجنونة بما يكفي أو بالأحرى هي ليست مجنونة على الإطلاق. تذكّرها شارلي جيّداً، لأنه أعجب بها أيضاً. كان من الصعب على شارلي أن يصدّق أنهما قد تورّطا مع بعضهما، فسأل غراي والدهشة ما تزال بادية على وجهه: "متى حدث ذلك؟" ساوره الشك خلال الرحلة بأنهما معجبان ببعضهما كثيراً، لكنه لم يعتقد أن ذلك الإعجاب كان قوياً إلى حدٍّ يجعلهما يلتقيان لاحقاً من جديد.

– "حدث ذلك حين عدت. مرّ شهر على علاقتنا حتى الآن. إنها امرأة لطيفة. عرّفتني على ويسلير هنكلي وعلى معرضين آخرين حالما

رأت أعمالي. والخطوة الثانية التي أعرفها هي أنني وقّعت عقداً على الفور". تابع بإعجاب وهو يبتسم لصديقه: "إنها امرأة عملية، ولا تحبّ تضييع الوقت".

قال شارلي وهو يحاول التأقلم مع وضع صديقه: "حسناً! أنت تبدو سعيداً بالفعل". لم يتحدّث غراي مطلقاً في السابق عن أي امرأة كما يفعل الآن. تابع شارلي يقول: "أكره الاعتراف بذلك، لكنني وافقت آدم في رأيه، فأنا أيضاً لم أجد أنها من النوع الذي تختاره عادة من بين النساء".

ضحك غراي مجدداً وهو يقول: "إنها ليست من هذا النوع فعلاً. أعتقد أن ذلك أمر جيّد. لست معتاداً على التواجد بقرب امرأة قادرة على الاعتناء بنفسها، ولا تحتاجني فعلاً لأي شيء إلاّ لقضاء وقت ممتع، وللاسترخاء في السرير".

سأل شارلي وقد بدا عليه الاهتمام: "هل هذا كل ما في الأمر؟" هناك الكثير من الأخبار التي عليه نقلها إلى آدم حين يراه غداً مساءً.

– "لا، هذا ليس كل شيء في الواقع، هنالك المزيد. فأنا أصبحت أنام عندها كل ليلة".

ظهرت الصدمة على شارلي فقال: "أنت تراها منذ شهر فقط، وانتقلت للعيش معها! ألا ترى في ذلك تهوراً؟" بدا له كأن غراي قد تبادل الأدوار مع العصفورات الصغيرات ذوات الأجنحة المتكسّرة. قال غراي بصوت منخفض: "أنا لم أنتقل للعيش عندها. قلت لك إنني أنام هناك فقط".

– "كل ليلة؟!" مرّة أخرى شعر غراي كأنه تلميذ مدرسة مشاغب. لم يبدُ الرضى على شارلي، وتابع يقول بذعر: "ألا تعتقد أن الأمور تسير بسرعة كبيرة هنا؟ لا تقل لي إنك تخلّيت عن شقتك".

– "بالطبع لا! أنا فقط أمضي وقتاً طيّباً مع امرأة رائعة، وأستمتع برفقتها. إنها امرأة مميّزة جداً، فهي ذكية وقادرة وطبيعية وبريئة ومرحة

ومعطاءة ومحبة. لا أعرف أين كانت تختبئ طيلة هذه السنوات، لكن ما أعرفه هو أن حياتي تغيّرت كلياً خلال ثلاثة أسابيع ونصف".

سأله شارلي بوضوح: "هل هذا ما تريده فعلاً؟ يبدو أنك غارق في حبها حتى أذنيك، وذلك أمر خطير لأنها قد تفكّر بأشياء لا قدرة لك عليها".

- "ماذا تعني؟ أتظنّها ستفكّر بالانتقال إلى شقّتي النتنة؟ أم ستسرق أمتعتي التي أملكها منذ ثلاثين عاماً؟ إنها تملك كتباً عن الفنون أكثر ممّا أملك، ولا أعتقد أنها ستحاول سرقة لوحاتي. أريكتي بحالة مزرية وأريكتها أفضل حالاً. ماتت شتولي وأنا في أوروبا. وأنا لا أملك منشفة طُرّز عيها اسمي. كل ما أملكه قدر ومقلاة وست شوك وأربعة صحون. فما الذي يمكن أن تناله مني باعتقادك؟ في مطلق الأحوال، سأكون سعيداً بإعطائها كل ما تريده. قد تكون العلاقات صعبة، لكن صدّقني شارلي، إنها المرأة الأولى التي أخرج برفقتها من دون أن تبدو خطرة بالنسبة لي. فالباقيات بالتأكيد كُن كذلك".

- "أنا لا أقصد أنها تسعى وراء مالك. لكن أنت تعرف كيف تفكّر النساء. إنهن يتوهّمن كثيراً ويفسّرن الأمور بطرق مختلفة عنا. فما إن تدعو إحداهن إلى العشاء حتى تكتشف بعدها أنها بدأت بالبحث عن فستان الزفاف، وحجزت مكاناً لها في صالون التجميل. أنا فقط لا أريد أن أراك تنزلق إلى أمر لا تريده فعلاً".

- "أعدك شارلي أنني لن أنزلق إلى أي شيء. وأينما وصلت الأمور سأكون راكباً مستعداً على متن القطار".

حدّق شارلي في وجه غراي بعينين واسعتين، وقال:" يا إلهي! غراي، هل ستقوم بالزواج منها؟"

قال غراي بصدق: "لا أعرف. لم أفكّر بموضوع الزواج منذ سنوات. ولا أظن أن هذا ما تريده هي. تزوّجت من قبل، ويبدو لي أنها لم تكن تجربة مشجعة لها. لقد تركها زوجها من أجل فتاة في التاسعة عشرة من عمرها، بعد عشرين عاماً على زواجهما. لديها ولدان وهي تقول إنها أصبحت كبيرة على إنجاب أولاد آخرين. معرضها يحقّق نجاحاً باهراً، وهي تملك أموالاً أكثر ممّا سأملك يوماً، لذا هي لا تحتاج إلي، وأنا لا رغبة لي باستغلالها. يمكن لكل منّا أن يقوم بإعالة نفسه. إنها تملك منزلاً رائعاً في سوهو ومهنة تحبّها. لقد عاشرت رجلاً واحداً فقط منذ انفصالها عن زوجها الذي انتحر منذ ثلاث سنوات، وأنا أول رجل تقيم علاقة معه منذ ذلك الحين. لا أعتقد أنّ أحداً منّا يريد أكثر من ذلك الآن. هل سأتزوّج منها يوماً ما؟ نعم على الأرجح، إن كانت تودّ ذلك، وأنا أشكّ أنها ستفعل. سأكون مجنوناً إن لم أتزوّج منها. لكن في الوقت الحالي، فإن أهمّ قرارٍ نتّخذه هو بشأن المكان الذي سنتناول فيه العشاء كل ليلة أو من الذي سيطهو الفطور. حتى إنني لم ألتقِ بولديها بعد". قال ذلك بهدوء، فيما كان شارلي يحدّق به بعينيه الواسعتين، فقد بدا هذا خطاباً مفاجئاً من غراي. لم يغب عنه سوى ثلاثة أسابيع فقط، وها هو لا يعيش برفقة امرأة فحسب، لكنه أيضاً يتحدّث عن احتمال الزواج منها يوماً ما. بدا شارلي كأنه أصيب بطلقة نارية، وبعد رؤية تعابير وجهه، أدرك غراي أن سيلفيا محقّة بشأن رأي شارلي بعلاقتهما. بدا بوضوح أن شارلي ليس راضياً عن مجرى الأمور في حياة غراي مؤخراً.

ذكّره شارلي قائلاً: "إنك حتى لا تحبّ الأولاد أبداً، ولا فرق لديك كم يبلغون من العمر. ما الذي يجعلك تعتقد أن ولديها مختلفان؟"

- "ربما هما ليسا مختلفين، وقد يكونان سبب انفصالي عنها لاحقاً، أو ربما تملّ منّي هي قبل ذلك. إنهما يعيشان على بعد ثلاثة آلاف ميل، وهما راشدان. ربما أستطيع تحمّلهما من هذه المسافة البعيدة، فكل ما أريده هو المحاولة. هذا أفضل ما بإمكاني القيام به. ربما ينجح الأمر وربما لا، كل ما أعرفه هو أنه ينجح الآن، ونحن نمضي وقتاً رائعاً معاً. من يعلم ما الذي سيحدث في المستقبل؟ قد أموت في الأسبوع القادم، أما في الوقت

الحالــي فأنا أمضي أفضل أيام حياتي على الإطلاق... الأفضل في حياتي بأكملها".

قــال شــارلي بكآبة وهو يشير إلى ما قاله غراي عن موته الأسبوع القــادم: "آمل ألاّ يحصل ذلك. لكنك ستتمنّى لو أن ذلك حصل إن اكتشفت أنهــا بعكــس مــا تعــتقد، وعندها ستكون قد علقت في الفخ". بدا شارلي متــشائماً، فابتسم غراي له. ظهرت على شارلي علامات الذعر، ولم يكن غراي واثقاً إن كان ذلك لمصلحته الخاصة، أم من أجل غراي. لكن بجميع الحالات اعتقد غراي أن خوفه ليس مبرراً. إنه يشعر بكل شيء إلا الوقوع فــي الفخ. وفي الوقت الحاضر إنه ليس سوى رجل عاشق يعيش في شقة سيلڤيا الفاخرة.

قــال غراي بهدوء: "أنا لم أقع في الفخ، حتى إنني لستَ بقربه. نحن نختبر الأمر فقط، وإن لم ينجح سأعود إلى شقّتي وينتهي الموضوع".

قــال شــارلي بنبرة تنمّ عن معرفة: "لا تنجح الأمور بتلك الطريقة. بعض النساء يتعلّقن بآمال كاذبة فيتمسّكن بالرجل ويلاحقنه، ويتّهمنه بأشياء كاذبــة، ويعنّفــنه، ويــصبحن هستيرات، ويتّصلن بالمحامين، ويدّعين أنه وعــدهن بوعودٍ لم يقم بتنفيذها. إنهن يتمسّكن بكِ بأظافرهن ويعتقدن أنك أصــبحت إحدى ممتلكاتهن". بدا شارلي مذعوراً وهو يقول ذلك. لقد رأى ذلك يحدث مع رجال آخرين عبر السنين، ولم يرغب بأن يحدث أمر مماثل مع غراي، فهو يعرف أن صديقه يتصرّف ببراءة في أحيان كثيرة.

– "ثــق بي! أنا وسيلڤيا لانريد أن يمتلك أحدنا الآخر، فنحن كبيران علــى هذا الموضوع. إنها أكثر عقلانية ممّا تظنّ. لقد مشت مبتعدة عن زوجهــا حــين تركها بعد عشرين عاماً من الزواج، وبنت لنفسها كياناً مــستقلاً، لذا لا أعتقد أنها ستتعلّق بي كطائر النورس، وتحاول التمسك بــي بمخالــبها. إن كــان أحــدنا سيترك الآخر أوّلاً فستكون هي ذلك الشخص بالتأكيد".

– "هــل لديها رهاب الالتزام؟ إن كانت كذلك فإنك سوف تتألّم كثيراً حين تتركك".

– "ألــم أتألم من قبل؟ شارلي، لنكن منطقيين؛ الحياة بحدّ ذاتها عبارة عــن أحــداثٍ مــؤلمة. إننا نتألّم كل يوم حين يقوم أشخاص بالكاد نعرفهم بــرفض تلقــي اتصالاتنا الهاتفية! وأنا على الأرجح، أكثر رجل تعوّد أن تتــركه النــساء في نيويورك. مع ذلك، ها أنا حيّ، وأكمل حياتي بسلام، وســأفعل ذلــك مجدّداً إن حدث الأمر مرة أخرى. نعم، سيلڤيا لديها على الأرجــح رهــاب العلاقــات، مثلي تماماً. يا إلهي! أنا حتى لا أريد مقابلة أولادهــا. أنــا خائــف حتى الموت أن أتأذّى أو أتعلّق بها كثيراً، لكن في الواقع، إنها المرة الأولى التي أشعر فيها أن الرحلة تستحقّ بعض الألم أو المجازفة. لا أحد منّا قدّم وعوداً للآخر، ولا أحد يتكلّم عن الزواج، كل ما نقــوله لبعــضنا في الوقت الحالي هو أين سنتناول العشاء الليلة؟ إذاً، حتى الآن نحن بأمان".

قــال شارلي وهو يعبس بقلق: "لست بأمان طالما أنت متورّط بعلاقة مــا. أنا فقط لا أريدك أن تتأذّى!" لقد وجّه شارلي انتباهه نحو ما يشعر به هــو نفــسه حيال العلاقات. والسبب في ذلك ليس النواقص الموجودة في سيّدات المجتمع اللواتي تعرّف شارلي إليهن، بل الألم الذي حاول أن يتفاداه طــيلة حياته منذ خسارة عائلته كلها. شعر شارلي بالخوف من المخاطرة، أمــا غراي فلم يعد كذلك. لقد بدا له الأمر كحدث هام في حياته، وتفكيره هــذا يشكّل تهديداً لشارلي، إذ بدا كأن جرس الإنذار بدأ يعمل، وكأن أحد أعــضاء فريق العزاب سيتنكّر لهذا الفريق. رأى غراي في عيني شارلي كل ما كانت سيلڤيا متخوّفة منه. لم يرَ قلة الثقة وعدم الموافقة فحسب، بل الذعر والذهول. إنها أذكى من غراي في الحكم على البشر، وقد نجحت في حكمها على شارلي، وربما نجحت في حكمها على آدم أيضاً. أدرك غراي مــن ردّة فعــل شارلي تجاه علاقته بسيلڤيا أن صديقه لا يتّهمه فقط بعدم

الوفاء للصداقة بينهما، بل يشعر بأنه مغفّل كبير لأن مشاعر الحب بدأت تخالجه. لم يشعر غراي بالرضى عن ذلك، لذا أنهى الحديث في الموضوع بينما وقّع شارلي شيكاً بثمن الغداء. من وجهة نظر غراي لم يكن هذا الموعد على الغداء سهلاً على الإطلاق!

– "فكّرنا أنا وسيلڤيا بدعوتك للمجيء إلى شقتها، لتناول العشاء معنا في أمسية ما". وضع شارلي قلمه جانباً وحدّق بغراي، ثم سأله وقد ظهر على التجهّم وجهه: "هل تدرك كيف يبدو كلامك؟" هزّ غراي رأسه، ولم يكن واثقاً أنه يريد سماع جواب شارلي.

– "تبدو كرجلٍ متزوج، بحق الله! لا تنسَ أنك لست كذلك".

أخيراً ردّ غراي على شارلي قائلاً: "هل تظنّ أن هذا أسوأ ما قد يحصل لي؟" لقد خاب أمله بسبب ردّة فعل شارلي، فهي ردّة فعل قاسية جداً. لم يشأ أن تكون سيلڤيا محقّة بشأنه، لكنها كانت كذلك فعلاً. تابع يقول: "أظن أنني لو أصبت بالسرطان سيكون ذلك أسوأ بكثير".

قال شارلي بسخرية: "أحياناً يصعب التفريق بين الأمرين. فالالتزام بأمر كهذا خطير جداً، وعليك التخلي عن ذاتك الحقيقية كي تبقى وفياً لالتزاماتك الجديدة. ستصبح شخصاً لا يودّ أي رجلٍ عاقل أن يكونه". تكلّم شارلي باقتناع، بينما تنهّد غراي وهو ينظر نحوه متسائلاً، من تراهم أصبحوا بعد مرور كل تلك السنوات؟ ما هو الثمن الباهظ الذي دفعوه كي يحافظوا على حريتهم التي تمسّكوا بها جيّداً؟ ربما كان الثمن باهظاً جداً. في النهاية، وبعد أن دافعوا عن حريتهم لفترة طويلة، سينتهي بهم الأمر وهم يشعرون بالوحدة. فجأة ظهر لغراي حين قابل سيلڤيا أن ذلك الهدف لا يستحق الدفاع عنه والتمسك به، وقد أخبرها بذلك منذ أيام قليلة فقط. أدرك أخيراً أن الأيام تمرّ بسرعة، وأنه لا يريد أن يموت وحيداً. يوماً ما ستتوقّف النساء المجنونات اللواتي يحتجن إلى مساعدته من ملاحقته أو حتى التقرب منه، وكذلك ستفعل جميلات آدم، إذ ستكون النساء في

منازلهن مع أشخاص آخرين. في تلك اللحظات، لم تبدُ تلك الحرية رائعة لغراي.

سأل غراي شارلي وهو ينظر إليه بعينين ذابلتين: "أتودّ حقاً قضاء شيخوختك برفقتي؟ هل هذا ما تريده، أم أنك تفضّل امرأة ذات ساقين أكثر جمالاً من ساقَي تجلس قبالتك إلى الطاولة وأنت على متن القمر الأزرق؟ إن لم تفكر بهذا الأمر في أحد الأيام، سينتهي بك الأمر وأنت برفقتي فقط. أنا أحبّك كثيراً، فأنت صديقي المفضل، لكن حين أصبح عجوزاً مريضاً وأشعر بالتعب والوحدة، بقدر ما سأحبّ رؤية وجهك إلى طاولة الغداء، سأحبّ الخلود إلى فراشي برفقة امرأة وهي تمسك يدي. وإن لم تكن تودّ أن ينتهي أمرك برفقة آدم أو رفقتي، من الأفضل لك أن تبدأ بالتفكير بالموضوع أيضاً".

– "ما الذي يحدث لك؟ ما الذي تطعمك إياه سيلڤيا؟ أهي حبوب هلوسة؟ لِمَ تقلق منذ الآن بشأن شيخوختك؟ أنت لا تزال في الخمسين من عمرك، عليك ألاّ تقلق حتى مرر ثلاثين سنة أخرى. والله وحده يعلم ما الذي قد يحدث معنا خلال هذه السنوات".

– "ربما هذه هي المسألة. أنا في الخمسين من عمري، وأنت في السادسة والأربعين، ربما حان الوقت لنكبر قليلاً. آدم لا يزال قادراً على تأجيل التفكير بهذا الأمر، فهو أصغر سناً منا. لست أدري إن كنت أريد أن أعيش حياتي بهذا الشكل بعد اليوم. كم عملية تجميل يودّ آدم أن يدفع تكاليفها بعد؟ وكم سيدة مجتمع سترى أنت فيها الأخطاء والمساوئ؟ شارلي، إن كن مليئات بالمساوئ حقاً، فليذهبن إلى الجحيم إذاً، لكن ربما حان الوقت كي تجد الإنسانة المناسبة والجيدة لك".

قال له شارلي وهو يشرب ما تبقى من قهوة في فنجانه: "أنت تتكلّم كخائنٍ للعهد غراي". شرب ما في فنجانه، ووضعه جانباً، ثم تابع: "لا أعرف كيف تشعر أنت، لكنني أرى هذا الحديث محبطاً جداً. ربما تشعر

أن الـوقت حان لتصبح والداً، لكن إن كنت تودّ أن تعرف كيف أفكّر، فإنّ ذلـك يـبدو لي تافهاً. أنا لست مستعداً للالتزام في علاقة مع امرأة واحدة فقط، لأنني خائف من الموت وأنا وحيد. لست مستعداً للاستقرار أو التفكير به حتى إلى أن أجد المرأة المناسبة".

قـال غراي بحزن: "لن تجدها أبداً". لقد أحبطته هذه المحادثة أيضاً. كـان يأمـل أن يـشاركه شارلي فرحته، لكنه بدلاً من ذلك تصرّف وكأن غـراي قـد خانه. هكذا بدا غراي في عيني شارلي. سأله شارلي وقد بدا منزعجاً: "لماذا تقول ذلك؟"

- "لأنّـك لا تـريد أن تجدها. ومادمت لاتريد ذلك، فلن تجد امرأة تناسـب معطـياتك، لأنك لن تسمح لإحداهن بالوصول إليك. أنت لا تريد إيجـاد المرأة المناسبة، وأنا كنت مثلك تماماً. لكن فجأة سارت سيلفيا إلى حياتي وانقلب كل شيء".

- "يبدو لي أنّ عقلك هو الذي بدأ ينقلب. ربما يجب أن تتناول دواء مضاداً للاكتئاب، وتعيد حساباتك في موضوع العلاقات".

- "سـيلفيا هـي أفضل دواء مضاد للاكتئاب، وأتمنّى أن يدوم إلى الأبد. إنها مليئة بالحيوية، والبقاء بقربها يشعرني بالبهجة".

- "أنـا سعيد من أجلك إن كان الأمر كذلك، وأتمنّى أن يدوم طويلاً. لكن حتى تكتشف إن كانت نظريتك صائبة أم لا، على الأقل حاول ألاّ تؤثّر علينا. فأنا لست مقتنعاً بصوابيتها مطلقاً".

قـال غـراي بهدوء وهما يقفان: "سأعلمك بذلك إذاً". لحق غراي شارلي إلى خارج نادي اليخوت، ووقفا يحدّقان ببعضهما فوق الرصيف لفتـرة طـويلة. كان هذا الغداء صعباً لكليهما، ومحبطاً ومخيباً للأمل بالنـسبة لغراي. ليس هذا ما توقّعه من صديقه... أراد الاحتفال والدعم والحماس. أراد أي شيء إلاّ السخرية والتعليقات القاسية التي وجّهها له خلال الغداء.

قـال شارلي وهو يربّت على كتف صديقه، بينما أوقف سيارة أجرة بـيده الثانـية لأنه لم يعد يطيق البقاء معه لفترة أطول: "انتبه لنفسك". ثم صـرخ: "وهـو يـصعد فـي الـسيارة" سأتّصل بك... وتهانينا من أجل المعرض".

وقف غراي على الرصيف يراقبه ويلوح له بيده، ثم أحنى رأسه إلى الأمـام ومشى مبتعداً. قرّر أن يذهب إلى شقته سيراً على القدمين، إذ أراد أن يتنـشّق بعـض الهواء، وأن يأخذ بعض الوقت ليفكّر. لم يسمع شارلي مطلقاً مـن قبل وهو يتكلّم بمثل هذه السخرية، وأدرك أنه محقّ بتقديراته الخاصة لوضع صديقه. فشارلي فعلاً لم يكن يريد أن يجد المرأة المناسبة، ومع أنه لم يرَ الأمر بهذا الشكل من قبل، لكنه أصبح واضحاً له الآن. على العكـس ممـا يظـنّه شارلي، لم تقم سيلفيا بغسل دماغه، بل فتحت عقله وملأت حياته بشعاع الشمس. وجودها بقربه سمح له برؤية ما أراده حقاً، ولـم يكـن يجرؤ على إيجاده من قبل. لقد جعلته قوياً ليكون الرجل الذي طالمـا أراد أن يكـونه، لكنه كان خائفاً منه من قبل، أما شارلي فما زال خائفـاً كمـا كـان منذ فترة طويلة، أي منذ أن توفّيت ألين ووالداه. برغم العلاجـات النفـسية التـي خضع لها وهي كثيرة، فلا يزال شارلي يشعر بالـرهبة. إنـه في حالة هروب دائمة، وقد يضلّ هارباً حتى النهاية. شعر غراي بالحزن لمجرد التفكير بأن ذلك قد يحدث، وشعر بخسارة كبيرة بما يخصّ صديقه. لقد تعرّف إلى سيلفيا منذ ستة أسابيع فقط، لكنه الآن أصبح يعرفها جيّداً، وقد فتح قلبه لها وتغيّرت حياته منذ ذلك الحين. شعر غراي بالصدمة من ردّة فعل شارلي، فبدلاً من الاحتفال معه قام وصفه بأنه خائن للعهد، مما جعله يشعر كأنه تعرّض لعاصفة. كانت كلمات شارلي ما تزال تتردّد في رأسه حين رنّ هاتفه الخلوي.

- "مـرحباً، كيف سارت الأمور؟" كانت هذه سيلفيا، وقد اتّصلت به من مكتبها وهي تبدو فرحة ومشرقة. لقد أقنعت نفسها في النهاية أن غراي

يعــرف شارلي أكثر ممّا تعرفه هي، وأنّ تقديرها لردّة فعله تجاه علاقتهما مخطـئة علــى الأرجــح. أقنعت نفسها أن غراي محقّ، وأنّها على خطأ. تابعت تسأله: "هل أخبرته بالأمر؟ ماذا قال لك؟"

– أجابهــا غــراي بصدق: "كان ذلك رهيباً، بل سيئاً جداً. لقد نعتني بخــائن للعهد. يا للرجل المسكين! إنه يخاف من العلاقات والالتزام. لم أرَ الأمر بهذا الوضوح من قبل. أكره قول ذلك، لكنك كنت محقّة. في الواقع، كان غداءً محبطاً للغاية".

– "تباً! أنا آسفة لقد أقنعتني بأنّني أنا المخطئة".

– "لكــنك لم تكوني كذلك". بدأ غراي يتعلّم أنها قلّما تكون مخطئة. إنهــا تمتلك حدساً قوياً تجاه الناس وتصرّفاتهم، وهي تسامحهم جميعاً رغم اختلافها معهم.

– "أنــا آســفة، لا بد أن ذلك كان محزناً لك. أنت لست خائناً للعهد غراي. أنا أعلم أنك ما زلت تحبّهما. ما من سبب يمنعك من إقامة علاقات خاصــة مــع إبقائهما جزءاً من حياتك أيضاً". لم تكن سيلفيا تحاول انتزاع غراي من صديقيه، لكن غراي أصبح لديه إحساس بأن شارلي كان ليفعل، ويبعده عن سيلفيا لو سمح له بذلك.

– "هذا إن أرادا أن يظلاّ جزءاً من حياتي. لقد كنت صريحاً جداً في ما قلته".

– "أتعني في ما قلته عنا؟"

– "ومــا قلــته عنه أيضاً. لقد أخبرته أنه يضيّع حياته، وأنه سيموت وهو يشعر بالوحدة".

قالت له بلطف: "قد تكون محقّاً في ما قلته. لكن عليه أن يكتشف ذلك بنفســه. ربما هذا ما يريده، ولديه الحق في ذلك. بحسب ما أخبرتني، لقد تُــرك وحــيداً منذ وفاة عائلته، ويصعب عليه تخطّي هذا الأمر، فكل من أحــبّهم ماتوا وهو صغير. من الصعب إقناع شخص مرّ بتجربة مماثلة أن

الشخص الذي قد يحبّه يوماً ما لن يتركه وحيداً ويموت أيضاً، لذلك هو من يقوم دائماً بهجر النساء أوّلاً قبل أن يفعلن ذلك به".

– "هــذا بالــضبط مــا قلــته له". كلاهما كان يعرف أن هذا الكلام صحيح، ورغم دفاع شارلي عن نفسه، فهو أيضاً يعلم أنه صحيح. لكنه لم يكن مستعداً للاعتراف بذلك حتى لأصدقائه. كان من الأسهل أن يقول دائماً بأن جميع النساء اللواتي مررن في حياته لديهن مساوئ كثيرة، وذلك ليبرّر سبب رفضه لهن.

– "لا أعتقد أنه استمتع بسماع ذلك".

قال غراي وهو يبدو حزيناً: "ربما! لكنني لم أحبّ ما قاله عنّا".

– أتمنّــى أن يتخطّــى ذلــك. إن فكّر بزيارتنا فسوف ندعوه لتناول العشاء، ونهدّئه قليلاً. لقد أخبرتَه بأكثر ممّا يستطيع تفهّمه في جلسة واحدة. سواء ما أخبرته به بشأن علاقتنا، أم لأنك كنت صادقاً جداً بشأنه".

– "نعــم، لقد فعلت ذلك. أعتقد أنه شعر بالصدمة بشأن علاقتنا. آخر مرة رآني فيها على متن اليخت كنت لا أزال عضواً جيداً في نادي الرجال العزّاب، وحالما أصبح بعيداً عن ناظري قفزت بعيداً عنهم. هذا على الأقل ما يراه هو".

سألته وهي تبدو قلقة: "وما الذي تراه أنت؟"

– "أنــا أشعر أنني أكثر الرجال حظاً في العالم. أخبرته بذلك أيضاً، لكــن لا أعــتقد أنه صدّقني. إنه يظنّ أنك تعطينني دواء للهلوسة". ضحك غــراي وهو يقول ذلك، وبدا سعيداً مجدّداً وهو يقول: "إن كنت تفعلين، لا تتوقّفي عن إعطائي ذلك الدواء، لأنني أحببت الأمر".

ابتــسمت ســيلفيا وهــي تفكّر فيه، وتمكّن غراي من سماع ذلك في صوتها حين قالت: "وأنا أيضاً". كان لديها زبوناً ينتظرها، فأخبرت غراي أنهــا ســتراه فــي شقتها بعد العمل. "حاول ألا تقلق كثيراً، فشارلي يحبّك وســوف يهــدأ قريباً". لم يكن غراي واثقاً مثلها، وفكّر مطوّلاً بذلك وهو

يمـشي مـتجهاً نحو شقته. لم يشكّل الغداء صدمة لشارلي فقط، بل لغراي أيـضاً... راحت كلمات شارلي ترنّ في رأسه مرّة بعد أخرى: أنت تتكلّم كخائن للعهد...

راح شـارلي يفكّر بكل ما قاله غراي له، وهو في طريقه إلى خارج المدينة. وجد أمامه وقتاً طويلاً للتفكير بالأمر، إذ كان لديه موعد في مركز رعاية الأطفال الذي موّلته مؤسسته منذ وقت قصير في قلب حي هارلم. لم يستطع أن يصدّق ما قاله له غراي، وقد رأى أن الجزء الصحيح من كلامه كان أكثر بكثير ممّا أراد هو الاعتراف به. لقد فكّر مؤخراً تماماً كما يفكّر غـراي بالنـسبة للمـوت وحيداً، لكنه لم يكن مستعداً لمناقشة ذلك مع أي شخص سوى طبيبه النفسي. غراي كان محقاً، فآدم لا يزال شاباً لفهم ذلك، إنـه لا يـزال في الحادية والأربعين من العمر، وهو ما زال يبني مهنته ويعمـل بجهد، أما شارلي وغراي فقد وصلا إلى قمة عطائهما في حياتهما المهنـية، وهمـا الآن في طريقهما نزولاً نحو الجهة المقابلة من الجبل. لم يعد شارلي واثقاً أنّه يريد متابعة حياته بمفرده، لكن في النهاية، قد لا يكون أمامه خيارٌ آخر. إنه يحسد غراي لأنه وجد امرأة تشاركه الجولة الأخيرة مـن الرحلة، لكنه لم يكن يريد الاعتراف بذلك. على أي حال، من يعلم إن كانت تلك العلاقة ستستمر طويلاً؟ على الأرجح أنها لن تستمرّ، إذ لا شيء يستمرّ حتى النهاية.

راح شـارلي يفكّـر بالموضوع وقد علت وجهه نظرة حزينة. أخذ يتذكّر تفاصيل حديثه مع غراي لكي يشارك طبيبه النفسي فيه حين توقّفت سيارة الأجرة التي استقلها عند العنوان الذي أعطاه للسائق عند الانطلاق.

سأله السائق باهتمام: "هل ستكون بخير هنا؟" بدا للسائق أن شارلي عليه أن ينزل في مكان ما في الجادة الخامسة بدلاً من النزول في قلب حي هارلم، فقـد كان يرتدي ربطة عنق أنيقة وبذلة باهظة الثمن، ويضع في يده ساعة ذهبية. فهو لم يكن يحبّ الذهاب إلى نادي اليخوت وهو يرتدي ثياباً عادية.

- "سـأكون بخير". شكر شارلي السائق وهو يبتسم، وأعطاه إكرامية كبيرة.

كـره الـسائق تركه هناك فقال: "هل تريدني أن أنتظرك، أو أن آتي لأخذك لاحقاً؟"

ابتسم شارلي مجدداً، وقال: "لا تقلق بهذا الشأن، شكراً لك". حاول أن يـبعد من رأسه قليلاً محادثته مع غراي وهو ينظر نحو المبنى. لاحظ أن ذلـك المبنـى بحاجـة إلـى الترميم، وفكّر أن المليون دولار التي قدّمتها مؤسسته للمركز ستكون ذات فائدة كبيرة كما يأمل.

لم يستطع إلاّ أن يفكر بغراي وهو يتّجه نحو الباب الأمامي. أسوأ ما في الأمر هو شعوره بأنه خسر غراي لصالح سيلفيا. كره الاعتراف لنفسه بأنـه شـعر بالغيرة منها، لكنه أدرك ذلك في صميم قلبه. لم يكن يريد أن يخـسر صديقه المفضل من أجل امرأة مندفعة مليئة بالحيوية، كما وصفها غـراي، لمجـرّد أنها وجدت له معرضاً ليعرض فيه لوحاته. من الواضح أنهـا تريد أمراً معيناً منه، أمّا إن كانت تريد التلاعب به، وهذا ما يخشاه شـارلي، فهي ستُرمي بالصداقة خلفها، وتبعد غراي عنه إلى الأبد. تملّك الخـوف شـارلي من فقدان صديقه، وفكّر أنه يحاول الانتحار بالزواج أو بقـضاء الليل عند سيلفيا. ببساطة، هو لا يثق أبداً بسيلفيا، وبدا له كأنها قد امـتلكت صـديقه مـنذ الآن. إنها تقوم بغسل دماغه، والأسوأ من ذلك أن بعض ما قاله غراي بدا منطقياً، خصوصاً في ما يتعلّق بشارلي. لا شكّ أن هـذا هـو رأي سيلفيا، فغراي لم يتكلّم معه من قبل بتلك الطريقة مطلقاً! مطلقـاً! لقد قلبت المرأة كيانه رأساً على عقب، ولم يحبّ شارلي ذلك على الإطلاق.

وقـف عند بوابة مركز الأطفال لفترة طويلة قبل أن يقرع الجرس. أخيـراً أتـى شـاب ذو لحـية، يرتدي سروال جينز وقميصاً ذات كمين قصيرين، وفتح له الباب. بدا الشاب أميركياً من أصل أفريقي، وقد ظهرت

أسنانه البيضاء خلف ابتسامته العريضة، وبدت عيناه مخمليتين بلون الشوكولاته، وحين تكلّم ظهرت لكنة كاريبيّة في لهجته.

- "أهلاً بك. كيف يمكنني أن أساعدك؟" نظر الشاب نحو شارلي وكأنه قد هبط من كوكب آخر، إذ لم يسبق لهم أن رأوا أشخاصاً يرتدون ثياباً أنيقة كثيابه يأتون إلى هذا المركز. تمكّن الشاب من إخفاء استغرابه، وأرشده إلى الداخل.

شرح شارلي له قائلاً: "لدي موعد مع كارول باركر". إنها مديرة المركز، وكل ما كان شارلي يعرفه عنها هو أنها عاملة اجتماعية، وأنها تملك الكثير من المال. لقد ذهبت إلى برينستون لنيل شهادتها، ثم نالت شهادة الماجستير في العمل الاجتماعي من كولومبيا، وهي تعمل الآن على أطروحة الدكتوراه. أما مجال خبرتها وحقل تخصّصها فهو الاهتمام بالأطفال الذين يتعرّضون للمعاملة السيئة.

بدا ذلك المكان منزلاً آمناً لهؤلاء الأطفال وأمّهاتهم، لكن بعكس المؤسسات المماثلة الأخرى، يتمّ التركيز الأساسي هنا على الأطفال وليس على الأمهّات. فالأمهات اللواتي تمّ استغلالهن وليس لديهن أولاد، أو أولئك اللواتي لم يتمّ استغلال أولادهن لا يمكنهن البقاء في ذلك المركز. علم شارلي أن المسؤولين عن المركز يقومون ببعض البحوث بالتنسيق مع مؤسسات اجتماعية أخرى لمنع استغلال الأطفال والإساءة إليهم، بدلاً من بلسمة الجراح بعد حصول المآسي. كان هناك عشرة موظفين بدوام كامل، وستة بدوام جزئي. معظمهم يعمل في الليل، وهم بغالبيتهم طلاب تخرّجوا حديثاً، ويعملون تحت إدارة طبيبين نفسيين، كما تعمل معهم مجموعة من المتطوعين الذين هم من المراهقين الذين تعرّضوا للاستغلال وإساءة المعاملة من قبل. إن استخدام الأولاد الذين تمكّنوا من تخطي مرحلة الاستغلال التي مرّوا بها لمساعدة الأطفال الأصغر سناً ممن يعانون المشكلة نفسها بدا أمراً إيجابياً بالنسبة لشارلي. لقد أعجب بكل ما قرأه عن

هذا الموضوع. بدأت باركر هذه المهمّة بمفردها منذ ثلاث سنوات حين حازت على شهادة الماجستير، وكانت تخطّط كي تصبح معالجة نفسية متخصصة في مشاكل أطفال المدن وضواحيها. بدأت إدارة هذه المؤسسة بإمكانيات ضئيلة، وقدّمت أكثر من مليون دولار كي تشتري هذا المركز وتديره. وقد ساهمت مؤسّسته في زيادة التمويل بتقديمها مبلغاً مماثلاً للمبلغ الذي قدّمته كارول. ممّا سمعه عنها بدت امرأة شابة مثيرة للاهتمام، مع أنها ما تزال في الرابعة والثلاثين من عمرها. هذا كل ما عرفه عنها، فهو لم يكن يملك أي فكرة عن مظهرها، ولم يتكلّم معها من قبل سوى عبر الهاتف. بدت محترفة وعملية، لكنها بدت أيضاً دافئة وطيبة. لقد دعته ليأتي ويرى المكان، ووعدت بأنها سترافقه في الجولة بنفسها. لقد قامت مؤسسته بالتحقّق من كل شيء في المركز من مستندات وأوراق، بما في ذلك المديرة نفسها. ومع أنها ما تزال شابة، لكنها بدت قادرة على الإمساك بزمام الأمور، فالمراجع التي قدّمتها عن نفسها لمؤسسته كانت مثيرة للاهتمام. معظمها كان يحمل شهادة أشخاص مهمّين في نيويورك. وبالإضافة إلى كونها مدرّبة وقديرة، بدا أنها تتمتّع بعلاقات قوية أيضاً، فحاكم نيويورك نفسه قد كتب إحدى تلك الشهادات لها. لقد التقت بأشخاص هامّين، وأثارت إعجابهم وهي تحاول بناء ذلك المركز.

أرشد الشاب شارلي إلى غرفة انتظار صغيرة، وما إن جلس حتى قدّم له فنجان قهوة، إلاّ أن شارلي تردّد بقبوله. لقد حصل على ما يكفي من الشراب وهو برفقة غراي عند الغداء، ومعظم ما حدث هناك كان لا يزال عالقاً في حنجرته. وبينما جلس هناك منتظراً، حاول من جديد إبعاد تلك الأفكار عن رأسه.

راح يراقب الأشخاص الذين يمشون هناك من خلال باب غرفة الانتظار المفتوح. رأى نساءً وأطفالاً، بالإضافة إلى مراهقين يرتدون قمصاناً تعرّف عنهم على أنهم متطوعون. بدا كأن لعبة غير رسمية لكرة

السلة تدور في الباحة الخارجية، ولاحظ شارلي وجود إعلان يدعو نساء الحي للمجيء إلى اجتماعٍ مرتين في الأسبوع، للتحدث عن وسائل منع استغلال الأطفال وإساءة معاملتهم. لم يكن واثقاً بعد من مدى تأثير ذلك في المجتمع، لكن على الأقل بدا له أن المسؤولين عن المركز يقومون بما يقولون بأنّهم يفعلونه. وفيما هو يراقب الأولاد الذين يرمون الكرة في السلة، فُتح الباب وظهرت منه امرأة طويلة شقراء، تنتعل حذاءً رياضياً وترتدي سروال جينز وقميصاً تشبه تلك القمصان التي يرتديها الآخرون. أدرك شارلي حين اقترب منها ليصافحها أنها في مثل طوله تقريباً، فقد بدت كتمثال رائع الجمال بطول ست أقدام. في الواقع، بدت كعارضة أزياء لا كعاملة في الحقل الاجتماعي. ابتسمت المرأة مرحّبة به، لكنّ تصرفاتها كانت رسمية وهادئة. كان المركز بحاجة إلى المال التي قدّمته مؤسّسته، لكن بدا واضحاً أنها ليست من النوع الذي يقدّم التنازلات، أو يذلّ نفسه لنيل تلك الأموال. علم أنها تواجه مشكلة بطلب المساعدة، ولم يكن واثقاً إن كان سيتقبّل طريقتها. بدا عليها الشك والارتياب، وكأنها في موقع الدفاع عن نفسها وهي تدعوه إلى مكتبها.

رأى على الجدران ملصقات، وجداول، وإعلانات، وتحذيرات موجّهة للموظفين، كما رأى لوحات تبيّن وسائل الاتصال إذا ما حصلت محاولة للانتحار، ومخططاً يظهر الخطوات اللازمة لإسعاف شخص يختنق. رأى كذلك خزانة كتب مليئة بمراجع هامة تبعثر معظمها على الأرض. بدا مكتب المديرة وقد تكومت عليه الأغراض وتكدّس البريد فوقه، وكانت هناك فوق المكتب أيضاً صور فوتوغرافية لأطفالٍ دخلوا هذا المركز في أوقاتٍ مختلفة من الزمن. بدا مكتباً للعمل الدؤوب فعلاً وعلم شارلي أنها تدير المؤسسة ومجموعات الأطفال بنفسها. القسم الوحيد الذي لم تكن تديره هو القسم المسؤول عن شؤون الأمهات المستغلات، إذ كانت هناك امرأة أخرى سبق أن تدرّبت على هذا النوع من الرعاية، وقد أتت للاهتمام بهذا

القسم. كانت كارول باركر تقوم بكل الشؤون بنفسها، ما عدا تنظيف الأرض والطهو بالطبع. لكن سيرة حياتها أظهرت أنها لو وقعت في مأزق ما، لقامت بهذه الأعمال أيضاً. إنها إحدى هؤلاء النساء اللواتي تبدو سيرتهن الحياتية مثيرة للاهتمام، لكن معظم هؤلاء يبدون مروّعات حين يقابلهم الناس وجهاً لوجه. لم يقرّر شارلي بعد إن كانت هي كذلك أم لا، لكن حالما جلست خلف مكتبها ابتسمت له وظهر الدفء في عينيهاتن ولاحظ أنها تمتلك عينين زرقاوين كبيرتين وساحرتين.

- "إذاً، سيّد هارينغتون. هل أتيت كي تتفقّدنا؟"

عليها الاعتراف أنه، بعد تبرعه بمليون دولار لديه كل الحق بأن يتفقد المركز. في الواقع، لقد أعطتهم مؤسسته تسع مئة وخمسة وسبعين ألف دولار، وهو المبلغ الدقيق الذي طلبته. لم تمتلك كارول الشجاعة كي تطلب مليون دولار كاملة وبدلاً من ذلك طلبت منه أن يقدم مبلغاً يوازي المبلغ الذي وضعته من حسابها الخاص خلال السنوات الثلاث الماضية، وشعرت بالصدمة حين تلقّت من مؤسسته الموافقة على طلبها. لقد قدّمت طلبات المساعدة لعشرات المؤسسات في الوقت نفسه، لكنها خذلتها. قالت المؤسسات الأخرى إنها تريد مراقبة تطور المركز لسنة كاملة قبل تقديم المساعدات لمشروعها، لذا شعرت بالامتنان لشارلي. لكن كلما أتى أحد رجال المال لمراقبة مؤسستها، كانت كارول تبدو كالقرد الراقص. إنها تعمل في مجال إنقاذ حياة الناس وإعادة تأهيل الأطفال المتضررين، وهذا كل ما يهمّها. لكن زيادة رأس المال كانت أمراً أساسياً، رغم أنها لم تستمتع به. كانت تكره اضطرارها للتأثير في الناس من أجل الحصول على أموالهم، لكن الحاجة الماسة للأشخاص الذين تخدمهم بدت سبباً مقنعاً بما يكفي بالنسبة لها. كانت تكره إقناع أشخاص آخرين، يعيشون حياة الرفاهية بأفكارها. فما الذي يعرفه هؤلاء الأشخاص عن طفلة تمّ رشّ عينيها بمادة مبيّضة مما جعلها بقية حياتها عمياء، وعن صبي وضعت

مكواة والدته الحامية فوق وجهه؟ ماذا يعرفون عن فتاة في الثانية عشرة من عمرها تم اغتصابها من قبل شخص راشد، وقد ظهرت علامات سيجارته فوق صدرها؟ كم من الوقت يحتاج هؤلاء الأغنياء ليقتنعوا بحاجة الأطفال إلى المساعدة؟ لم يعرف شارلي ما الذي ستقوله له، لكنه تمكّن من رؤية حماسها لعملها في عينيها، ولاحظ عدم رضاها عن بذلته الأنيقة وربطة عنقه الباهظة الثمن وساعته الذهبية. مهما كان المبلغ الذي صرفه على مظهره هذا علمت كارول أنه كان بإمكانه الاستفادة منه بشكل مختلف. تمكّن شارلي من قراءة أفكارها وشعر بالغباء لمجيئه إلى هذا المكان بهذا المظهر.

"آسف لأنني لم أرتدِ ثياباً ملائمة، لكن كان لدي غداء عمل في وسط المدينة". لم يكن ذلك صحيحاً، لكنه ما كان ليدخل إلى نادي اليخوت وهو ينتعل حذاء رياضياً، ويرتدي قميصاً ذات كمين قصيرين وسروال جينز كما تفعل هي. قال هذا فيما خلع سترته، وفك زرّي كمّيه، ثم لفّهما إلى الأعلى، وفكّ ربطة عنقه ودسّها في جيبه. لم يكن ذلك تغييراً كبيراً لكنه قام بمجهود لفعل ذلك على الأقل. ابتسمت كارول له، ثم قالت له معتذرة: "آسفة، لكن العلاقات العامة ليست من نقاط قوتي. أنا أحبّ ما نقوم به هنا، لكنني لست بارعة في مدّ البساط الأحمر حين يأتي أشخاص هامّون إلى مكتبي. والسبب هو أننا ببساطة لا نملك بساطاً مماثلاً. وحتى لو كنّا نملك واحداً، فلن يكون لدي الوقت لمدّه". كان شعرها طويلاً، وقد ربطته بشريط رفيع عند مؤخرة رأسها. بدت كالقرصان وهي تجلس هناك، وقد مدّت رجليها تحت طاولة المكتب. في الواقع، لم تبدُ له كعاملة اجتماعية، رغم أن جميع أوراقها أثبتت له ذلك. تذكّر شارلي أنها قصدت جامعة برنستون، فأخبرها أنها الكلية التي تخرّج منها أيضاً، وذلك في محاولة منه لكسر الجليد بينهما.

لكن، بدا له بوضوح أنها لم تظهر اهتماماً كبيراً لكونهما قصدا الكلية نفسها، إذ قالت له ببساطة: "أحببت كولومبيا أكثر، إنها مكان أكثر صدقاً،

أما برنستون فقد بدت لي مكاناً مليئاً بالتكلف، وهذا لم يناسب ميولي. الجميع هناك مأخوذ بتاريخ المكان، وبدا لي أنها تجعلنا نفكّر بالماضي أكثر ممّا نفكّر بالمستقبل".

- "لم أفكّر بالأمر بهذا الشكل من قبل". قال شارلي ذلك بحذر، لكنّه أعجب بملاحظتها. بدت بطريقة ما مخيفة وجدّية، تماماً كما كان يخشى. سألها وهو لا يزال يأمل بتسجيل النقاط معها أو إيجاد روابط مشتركة بينهما: "هل انضممت إلى أحد النوادي هناك؟"

أجابته بنبرة خجولة: "نعم. انضممت إلى نادي المأكولات البيتية". عرفت كارول النوع الذي ينتمي إليه شارلي، فالشبان الأرستقراطيون أمثاله كانوا كثراً في برنستون. قالت له: "أنت كنت في نادي النخبة". لم يكن هذا النادي يقبل بانضمام النساء إليه حين كانت كارول لا تزال في الجامعة، لذلك كرهت جميع الشبان الذين انضمّوا إليه. بدا لها ذلك غباءً وغروراً الآن. ابتسمت له حين هزّ رأسه إيجاباً.

- "لن أقول شيئاً غبياً كأن أسألك كيف عرفت ذلك؟" بدا بوضوح أنها تعرف هذا النوعَ من الشبان جيداً، لكنها لا تعرف شيئاً أكثر من ذلك عن شارلي. تابع يقول: "هل يمكنك أن تسامحيني على ذلك؟"

ضحكت وهي تقول: "نعم، أسامحك". فجأة بدت كارول أكثر شباباً وأصغر سناً. لم تكن تضع أي مستحضرات تجميلية، وهي لم تزعج نفسها يوماً بفعل ذلك، فحين تكون في المركز، تبقى منشغلة جداً ولا تهتمّ لهذه التفاصيل التي لا قيمة لها بنظرها. تابعت تقول: "بحصولي على تسع مئة وخمسة وسبعين دولاراً يمكنني مسامحتك على أي شيء، مادمت لا تقوم باستغلال أطفالك أو تسيء معاملتهم".

- "ليس لدي أطفال، لذا لست على الأقل مذنباً في هذه القضية". شعر شارلي أنها لم تحبّه، وسرعان ما أصبح تغيير ذلك الشعور بمثابة تحدٍّ له. فبرغم كل شيء إنها إمرأة جميلة، مهما كانت الشهادات التي

نالتها. قليلات هن النساء اللواتي يتمكّن من مقاومة سحر شارلي حين يقرّر إظهار ذلك السحر. لم يكن واثقاً بعد إن كانت كارول باركر تستحقّ ذلك الجهد، لكن بطريقة ما، بدت له تلك المرأة مهمّة صعبة. كانت كارول متعاطفة تماماً مع الأطفال حتى الصميم، وشعرت أنّ ليس مثلها أبداً. تفاجأت لسماعها أن ليس لديه أولاد، ثم تذكّرت أنها سمعت مرة بأنه ليس متزوجاً، وتساءلت إن كان رجلاً طبيعياً. ولو علم شارلي بما فكّرت به لتحطّم كلياً! لم تكن كارول تهتمّ لميوله الجنسية، فكل ما أرادته هو أمواله من أجل تطوير مركز رعاية الأطفال.

عرضت عليه بتهذيب وهي تستعدّ للوقوف من جديد، وقد أخذت تنظر مباشرة في عينيه: "هل تودّ القيام بجولة في المركز؟" لو أنها تنتعل حذاءً ذا كعبين مرتفعين، لأصبحت بطوله تماماً. فشارلي يبلغ طوله ستة أقدام وأربع بوصات، وهما يملكان لون العينين نفسه، والشعر الأشقر نفسه أيضاً. للحظة، أدرك شارلي أنها تبدو تماماً مثل أخته، لكنه حاول فعل أي شيء لينسى تلك الفكرة. فهي فكرة مقلقة جداً.

لم ترَ كارول النظرة التي ارتسمت في عينيه حين لحق بها إلى خارج المكتب. قادته في جولة استمرّت لساعة كاملة، فأخذته إلى كل غرفة وكل مكتب، وأنزلته إلى جميع الأروقة. ثم أرته الحديقة التي زرعها الأطفال على سطح المبنى، وعرّفته على أطفال كثيرين، من بينهم غابي العمياء مع كلبها الذي يرشدها في التحرك، وأخبرته أن مؤسسته هي التي دفعت ثمن الكلب. كانت غابي وكلبها لا يزالان يتدرّبان على التحرك معاً، وقد أطلقت الفتاة اسم زورو على الكلب الأسود الكبير الذي أحضروه لها. وقف شارلي وربّت على ظهر الكلب وقد أحنى رأسه كي لا تتمكّن كارول من رؤية دموعه. بدت القصص التي أخبرته بها وهما بعيدان عن الأطفال مفتّتة للقلب ومأساوية جداً. وقفا لبضع دقائق يستمعان إلى مجموعة تدير حلقة نقاش، فشعر بالاعجاب والاستمتاع وهو يستمع. عادةً، تقوم كارول بقيادة هذه المجموعة، لكنها أخذت عطلة بعد الظهر كي تتمكّن من استقباله، مع أنها ترى عادة أن في هذا مضيعة للوقت. ولطالما شعرت أنّ من الأفضل لها قضاء هذا الوقت مع تلاميذها.

عرّفته كارول على المتطوعين الذين يعملون بجهد في علاج الأطفال الصغار، وعلى الذين يساعدون في تعليم القراءة للأولاد الذين وصلوا إلى سن المراهقة وهم ما زالوا غير قادرين على الكتابة والقراءة. تذكّر شارلي أنه قرأ عن هذا البرنامج في إحدى نشرات المركز، كما تذكّر أنها فازت بجائزة وطنية تقديراً للنتائج التي حقّقها المركز حتى الآن. كان كل من تلاميذها يخرج بعد سنة من قسم خدمات المرضى الخارجيين شخصاً متعلماً ومثقفاً. كانت ترحب أيضاً بأهالي الأطفال لينضمّوا إلى برنامج القراءة الخاص بالراشدين. كما يقدّم المركز أيضاً خدمات علاجية واستشارية للأطفال والراشدين على السواء. أخذت كارول شارلي إلى كل الطوابق بدءاً من الطابق العلوي حتى السفلي، وعرّفته على الجميع، وأخيراً عرّفته على مساعدها تايغ، وهو الشاب الذي فتح له الباب عند المدخل، وأخبرته أن تايغ يتابع دراسة الدكتوراه في جامعة يال. لقد استخدمت كارول أشخاصاً مؤهلين للعمل معها، كانت تعرف بعضهم من قبل، والآخرون التقت بهم لاحقاً خلال مسيرتها. شرحت له أنها وتايغ درسا الماجستير معاً في مجال العمل الاجتماعي، وبعد ذلك أسّست هي هذا المركز، أمّا هو فذهب إلى يال ليتابع دراسته، كما أخبرهما تايغ أنه في الأساس من جامايكا. وبعد حديث دام بضع دقائق بينهما وبين تايغ، رافقت كارول شارلي مجدّداً إلى مكتبها، وقد بدا منهكاً.

قال لها وهو يبدو خاشعاً، بينما راح ينظر إليها بإعجاب: "لا أعرف ماذا أقول لك. إنه مكان رائع! ولقد قمت بعمل مذهل. كيف تمكّنت من فعل ذلك؟" لقد قدّر كثيراً ما قامت به، ورغم الطبع المشاكس الذي قابلته به في البدء، وازدرائها بنادي النخبة الذي انتمى إليه، بدا واضحاً له أنها امرأة

استثنائية جداً. أنشأت كارول المركز الذي يحوّل حياة الناس إلى الأفضل، ويحـــدث تغييراً في مسار الكثير من البشر، سواء كانوا صغاراً أم كباراً، وهي ما تزل في سن الرابعة والثلاثين.

كـــان شارلي منشغلاً بسماع كل كلمة تقولها منذ بدء الجولة، ونسي كلـــياً أن يوقعها بسحره. بدلاً من ذلك، هي من قامت بطرحه أرضاً، ليس بـــسحرها أو بمظهـــرها الـــرائع، بل بإنجازاتها وبعملها الذي تستمتع به. فالمركز الذي أنشأته كان مكاناً مذهلاً.

قالـــت له ببساطة: "كان هذا حلمي منذ الطفولة، فوفّرت من أجله كل قـــرش جنيـــته منذ كنت في الخامسة عشرة من عمري. حين كنت مراهقة عملت نادلة، ومدرّبة سباحة، وبعت المجلاّت، كما عملت في جزّ العشب. قمت بكل ما في وسعي كي أحصل على هذا المكان، وقد فعلت ذلك أخيراً. لقـــد وفّـــرت ثلاث مئة ألف دولار من عملي الخاص بما في ذلك الأموال التي جنيتها من تجارة الأسهم المالية، أمّا الباقي فجمعته من الناس، إلى أن تمكّـــنت أخيراً من دفع ثمن المبنى والبدء بالمشروع. كان المبنى في حالة ســـيئة جداً، لكنه لن يبقى كذلك لمدة طويلة. تابعت تقول بصدق وامتنان: "وذلـــك بفضل مؤسّستك. أنا آسفة لأنني لم أبدُ مرحبة كثيراً في البدء، فأنا أكـــره تبرير ما أقوم به. أعلم أننا نقوم بعمل رائع، لكن بعض الأشخاص الـــذين يأتـــون إلى هنا لا يرون ذلك، فهم لا يفهمون قيمة ما نقوم به. ثم تابعـــت بخجل: "حين رأيت بذلتك وساعتك الباهظة الثمن، اعتقدت أنك لن تـــتفهّم عملنا، وكان ذلك استنتاجاً غبياً. أعتقد أنني أمتلك حكماً مسبقاً على كـــل من قصد جامعة برنستون بمن فيهم أنا نفسي، فنحن أصحاب امتياز ولا نعلـــم ذلك. ما أراه أنا هنا هو الواقع الحقيقي، أمّا كل ما تبقى فهو غير حقيقي بالنسبة لي على الأقل". هزّ شارلي رأسه، ولم يعرف ماذا يقول لها، فهي امرأة ذات هيبة، ولقد فرضت هيبتها عليه. لم يكن في الأمر خوف أو جبن منه، بل هيبة فرضتها عليه بجدارة، وشعر فجأة بالخجل بسبب بذلته وساعته الذهبية.

أشـــار إلـــى ســـاعة يده وهو يعتذر قائلاً: "أعدك بأنني سأرميها من النافذة وأنا في طريقي إلى المنزل".

ضـــحكت كـــارول بقـــوة، وقالت: "لا داعي لأن تفعل هذا، لأن أحد جيراننا سيتكفّل على الأرجح بنشلها من يدك. سأطلب من تايغ مرافقتك إلى الخارج لأنّك لن تستطيع أبداً الوصول إلى الشارع بمفردك".

قـــال وهو يبتسم لها: "أنا أقوى بكثير ممّا يظهر عليّ". أصبحت كارول أكثـــر لطافة معه الآن، فبرغم كل شيء، وأياً يكن النادي الذي انتمى إليه، فقد قـــدّم الـــرجل للمركز مليون دولار وهي ممتنّة له. تساءلت إن كانت قد بدت قاســـية كثيراً معه في البدء، وأدركت أنها كانت كذلك فعلاً. إنها تكره الأغنياء الـــذين لم يروا يوماً الجانب الآخر من الحياة. لكن من جهة أخرى، فهو يدير مؤسّسة تدعم الأعمال الخيرية، لذا لا يمكن أن يكون شخصاً سيئاً حتى لو كان يعـــيش حياة مترفة. في الواقع، لكانت كارول تسخر من تحليلها لو أنها علمت أنه يمتلك يختاً يبلغ طوله ثمانين متراً، لكن بالطبع، لم يخبرها شارلي بذلك.

قالـــت لـــه بصدق: "وأنا أقوى بكثير ممّا يبدو عليّ، لكن رغم ذلك علـــيك أن تكـــون حـــذراً في هذا الحي. إن عدت مجدّداً ارتدِ ثياباً عادية وانـــتعل حـــذاءً رياضـــياً". لم تغفل كارول عن ملاحظة حذاء جون لوب المصنوع خصيصاً له في محلات هرمس.

- "نعم، سأفعل ذلك". وعدها شارلي بذلك وقصد تماماً ما قاله، فهو ســـيلتزم بـــذلك بالتأكيد، على الأقل كي لا يزعجها. أعجبه كثيراً أن تكون راضـــية عـــنه كما هي الآن، فنظراتها حين وصل كانت أكثر برودة، أما الآن فأصبحت الأمور تسير بشكل أفضل، وقد استحسن شارلي فكرة العودة إلـــى المركـــز فـــي زيارة أخرى. قال لها كل ما أمكنه قوله، بينما رافقته كارول مع تايغ إلى الباب الخارجي.

قالـــت له وقد ظهرت ابتسامة دافئة على وجهها: "عد إلى هنا قريباً". حالمـــا قالت ذلك، نزلت غابي بثقة على الدرج برفقة زورو، وكانت الفتاة

تمسك بحبل يلتفّ حول رقبته. تعرّفت غابي على الفور إلى صوت تايغ وكارول. سألتها كارول بدهشة: "ما الذي تفعلينه هنا؟" عادة لا ينزل الأولاد عبر الدرج إلاّ ليأكلوا أو ليخرجوا إلى اللعب في الحديقة، فالطابق السفلي كان مخصّصاً للمكاتب فقط. إن ظهر أحد الآباء الذين يسيؤون معاملة أولادهم لكي يبحثوا عنهم، أو ليهاجموهم من جديد بعد أن يكون الأولاد قد وضعوا بأمر من المحكمة تحت رعاية كارول كما هو وضع غابي، فإن تواجدهم في مكانٍ بعيد عن الأنظار في الطابق العلوي هو أكثر أماناً لهم.

– "أتيت لأودّع الرجل ذا الصوت الجميل، وزورو أراد أن يودّعه أيضاً". هذه المرّة تمكّنت كارول من رؤية دموع شارلي، لكن لحسن الحظ أن غابي لم ترَ دموعه، بينما أمسكت كارول يده بلطف. صعُب عليه مقاومة هذه الطفلة فلقد فتّت قلبه عندما اقتربت منهم، وقد ظهرت على وجهها ابتسامة عريضة.

قال شارلي وهو يربّت على ظهر الكلب أوّلاً: "وداعاً زورو". ثم لمس برفق شعر الطفلة، ونظر نحوها. لكن ابتسامته ذهبت هدراً لأنها لم ترها. لا يمكنه الآن فعل أي شيء كي يغيّر ما حدث معها في الماضي أو ليمحو ذكرياتها ونتائج ما حصل، كل ما أمكنه فعله هو أن يدفع بشكل غير مباشر ثمن كلبها. لكن ذلك بدا أقل من كافٍ، وهذا ما تشعر به كارول دائماً حيال ما تقوم به. قال شارلي للطفلة: "اعتني به جيداً غابي، إنه كلب وسيم".

أجابته بابتسامة صغيرة: "أعلم ذلك". ثم انحنت لتقبّل أنف زورو، وتابعت: "هل ستأتي مرة أخرى لكي ترانا؟ أنت رجل لطيف".

– "شكراً لك غابي. أنت لطيفة أيضاً وجميلة جداً، وأنا سآتي مجدّداً لأراك. أعدك بذلك". نظر مباشرة إلى كارول وهو يقول ذلك، فهزّت رأسها له. رغم حكمها المسبق عليه، فقد أحبّته هي أيضاً. لا بد أنه رجل طيب، لكنه محظوظ ومدلّل. طيلة حياتها، كانت كارول تتجنّب الرجال

أمثاله، لكن شارلي، على الأقل، يهتمّ لإحداث تغييرٍ ما. فمليون دولار هو مبلغ كبير، وهو يدلّ على وجود شيء مختلف لدى الرجل. لقد أظهر اهتماماً كافياً كي يأتي إلى هنا ويرى المكان، بالإضافة إلى ذلك، لقد أعجبت كارول بالطريقة التي تكلّم بها مع الفتاة، وبدا من المؤسف ألاّ يكون لديه أولاد من صلبه.

وجد تايغ له سيارة أجرة، وعاد إلى الداخل كي يخبره أنها تنتظره في الخارج. سخرت كارول منه قائلة: "ضع خوذتك على رأسك، وخبّئ ساعتك".

– "أعتقد أنني سأتمكّن من النجاة حتى أصل إلى سيارة الأجرة". ابتسم لها مجدّداً، وشكرها على الجولة التي لم تُسعد نهاره فحسب، بل على الأرجح عامه بأكمله. ودّع شارلي غابي مجدّداً، واستدار وهو في طريقه إلى الخارج لينظر إليها وإلى كلبها للمرة الأخيرة. أخيراً صافح تايغ مودّعاً، وحمل سترته فوق كتفه فيما لا يزال كمّا قميصه مرفوعين إلى الأعلى. بعد لحظات، استقلّ سيارة الأجرة، وأعطى عنوانه للسائق. جلس شارلي صامتاً، وأخذ يفكّر بما رآه بعد ظهر هذا اليوم، وقد شعر بغصّة في حلقه عندما فكّر بغابي وكلبها.

حالما وصل إلى المنزل، مشى شارلي عبر الباب ورفع سماعة الهاتف. اتّصل بغراي على هاتفه الخلوي. بعد ظهر هذا اليوم، توضّحت الكثير من الأمور له، مما جعله أكثر قدرة على إدراك ما هو ذو قيمة وما لا قيمة له في هذه الحياة.

ردّ غراي بعد الرنة الثانية. كان هو وسيلفيا يطهوان طعام العشاء، وشعر بالدهشة لسماع صوت شارلي. كان يخبرها عن غدائه معه مرة أخرى، وكيف أنه لا يزال غاضباً من ردّة فعل شارلي على الخبر الذي زفّه إليه بشأن علاقتهما.

قال شارلي من دون أي مقدّمات: "أنا آسف لأنني بدوت نذلاً أثناء الغداء، لا أصدّق أنني أقول هذا، لكن في الواقع أظنّ أنني أشعر بالغيرة".

فتح غراي فمه من الدهشة، بينما أخذت سيلڤيا تراقب ردّة فعله. لم تكن تعلم من المتكلّم أو ما الذي يقوله له، لكن غراي بدا مصعوقاً.

– "أنا لا أريد أن أخسرك يا صديقي. أعتقد أن ما أخافني هو التفكير بتغيّر الأمور. لكن بحق الله! إن كنت تحبّها، أعتقد أنني سأعتاد عليها أنا أيضاً". ظهرت الدموع في عينيه مجدّداً وهو يقول ذلك. لقد مرّ بعد الظهر باختبار عاطفيّ، وآخر ما يريده الآن هو خسارة صديقٍ كغراي، فهما يحبّان بعضهما كشقيقين.

قال غراي بصوت مرتجف: "لن تخسرني أبداً". لم يصدّق ما يسمعه، فها هو الصديق الذي لطالما وجده في شارلي يعود إليه، وفي النهاية كانت سيلڤيا مخطئة في نظرتها.

قال شارلي وقد عاد إلى طبيعته من جديد: "أعلم ذلك. لقد اكتشفت هذا الأمر بعد الظهر. لقد أُغرمت أنا أيضاً".

قال غراي وهو يبتسم: "تباً، هذا غير صحيح! بمن؟"

– "بفتاة عمياء في السادسة من عمرها، تمتلك كلباً اسمه زورو يساعدها لكي تتنقّل. إنها أظرف طفلة قابلتها في حياتي. لقد قامت والدتها بسكب مادة مبيّضة في عينيها، ولن تتمكّن من استعادة نظرها من جديد. يبدو أننا نحن من أحضرنا لها ذلك الكلب". صمت الرجلان للحظة، وانهمرت الدموع فوق خدي شارلي. لم يستطع نزع هذه الصورة من ذهنه، وعلم أنه لن يستطيع ذلك يوماً. علم شارلي أنه كلما أراد التفكير بمركز الأطفال، فإنه سيفكّر على الفور بغابي وزورو، حتى بعد أن ترحل الفتاة من هناك.

قال غراي وقد هزّته مشاعره القوية: "أنت رجل طيّب شارلي". أمضى غراي فترة بعد الظهر كلها وهو يفكّر أنه قد فقد صديقه. لقد بدا شارلي غاضباً جداً وقاسياً، لاسيّما حين وصف غراي بالخائن. لكن يبدو أنه سامحه الآن. استغرق الأمر بضع ساعات فقط.

قال شارلي: "أنت أيضاً رجل طيّب". ثم أجال نظره في شقته التي بدت فارغة أكثر الآن، ولم يستطع إلاّ أن يفكّر بغراي وسيلڤيا. تابع يقول: "يمكنك دعوتي للعشاء في وقت ما. عسى أن تجيد سيلڤيا الطهو أفضل منك، ففي المرة الأخيرة التي طهوت لي كدت تقتلني. نصحك ألاّ تحاول تعليمها سرّ اليخنة التي تقدّمها".

– "في الواقع إنها تغلي الآن على الموقد. كنت أعلّم سيلڤيا كيف تعدّها".

– "خذ بنصيحتي ولا تكمل إعدادها، وإلاّ سترمي بالمشاعر الرومنسية إلى خارج نافذتك. لقد اضطررت إلى إجراء غسيل لمعدتي بعد تناول يخنتك. اتّصل بمطعم واطلب طعاماً صينياً على الفور".

– "تمهّل قليلاً، وأعطني فرصة... سبق لسيلڤيا أن تذوقّتها وقد أعجبتها كثيراً".

– "إنها تكذب. صدّقني لا أحد في العالم يحبّ اليخنة التي تعدّها أنت، إلاّ إن كانت سيلڤيا مجنونة أو أنها تحبّك كثيراً".

– "ربما للسببينُ معاً. أتمنّى ذلك على الأقل".

اعترف شارلي بحذر: "رغم أن ذلك ليس أفضل موضوع يثير اهتمامي، لكن من أجلك أنت، أتمنّى ذلك أيضاً، فأنت تستحقّ امرأة جيّدة كي يتغيّر حالك. أعتقد أنني بحاجة لذلك أنا أيضاً، إن وجدت المرأة المناسبة يوماً". تردّد قليلاً، ثم تابع: "إن ما قلته لي اليوم صحيح، فأنا لست واثقاً ما الذي أريده أو من أريد. حياتي أكثر بساطة بهذا الشكل". أكثر بساطة، لكنها أكثر وحدة أيضاً. أدرك شارلي ذلك مؤخراً أكثر من أي وقتٍ آخر في حياته، وذلك منذ أن عاد إلى نيويورك.

– "ستجد تلك المرأة، إن أردت ذلك. ستعلم حين يحصل ذلك شارلي. تماماً كما فعلت أنا. يوماً ما ستسير تلك المرأة إلى حياتك، فتشعر كأنّك تلقيت ضربة قوية على رأسك".

– "أتمنّى ذلك". تكلّما لبضع دقائق، ثم أقفلا الخط. قال غراي إن اليخنة بدأت تحترق على الأرجح، فأجابه شارلي أن حصول ذلك نعمة من الله.

بعد إنهاء المكالمة جلس شارلي بسكون في شقته، وأخذ يفكّر بتلك الجولة التي قام بها في مركز الأطفال اليوم. كل ما فكّر به في البدء كان غابي وزورو... ثم تايغ طالب الدكتوراه الذي انتقل من جامايكا إلى يال... ثم فكّر بكارول باركر. كان الجميع يشكّلون فريقاً مذهلاً. وجد شارلي بعد ذلك نفسه يحدّق في الفضاء ويفكّر بالطريقة التي نظرت بها كارول نحوه ما إن التقيا. لقد كرهته فعلاً، ولم تشعر سوى بالازدراء نحوه، لأنها لم ترَ فيه سوى سترته وساعته، لكنه رغم ذلك أعجب بها. أعجب بما قامت بتحقيقه وبما آمنت به. لقد عملت بجهد كي تحقّق أهدافها. إنها امرأة مثيرة للاهتمام، وتتمتّع بذكاء رهيب، وبالكثير من الشجاعة. لم يستطع أن يعلم متى ولماذا وكيف، لكن كل ما علمه هو أنه أراد رؤيتها من جديد. هناك الكثير كي يتعلّمه منها، وليس فقط بشأن ما تفعله بماله في المركز، بل أراد أن يتعلّم أكثر عن الحياة. من يدري؟ مع القليل من الحظ، وبالرغم من بذلته الأنيقة وساعته الذهبية، قد يصبحا صديقين في يوم من الأيام.

9

مرّ آدم بشارلي لاصطحابه بسيارة ليموزين طويلة، وتوجّها إلى الحفل الموسيقي. كانت إحدى الفنانات اللواتي يوكّلنه ستغنّي في تلك الليلة، واشتراكها في ذلك الحفل كان مهمة متعبة له، أمّا توقيع العقد والمفاوضات فكانت كالكابوس. تلك الفنانة هي من أهم نجوم البلاد، إن لم تكن من أهم نجوم العالم أيضاً. إنها ڤانا، الفنانة المتألقة! لقد تمّ حجز المسرح لحفلتها في ماديسون سكوير غادرن، وتوجّه إلى هناك كل المراهقين وأخذوا يصرخون، كما توجّهت الفتيات اللواتي يلاحقن الفنانين دائماً، والمجموعات الغريبة الأطوار، والراشدين من محبّي الروك أند رول في نيويورك. لم تكن هذه إحدى المناسبات التي يقصدها شارلي باستمرار، لكن آدم أقنعه أنه سيستمتع كثيراً، لذا عليه أن يأتي.

وصل ثمن البطاقة إلى أربعة أو خمسة آلاف دولار لشدة الطلب على الأماكن، وقد وقف الناس في صف طويل ليومين أو ثلاثة، لشراء البطاقات من شباك بيع التذاكر حالما فُتح. كان هذا أكثر العروض حماساً طوال العام. طلب آدم من شارلي أن يلبس سروال جينز، إذ لم يكن يريده أن يظهر في بذلة أنيقة، فيتسبّب بطردهما معاً. فآدم لديه ما يكفي من المشاغل التي تقلقه هذه الليلة، وهو لا يريد أن يقلق على شارلي أيضاً. بالطبع لم يكن آدم يملك حق المرور إلى ما وراء الكواليس فقط، بل يحقّ له الجلوس

فـي الصفوف الأمامية أيضاً. إنها ليلة لن ينساها أحد، وتمنّى آدم أن يسير كـل شيء بشكل جيّد وهادئ. راحت هواتفه الخلوية الثلاثة ترنّ باستمرار وهمـا يـتّجهان إلى ماديسون سكوير غاردن، فلم يستطع حتى التكلم مع شارلي قبل وصولهما إلى منتصف الطريق، لقد أومأ له مرحّباً، ثم سكب له مشروباً حين توقّفا عند الإشارة الضوئية.

أخيراً قال وهو يبتسم لشارلي الذي شعر بالتسلية وهو يراقب أسلوبه الغـريب في القيام بعمله: "يا إلهي! ويتساءل طبيبي لماذا يرتفع ضغط الدم لدي؟" استمع شارلي إلى آدم وهو يصرخ في وجه جميع الذين اتّصلوا به، وقـد استمتع بذلك. تابع آدم يقول: "هذا العمل سيقتلني. ماذا حدث لغراي؟ هـل هـو بخيـر؟ لم يتّصل بي أبداً". بسبب مجيء ڤانا إلى المدينة لتقديم عرض في ماديسون غاردن، لم يتسنّ له أن يتّصل هو بغراي. قال آدم إنه كان غارقاً حتى أذنيه بالتحضيرات تلك الحفلة.

قـال شـارلي بنبرة صوت غامضة: "نعم، إنه بخير". لكنه قرّر أن يخبر آدم كل ما يعرفه، فقال: "في الواقع، لقد وقع غراي في الحب".

– "نعم، طبعاً! أراهن على ذلك. أين وجد فتاته هذه المرّة؟ هل كانت خارجـة مـن المصحّ أم من صف إعادة التأهيل؟" ثم ضحك وهو يتناول الـشراب، فابتسم شارلي، ثم قال بثقة مسَحت أثر التسلية من نبرة صوته: "فـي بورتوفيـنو". مـا كـان آدم ليصدّق ذلك، ففي البدء شارلي نفسه لم يصدّق، وهو حتى الآن مازال يحاول الاعتياد على الفكرة.

– "أيّ بورتوفيـنو؟" بدا آدم متوتراً ومشتّت الأفكار، فلقد اتّصلت به إحـدى مـساعداته لتخبـره أن مصفّف شعر ڤانا لم يظهر بعد مع الشعر المـستعار، وأنهـا تمرّ بنوبة عصبية الآن. سارع أحدهم لإحضارها من فـندقها على الفور، لكن يبدو أن الحفلة ستبدأ في وقت متأخر قليلاً. هذا ما كـان ينقـصه! سيجنّ جنون المتعهدين إن تأخّر بدء الحفلة، رغم أنّ ذلك يحـدث أحياناً. لم يكن آدم مُخرج الحفل، لكن إن لم تلتزم ڤانا ببنود العقد، ستدخل في مقاضاة قانونية لا تنتهي. ڤانا فنانة مشهورة جداً، ولا يصعب علـيها الخروج من المسرح على الفور، إن أرادت فعل ذلك، أما آدم فهو موجود هناك ليحميها من نفسها.

قـال شارلي بهدوء: "لقد التقاها غراي في بورتوفينو". حدّق آدم إليه وقد خلا ذهنه تماماً من كل ذكرى، ثم سأله: "التقى بمن؟" ضحك شارلي منه، وفكّـر أن الـوقت غير مناسب الآن لمناقشة قصة حب غراي، لكنه موضوع يستدعي التحدّث عنه حين يجلسان بين الجموع. بدأ آدم بالتدخين، فقد أراد أن يجعل ڤانا تخرج إلى المسرح قبل أن تقوم بعمل غير قانوني أو مجنون.

تابـع شـارلي يقـول: "المرأة التي يحبّها غراي. يقول إنه ينام في منزلها. إنه لا يعيش معها بل ينام عندها فقط. أعتقد أنهما أمران مختلفان".

قـال آدم وقد ظهر عليه بعض الانفعال: "بالطبع، إنهما مختلفان! إنه ينام عندها لأنه لا يريد مغادرة السرير بعد ممارسة الحب معها، وهذا على الأرجـح بسبب التثاقل والسن، أما العيش معها فهو التزام كبير، وسيكون غـراي مجـنوناً إذا ما قام به. يمكنه أن يمارس الحب معها، وأن يحصل علـى حـياة ممتعة إنْ كان ينام عندها، أما حين ينتقل للعيش معها فسوف ينتهي به الأمر برمي المهملات، وبتوضيب الغسيل وبالطهو لها".

– "لا أعلم شيئاً عن الغسيل والمهملات، لكنه يطهو لها".

– "إنه مجنون! إن كان ينام عندها فقط، فهذا يعني أنه لا يملك خزانة ومفتاحاً، ولا يجيب على المكالمات الهاتفية. هل لديه مفتاح؟"

ضحك شارلي وهو يجيب: "نسيت أن أسأله عن ذلك". بدا آدم وكأنه سيـصاب بانهيار عصبي فيما هما ينتظران تغيّر الإشارة الضوئية، مع أن الكلام عن غراي حوّل انتباهه عن مشاغله قليلاً، أما شارلي فشعر بالدهشة لـسماع تلك القواعد التي يفكّر بها آدم. بدا له أنّ هناك قائمة من الأعمال التـي تحـدّد وضـع الرجل في العلاقة، وهو لم يكن على علم يوماً بهذه القواعد، رغم أنه حصل مرّة على المفتاح من إحدى النساء.

- "ومن هي بحق الله؟"

- "إنهـا سيلڤيا رينولدز متعهدة الفنون التي التقينا بها في بورتوڤينو. يبدو أن غراي تقرّب منها كثيراً من دون أن ندرك نحن ذلك، بينما كنت أنت تحاول اصطياد ابنة أختها".

- "آه، يا إلهي! الفتاة التي تبدو كالملاك، وتملك عقلاً كألبرت أينشتاين. لا يمكنك اصطحاب فتاة مماثلة إلى السرير. إنهن يتكلّمن معك حتى الممات، فتموت وأنت تحاول الحصول عليهن، دون أن تكون قادراً على ذلك. إنها تملك ساقين رائعتين، كما أذكر". قال آدم ذلك بأسف. لا شك أنه يفتقد دائماً للواتي لا يحصل عليهن، أمّا الأخريات فينتهين بالنسبة له في يومٍ واحد.

سأله شارلي محاولاً أن يتذكّر: "أتعني أنّ ابنة أختها لديها ساقان جميلتان؟" كل ما تمكّن من تذكره الآن هو وجهها.

- "لا! بل سيلڤيا نفسها. ما الذي تفعله بغراي، بحق الله؟" قال شارلي بنبرة مخلصة وقد وافقه آدم: "يمكنها القيام بأي شيء، فهو مجنون بها. أتمنّى أن تكون مجنونة بحبّه هي أيضاً تماماً كما يعتقد. إن كانت تأكل من اليخنة التي يعدّها، فهذا يعني أنها تحبّه فعلاً". لم يخبر شارلي آدم عمّا شعر به من غضب حين أخبره غراي في البدء عن هذا الأمر، أثناء تناولهما الغداء في نادي اليخوت. إنها لحظات لا تزال تشعره بالخجل، وتذكّره بسلوكه السيّء، ولكن يبدو أن غراي تخطّى الأمر، ويبدو أيضاً أن موضوع بقائه عند سيلڤيا لا يزعج آدم مطلقاً. فهذا الأخير لديه العديد من الأشياء الأخرى المهمّة التي تشغل تفكيره هذه الليلة، مثل عدم خروج ڤانا إلى المسرح إن لم تجد شعرها المستعار، والدعاوى القضائية التي قد تنتج عن هذا التصرّف. هذا الأمر سيجعله منشغلاً للسنوات العشر القادمة، نظراً لضخامة الحفل وأهميته.

علّق آدم على علاقة غراي الجديدة قائلاً: "لن تدوم هذه العلاقة طويلاً. إنها امرأة طبيعية جداً. سيملّ منها خلال أسبوع واحد".

- "يبدو أنه لا يفكّر على هذا النحو، فهو يقول إنه يحبّها وإنه لا يريد أن يموت وحيداً".

- "هل هو مريض؟" بدا آدم الآن قلقاً فعلاً، فهزّ شارلي رأسه بالنفي.

- "إنه فقط يفكّر بحياته على ما أعتقد، فهو يشعر بالوحدة وهو يرسم. لقد وجدت له معرضاً مميزاً، لذا لا أعتقد أن الأمر سيّء إلى هذا الحد".

- "ربما كان الأمر أكثر جديّة ممّا نعتقد. إن كانت قد فعلت أمراً مماثلاً، يجدر بي الاتصال به. نحن لا نريده أن يغرق، ويصل حتى النهاية من أجل ساقين جميلتين". ظهر القلق على آدم من جديد بينما هزّ شارلي رأسه.

- "حسب ما بدا لي الموضوع، لقد سبق أن فعل. سيكون علينا مراقبته وهو يلعب". قال شارلي ذلك بحذر وهما يصلان إلى ماديسون سكوير غاردن في الليموزين السوداء. لم يصدّق شارلي وجود هذا الحشد كلّه، فقد لزمهما عشرون دقيقة ليتمكّنا من شق طريقهما بمساعدة الشرطة. كان هناك شرطيان ينتظرانهما كي يرافقاهما إلى مقعديهما.

ما إن وجدا مكانيهما حتى اختفى آدم كي يتحقّق من أن كل شيء يسير على ما يرام. طمأن شارلي صديقه إلى أنه سيكون بخير، وجلس يراقب الحشود وهي تدور في كل مكان. لاحظ وجود فتاة شقراء جميلة ترتدي تنورة قصيرة وسترة جلدية حمراء، وقد انتعلت حذاءً جلدياً ذا كعبين مرتفعين فيما بدا شعرها طويلاً وناعماً كالحرير. كانت تضع الكثير من مساحيق التجميل، وبدا له أنها في السابعة عشرة من عمرها. سألته بتهذيب إن كان ثمّة من سيجلس في المكان الخالي بجانبه، فردّ بالإيجاب. ما لبثت الفتاة أن اختفت، لكنه رآها بعد بضع دقائق تتكلّم مع شخص آخر، فشعر أنها تجوب المسرح باحثة عن مكان لتجلس فيه، وفي النهاية عادت إليه من جديد.

مرة أخرى سألته بتصميم: "هل أنت واثق من أن أحدهم سيجلس هنا؟" أدرك شارلي أنها أكبر سناً ممّا قدّر في البدء، لكن الفرق ليس كبيراً. بدت ذات مظهر جميل وجسدٍ رائع. ظهر ذلك من خلال قميصها السوداء ذات القماش الشفاف الذي سمح لشارلي أن يلاحظ جمال جسدها، ولولا تلك الملامح البريئة التي ظهرت بوضوح في وجهها لظنّ أنها امرأة فاسقة.

أكّد لها شارلي مجدداً بأن المقعد محجوز، وقال: "نعم أنا واثق، صديقي خلف الكواليس الآن".

ظهرت على وجهها نظرات الدهشة: "آه، يا إلهي! هل تقصد أن صديقك يعرف ڤانا؟" قالت ذلك وكأنها اكتشفت أمراً خطيراً، فابتسم شارلي وهزّ رأسه بالإيجاب قائلاً: "إنه يعمل لصالحها بطريقة ما".

– "هل تمانع إن جلست مكان صديقك إلى أن يعود؟" سألته ذلك بتهذيب، وتساءل شارلي إن كانت تريد إغراءه، إلاّ أنه شكّ بذلك. أدرك أنها أصبحت مهتمّة بمقابلة آدم فقط حالما عرفت أنه خلف الكواليس. تابعت تقول: "بطاقتي تسمح لي بالجلوس في المقاعد الخلفية، حيث لا يمكنني رؤية أي شيء. فكّرت أن أفتّش عن مقعد خالٍ في الصفوف الأمامية، لكن يبدو أنّ الأماكن كلّها محجوزة. انتظرت يومين للحصول على بطاقتي، أحضرت كيساً للنوم وخيّمت هنا، وقمنا أن وصديقي بالتناوب". هزّ شارلي رأسه، وبدا مندهشاً حين جلست بقربه. بدا له أن وضعها ليس أسوأ من باقي الحشود، وفكّر أن بإمكانها أن تقف في أي مكان آخر. بدت أشبه بجوليا روبرتس في فيلم بريتي وومن، قبل أن يقوم ريشارد غير بتحويلها إلى امرأة مختلفة، فهي تمتلك المظهر الأخاذ نفسه. الثياب التي كانت ترتديها بدت فعلاً مذهلة، لا سيّما الحذاء الذي يصل ارتفاع كعبيه إلى ست بوصات، وتصل ساقاه حتى ركبتيها. بدت تنورتها غير محتشمة، أمّا قميصها فمصنوعة من قماش رقيق وشفاف. كان مظهرها مختلفاً تماماً عمّا ألفه لدى النساء اللواتي يعرفهن.

لم يستطع شارلي منع نفسه من التفكير كيف تُراها تبدو من دون مساحيق التجميل، وبشعر مشدود إلى الخلف وبسروال جينز نظيف. على الأرجح أنها ستبدو أكثر إثارة ممّا هي عليه الآن. تساءل إن كانت عارضة أزياء أو ممثلة صاعدة، لكنه ظلّ حذراً في التكلّم معها، إذ لم يكن يريد تشجيعها على البقاء هنا. كانت تجلس على حافة مقعد آدم، وعندما عاد هذا الأخير بدت عليه الدهشة لتصرّفها هذا. اعتقد أن شارلي قد دعاها، فأثار ذلك اهتمامه، مع أنه لم يكن يعتقد أن شارلي قادر على إقناع فتاة بالجلوس معه خلال خمس دقائق.

– "لقد وجدوا شعرها المستعار. كانت مصفّفة شعرها ثملة في الفندق. لكنهم أحضروا لها مصففاً آخر. أياً كان ذلك الشخص فقد أنقذ نهارنا". شرح آدم ذلك، ثم نظر باهتمام وارتباك إلى الفتاة الجالسة مكانه. وسألها. "هل هناك سبب لتجلسي مكاني؟ هل التقينا من قبل؟" لم يستطع أن يمنع نفسه من تأمل قميصها أولاً ثم وجهها الرائع. بدت فتاةً جذابة جداً، من النوع الذي يحبّه تماماً، وشعر أن هذا يوم حظّه.

ابتسمت له الفتاة، وقالت: "ليس بعد، لكن مقعدي مقرف. كنت أخبر صديقك عن ذلك، وقال لي إنك تعمل مع ڤانا. أعتقد أن ذلك رائع". بدا التأثّر المفرط في عينيها، وكأنها تنظر إلى بطل ذي مقام رفيع وهي تبتسم له.

– "في بعض الأحيان يكون ذلك رائعاً. إلا أنه لم يكن كذلك الليلة". هددت ڤانا بعدم الخروج إلى المسرح، لكنها هدأت لاحقاً حين وجدت شعرها المستعار، وقام أحدهم بتصفيفه. لم يتكبّد آدم عناء شرح الموضوع للفتاة، إذ لم يكن واثقاً من أنها ستفهم الأمر، فقد اعتبر أن نسبة ذكائها ليست مرتفعة، مع أنّ جمالها رائع. لم تكن مسألة الذكاء يوماً هامة بالنسبة إليه، فهو يفضّل النساء الجميلات على ذوات العقول الراجحة، وذلك منذ علاقته براشيل. "اسمعي! أكره أن أزعجك. كنت أود أن أجلس للتكلم معك،

لكن الحفل سيبدأ بعد خمس دقائق، لذا من الأفضل أن تعودي إلى مقعدك". بدت الفتاة في التنورة القصيرة والحذاء الجلدي الأسود وكأنها ستنفجر بالبكاء، فشعر آدم بالانزعاج، لكنه لم يعرف ما الذي يمكنه أن يفعله لها. لم تكن هناك مقاعد خالية مطلقاً، لكن فجأة أتته فكرة. لم يعرف لما شعر بالرغبة في مساعدتها، وفكّر أنه سيندم على ذلك على الأرجح، لكنه أمسك ذراعها وسحبها من مقعدها، مشيراً إليها لترافقه قائلاً: "إذا وعدتني بالتصرّف بشكل لائق، يمكنني أن أحصل لك على مقعد على المسرح". إنهم يتركون دائماً عدداً من المقاعد هناك تحسّباً لظهور أشخاص غير متوقعين.

– "هل أنت جدّي؟" امتلأت الفتاة رعباً بينما أرشدها آدم نحو المسرح. أظهر بطاقة المرور الخاصة به لأحد الحراس، وعلى الفور سمح له بالمرور. عندها علمت الفتاة أنه جدّي تماماً. لم تحظَ هذه الفتاة بضربة حظٍ جيّدة كهذه منذ سنوات طويلة. لقد قال لها صديقها إنها مجنونة لأنها اقتربت إلى المقاعد الأمامية، لكن مغامرتها أثمرت تلك الليلة. ساعدها آدم في صعود الدرج بحذائها المرتفع الكعبين، وتمكّن أثناء ذلك من تأمّل جسدها بوضوح. لكنه لم يشعر بتأنيب الضمير وهو يراقبها. فكّر أنها بمجرّد ارتدائها لهذه الملابس فهي على الأرجح تتوقع منه أن ينظر نحوها بإمعان.

سألها من دون سبب معين وهو يرافقها عبر ممرّ بين المقاعد المثنية خلف المسرح: "على فكرة، ما اسمك؟" كان عليها المشي فوق الأسلاك وأجهزة الصوت، لكنها كانت ستحصل على رؤية رائعة للعرض هذه الليلة. نظرت الفتاة إليه وكأنها حصلت على الجائزة الكبرى في اليانصيب.

– "ماغي أومالي".

– "من أين أنت؟" نظر آدم نحوها وهو يبتسم، بينما أخذت مقعدها ووضعت رجلاً فوق الأخرى. تساءل إن كانت مفعمة فعلاً بالحيوية كما

تبدو، أم أنها ارتدت هذه الملابس من أجل الحفلة فقط. بما أنه كان أكثر خبرة مع النساء المماثلات من شارلي قدّر أنّ عمرها اثنان وعشرون عاماً.

– "ولدت في كوينز، لكنني أعيش في الجهة الغربية من المدينة الآن، وأعمل في بيير92". إنه مطعم مع حانة تعجّ بالحشود في أحيان كثيرة، وجميع النادلات هناك يبدون مثلها تماماً، والفتيات الأكثر جمالاً يرقصن على الطاولة لساعات محدّدة لإثارة إعجاب الموجودين. توقّع آدم أن تكون ممن يحصلن على الكثير من الإكرامية في عملهن. بعض الفتيات اللواتي يعملن في هذه الأماكن قد يعملن أحياناً كممثلات أيضاً، وذلك لجني المزيد من المال.

سألها باهتمام: "هل أنت ممثلة؟"

– "لا. أنا نادلة، لكنني أجيد الرقص الإيقاعي والباليه". لم تخبره أنها تعلّمت ذلك عبر التلفاز ليس أكثر. عندما كانت صغيرة لم تكن هناك صفوف لتعلّم الرقص حيث عاشت. لقد ولدت في أفقر حيّ في كوينز، وخرجت منه حالما استطاعت فعل ذلك. أما الآن فهي تعيش في الجهة الغربية العليا من المدينة، في حيّ هو عبارة عن شقق عديدة صغيرة جداً للإيجار، لكنه يبدو كقصر مقارنة بالمنزل الذي نشأت فيه، نظرت نحو آدم وهي منقطعة الأنفاس وعيناها مليئتان بالدموع، وقالت له: "شكراً لأنك قدّمت لي هذا المكان. إن كان بإمكاني تقديم شيء لك، ابحث عني في بيير 92. سأقدّم لك شراباً هناك". كان هذا كل ما عرضته عليه، رغم أنه كان يفضّل الحصول على أشياء أخرى منها، لكنها بدت بريئة رغم ثيابها الفاضحة، لذا شعر آدم بالذنب من أفكاره السيئة عنها. لقد بدت فتاة طيبة رغم ثيابها المغرية.

– "لا تقلقي بهذا الشأن، سرّتني مساعدتك. اسمك ماغي، أليس كذلك؟"

- "فــي الواقع، اسمي ماري مارغريت". قالت ذلك وهي تنظر إليه بعينــيها الواسعتين، فتمكّن آدم من تخيّلها على الفور بلباس مدرسي بسيط. مــاري مارغــريت أومالـــي... لم يستطع إلاّ أن يتساءل لماذا ترتدي هذه الثياب. إنها تمتلك وجهاً كوجوه الملائكة، وجسداً كأجساد الفاسقات، وفكّر أن ملابــسها الرديئة تلك تستحقّ الحرق. كانت لتبدو مذهلة بثياب مرتّبة، لكن الحياة قست عليها كثيراً. ولقد قامت الليلة بكل ما أمكن لفتاة فقيرة من كوينــز تعمل في بيير 92 أن تقوم به، وهي الآن تجلس على أحد المقاعد المميّزة على المسرح في عرض لڤانا.

وعــدها قــائلاً: "ســآتي للبحث عنك بعد العرض". عنى آدم ما قاله لخمــس دقائق فقط. فجأة، قفزت الفتاة من مكانها وعانقته كطفلة صغيرة، فيما ظهرت الدموع في عينيها.

- "شــكراً لمــا فعلــته مــن أجلي. هذا ألطف أمر حصل لي على الإطــلاق". النظــرات التــي رآها في عينيها جعلته يشعر بالذنب للأفكار السيئة التي خطرت بباله عنها، فتغيير مكانها كي تجلس على المسرح كان أمراً سهلاً بالنسبة له.

- "علــى الــرحب والسعة". قال ذلك وهو يستدير كي يرحل، لكنها أمسكت ذراعه فجأة.

- "مــا هو اسمك؟" أرادت أن تعرف اسم فاعل الخير هذا، ما جعل آدم يشعر بالذهول، لأنهما لن يلتقيا من جديد.

قــال لها: "آدم ويس". ثم أسرع ليعود إلى مكانه، وقد بدأت الأضواء تخفت. بعد دقيقتين من جلوسه قرب شارلي، بدأ العرض.

اقتــرب شــارلي منه قليلاً قبل أن تبدأ ڤانا عرضها، وسأله: "هل وجدت لها مقعداً؟" كان شارلي ما يزال مسحوراً بها، فهو لم يلتقِ بفتاة مــثلها عن قرب من قبل، ذلك أن الفتيات المشابهات لها لسن من نوعه المفضّل بالتأكيد.

همس آدم: "نعم، فعلت ذلك، لكنها قالت إنها تريد الخروج معك". قال آدم ذلك بسخرية، متعمداً أن يبدو جدياً، فضحك شارلي.

- "لا أصدّق. هل أخذت رقم هاتفها وفئة دمها وعنوانها؟"

- "لا، لكنني لاحظت مقاس صدرها. إنه أعلى من نسبة ذكائها". قال آدم ذلك بتكشيرة ماكرة.

وبّخه شارلي قائلاً: "لا تكن قاسياً. لقد بدت لطيفة".

- "نعــم، أعلــم. ربما نصطحبها معنا إلى الحفلة بعد العرض". بدا علــى شــارلي العبوس، إذ فكّر أن العرض الفني كافٍ له. أما الحفلة التي ســتقام بعد العرض فليست موقعه المناسب. لطالما أحبّ موسيقى ڤانا، وقد أحبّها الليلة أيضاً.

كــان العرض رائعاً، وقد أدّت ڤانا سبع أغنيات، ولم تبدُ يوماً أفضل ممّــا هــي عليه الليلة. عادت ماغي خلال الاستراحة لتراهما، وتشكر آدم مــرةً أخــرى. وضــع آدم ذراعه فوق كتفها ودعاها إلى الحفلة، فرمتْ ذراعــيها خلف رقبته وعانقته مجدداً، فشعر بجسدها فوق صدره. كان كلّ ما فيها حقيقياً، بما في ذلك أنفها. بدا واضحاً له أنها لم تخضع لأي عملية تجميلــية، فكل ما فيها كان هبة من الله وليس من عمل المتاجر. لم يرَ آدم فتاةً مماثلة منذ سنوات.

قــال شارلي له بهدوء بعد أن ابتعدت ماغي لتجلس في مكانها، وقبل أن يبدأ العرض من جديد: "يجب ألاّ تفعل هذا".

ســأله آدم ببــراءة: "مــاذا فعلت؟" كان لا يزال يشعر بجسدها فوق صــدره، وأعجبه ذلك الشعور كثيراً. لقد عرف عشرات النساء قبلها، لكن جمالهن لم يكن حقيقياً.

- "يجــب ألاّ تستغلّ فتاة صغيرة. ربما هي ترتدي كالساقطات لكنها طفلــة لطيفة. لذا، لا تكن نذلاً آدم. سوف تشعر بتأنيب الضمير لاحقاً. لن تحبّ مطلقاً أن يعامل أحدهم ابنتك بتلك الطريقة".

– "لو ارتدت ابنتي ثياباً مماثلة لقتلتها، أو لفعلت أمها ذلك". لقد أراد آدم أن يصطحب ولديه معه لحضور العرض، لكن راشيل لم تسمح له بذلك. وقالت إن لديهما مدرسة في الغد، وهي لا تريد لولديها أن يعتادا على مثل هذه الأجواء. قالت إنهما لا يزالان صغيرين جداً. في الواقع، ولدا آدم مهذبان جداً.

– "ربما ليس لدى ماغي من ينصحها بألاّ ترتدي تلك الثياب". بدا أنها واجهت الكثير من المشاكل كي تحظى أخيراً بثياب من أجل السهرة، لكنها لم توفّق بمظهر لائق. مع ذلك، لا يمكن لأي نوع من الثياب مهما كان سيئاً أن يؤثّر على وجهٍ بريء كوجهها. إنها فتاة طيبة، ولا بد أنها ستنضج في يوم من الأيام، وتتعلّم كيف ترتدي ثياباً ملائمة أكثر لها.

علّق آدم بجفاء: "نعم، أنت محق. خصوصاً أنها تعمل في بيير 92". لقد قصد آدم ذلك المكان مرة، ولم يصدّق كم كان الجو سيئاً، فالموجودون يقومون بلمس جميع الفتيات وهم يأكلون ويشربون. رغم أن النادلات هناك لسن عاريات لكنهن يرتدين ثياباً مكشوفة جداً. إنهن يرتدين فساتين تبدو كتنورة التنس القصيرة، مع حزام جلدي أمّا القمصان فهي أصغر بعدّة قياساتٍ من مقاسهن الطبيعي. بدا له ذلك المكان كمكبّ للنفايات. قال آدم لشارلي: "توقّف عن الشعور بالأسى عليها. هناك ما هو أسوأ. كمن يولد في كالكوتا، أو كتلك الفتاة العمياء التي أخبرتني عنها حين زرت ذلك المكان في هارلم. هذه الفتاة رائعة، وستكتشف ذلك يوماً ما. لمعلوماتك سيقوم أحد الوكلاء باكتشافها يوماً ما، وستغدو نجمة معروفة".

قال شارلي بحزن وهو يفكّر فيها: "أشكّ في ذلك". هنالك الآلاف من الفتيات المماثلات، ومعظمهن لا يخرجن من حياة الجحيم التي يعشنها، لا سيّما بوجود رجال كآدم يقومون بمطاردتهن واستغلالهن. شعر شارلي بالأسى على ماغي، لكن لم تمضِ بضع ثوانٍ حتى بدأ العرض.

عندما انتهى العرض، سادت الفوضى بين الحشود، إذ بدأ المعجبون والمصورون يزحفون نحو المسرح. استدعى الأمر مساعدة اثني عشر شرطياً لإخراج ڤانا سالمة من المسرح. حتى إن آدم لم يتمكن من الوصول إلى الكواليس، لكنه استخدم هاتفه الخلوي ليتصل بمدير المسرح الذي طمأنه أن ڤانا بخير، وأخبره كم هو مذهول بسبب جنون الناس. طلب منه آدم أن يبلغ ڤانا بأنه سيراها خلال الحفلة، وحين استدار ليتحدّث إلى شارلي كانت ماغي قد أصبحت هناك. كادت تفقد قميصها وسترتها وهي تحاول الابتعاد عن المسرح، لكنها تمكّنت أخيراً من الوصول إليهما. شكرت آدم بشدة مجدداً، ولم تكن تمتلك أي فكرة عمّا حدث مع صديقها، فقد أصبح من المستحيل إيجاد أي شخص في هذه الغوغاء.

سألها آدم: "هل تريدين أن تأتي إلى الحفلة؟" بدا مظهرها عادياً بالنسبة لذلك الحشد، ولم يشعر آدم بالحرج لاصطحابها رغم أن شارلي كان ليشعر بالحرج. لكن شارلي أراد العودة إلى المنزل. كان العرض الموسيقي أكثر من كافٍ له، وقد استمتع به كثيراً لكنه لم يكن يريد المزيد من المنبّهات تلك الليلة على العكس من شارلي. لطالما أحبّ آدم الجزء السيّء من تلك الحياة، وماغي قد تفي بالغرض تماماً، أما هي فشعرت بالحماس لترافقه.

استغرقهم الأمر نصف ساعة ليصلوا إلى الرصيف في الخارج، وعشرين دقيقة إضافية ليتمكّنوا من الوصول إلى الليموزين، لكنهم تمكّنوا من ذلك أخيراً، وأصبحوا هم الثلاثة في السيارة. توجّهوا إلى الناحية الشرقية من المدينة، إلى نادٍ خاص استؤجر من أجل الحفلة. علم شارلي أنه سيكون هناك الكثير من النساء والكثير من الشراب، أمّا آدم فلم يملك أي موقف سلبي نحو النساء والشراب. جلست ماغي على المقعد المواجه لهما في السيارة، وقد بدا الحماس على وجهها بينما، حدّق آدم بشكل عادي بها وهو يفكّر أنها تتمتّع بجمال لا يقدّر بثمن. حتى إن شارلي لاحظ ذلك أيضاً، لكنه بدلاً من النظر إليها فضّل النظر عبر النافذة.

سألت ماغي بحماس، وبصوت طفولي فيه لكنة أبناء نيويورك: "إلى أيـن سنذهب الآن؟" لم تكن تلك اللكنة واضحة إلى حد كبير، لكن شارلي تمكّن من ملاحظتها، أمّا آدم فلم يلاحظ ذلك.

– "سـنقوم بإيصـال شارلي أوّلاً، وربما نتوقّف لتناول الشراب في مكـان ما، ثم سأصطحبك إلى الحفلة". تمنّى أن يأخذها معه إلى المنزل إن كانـت تريد ذلك. على أي حال، إنه لا يجبر أحداً على فعل أي شيء، فهو لـيس مضطراً لفعل ذلك. هناك ما يكفي من النساء في حياته لجعله سعيداً طيلة الوقت. بدا له أنها لا تمانع في الذهاب معه إلى المنزل، ولم يعتقد أنه سـيكون في الأمر أي مشكلة. لقد سبق وأقلّ العديد من الفتيات المماثلات، وكـن يـشعرن دائماً بالحماس لمرافقته، لا سيّما في ليالٍ مثل هذه الليلة، فينتهي بهن الأمر في سريره. كان من النادر ألاّ يحدث ذلك.

ودّعها شارلي بتهذيب قبل أن يخرج من السيارة، قائلاً إنه يتمنّى أن يـراها من جديد في وقت ما، مع أنه علم أن ذلك لن يحدث، لكن ما الـذي كان بإمكانه أن يقوله غير ذلك؟ هل سيقول أتمنّى لك ليلة جميلة مع آدم في السرير؟ للحظة واحدة، تمنّى ألا تفعل، وعلم أن هذا التمنّي صـعب التحقيق، لكنه أرادها أن تكون أفضل من ذلك أو على الأقل أن تحظـى بفرصة أفضل. بدا له أنّ كل ما أثار اهتمامها هو المكان الذي يـريد آدم اصـطحابها إليه، والمقعد الذي أمّنه لها على المسرح. أراد شـارلي أن ينصحها بأن تتمتّع ببعض الاحترام لذاتها، لكن هناك أموراً لا يمكن تغييرها. إنها حياة آدم وحياتها، والأمر يعود إليها بما سيحدث حين يغادر. أراد فقط أن يحميها من آدم ومن نفسها، لكن لم يكن هناك مـن طـريقة لفعل ذلك. استقلّ شارلي المصعد الكهربائي وهو يفكّر، وحين دخل إلى شقته وقف ينظر نحو الحديقة في الظلام. لقد كانت ليلة ممـتعة، وقـد أمضى وقتاً رائعاً، لكنه أحسّ بالتعب لذا لم تمضِ دقائق قليلة حتى كان في السرير.

اصـطحب آدم ماغي إلى مقهى، تماماً كما وعدها فشربت كوباً من العصير، أما هو فتناول شراباً قوياً، وجعلها تتذوّق القليل منه. أعجبها ذلك الـشرب لكنها لم تكن معتادة على الشراب القوي، وقد فاجأ هذا الأمر آدم. وتفاجـأ أكثر حين أخبرته أنها في السادسة والعشرين من العمر، فلقد توقّع أن تكـون أصـغر سناً. أخبرته أنها تقوم بعرض الأزياء أحياناً وبتصوير بعـض الإعلانـات من أجل كتيّبات الأزياء، لكن عملها الأساسي فهو في بييـر 92. أخبـرته أيـضاً أنها جمعت ثروة من وراء الإكراميات، وكان يسهل كثيراً معرفة السبب، فهي تمتلك جمالاً لا يقاوم.

وصلا إلى الحفلة عند الساعة الواحدة وكانت قد بدأت للتو. بدا الحشد أكثر جنوناً من المعتاد، وما لبث آدم أن اكتشف أن البقاء في ذلك الجو أمر سـيء، إذ يحدث الكثير من الأمور السيئة أحياناً بعد الحفلات الموسيقية. رقـص آدم مـع ماغـي لبعض الوقت، ثم أخرجها وعادا إلى الليموزين. دعاهـا لـتذهب معه إلى شقته لإنهاء السهرة، لكنها نظرت نحوه، وهزّت رأسها بالرفض.

– "مـن الأفـضل ألاّ أفعل. لقد تأخّر الوقت، ولدي عمل غداً. لكن شـكراً لك على كل حال". لم يعلّق آدم على الموضوع، بل أعطى عنوانها للـسائق، لكنه شعر بالصدمة حين أدرك أين تقيم. كان هذا أكثر الشوارع خطـراً، وهو لم يرَ مثله من قبل. صعُب عليه التخيّل أن فتاة مثلها تعيش هـناك. لا بـد أنهـا تعاني الكثير كل يوم كي تتمكّن من الصمود. شعر بالأسف عليها، لكنه شعر بالانزعاج أيضاً لأنها لم تمضِ الليلة معه.

– "أتمنّـى ألا يـزعجك عدم ذهابي معك إلى شقتك آدم". قالت ذلك معـتذرة منه، بعد كل ما فعله من أجلها، ثم تابعت تقول: "أنا لا أقوم بعمل مماثـل عادة في الموعد الأول". وقف يحدّق فيها ويتساءل إن كانت تظنّ فعـلاً أنه سيكون هناك موعد ثانٍ بينهما. لقد كتبت له رقم هاتفها فوضعه فـي جيـبه، لكنه أراد أن يرميه حالما يصل إلى المنزل. كل ما أراده هو

الاستمتاع معها لليلة واحدة، لكن لم يكن من داعٍ لرؤيتها مجدداً، إذ بإمكانه الحصول على مئة فتاةٍ مثلها في أي وقت يشاء. إنه لن يحتاج إلى نادلة من بيير 92 مهما كانت جميلة أو مهما كانت ساقاها جميلتين، ولم يكن ذهابها معه إلى شقته ليحدث أي تغيير، بل كان ليمضي وقتاً مسلياً ليس أكثر.

– "لا. أنا أتفهّم ذلك. لِمَ لا أرافقك إلى منزلك؟" بدا له أنها قد تتعرّض للقتل إن صعدت إلى ذلك المبنى كي تصل إلى منزلها. لكنها كانت معتادة على ذلك فهزّت رأسها.

قالت وهي تبتسم له: "لا داعي لذلك. لدي ثلاث شريكات في السكن. اثنتان منهن تنامان في غرفة الجلوس وصعودك معي سيبدو غريباً، لأنهن نائمات الآن". لم يستطع آدم حتى أن يتخيّل العيش بذلك الشكل، ولم تكن لديه النيّة في التجربة. أراد فقط أن يتركها هناك، وينسى أنه يوجد أشخاص يعيشون حياة كحياتها. إنها ليست مشكلته، ولم يشأ أن تصبح كذلك، فكل ما يريده الآن هو الذهاب إلى المنزل.

قال لها بتهذيب: "شكراً لك آنسة ماري مارغريت أومالي. كان من دواعي سروري لقاؤك. أراك لاحقاً في وقتٍ ما".

قالت بصدق: "أتمنّى ذلك". لكنها علمت بأن ذلك لن يحدث، فآدم يعيش حياة ساحرة. إنه يعرف أشخاصاً كثانا، ولديه تصريح يُمكّنه من الدخول إلى ما وراء كواليس المسارح، وهو يملك سيارة ليموزين، ويعيش في عالم مختلف. قد تكون فتاة بريئة لكنها ليست غبية كما أرادها أن تكون، فبدلاً من أن يقول لها تصبحين على خير، كان يجدر به القول: "أتمنّى لك حياة جميلة". لكنه علم أن حياتها لن تكون كذلك، إذ كيف ستكون جميلة؟ وما الذي قد تحمله الحياة لفتاة مثلها مهما كانت جميلة؟ وأي طريق بإمكانها أن تسلكه كي تخرج من هذه الحياة المحدودة؟ علم أن الجواب سيكون بالتأكيد مبهماً، وأنها لن تتمكّن مطلقاً من تغيير حياتها.

– نزلت ماغي من السيارة، واتّجهت نحو المبنى وهي تحمل مفتاحاً، فقال لها حين استدارت لتنظر نحوه للمرة الأخيرة: "اعتني بنفسك".

– "وأنت أيضاً. شكراً لك، لقد أمضيت وقتاً رائعاً. شكراً مجدّداً على المقعد المميّز". ابتسم لها وتمنّى لو أنه في السرير برفقتها، فذلك أكثر متعة من الوقوف في حيّها، ومن الشعور بالصقيع في الشارع وهو يراقبها فيما هي تتّجه نحو منزلها. لوّحت له واختفت، وتساءل آدم إن كانت تشعر وكأنها سندريلا وهي تدخل ذلك المبنى الذي تقطن فيه. لقد انتهت الحفلة وسيتحوّل السائق والليموزين إلى يقطينة وستة فئران من جديد، حالما تصل إلى شقتها.

صعد آدم إلى السيارة من جديد وهو لا يزال يشمّ رائحة عطرها. لا شك أنه عطر رخيص، لكنه ذو رائحة جميلة، وهو يلائمها كثيراً. لقد لاحظ تلك الرائحة حين رقص معها، وشعر بالذهول حين أدرك وهو في طريقه نحو شقته في إيست 70 أنه يشعر بالإحباط. كان محبطاً لمعرفته أن الكثير من الناس يعيشون مثلها، وهو يعرف أن ليس بإمكانهم الخروج من هناك. قد تعيش ماغي أومالي في مبنى مماثل حتى آخر حياتها، إلاّ إن حالفها الحظ وتزوّجت من سكير حقير وانتقلت مجدداً إلى كوينز. هناك ستتمكّن من الاستغراق في الذكريات حول المبنى الذي كانت تسكن فيه في مانهاتن أو الوظيفة التافهة التي شغلتها كنادلة. قفزت إلى ذهنه صورة الرجال الأغبياء الذين يتهافتون للوصول إلى تنورتها كل ليلة، وفكّر أنه سيّء مثلهم تماماً. كان يريد الذهاب معها إلى السرير لو أنها سمحت له، وفي اليوم التالي سينساها كلياً. لأول مرة منذ سنوات شعر كأنه وغد وهو يتّجه نحو منزله، وجعله ذلك يشكّك في أخلاقياته. كان شارلي محقاً، ماذا لو عامل أحدهم أماندا بهذا الشكل في يوم من الأيام؟ قد يحدث ذلك لأي شخص، لكن هذه المرة حدث الأمر مع فتاة لا يعرفها ولن يعرفها أكثر. تناول كوباً من الشراب حين وصل إلى المنزل وهو يفكّر بها. تمشّى على

الــشرفة الــتابعة لشقته، وتساءل ما الذي كان ليحدث لو أنها هنا. سيكون هناك حماس بالتأكيد، ربما لدقيقة أو دقيقتين أو لساعة أو لليلة. هذا كل ما تعنــيه له. القليل من الخداع والمتعة. خلع ثيابه ورماها على الأرض قرب سريره، ثم صعد إلى السرير وهو يرتدي سرواله القصير كما يفعل دائماً، ونــسي أمر ماغي كلياً. لقد انتهت ماغي هنا بالنسبة له، وعليها العودة إلى حياتها مهما كانت قاسية.

10

علــى الرغم من محاولة شارلي إقناع نفسه بأن لا سبب يدعوه للقيام بــذلك، إلاّ أنه عاد مجدّداً إلى مركز الأطفال، وأحضر معه الكعك المحلى والمثلجات للأطفال، كما أحضر دمية على شكل الدب تيدي لغابي، وبعض التحلــية لكلــبها. ومع أنه فكّر بهما كثيراً منذ زيارته الأولى، لكن لم تكن غابــي من جعلته يعود إلى المركز، وقد أدرك ذلك منذ لحظة وصوله إلى هناك. في الواقع، إنها كارول! فقد استحوذت المرأة على تفكيره تماماً كما فعلت غابي وكلبها، حتى إنه فكّر بها أكثر منهما. علم أن هذا أمر جنوني، لكــنه لــم يــستطع منع نفسه من فعل ذلك. لقد شغلت كارول تفكيره طيلة الأسبوع.

ســألته كــارول حــين رأته، وقد بدت فضولية جداً: "ما الذي جعلك تعــود؟" عــاد هذه المرة وهو يرتدي سروال الجينز وكنزة صوفية قديمة وينتعل حذاءً رياضياً. كان يقف في الحديقة، ويتحدّث إلى تايغ بهدوء، حين خرجت من إحدى المجموعات ورأته.

- "جــئت لألقــي نظرة ثانية". هذه المرة جاء من دون أي تحذير. وللحظــة، اعــتقدت كارول أنه أتى ليتفقّد العمل، وشعرت أنّ تصرفه فظ جــداً، لكن سرعان ما أخبرها تايغ بشأن المثلجات التي أحضرها للأولاد، كما أرتها غابي الدب الصغير، وأخبرتها عن التحلية التي أعطاها لزورو.

– "إنهم يدخلون إلى القلوب بسرعة. أليس كذلك؟" قالت كارول ذلك بينما توجّها معاً إلى مكتبها، حيث عرضت عليه شرب القهوة.

أجاب شارلي قائلاً: "لا، شكراً! أنا بخير. أعرف أنك مشغولة، ولن أبقى لمدة طويلة". لم يكن بإمكانه القول إنه كان في الحي ففكّر بالمرور إلى المركز، إذ لا يوجد في الحي سوى المباني القديمة ذات الشقق الصغيرة، وبعض التجار الذين يبيعون المخدّرات على الطرقات. كل ما كان بإمكانه فعله في ذلك الحي هو شراء الهيروويين.

– "إنه لطف منك أن تحضر شيئاً للأطفال، فهم يحبّون زيارة الناس لهم. أتمنّى لو كان باستطاعتنا فعل المزيد لهم، لكن ليس لدينا الكثير من المال. علي ادّخار ما حصلت عليه من أجل أمور هامة كدفع الرواتب والتدفئة والأدوية. رغم أنهم بالتأكيد يفضّلون الحصول على المثلّجات". قالت ذلك وابتسمت لشارلي، فبعثت ابتسامتها السعادة في قلبه وهنأ نفسه على فكرته.

لقد أراد رؤيتها مجدداً، والآن بعد أن فعل، لم يستطع إيجاد سبب لتبرير ذلك. أقنع نفسه بأنه يقدّر عملها، وهو أمر صحيح، لكن كان هناك أمر آخر. لقد استمتع بالتحدث معها، وأراد أن يتعرّف إليها أكثر. لم يستطع شرح الأمر لنفسه فهي عاملة اجتماعية، وهو يدير مؤسسة خيرية. والآن، بعد أن أعطاها المال الذي تحتاجه، لن يكون لديه عذر لإجراء أي اتصال بينهما إلا من أجل الحصول على البيانات المالية، فمسارا حياتيهما مختلفان كلياً، لذا من الصعب إيجاد عذر لإقامة اتصال اجتماعي بينهما. هو يعلم أنها تشعر بالازدراء من طريقة الحياة التي يعيشها، والعالم الذي يتحدّر منه. إنها امرأة تضحّي بنفسها من أجل مجموعة من الأطفال المحرومين، يحاربون من أجل البقاء. أما هو فيعيش حياة الرفاهية والانغماس في الشهوات.

– "هل هناك ما يمكنني القيام به من أجلك؟" سألته محاولة المساعدة، بينما هزّ شارلي رأسه. لم يستطع التفكير بأي عذر ليتريّث أكثر في الزيارة، رغم أنه كان يودّ ذلك.

– "لا. سآتي مجدداً لرؤية الأولاد، إن كنت لا تمنعين. أودّ أن أتفقد غابي".

– "إنها بخير، لاسيّما بعد أن أصبح لديها زورو. ستبدأ بالذهاب إلى مدرسة متخصّصة في الشهر المقبل، فنحن نعتقد أنها أصبحت جاهزة لفعل ذلك".

– "هل سترحل من هنا؟" سألها شارلي ذلك وقد ظهر القلق على وجهه.

– "ليس في الفترة الأولى. سنحاول الحصول على رعاية عائلية لها لتسترجع حياتها الطبيعية من جديد، لكن يصعب إيجاد عائلة مناسبة للأطفال ذوي الحاجات الخاصة. فالأشخاص الذين يقدّمون منزلاً للرعاية ليسوا مستعدين للتعامل مع فتاة عمياء وكلب يساعدها في التحرك".

– "إذاً، ما الذي سيحصل؟" لم يفكر بالأمر من قبل، لكن على الأرجح أن الحياة ستكون صعبة بالنسبة لطفلة مثل غابي.

– "إن لم نجد لها عائلة تهتمّ بها، سنضعها في ملجأ للأطفال. هناك العديد من هذه الملاجئ في نيويورك، وستكون بخير".

– "لا، لن تكون بخير!" قال ذلك وهو يبدو مذهولاً. بدا كأنه يكتشف عالماً آخر مليئاً بأناس يعانون المشاكل التي لا يمكن لأحد أن يحلّها، وهم جميعاً أطفال صغار، ولاذنب لهم في كل ما يحدث معهم.

قالت كارول بحذر: "ستكون بخير كالبقية تماماً، وربما بحال أفضل بفضل هديتك، فزورو يسهل عليها الحياة كثيراً".

– "ألا تتساءلين ما الذي يحدث لهؤلاء الأطفال حين يغادرن المركز؟" لقد مزّق قلبه التفكير بمعاناة هؤلاء الأطفال الذين تتعامل كارول معهم.

قالت بهدوء وبحذر من جديد: "بالطبع، أفعل، لكن هذا كل ما يمكننا القيام به من أجلهم، سيّد هارينغتون".

قاطعها قائلاً: "أرجوكِ، ناديني شارلي".

– "نحن نفعل كل ما بإمكاننا فعله. يبدو الأمر أحياناً كتفريغ المحيط عبر أنبوب معدني صغير. لكن هناك قصصاً ناجحة أيضاً. بعض الأطفال يجدون منازل رعاية مع والدين طبيعيين، وبعضهم يتمّ تبنّيهم من قبل أشخاص يحبّونهم، كما نقوم بإجراء عمليات جراحية لبعضهم الآخر، ما كانوا ليحصلوا عليها لولا مساعدة المركز. هناك مشاكل يمكننا حلّها وأخرى لا يمكننا ذلك. عليك فقط تقبّل ذلك الدور وإلاّ سينكسر قلبك". لم يرَ شارلي من قبل عن قرب أين تذهب أموال مؤسّسته، وعلى من يتمّ انفاقها. لم ينظر من قبل إلى وجوه كوجوه هؤلاء الأطفال، ولم يلتقِ بامرأة مثل هذه المرأة التي تضحي بحياتها من أجل تغيير عالم هؤلاء بكامله. منذ مجيئه إلى هنا قبل بضعة أيام، انقلبت حياته رأساً على عقب، كما تغيّرت المشاعر في قلبه. تابعت كارول تقول: "لقد تعلّمنا في الجامعة أن نتعامل مع الأطفال بشكل مهني محض، ونبقى على مسافة منهم، ولا نرتبط عاطفياً معهم، لكن أحياناً لا يمكنك فعل ذلك. أحياناً أذهب إلى المنزل في الليل، وأجلس في السرير وأبكي". أصبح من السهل عليه تخيّل ذلك الآن، فقد فعل الأمر نفسه تلك الليلة.

– "يجب أن تأخذي نفساً، وتستريحي في بعض الأحيان". قال ذلك بذكاء، في محاولة منه لاقتراح تناول الغداء أوالعشاء برفقتها في وقت ما، لكنه لم يمتلك الشجاعة ليسألها ذلك.

ابتسمت ببراءة وقالت: "أنا أفعل ذلك. أذهب إلى النادي، وأسبح، وألعب الأسكواش، إن لم أكن أشعر بالإرهاق الشديد طبعاً".

ابتسم لها وقال: "وأنا أيضاً ألعب السكواش. ربما يمكننا أن نفعل ذلك سوياً في إحدى المرات". بدت كارول متفاجئة، إذ لم تكن تملك فكرة لما قد يفعلان ذلك. وعندما نظر شارلي إليها، شعرت كأنها لم تعد ترى أمامها. كل ما تعرفه كارول عنه هو أنه مدير المؤسسة التي أعطت المركز مليون

دولار وليس أكثر. لم تستطع أن تتخيّل إقامة صداقة بينهما، فالاتّصال الوحيد الممكن بينهما يقتصر على ما يحدث الآن فقط؛ حديث مؤدب ومهني، إذ كل ما تدين به له هو البيانات الحسابية. إلاّ أنها لم تكن تعلم أنه يحاول أن يتقرّب منها، ولم يخطر ببالها أنه قد يفعل ذلك.

بعد دقائق، رافقته إلى الخارج قبل أن تنظمّ إلى مجموعة أخرى. وحين تركته، كان لا يزال يتحدث مع تايغ، وقال إنه سيعود قريباً. بعد دقائق غادر شارلي المركز، واستقل سيارة أجرة إلى وسط المدينة. سوف يتناول العشاء مع غراي وسيلفيا تلك الليلة، أما كارول فنسيت أمره حالما غادر المكان.

حين وصل إلى شقة سيلفيا، كان غراي في المطبخ، وفتحت سيلفيا الباب له. كانت ترتدي تنورة سوداء مطرزة وسترة بيضاء ناعمة. لقد قامت بترتيب المائدة بشكل جميل من أجله، فأنارت الشموع البيضاء، ووضعت سلة كبيرة من الزنبق في وسط الطاولة. أرادت أن يكون كل شيء مناسباً جداً له، لأنها تعرف كم يعني شارلي لغراي، كما أنها أحبّته حين التقت به في المرة الأولى. أرادت أن تبقى صداقته مع غراي متينة، ولم تشأ أن تحدث فوضى في حياته، فقد شعرت أنه لا يحقّ لها ذلك. لكنها في الوقت نفسه، لم تكن تريد أن يقوم شارلي بإحداث الفوضى في حياتهما، فهناك مكان لها ولشارلي في حياة غراي. أرادت أن تثبت ذلك لشارلي، وذلك عبر الترحيب به في منزلها. ومع أنه شعر بالارتياب بشأنها منذ اللحظة الأولى التي أخبره غراي عن علاقته بها، إلاّ أنها شعرت بأن الأمر لم يكن شخصياً، فلقد أحبّها حين التقى بها في بورتوفينو، لكنه شعر بالقلق ممّا ستعنيه علاقتها بغراي له، وخشي أن تؤثر هذه العلاقة على صداقتهما. بدا شارلي كطفل يواجه مربية جديدة، أو كرجل يخرج برفقة والدته. شارلي وغراي كانا كشقيقين، وأي إضافة جديدة إلى تلك المعادلة ستحدث تغييراً على جميع الصعد، لذلك أرادت سيلفيا أن تؤكّد لهما أنه رغم دخولها

إلـــى تلك المعادلة فهما لا يزالان بأمان. حين جلسوا حول الطاولة لتناول العــشاء شــعرت كأنها تشبه شخصية ويندي في فيلم بيتربان، وهي تجلس لتناول العشاء مع الأولاد الضائعين.

أجــال شــارلي نظره في أنحاء الشقة قبل أن يجلس، وأبدى إعجابه بأناقــتها وبالــتحف التي تمتلكها سيلڤيا، وبالطريقة المميّزة التي رتّبت بها الأغــراض. أمــضت ســيلڤيا السهرة وهي تراقبهما، وبالكاد شاركت في الأحاديــث. تــصرّفت بذكاء، فبقيت في الخلفية تلك الليلة. كانوا قد بدأوا بزجاجة شراب جديدة حين ذكر شارلي كارول، ووصف زيارته إلى مركز هارلم.

- "إنهــا امرأة مدهشة". قال شارلي ذلك بنبرة صوت فيها الكثير من الإعجاب. أخبرهما عن غابي وكلبها، وعن الأشخاص الآخرين الذين التقى بهــم، وســرد عليهما القصص التي أخبرته بها كارول. كان يعرف بعض القصص عن استغلال الأطفال وإساءة معاملتهم، لكنها لم تكن بمثل بشاعة وقــساوة تلــك التي أخبرته عنها. لم تخفِ كارول أياً من التفاصيل عنه، وأدرك الآن أنّ المؤسسات الأخرى كانت تتبهرج أمام مؤسسته، أما كارول فــتكلّمت مباشرة عن المشاكل التي تتعامل معها، وعن أسباب حاجتها إلى المال. كما أنها لم تقدّم الاعتذارات لأنها تطلب الكثير من المال، بل لمّحت إلـــى أنهـــا ستحتاج إلى المزيد. بدا حلمها كبيراً جداً حول تطوير المركز، لكــن حتـــى هذه اللحظة لم يكن أمامها خيارٌ آخر، وعليها أن تكتفي بهذا المركز الصغير. لكنها أرادت أن تفتح مركزاً أكبر في قلب هارلم يوماً ما، كمـــا أن هـــناك بعــض الأماكن الأخرى التي ستحتاج إلى مساعدتها. لقد أوضحت له أنّ إساءة معاملة الأطفال ليست وباء متفشياً في الأحياء الفقيرة فقــط، بــل هي موجودة في منازل بارك أڤينيو، في حضن الرفاهية. في الواقــع، كـــان يصعب كشف إساءة معاملة الأطفال في البيوت المتوسطة الحال، كما أكّدت له أن الناس يرتكبون أعمالاً قبيحة بحق الأطفال في كل

بلــدة وكل ولاية وفي كل بلد، مهما كان المركز الاجتماعي والاقتصادي. لقــد أقسمت كارول على أن تخوض الحرب ضد الفقر واستغلال الأطفال والجهــل والــنفاق واللامبالاة. وشعرت بالألم الشديد بسبب تغاضي الناس عمّــا يحــدث حــولهم وتجاهلــه، بينما هم يتأنّقون للذهاب إلى السهرات والحفلات. أما هي فلم تكن تمتلك الوقت لتضييعه على أشياء مماثلة، وليس لديها الرغبة لتسعى وراء هذه الأمور، كل ما تريده هو مساعدة أخوتها في الإنسانية وإنقاذ أطفالهم. اشتعلت عينا شارلي كالنار وهو يتكلّم عنها، بينما أخذ غراي وسيلڤيا يستمعان إليه. لقد جعلت قلبه وعقله يتوهّجان بسبب ما أخبرته به.

مازحه غراي وهو يجلس واضعاً ذراعه خلف كتف سيلڤيا: "إذاً، متى ستدعوها إلى العشاء؟" لقد استمتع شارلي بهذه السهرة معهما، فالطعام كان شــهياً والأحاديث جميلة. تفاجأ لأنه أحبّ سيلڤيا حتى أكثر ممّا أحبّها حين رآهـــا فـــي بورتوفينو، فقد بدت رقيقة ولطيفة، وكان عليه الاعتراف أنها رائعة مع صديقهن كماأنها بدت مرحّبة ولطيفة معه أيضاً.

أجابــه شارلي وهو يكشّر: "ماذا لو قلت لك إنني لن أفعل؟ إنها تكره نمــط الحــياة التي أعيشها، فحين التقيت بها راحت تنظر إلي كأنّني قذارة تحــت حــذائها، لأننـــي كنت أرتدي بذلة رسمية". ولم يذكر لهما الساعة الذهبية!

قــال غراي وهو يشعر بالانزعاج من أجل صديقه: "إنها تبدو قاسية قلــيلاً بالنسبة لي. لقد أعطيتها مليون دولار، بحق الله! ما الذي تتوقّع منك أن تفعله؟ أتريدك أن تحضر مرتدياً سروالاً قصيراً؟"

- "ربما". قال شارلي ذلك وهو ينوي مسامحتها على قساوتها معه، فقد فكّر أنّ ما كانت تقوم به هو أكثر أهمية من أي شيء فعله خلال حياته كلها. كل ما كان يفعله هو توقيع الشيكات وإعطاء المال، أما هي فموجودة داخــل الخــندق مع هؤلاء الأطفال، وهي تحارب من أجلهم كل يوم. بدا

شـــارلي مقتنعاً وهو يقول: "لا تحتمل كارول طريقة عيشنا جميعاً، وكل ما نقــوم بـــه. إنها امرأة مثالية، غراي". شعر غراي بالارتياب حيال ما قاله صديقه.

– "ألَم تقل إنها تخرّجت من برنستون؟ لا بد أنها تتحدّر إذاً من إحدى تلك العائلات الغنيّة الجامحة، وتحاول التعويض عن خطايا العائلة كلها".

– "لا أعتقد ذلك. أفترض أنها دخلت تلك الجامعة بمنحة دراسية، فقد كـــان هـــناك العديد من الطلاب المماثلين حين كنت هناك. وقد زاد عددهم مؤخــراً. لـــم تعد الجامعة مخصّصة للنخبة فقط، كما كانت من قبل، وهذا أمر جيّد. بالإضافة إلى أن كارول قالت إنها تكره برنستون". رغم أن نادي المأكـــولات البيتـــية التي كانت تنتمي إليه بدا جيّداً، لكن كانت هناك طرق عديـــدة للانضمام إليه. كما أن برنستون لم تعد مكاناً للفتيان المتحدّرين من عـــائلات مميّزة كما كانت. لقد تغيّر العالم وقد ساعد أشخاص مثل كارول بحدوث هذا التغيير. كان شارلي ذو تفكير رجعي، يعيش على أمجاد عائلته الارستقراطية، أمّا كارول فهي من نسلٍ مختلف.

شجّعه غراي قائلاً: "لِمَ لا تدعوها للخروج معك؟" ووافقته سيلفيا على كلامه، فتابع: "أم أنها شنيعة؟" لم يخطر ذلك في باله في البدء، وذلك بسبب الطـــريقة التـــي تحـــدّث بها شارلي عنها: افترض غراي أنها جذابة، ولم يستطع أن يتخيّل بأن صديقه سيتحمّس من أجل امرأة قبيحة، رغم أن ذلك واردٌ في هذه الحالة، فقد شبّهها بالأم تيريزا.

– "لا، إنهـــا جمـــيلة جداً. رغم أنني لا أعتقد أنها تعطي أهمية لذلك الأمـــر أيـــضاً. إنهـــا لا تتحمّل هذه الأمور في حياته، فهي لا تهتمّ سوى بالأمـــور الحقيقية". وقد عرف شارلي من نظرة عينيها أنه لم يكن من بين تلك الأمور الحقيقية، لكنه علم أيضاً أنها لم تعطه فرصة كافية ليثبت نفسه، وهـــي على الأرجح لن تفعل ذلك، فهو ليس سوى مدير المؤسسة الخيرية بالنسبة لها.

سألته سيلفيا باهتمام: "كيف تبدو؟"

– "طولها حوالى الست أقدام، وهي شقراء وذات وجه جميل، عيناها زرقـــاوان، وجـــسدها رائـــع، ولا تضع مساحيق تجميل. تقول إنها تحبّ السباحة ولعب الأسكواش حين يكون لديها بعض الوقت. وهي في الرابعة والثلاثين من عمرها".

سألته سيلفيا أيضاً: "أهي متزوجة؟"

– "لا أعـــتقد ذلك. لم تكن تضع خاتم زواج، ولم آخذ انطباعاً بذلك. رغـــم أنني أشكّ أن تكون وحيدة". قال شارلي لنفسه إن امرأة مثل كارول يـــصعب أن تكـــون غير مرتبطة، مما جعل دعوتها إلى العشاء أمراً أكثر ســـخافة، رغم أن بإمكانه الادعاء أنه عشاء عمل، وعندها سيعرف المزيد مـــن المعلـــومات عنها. أعجبته هذه الحيلة بشكل ما، رغم أنه شعر بعدم صـــدقه إذا ما خبّأ نيته خلف حجّة المؤسسة لكي يتعرّف عليها. لكن ربما كان غراي وسيلفيا محقّان وهي تستحقّ المحاولة فعلاً.

قالـــت ســـيلفيا بذكاء: "أنت لا تعرف النساء المماثلات، إنهن أحياناً يقـــدّمن الكثيـــر من أجل أهدافهن، ولذا إن كانت تصرف الكثير من وقتها وطاقتها وشغفها في عملها، فربما هذا كل ما لديها".

قـــال غراي وهو يشجّعه من جديد: "اكتشف ذلك بنفسك. لِمَ لا؟ ليس لديك ما تخسره". شعر شارلي بالغرابة لأنه يتكلّم عنها مع غراي وسيلفيا، ولمـــشاركتهما فـــي هذا الموضوع، بل شعر بأنه ضعيف وغبي قليلاً لأنه يناقش موضوع كارول معهما.

فـــي الوقت الذي شارف فيه العشاء على نهايته، كان شارلي قد اقتنع بكلامهمـــا. لكن حالما عاد إلى منزله تلك الليلة، علم أن من الغباء التفكير فـــي دعـــوة كارول إلى العشاء. إنه كبير في السن بالنسبة لها، وهو غني جـــداً، ومحافظ، ومستقر. ومهما كانت خلفيتها الاجتماعية، بدا من الواضح أنهـــا ليـــست مهتمّة برجل مثله، حتى إنها ضحكت منه بسبب ساعته. لم

يستطع أن يتخيّل نفسه وهو يخبرها بأنه يمتلك يختاً، رغم أن الكثير من الناس سبق أن سمعوا بالقمر الأزرق، لكن مجلات اليخوت كانت بعيدة عن مجال اهتمامها. ضحك من نفسه وهو يفكّر بالموضوع حين جلس في سريره تلك الليلة. لا شك أن نيّة غراي وسيلفيا طيبة، لكنهما لم يستطيعا تقدير الفروقات بينهما، أو مقدار حماسها لآرائها. بدت ردّات فعلها واضحة عليها، ولم يكن ليصعب عليه فهم تعليقاتها حول النوادي في برنستون، فقد سمعها عالياً وبوضوح.

اتّصل شارلي بغراي في صباح اليوم التالي ليشكره على العشاء، ويخبره أنه أمضى وقتاً ممتعاً معه ومع سيلفيا. لم يكن يمتلك أي فكرة عن اتجاه علاقتهما ومستقبلها، وإن كانت ستدوم أم لا، وقد شك في ذلك، لكن بدا الأمر لطيفاً لكليهما الآن. لقد شعر شارلي بالارتياح لأن سيلفيا لم تحاول التدخل بينه وبين غراي، وأثنى عليها، أما غراي فشعر بالسعادة لمعرفة أنه أحسّ بالارتياح لها، ووعده بدعوته إلى العشاء مجدداً.

مازح شارلي غراي قائلاً: "لقد تحسّن طهوك أيضاً".

– ضحك غراي واعترف قائلاً، بينما أطلق شارلي ضحكة خافتة: لقد ساعدتني سيلفيا".

– "أشكر الله على ذلك".

– "لا تنسَ أن تتّصل بالأم تيريزا لتدعوها إلى العشاء". ذكّره غراي بذلك، فصمت شارلي للحظات ثم أطلق ضحكة عالية هذه المرة.

– "أعتقد أننا أكثرنا من الشراب ليلة أمس، فبدا الأمر معقولاً عندها، أما الآن، فلم أعد أراها فكرة مناسبة".

– "لن تخسر شيئاً إن سألتها. لن يحدث أي سوء من ذلك". قال غراي ذلك وهو يبدو كالأخ الأكبر لشارلي، بينما هزّ شارلي رأسه وهو يستمع إليه.

– "قد تنعتني بالنذل، وتقوم بإقفال الخط في وجهي. سيكون ذلك مذلاً إن اضطررت إلى رؤيتها مجدداً". لم يرغب بفرض نفسه عليها، رغم أنه لم يكن منشغلاً بأي شيء آخر في هذه الفترة. إنه يشعر بالتعب هذه الأيام، وقد بدأ يهدّئ من إيقاع علاقاته. لم يعد صيد النساء أمراً ممتعاً بالنسبة له كالسابق، وأصبح من الأسهل الخروج إلى حفلات العشاء والمناسبات الاجتماعية وحيداً، كما أصبح من الممتع أيضاً قضاء بعض السهرات مع الأصدقاء كغراي وسيلفيا، كما فعل ليلة أمس. لقد استمتع في تلك السهرة أكثر ممّا يستمتع في الجهد الذي يبذله من أجل المواعدة والخروج مع إحداهن، لإنهاء السهرة أخيراً في السرير برفقتها.

– "ما أهمية ذلك؟" علّق غراي حول احتمال إقفالها الخط في وجه شارلي، وتابع يقول: "لقد مررت بظروف أصعب، وقد تكون هذه المرأة المناسبة".

– "آه، نعم بالطبع! يمكنني بيع القمر الأزرق لبناء مركز أحلامها في هارلم، وربما عندها ستوافق على الخروج برفقتي".

ضحك غراي قائلاً: "بالطبع. تصبح التضحيات صغيرة مقابل الحب الكبير".

– "لا تخدعني بهذا الكلام. ما الذي ضحّيت به أنت مقابل حبك لسيلفيا؟ هل ضحّيت بالصراصير التي تملأ شقتك؟"

– "اتّصل بها".

– "حسناً، حسناً!" قال ذلك كي يجعل غراي يتوقّف عن الكلام بهذا الموضوع، وبعد عدّة دقائق اتّفقا على البقاء على اتصال دائم، وأقفلا الخط.

كان شارلي قد قرّر عدم الاتصال بكارول، لكن التفكير بها طارده طيلة فترة بعد الظهر. ذهب إلى مكتبه في المؤسسة ثم إلى النادي، حيث دلّك ظهره قليلاً، ولعب الأسكواش مع أحد أصدقائه. اتّصل بآدم ليشكره على الحفل الموسيقي، فوجد أن لديه اجتماعاً، لذا ترك له رسالة صوتية،

وتـــساءل مـــا الذي حدث بينه وبين ماغي تلك الليلة. على الأرجح أن آدم بهرها بسحره وتصرفاته الجامحة، فانتهى بها الأمر في السرير معه. كان شارلي يشعر بالأسف كلّما فكّر بها، إذ رغم مظهرها الخارجي، أدرك أن فـــي داخلهـــا كائن لطيف وبريء. في بعض الأحيان يقشعر جسد شارلي بـــسبب تصرّفات آدم الوقحة تجاه النساء، لكن آدم يبرّر الأمر دائماً بأنهن إن كـــنّ مستعدات لذلك فلا ضير في الأمر. فهو لم يقم يوماً بإجبار امرأة علـــى القيام بما لا ترغب به بأي وسيلة كانت، إلا أن النساء ينحنين تحت قدمـــيه بشغف، وما يحدث بعد ذلك هو أمر إرادي بين شخصين راشدين. لكـــن شارلي لم يكن واثقاً أن ماغي راشدة بقدر ما يبدو عليها، أو كما يود آدم أن تكون فتياته. فهي لم تلجأ إلى العمليات التجميلية لتصغير أنفها مثلاً. كـــل ما أرادته هو مكان أفضل في الحفلة الموسيقية. لم يستطع شارلي إلاّ أن يتـــساءل عـــن الثمن الذي كان عليها دفعه مقابل ذلك. فكّر بذلك بينما غـــادر النادي، بعد أن لعب الأسكواش، واستقلّ سيارة الأجرة إلى منزله. فكّـــر فـــي سرّه أنه أصبح عجوزاً، فتصرفات آدم الطائشة، والطريقة التي يعامـــل بها النساء لم تزعجه يوماً من قبل. كما أنّ آدم يذكّره دائماً أن ما يقوم به هو عادل ويستحقّ العناء من أجل الحصول على العلاقات الجنسية والمـــرح. تساءل شارلي، هل هذا صحيح؟ بطريقةٍ ما، لم يعد يبدو له ذلك مسلياً.

كانـــت الساعة قد قاربت السادسة حين وصل إلى شقته واستمع إلى الرسائل الصوتية، ثم وقف يحدّق بالهاتف. تساءل إن كانت كارول لا تزال في مكتبها، أم أنها مع إحدى المجموعات، أو ربما عادت إلى منزلها. تذكّر أنـــه يملك بطاقتها في محفظته، فأخرجها وتأمّلها للحظة طويلة، ثم اتّصل بهـــا وهو يشعر بالتوتر والغباء. إنها المرأة الأولى التي يلتقي بها وتجعله يـــشعر كأنه يقوم بعمل خاطئ. أراد أن يعتذر منها على انغماسه في الحياة المـــسلية، وعلى الامتيازات التي حصل عليها، لكن هذه الامتيازات نفسها هـــي التي سمحت له بإعطائها مليون دولار لتتمكّن من متابعة إنقاذ العالم. شعر كأنه تلميذ مدرسة خائف وهو يسمع رنين الهاتف. بدأ فجأة يصلّي كي لا تـــردّ على المكالمة، وكان على وشك وضع السماعة مكانها حين أجابت وقد بدت مقطوعة الأنفاس.

- "مـــرحباً!" مـــع أنها لم تقل من هي، إلاّ أن شارلي عرف صوتها على الفور، فلقد طلب رقمها الخاص.

- "كارول؟"

- "نعم" أجابت وهي لم تتعرّف على صوته بعد.

- "أنا شارلي هارينغتون. هل أتّصل في وقت غير مناسب؟"

- "علـــى الإطلاق". قالت ذلك كاذبة وهي تفرك ذقنها، فالحقيقة هي أنها شعرت بالانزعاج وهي تسرع لتجيب على الهاتف. تابعت تقول: "لقد خرجت للتو من مجموعة، وركضت نزولاً نحو الدرج حالما سمعت رنين الهاتف".

- عـــذراً! كيف حال صديقتي الصغيرة؟" قال ذلك مشيراً إلى غابي كما فهمت كارول على الفور، فابتسمت وهي تخبره أنها بخير. سألها كيف تجـــري الأمـــور فـــي المركز وإن كانت هناك تطوّرات جديدة، ووجدت كارول نفسها تتساءل إن كان سيتّصل بشكل مستمر طيلة العام ليتفقّد أحوال المركز. من الغرابة حقاً التكلّم بشكل مستمر مع مدراء المؤسّسات الخيرية التـــي تقدّم لهم الهبات. قال شارلي لها: "أنا لا أريد أن أقدّم وعوداً كاذبة لا يمكنـــنا تنفـــيذها، ولا أريـــد زرع آمالٍ مضللة، لكنك ذكرت أنك تفكرين بمـــشاريع أخرى تودين تطبيقها، وأنك تحتاجين إلى بعض الهبات. أتساءل إن كـــنت تودين مناقشة ذلك معي على الغداء أو العشاء في وقت ما". علم شـــارلي أنه يختبئ جُبنه خلف حجّة أعمال المؤسّسة، لكنه على الأقل تجرّأ واتّصل بها. بعدئذٍ سادت فترة من الصمت بينهما.

- "ســـأكون صـــادقة معـــك. نحـــن غيـــر مستعدين بعد لطلب أي مـــساعدات، فـــنحن لا نملـــك طاقماً متكاملاً لتنفيذ البرامج أو حتى لكتابة

الاقتراحات في الوقت الحالي. لكن، نعم. في الواقع لا أمانع أن أطلعك على أفكاري كي أعرف رأيك بهذه المشاريع". لم تكن تريد التكلّم عن مشاريع ليست متاحة أمام المؤسّسة، لأن في ذلك هدراً للطاقة والوقت معاً.

– "سأكون سعيداً لسماعك وإعطائك تقديراً صادقاً للمجالات التي تهمّ مؤسّستنا". ليس من المنطقي الطلب إلى الهيئة الإدارية للمؤسسة تقديم المزيد من المساعدات للمركز ولم يمضِ الكثير بعد على تقديم مليون دولار له، لكن الكلام مجّاني ولا يكلّف شيئاً. تابع شارلي قائلاً: "لن نتمكّن من القيام بالكثير من أجلك قبل السنة القادمة، لكن من الجيّد أن تفكّري بمشاريعك الآن كي تخطّطي لهجومٍ قوي حين تبدأ السنة المالية الجديدة لمؤسّستنا".

– "إلى جانب من تقف أنت؟" ضحكت كارول فضحك هو أيضاً، بينما أجابها بصدق أكثر ممّا توقّعت.

– "إلى جانبك على ما أعتقد، فأنت تقومين بعمل رائع". لقد وقع في حب مركز الأطفال الذي أنشأته، وإن لم يكن حذراً فهو سيقع في حبها أيضاً. سيُغرم بها لأسبوع أو اثنين، وإن كانا محظوظين سيغرم بها لمدة أطول قليلاً، فالحب لم يدُم يوماً لمدة طويلة مع شارلي، لأن الخوف المتأصّل فيه أقوى من مشاعر الحب التي يَعيشها.

– "شكراً لك". لقد تأثّرت بالكلام اللطيف الذي قاله، والذي بدا صادقاً بالنسبة لها. بدأت كارول تتخلّى عن حذرها تجاهه تدريجياً وهي تستمع إليه، فهو رجل ذو مكانة مرموقة، ومن الجيّد أن تكون على اتّصال به.

– "متى تودّين أن نلتقي؟" قال ذلك بشكل عفوي وهو راضٍ عن الطريقة التي سارت فيها محادثتهما. لقد أعطاها حق اختيار الغداء أو العشاء كي لا تشعر بالضغط من ناحيته. وهذا يعتبر تصرفاً جيّداً كبداية، وربما يكون التصرّف الأخير أيضاً في هذه الحالة. لم يبدُ في صوتها أي تعبير يظهر اهتمامها به، وربما لم تكن مهتمة به على الأرجح، لكنه

سيتأكّد من ذلك إذا ما التقيا وتكلّما أثناء تناول وجبة ما. إن لم تُبدِ أي اهتمام لن يقوم بالإلحاح عليها، كي لا يبدو شخصاً مغفّلاً في نظرها. على أي حال، يبدو أن الأمور تسير بخير حتى الآن.

– "لا أستطيع الخروج في وقت الغداء، فأنا أبقى دائماً هنا وأتناول موزة في مكتبي، هذا إن تمكّنت من فعل ذلك. معظم الأحيان انضمّ في منتصف النهار إلى مجموعة عمل، ثم ألتقي بالطلاب كل بمفرده في فترة بعد الظهر". لقد خصّصت له وقتاً طويلاً من نهارها يوم أتى ليقوم بجولة، لكنها لم تكن تريد أن يعتاد الزائرون على ذلك، بمن فيهم شارلي.

– "ماذا عن العشاء إذاً؟" حبس شارلي أنفاسه ثم تابع: "ما رأيك بمساء الغد؟" لديه دعوة إلى حفلة عشاءٍ مزعجة غداً، وسيشعر بالسعادة لإلغائها والخروج مع كارول.

قالت بتردد: "لمَ لا؟" بدت مشوّشة قليلاً، لكنها تابعت تقول: "سأكون قد جهّزت بعض الأوراق لك. لدي مجموعة من البرامج التي أودّ أن أبدأها، لكنها لا تزال مكتوبة بشكل أوّلي وهي في مكان ما هنا، إنما يمكنني إخبارك بما في رأسي من أفكار". كان هذا كل ما أراده منها، فهو لم يكن يريد أن يعرف بشأن البرامج التي ستبدؤها، لكنها لم تعلم ذلك. لقد بدا لها ارتجالياً، مثلها تماماً.

– "سنتكلّم عن هذه المواضيع فقط، ونرى ما الذي سنصل إليه ونحن نتحدّث. التفكير بشكل غير جدّي ينجح بالنسبة لي في بعض الأحيان. تحمل جلسة تفكيرٍ بارعة مفاجئة أحياناً أثناء تناول الطعام. آه! هذا يذكرني بأن أسألك، أين تودّين تناول العشاء؟"

ضحكت كارول من سؤاله، فهي نادراً ما تتناول العشاء في الخارج. حين تصل إلى منزلها تكون عادةً مرهقة جداً، وهي في معظم الليالي لم تكن تمتلك طاقة حتى لتذهب إلى النادي، وهو أمر تودّ كثيراً القيام به. أجابته قائلة: "دعني أرى ما هي الأماكن التي ارتادها عادةً: موس

هامبرغـــر الواقـــع في الشارع 168 وفي شارع أمستردام، ومطعم سالي الواقـــع قرب محطة القطار على طريق منزلي من أجل الوجبات السريعة، ومطعـــم إتـــزي للمأكولات المعلبة في الشارع 99... أنا لا أذهب إلاّ إلى مطـــاعم الوجبات السريعة. لا أظنّ أنني قصدت مطعماً لائقاً منذ سنوات". أراد شارلي أن يغيّر ذلك، ويغيّر أشياء أخرى في حياتها، لكن ليس في ليلة واحدة. أراد أن يبدأ ببطء معها حتى يكتشف ما تخبئه كارول في داخلها.

– "لا أعـــتقد أنني سأتمكّن من مبارزة موس وإتزي. على فكرة أين تعيشين؟"

تردّدت في الإجابة لدقيقة، فتساءل إن كانت تعيش برفقة شاب ما، إذ بدت كأنها خائفة من مجئ شارلي إلى منزلها.

– "أعيش في الجهة الشرقية للمدينة، في الشارع 91". إنه حي راقٍ، وفكّـــر شارلي أنها تشعر بالخجل من الاعتراف بذلك. تساءل فجأة إن كان غـــراي محقاً وأن كارول تتحدّر من خلفية اجتماعية راقية أكثر ممّا تظهر عقائـــدها. لقـــد توقّع أن تقول بأنها تعيش في الجهة الغربية العليا، وليس الشرقية، لكنه لم يخبرها بذلك أو يضغط عليها. لقد لاحظ تردّدها وخوفها، فشارلي يعرف النساء جيّداً، ولديه خبرة طويلة في معرفة طباعهن. خبرته هذه تفوق ما تعتقده كارول، التي لا تمتلك أي فكرة عن مدى خبرته وعما يدور في رأسه. لو أنها تعطيه بعض التشجيع الذي لم تظهر منه شيئاً حتى الآن، لقام بتغيير حياتها بالكامل.

– "أعـــرف مطعمـــاً إيطالياً جيداً في الجهة الشرقية للشارع 89. ما رأيك بتناول العشاء هناك؟".

– "ممتاز! ما اسمه؟"

– "ســـتيلاّ دي نـــوت. إنه ليس رومنسياً بقدر ما يوحي اسمه. اسمه يعني نجمة الليل بالإيطالية، لكنه أخذ اسمه في الواقع من اسم صاحبته التي تدعـــى ستيلاّ. إنها تقوم بطهو الطعام بنفسها. تزن ستيلاّ حوالى ثلاث مئة

باونـــد، ولا أعتقد أن أحدهم تمكّن يوماً من رفعها أكثر من إنش واحد عن الأرض، لكن الباستا التي تقدّمها لذيذة، وهي تحضّرها بنفسها".

– "يـــبدو ذلـــك رائعاً. سألتقيك هناك". شعر شارلي بالذهول بسبب اقتراحها، فهو لم يتوقّع منها أن تقول ذلك. والآن زاد شكّه بوجود رجل في حياتها، وأصبح مصمّماً على اكتشاف ذلك.

– "أليس من الأفضل لك أن أقلّك بنفسي؟"

قالـــت بـــصدق: "لا. أفضّل أن أذهب إلى هناك سيراً على قدمي، فأنـــا منشغلة هنا طيلة اليوم، وأعيش في الشارع 91. أحتاج إلى بعض التمرين، فهو يساعدني على تصفية ذهني بعد العمل". قصة جميلة! هذا مـــا قالـــه لنفسه. لا بد من وجود شاب وسيم في الخامسة والثلاثين من العمـــر ينام على أريكتها، ويشاهد التلفاز وهو يحمل جهاز التحكّم عن بعد.

– "أراك هناك إذاً. ما رأيك أن نلتقي عند الساعة السابعة والنصف؟ هل هذا وقت كاف لك بعد العمل؟"

– "هذا جيّد. تنتهي مجموعتي الأخيرة عند الرابعة والنصف غداً، لذا سأكون في المنزل عند السادسة والنصف. أعتقد أنه ليس مكاناً شديد التأنق ألـــيس كذلك؟" سألته ذلك وقد شعرت بالتوتر فجأة. إنها تكاد لا تخرج في مناسبات اجتماعية، ولا ترتدي ثياباً متأنقة، وتساءلت إن كان يتوقّع منها أن تـــرتدي فـــستاناً أســـود، وتضع عقداً من اللؤلؤ. إن كان الأمر كذلك فإنها تفضّل الذهاب إلى موس. لم تكن مستعدة لتغيير نمط حياتها من أجله مهما قدّم للمركز من مال. هناك أشياء ما عادت تقوم بها، ولن تقوم بها مجدّداً، ولبس الثياب المتأنقة هي واحدة من تلك الأشياء.

– "إنـــه لـــيس مكاناً متكلفاً". أكد لها شارلي، وتابع: "يمكنك ارتداء الجينـــز إن أردت". رغم أنه تمنّى ألاّ تفعل، إذ سيودّ رؤيتها وهي ترتدي فستاناً أنيقاً.

– "إن لم تمانع فهذا ما سأرتديه. لن يكون لدي الوقت لارتداء ملابس أخرى. وأنا لا أرتدي ملابس مختلفة على كل حال. ما رأيته هو كل ما ستحصل عليه". هذا أمرٌ واضح! سروال جينز وحذاءٌ رياضياً. آه، حسناً! ارتداء فستانٍ هو طلب صعب جداً.

قال شارلي بهدوء: "وأنا سأفعل مثلك".

– "على الأقل ستتمكّن من ارتداء ساعتك في ذلك الحيّ". مازحته كارول، وضحك لها.

– "هذا مؤسف. لقد رهنتها بالأمس".

– "وما الذي حصلت عليه بالمقابل؟" أرادت أن تمازحه، فقد بدا لها رجلاً لطيفاً. كانت تتطلّع بحماس إلى تناول العشاء معه، فهي لم تخرج برفقة رجل إلى العشاء منذ أربع سنوات تقريباً. سيبدو هذا تغييراً لطيفاً في حياتها، مع أنه ليس سوى عشاء عمل وحيد معه، ولمرة واحدة فقط! هذا ما قالته كارول لنفسها.

أجابها عن سؤالها بشأن الساعة قائلاً: "خمسة وعشرون دولاراً".

– "هذا ليس سيئاً! أراك مساء غد". قالت ذلك وأنهت المكالمة بعد لحظات. فجأة، مرّ ضوء كسهم صاعقٍ أمام عيني شارلي جعله يشعر بالذهول. ماذا لو كان فعلاً مجنوناً؟ ربما كان ارتداء سروال الجينز وانتعال الحذاء الرياضي يعنيان أمراً آخر. ماذا لو كانت الفتاة الرائعة التي يبلغ طولها ست أقدام، وتملك قلب الأم تيريزا امرأة وحيدة وليس هناك رجل في حياتها؟ ماذا لو كان هو متبلّد الذهن مثلاً؟ ماذا لو كانت شاذّة؟ لم يخطر ذلك في باله إلاّ في تلك اللحظة. إنّ كل شيء ممكن، فمن الواضح أنها ليست فتاةً عادية.

– "رائع!" قال ذلك لنفسه وهو يضع بطاقتها مجدّداً في محفظته. بعدئذٍ، اتّصل بالمطعم كي يحجز طاولة. مهما كان ما تخبئه، فهو سيكتشف ذلك غداً. وحتى ذلك الوقت، كل ما يمكنه فعله هو الترقّب والانتظار.

11

وصل شارلي إلى المطعم قبل كارول. لم يخبر أحداً أنه سيقابلها، حتى سيلفيا وغراي، إذ لم يكن هناك ما يخبرهما به بعد إلاّ أنه سيتناول معها عشاء عمل غير رسمي، وأنه استخدم المؤسسة كحجة لكي يخرج معها. لم يكن هذا موعداً غرامياً. أتى إلى المطعم سيراً على قدميه هو أيضاً. كانت المسافة أطول بالنسبة إليه، لكنه مثلها تماماً، كان بحاجة لتنشق بعض الهواء. شعر بالقلق حيال الأمر طيلة النهار، وحتى ذلك الوقت كان قد اقتنع فعلاً بأنها امرأة شاذة، وربما لهذا السبب لم يحصل على أي ردة فعل منها. عادةً تتجاوب النساء معه بطريقة ما، أما كارول فلم تفعل. لقد بدت جامدة في التعامل معه، رغم أنها تتصرّف بدفء مع الآخرين، لاسيّما مع الأطفال. تذكّر كم بدت ودودة واجتماعية مع تايغ. قد يكون تايغ هو رجل حياتها. كل ما عرفه حين وصل إلى المطعم هو أنه شعر بانقباض في معدته، وهو أمر غير مألوف. كانت كارول بالنسبة إليه لغزاً غامضاً، وربما ستبقى كذلك. لم يكن واثقاً أبداً إن كانت ستتصرّف بانفتاح معه بعد أن يتناولا العشاء معاً. بدت كتومة بشدة كالصدفة المغلقة، وهذا ما جعل الأمر نوعاً من التحدي، لاسيّما بامتلاكها ذلك العقل المثير للاهتمام.

إنها مختلفة تماماً عن فتيات المجتمع البارزات اللواتي يطاردهن عادةً، فهؤلاء يبدون متأنقات، فيرقصن، ويبتسمن، ويذهبن إلى أي مكان

معه. إنهن يلعبن كرة المضرب ويبحرن معه، وأهم ما في الأمر أنهن يجعلنه يشعر بالضجر. لهذا السبب بالذات أراد شارلي تناول العشاء مع كارول باركر تلك الليلة. لقد بدت غير مهتمة أبدا به، وهو حتى لا يعرف إن كانت امرأة طبيعية أم شاذة. لقد كذب عليها ليجعلها تحضر، لذا فإن الوضع بأكمله منافٍ للمنطق.

وصلت كارول بعده بخمس دقائق، وانضمّت إليه إلى طاولة عند الزاوية في مطعم ستيلاّ. بدت مبتسمة ومرتاحة وهي تدخل. كانت ترتدي سروال جينز أبيض وقميصاً بيضاء رقيقة، وتنتعل حذاءً خفيفاً. كان شعرها لا يزال رطباً بسبب الحمّام، وقد ربطته على عجل بشريط إلى الخلف. لم تكن تضع مساحيق تجميل ولا طلاء أظافر. بدت أظافرها قصيرة، وكل ما فيها بدا هشاً ونظيفاً. كانت تضع كنزة صوفية زرقاء فوق كتفيها. ظهرت لشارلي بما ترتديه ملائمة تماماً لتكون جالسة على متن يخته. بدت كبحّار أو كلاعبة كرة مضرب. إنها امرأة طويلة القامة ورياضية المظهر، عيناها زرقاوان مشعتان بلون كنزتها الصوفية. بدت أشبه بوجه دعائي لإعلانات رالف لورين، رغم أنها كانت لتكرهه لو قال لها ذلك. فهي من الداخل أكثر شبها بتشي غيفارا منها بعارضات رالف لورين. ابتسمت كارول لشارلي حالما رأته:

– "آسفة على التأخير". اعتذرت له وجلست بينما وقف ليرحّب بها. لقد تأخّرت خمس دقائق فقط، وقد سمح له ذلك بلملمة شتات نفسه وهو ينتظرها. لم يشأ أن يطلب شيئاً قبل أن تصل ويعرفا ما الذي سيطلبانه للعشاء.

– "ما من مشكلة. على أي حال، لم ألاحظ تأخرك، لأنني ما عدت أمتلك ساعةً. فكّرت بصرف الخمسة والعشرين دولاراً التي كسبتها من بيع الساعة على العشاء". قال ذلك وهو يبتسم لها، بينما ضحكت كارول لكلامه وهي تفكّر أنه يمتلك حسّاً فكاهياً. لم تكلّف نفسها بإحضار حقيبة يدٍ معها،

أما مفتاحها فقد وضعته في جيبها. كما لم تكن بحاجة لإحضار أحمر الشفاه لأنها لا تضع منه، وبالطبع ما كانت لتضع أحمر الشفاه من أجله. سألها: "كيف كان نهارك؟"

– "حافلاً بالعمل ومجنوناً كالعادة. ماذا عنك؟" سألته ذلك باهتمام وكان هذا جديداً عليه، إذ لم يستطع أن يتذكّر أن أي امرأة سألته من قبل عن حاله وأبدت اهتماماً له ولعمله، أما هذه المرأة ففعلت.

– "كان يومي مثيراً للاهتمام، فقد أمضيت طيلة اليوم في المؤسّسة. كنا نحاول أن نكتشف ما هو المبلغ الذي سنصرفه خارج الولايات المتحدة. هناك برامج جيّدة بحاجة ماسّة للمساعدة في بعض الدول النامية. لكنهم يحتاجون إلى بعض الوقت لتنفيذها بعد أن يحصلوا على المال، وكان لدي اجتماع عبر الهاتف مع جيمي كارتر اليوم بشأن هذا الموضوع. إنهم يقومون بعمل رائع في أفريقيا، وقد أعطاني بعض النصائح حول الروتين الحكومي والمعاملات القانونية".

ابتسمت له وهي تقول: "يبدو الأمر جيّداً بالنسبة لي. مشاريع كهذه تجعلني أدرك مدى صغر مجال عملنا هنا، عملي أنا على الأقل. فأنا أتعامل مع أطفالٍ قريبين جداً بالمسافة إليّ، إنه أمر محزن حين تفكّر فيه". تنهّدت وهي تستقيم في جلستها على الكرسي.

– "ليس محزناً. أنت تقومين بعمل رائع. نحن لا نقدّم مليون دولار لأشخاص لا يقومون بعمل مثير للاهتمام".

– "ما هو المبلغ الذي تقدّمه المؤسّسة كل عام؟" أخذت كارول تتساءل بهذا الشأن منذ المرة الأولى التي رأته فيها. فمؤسّسته محترمة جداً، ومقدّرة في مجال الإحسان والعطاء، وهذا كل ما تعرفه عنه.

– "حوالى العشرة ملايين دولار. لقد رفعت أنت قيمة مدفوعاتنا إلى أحد عشرمليون دولار هذا العام. لكنك تستحقّينها". ابتسم لها، ثم أشار إلى لائحة الطعام، وتابع يقول: "لا بد أنك جائعة إن كان كل ما تناولته هو

مــوزة عــند الغداء". تذكّر أن هذا ما قالته له. طلبا الغنوتشي لأن شارلي أخبرها أنها شهية وأن ستيلاّ بارعة في إعدادها. لقد قدّمتها لهما تلك الليلة مــع البندورة الطازجة والريحان، ومع طقس الصيف الدافىء، بدا الطعام والجــو رائعــين بالنسبة لكارول. طلب شارلي نوعاً فاخراً من الشراب، وحالما قُدّم لهما رشفت كارول بعضاً منه وأبدت استحسانها.

كــان الطعام شهياً، تماماً كما وعدها. تحدّثا عن أفكارها حول مركز الأطفال إلى أن حان وقت التحلية. إنها تمتلك أحلاماً كبيرة، وأمامها الكثير من العمل الشاق. لكن بعد ما حقّقته حتى الآن، علم شارلي أنها قادرة على انجــاز مــا تحلــم به، لاسيّما بمساعدة مؤسّسة مثل مؤسّسته. أكّد لها أن مؤسّسات أخرى قد تكون مهتمة بالأمر مثله تماماً، وأنها لن تواجه مشكلة في نيل المال من مؤسّسته أو من أي مؤسّسة غيرها في السنة القادمة. لقد شعر بالإعجاب بما حققته حتى الآن، وبما تخطّط له باهتمام للمستقبل.

– "تمتلكين حلماً رائعاً آنسة باركر. ستقومين فعلاً بتغيير العالم يوماً مــا". لقــد آمــن شارلي بها إلى أبعد الحدود، فهي امرأة شابة متميّزة وقد حقّقــت وهــي في الرابعة والثلاثين من عمرها أكثر ممّا يمكن لغيرها أن يحقّقــه طــيلة حــياته. وقد قامت بذلك كله بمجهودها الخاص، ومن دون مــساعدة أحــد. بدا من الواضح أن المركز هو بمثابة طفل لها، مما جعل شارلي من جديد يشعر بالفضول للتعرّف عليها أكثر.

– "ماذا عنك؟ ما الذي تفعلينه في أوقات فراغك؟ صدّقيني، أقول ذلك على سبيل المزاح. إذ لا عجب أنك لا تمتلكين الوقت لتأكلي، ولا بد أنك لا تنامــين جــيّداً أيضاً". أكّدت له: "أنا فعلاً لا أفعل. يبدو النوم لي مضيعة للــوقت". ضــحكت وهي تخبره بذلك، وتابعت: "هذا كل ما أفعله. العمل، والأطفــال، والمجموعات. معظم الأحيان أمضي عطلة نهاية الأسبوع في المركــز، رغــم أنّنــي رســمياً لا أعمل. لكن التواجد هناك وإبقاء عينيّ مفتوحتين على كل شيء يحدث فرقاً".

اعتــرف شــارلي قائلاً: "هذا ما أشعر به حيال المؤسّسة أيضاً. لكن رغــم ذلــك، علــيك دائماً إيجاد الوقت لتقومي بأشياء أخرى، وتستمتعي بوقتك. ما الذي تعنيه التسلية لك؟"

– "العمــل هــو التسلية بالنسبة لي. لم أشعر يوماً بسعادة أكبر ممّا شــعرت مــنذ افتتاح المركز. لا أحتاج إلى أشياء أخرى في حياتي". قالت ذلــك بصدق، واستطاع شارلي أن يرى بأنها تقصد كل كلمة تقولها فعلاً، لكن ذلك أقلقه قليلاً، فهناك خطب ما في الصورة. على الأقل في الصورة التي نقلتها له، إذ، باستثناء العمل هناك الكثير ممّا ينقصها.

– "ألا يوجد رجل أو أطفال أو ساعة بيولوجية تقول لك إنك يجب أن تتزوّجــي؟ هذا غير اعتيادي في سنك؟" علم أنها في الرابعة والثلاثين من عمرها، وأنها قد قصدت جامعتي برنستون وكولومبيا، لكنه لم يعرف شيئاً آخر عنها حتى انتهاء العشاء. كل ما تحدّثا عنه هو المركز والمؤسّسة، أي عملها وعمله.

– "لا. لا رجــل، ولا أطفال، ولا ساعة بيولوجية. لقد رميت ساعتي منذ عدة سنوات، وأصبحت أكثر سعادة منذ ذلك الحين".

– "مــا الــذي تقصدينه بذلك؟" ضغط عليها قليلاً، لكن لم يبدُ عليها الانزعاج. شعر أنها إن لم تشأ أن تجيب عن سؤال ما فإنها لن تفعل.

– "الأطفال في المركز هم أولادي". بدت مرتاحة وهي تقول ذلك.

– "أنــت تقولــين ذلــك الآن، لكنك قد تندمين على ذلك في يوم من الأيــام، فالنــساء لسن محظوظات في هذا المجال كالرجال. هناك قرارات علــيهن اتخاذهــا فــي عمرٍ معين، أمّا الرجل فبإمكانه أن يجعل من نفسه مخبولاً، فينشئ عائلة وهو في الستين أو السبعين أو الثمانين من العمر".

– "ربمــا ســأتبنّى طفــلاً ما حين أصبح في الثمانين". ابتسمت له، وللمرة الأولى شعر شارلي بوجود مأساة ما لديها. إنه يعرف النساء جيّداً، وأدرك أن أمراً سيئاً قد حصل لهذه المرأة. لم يعلم لماذا وكيف عرف ذلك،

لكنه شعر بالأمر فجأة. لقد بدت مقتنعة بجوابها وحازمة في قرارها، لكن لا أحد يُظهر مثل هذه الثقة في أي قرار في حياته إلاّ إن كان قلبه قد تحطّم تماماً، وذلك ما جعله يصل إلى هذه النتيجة. لقد مرّ بذلك هو أيضاً.

- "أنا لست مقتنعاً كارول". قال ذلك بحذر، فهو لم يشأ أن يخيفها أو يجعلها تتراجع. وتابع يقول: "أنت امرأة تحبّ الأطفال كثيراً، ولا بد أن يكون هناك مكان لرجل ما في حياتك". بعد أن استمع إليها هذا المساء، لم تبدُ له شاذّة مطلقاً. لا شيء ممّا قالته دلّه على أنها كذلك، لذا علم أنه قد يكون مخطئاً، فقد حصل معه ذلك من قبل مرة أو مرتين.

قالت ببساطة: "لا، لا يوجد رجل في حياتي فلا وقت لدي لذلك، ولست مهتمة للأمر. كنت هناك يوماً، واكتفيت من الأمر. ليس هناك أي رجل في حياتي منذ أربع سنوات". استنتج شارلي أن ذلك حصل قبل عام من افتتاح المركز، وتساءل إن كان أحدهم قد حطّم قلبها، وحوّل حياتها باتجاه مختلف لكي تداوي جروحها وجروح الآخرين في الوقت نفسه.

قال بلطف وهو يبتسم لها: "إنها فترة طويلة بالنسبة لسنّك".

- "تتكلّم عن سنّي وكأنني في العشرين. أنا لست شابة. أنا في الرابعة والثلاثين من عمري، وهذا يبدو عمراً متقدماً بما يكفي بالنسبة لي".

ضحك وهو يقول: "حسناً، ليس بالنسبة لي أنا، فأنا في السادسة والأربعين". حاولت كارول تحويل الحديث نحوه لتبعد تركيزه عنها، فقالت: "صحيح، وأنت لست متزوجاً وليس لديك أطفال أيضاً. إذاً ما المشكلة؟ ماذا عنك؟ ألم تدقّ ساعتك البيولوجية بعد؟ أنت أكبر منّي باثني عشر عاماً". رغم أنه لم يبدُ كذلك. فهو لم يبدُ يوماً بعمر أكبر من السادسة والثلاثين، رغم أنه يشعر بسنه تماماً. فهو يشعر بكل لحظة من أعوامه الستة والأربعين. لكنه على الأقل لا يبدو في السادسة والأربعين وهي لم تبدُ في الرابعة والثلاثين. بدت كارول في منتصف العشرينيات، وكلاهما بدوا وسيمين، فهما يشبهان بعضهما البعض كأخت وأخيها،

كما لاحظ شارلي بنفسه حين انتبه للمرة الأولى أنها تشبه أخته ألين كثيراً، كما تشبه والدته.

اعترف لها قائلاً: "ساعتي تدقّ فعلاً، لكنني لم أجد المرأة المناسبة بعد. أتمنّى أن أفعل يوماً ما".

- "هذا هراء!" قالت له ذلك ببساطة وهي تنظر مباشرة إلى عينيه، وتابعت تقول: "الرجال الذين يظلّون عازبين حتى النهاية يقولون دائماً إنهم لم يلتقوا بالمرأة المناسبة بعد. لا يمكنك إقناعي بأنك أصبحت في السادسة والأربعين ولم تلتقِ بالمرأة المناسبة بعد. هناك الكثير من النساء المناسبات، وإن لم تجد واحدة بعد، فهذا لأنك أنت لا تريد ذلك، فعدم إيجاد المرة المناسبة هو مجرّد عذر ضعيف. فكّر بحجّة أخرى".

قالت هذه الوقائع، ثم رشفت القليل من العصير، بينما حدّق شارلي فيها. لقد اتجهت مباشرة نحو النقطة الصحيحة، وبسرعة لم يتوقّعها. والأسوأ من ذلك هو أنّها محقّة تماماً في كلامها، وهو يعلم ذلك، كما تعلم هي أيضاً أنها محقّة فقد بدت مقتنعة تماماً بما قالته.

- "حسناً! أعترف أن بعض النساء كن مناسبات لو أنني قبلت القيام ببعض التسويات، لكنني كنت أبحث عن الكمال في المرأة".

- "لن تجده. لا يوجد شخص كامل الصفات، وأنت تعلم ذلك. إذاً ما نفع الانتظار؟"

- "تباً! أنا خائف". قال ذلك بصراحة ولأوّل مرة في حياته، وكاد يقع عن كرسيه حين سمع نفسه يقول ذلك.

- "هذا أفضل. لماذا؟" كانت بارعة بما تقوم به، رغم أنه لم يدرك ذلك إلاّ لاحقاً. الدخول إلى قلوب الناس وعقولهم هو اختصاصها، وهو ما تحبّ القيام به، لكنه شعر بغريزته أنها لن تؤذيه، فقد أحسّ بالأمان تماماً وهو معها.

- "توفّي والداي حين كنت في السادسة عشرة من عمري، فاعتنت بي شقيقتي، لكنها توفّيت بعد أن أصيبت بسرطان في الدماغ حين أصبحت

في الحادية والعشرين، وهكذا انتهت العائلة. أعتقد أنني تعلّمت طيلة حياتي بأن من نحبّهم يموتون أو يرحلون ويختفون، لذا أفضّل أن أكون أنا من يرحل في البدء وليس هم".

- "هذا منطقي". قالت ذلك بهدوء وهي تستمع إليه، وتراقبه عن قرب. علمت أنه يقول الحقيقة، فتابعت تقول: "والناس فعلاً يموتون أو يرحلون ويختفون، فهذا يحدث في بعض الأحيان. لكن إن كنت أنت من سيرحل في البدء دائماً، فإنك ستبقى وحدك إلى الأبد، فهل هذا ما تريده؟"

- "هذا ما كنت أظنّه". لقد استخدم صيغة الماضي، لأنه مؤخراً لم يعد يرغب بذلك، لكنه لم يشأ أن يعترف بالأمر بعد.

قالت بهدوء: "أنت تدفع ثمناً باهظاً من حياتك لأنك خائف". ثم أضافت: "أنت خائف من الحب. أنا لست جيّدة في ذلك أيضاً". في تلك اللحظة، قرّرت أن تخبره عن نفسها، فقد كانت مثله تماماً، وقد شعرت بالأمان برفقته. لم تخبر قصتها لأحد منذ فترة طويلة، فراحت تتكلّم باختصار، وقالت له: "تزوّجت وأنا في الرابعة والعشرين. كان زوجي صديقاً لوالدي ورئيس إحدى الشركات الكبرى، وهو رجلٌ ذكي، كما كان باحثاً علمياً، ورجلاً استثنائياً، وهو لا يزال كذلك. أنشأ شركة للأدوية، لكنه مجنون تماماً. كان أكبر منّي بعشرين عاماً. إنّه نرجسي ومجنون لكنه في الوقت نفسه ذكي وناجح وساحر، مع أنه خطير وساديّ وكان يعاملني بتعسّف. كانت تلك أسوأ ست سنوات عشتها في حياتي. كان محبوباً جداً في المجتمع، ولطالما قال لي الجميع كم أنا محظوظة لأنني تزوجت به، لكن لا أحد منهم كان يعلم ماذا يوجد خلف الأبواب المغلقة. في النهاية، تعرّضت لحادث سيارة، لأنني أردت التعرّض له. كل ما أردته يومها هو أن أموت، كان يذيقني مرّ العذاب فأتركه ليوم أو يومين، لكنه كان يأتي دائماً ليسحرني ويعيدني إلى المنزل، فالأشخاص المتعسّفون والاستغلاليون لا يمكنهم الابتعاد عن ضحيتهم أبداً. حين كنت في المستشفى بعد الحادث

استعدت عقلي، ولم أعد أبداً إليه. اختبأت في كاليفورنيا لعام كامل، وهناك التقيت بأشخاص جيدين وتوصّلت إلى معرفة ما أريد أن أفعله، وحين عدت إلى المدينة أسّست هذا المركز، ولم أنظر مجدّداً إلى الوراء".

- "ماذا حدث له؟ أين هو الآن؟"

- "إنه لا يزال هنا. يعذّب شخصاً آخر. إنه في الخمسين من عمره الآن، وقد تزوّج السنة الماضية من فتاة صغيرة مثيرة للشفقة. يا لها من طفلة مسكينة! إنه لا يزال ساحراً ومريضاً كالسابق، وما زال يتّصل بي من وقت لآخر، وقد كتب لي رسالة يخبرني أنها لا تعني له شيئاً، وأنه ما زال يحبّني. لم أردّ يوماً عليه، ولن أفعل بالتأكيد. أنا أراقب اتّصالاتي ولا أعاود الاتّصال به أبداً. لقد انتهى الأمر بالنسبة لي، لكنني لا أملك أي رغبة بالمحاولة من جديد. أعتقد أنه من المنطقي أن تقول بأنني أعاني من رهاب الارتباط". قالت ذلك وابتسمت لشارلي، ثم تابعت: "أو من رهاب العلاقات، وأنا أنوي أن أبقى هكذا، إذ لا أملك أي نيّة بأن أسمح لأحد بالتحكّم بي من جديد. لم أستطع من قبل أن أستدرك الأمر قبل وقوعه، ولم يلاحظ أحد ذلك أيضاً، فكل ما كان يراه الناس فيه هو مدى وسامته وسحره وغناه. إنه يتحدّر من إحدى العائلات المميّزة، وقد اعتبرني أهلي مجنونة لفترة طويلة لأنني تخلّيت عنه. أعتقد أنهم لا يزالون يعتقدون ذلك، لكنهم مهذبون بما يكفي كي لا يخبروني بذلك. إنهم يعتقدون بأنني غريبة الأطوار، لكنني حيّة الآن وبكامل قواي العقلية، وهذا كان بالنسبة لي موضع شك إلى أن قمت بافتعال حادث السيارة، فاصطدمت بمؤخرة قافلة على الطريق السريع في لونغ أيلاند. شعرت بالرعب من هذا الحادث. لكن صدّقني، الاصطدام بالحافلة كان أقل ألماً وخطورة من حياتي برفقته، مع أنه كان اجتماعياً من الدرجة الأولى. لذا رميت ساعتي البيولوجية من النافذة، وكذلك فعلت بالأحذية ذات الكعوب المرتفعة، وبمستحضرات التجميل، وبجميع فساتين السهرة، وبخاتم الزواج. النبأ الوحيد السار هو

أنني لم أنجب الأولاد منه، فأنا على الأرجح كنت سأبقى معه لو فعلت. والآن بدلاً من أن يكون لدي ولدٌ أو ولدان أصبح لدي أربعون ولداً، بل حياً بكامله، وكذلك لدي غابي وزورو، وأنا سعيدة أكثر ممّا كنت عليه في السابق". جلست تنظر نحوه وقد ظهر الألم والمرارة في عينيها، وتمكّن شارلي أن يرى بأنها دخلت النار ثم خرجت منها، ولهذا السبب هي تهتمّ كثيراً لأمر الأطفال الذين تعمل معهم. لقد مرّت بذلك بنفسها ولو بطريقة مختلفة. شعر بقشعريرة باردة تتخلّل عموده الفقري بسبب القصة التي أخبرته بها. جعلت كارول الأمر يبدو بسيطاً وسريعاً، لكنه تمكّن من رؤية الحقيقة، فلقد عاشت كابوساً واستيقظت منه أخيراً. لكن ذلك استغرق من عمرها سنوات، ولا بد أنها عانت كثيراً خلال تلك السنوات. شعر بالأسف لأن ذلك حدث معها. بدا أكثر أسفاً ممّا تخيّلت، لكنها لا زالت حيّة لتخبر قصتها، ولتفعل أموراً رائعة. كان بإمكانها أن تكون جالسة في كرسي، وهي تهذي وتتعاطى المخدرات، أو ربما تشرب حتى الثمالة، وربما تكون قد انتحرت. لكنها بدلاً من ذلك وجدت لنفسها حياةً جيّدة، رغم أنها تخلّت عن الكثير من أجل ذلك.

– "أنا آسف، كارول. أشياء سيئة تحصل معنا جميعاً في مرحلة ما، على ما أعتقد. لكن الحياة هي ما يمكننا فعله بعْد تلك المعاناة، وكيف نتمكّن من إخراج الأجزاء الجيدة المختلفة من بين النفايات، وجمعها مع بعضها من جديد. وأنت تملكين الشجاعة للقيام بذلك". علم أنه لا يزال هناك أجزاء كبيرة تنقصه هو.

قالت له بلطف: "وكذلك أنت. إنها صفعة موجعة لطفل بأن يفقد عائلة في هذه السن المبكرة. لا يمكنك تخطّي ذلك كلياً، لكن بإمكانك أن تكون شجاعاً لتطرق الباب المناسب ذات يوم، وأتمنّى أن تفعل". نظر إليها وقد شعر بالامتنان للصدق الذي تشاركا فيه، وقال بنعومة: "أتمنّى أن تفعلي ذلك أنت أيضاً يوماً ما".

ابتسمت له: "أنا أفضّل أن أضع استثماري لديك، فأنا أحبّ طريقة حياتي الآن. إنها بسيطة وسهلة وغير معقّدة".

– "لكنك وحيدة". قال ذلك حين توقّفت عن الكلام. وتابع: "لا تقولي إنك لست كذلك. أنت تكذبين إن قلت ذلك، وأنت تعلمين هذا. إن اخترت أن تبقي بمفردك، قد لا يؤذيك أحد لكنك ستدفعين ثمناً باهظاً لذلك. إنها بطاقة ذات ثمن مرتفع، وأنت تعلمين ذلك بالتأكيد. هكذا لن تتعرّضي للكدمات والضربات، ولن يكون هناك أثر للجروح والندوب على وجهك، لكنك حين تعودين إلى منزلك في المساء ستسمعين تماماً ما أسمعه... الصمت المطبق. سترين أن المنزل مظلم، وأن ليس هناك من يسألك كيف حالك، ولا أحد يكترث لأمرك. ربما يفعل أصدقاؤك ذلك، لكن كلينا نعرف أن هذا أمر مختلف".

قالت بصدق: "لا، ليس مختلفاً. فالحلّ الآخر مخيف أكثر".

– "يوماً ما سيصبح الصمت مخيفاً أكثر من ذلك. هذا ما يحدث لي أحياناً". لاسيّما في الفترة الأخيرة، فالوقت لم يعد لصالحه، وقريباً لن يعود لصالحها هي أيضاً.

سألته بفضول: "وماذا تفعل عندها؟"

– "أهرب. أخرج من المنزل لأرى أصدقائي، أو أقصد الحفلات وأخرج مع النساء. هناك طرق عديدة لملء ذلك الفراغ، لكن كل تلك الطرق اصطناعية، فأينما ذهبت في هذه الدنيا ستأخذين وحدتك وأشباحك معك. لقد مررتِ بذلك أيضاً". لم يكن يوماً صادقاً مع أحدٍ كما هو معها، باستثناء معالجه النفسي، لكنه سئم الحياة المصطنعة، وسئم من التظاهر دائماً بأن كل شيء يسير على ما يرام. ففي بعض الأحيان لم يكن الأمر كذلك أبداً.

قالت بنعومة: "نعم، أعلم. أما أنا فأعمل حتى الإرهاق، وأقنع نفسي بأنني أدين بذلك لهؤلاء الأطفال، لكن هذا ليس السبب الحقيقي. أحياناً أعمل

فعلاً من أجلهم، لكنني في أحيان أخرى أعمل من أجلي أنا. وإن بقي لدي بعض الطاقة حين أعود إلى المنزل، فإنني أخرج للسباحة أو للعب الأسكواش أو أذهب إلى النادي".

ابتسم وقال: "على الأقل، يظهر ذلك بشكل جميلٍ عليك. نحن مثيران للشفقة، أليس كذلك؟ شخصان لديهما رهاب العلاقات، يتناولان العشاء معاً، ويتبادلان الأسرار".

قالت له: "هناك أمور أكثر سوءاً من ذلك". نظرت نحوه بحذر، وتساءلت لما دعاها للخروج برفقته. لم تعد واثقة أن السبب هو مشاريعها المتعلقة بالمركز، وقد كانت محقّة في ذلك. قالت بلطف: "دعنا نصبح أصدقاء". أرادت عقد اتفاقٍ معه لوضع القواعد منذ البداية، وللحفاظ على الحدود بينهما، وهي بارعة جداً في هذا الأمر. حدّق شارلي بها لفترة طويلة قبل أن يجيب. أراد أن يكون صادقاً معها هذه المرّة، ففي المرة الماضية حين دعاها للعشاء لم يكن كذلك، لكنه أراد أن يصبح صادقاً قبل فوات الأوان.

قال لها بينما التقت عيونهما الزرقاء معاً، جمدت نظراتهما لفترة طويلة: "لن أستطيع أن أعدك بذلك، فأنا لا أكسر وعودي، ولست واثقاً أنني سأستطيع الالتزام بوعد مماثل".

– "لن أخرج برفقتك للعشاء مجدّداً إلاّ إذا تأكّدتُ أننا مجرّد أصدقاء".

– "إذاً اعتقد أنك ستبدأين بتناول الغداء برفقتي. سأحضر لك الموز، أو بإمكاننا أن نلتقي في مطعم سالي لتناول قطع اللحم الكبيرة معاً. أنا لا أقول إنه ليس بإمكاننا أن نكون أصدقاء، لكنني أحبّ أن نصبح أكثر من ذلك. حتى الذين يعانون من رهاب الارتباط يحبّون إقامة بعض العلاقات الرومنسية من فترة لأخرى، أو الخروج في موعد ما".

– "وهل كان هذا موعداً ما؟" نظرت نحوه مندهشة، إذ لم يخطر ببالها ذلك مطلقاً حين دعاها للعشاء. لقد اعتقدت أنه عشاء عمل ليس أكثر، لكنها أحبّته أكثر الآن، أحبّته بما يكفي كي يصبحا صديقين.

– "لست أدري". قال ذلك بغموض، فهو غير مستعد بعد ليعترف بأنه كذب عليها، واستخدم الحيلة ليتناول العشاء برفقتها. لقد قال له آدم ذات مرة، إن كل التصرفات مقبولة في سبيل العلاقات والحصول على المتعة. وعشاؤه معها شي من ذلك القبيل. كان هذا وقتاً ممتعاً، بل إنه مثير للاهتمام أكثر ممّا هو ممتع. بالطبع هما لن يصلا إلى إقامة علاقة جنسية الآن، وتوقّع شارلي ألاّ يحصل ذلك قبل فترة طويلة، هذا إن حصل يوماً. تابع يقول لها: "لست واثقاً إن كان هذا أكثر من لقاء بين شخصين ذكيين لديهما اهتمامات مشتركة، وهما يحاولان التعرّف على بعضهما أكثر. لكن سأودّ أن يكون لقاؤنا الثاني موعداً غرامياً بالتأكيد". جلست كارول هناك بتعاسة لدقيقة من دون أن تجيبه. أرادت أن تهرب بعيداً، لكنها أخيراً نظرت نحوه والألم بادٍ على وجهها، وقالت: "أنا لا أخرج في مواعيد غرامية".

– "هذا كان شعورك بالأمس واليوم، لكن يمكنك أن تجرّبي ذلك غداً، وتكتشفي ما الذي تشعرين به عندها. لست مضطرة إلى اتخاذ قرارات كبيرة بعد، فأنا أتكلّم عن تناول العشاء وليس عن إجراء عملية القلب المفتوح مثلاً". قال ذلك ببساطة. وبدا كلامه منطقياً حتى بالنسبة لكارول.

– "ومن برأيك سيخرج من الباب، ويترك الآخر أوّلاً؟"

– "سنرمي قطعة نقدية لنعرف ذلك. لكنني أحذّرك، فأنا لم أعد أملك القوة الجسدية كالسابق، ولم أعد أستطيع أن أركض كما كنت أفعل، لذا قد تصلين إلى الباب قبلي".

– "وهل ستستخدمني لتبرهن نظريتك حول الهجر شارلي؟ ولكي تؤكّد بأن جميع النساء يتركنك في النهاية؟ لا أريد أن يتمّ استخدامي لدعم سيناريو مرض العصاب الذي تعاني منه". ابتسم لها بينما هو يستمع إلى تحليلها.

- "ســأحاول ألاّ أفعل ذلك. لكنني أيضاً لا أعدك. تذكّري أنه مجرّد موعد للعشاء. وليس ارتباطاً لمدى الحياة". ليس بعد على الأقل. حذّر نفسه بــصمت ليحترس ممّا يتمنّاه، فلقد حدثت أمورٌ أغرب من هذه بكثير. رغم أنــه لــم يستطع أن يفكّر بأي شيء أفضل من قضاء الوقت برفقتها لفترة طويلة جداً، ولم يكترث من سيصل إلى الباب أوّلاً ويرحل.

- "إن كنت تبحث عن المرأة المناسبة، فالعشاء مع امرأة لديها رهاب العلاقات الغرامية ليس خياراً جيداً بالنسبة إليك".

- "ســأحاول تذكّر ذلك، ولست مضطرة لأن تكوني معالجتي النفسية كارول، فأنا لدي معالج. كوني صديقتي فقط".

- "أعــتقد أننــي أصــبحت صــديقتك". لم يعرفا بشأن ما تبقّى من المــشاعر بعد، لكنهما لم يكونا بحاجة إلى معرفتها الآن، فالمستقبل سيكون كفيلاً بكشف ذلك، إن سمحت كارول بتطوّر العلاقة بينهما.

دفــع شارلي ثمن العشاء بواسطة شيك، وخرج ليمشي معها نحو منــزلها. كانت كارول تعيش في مبنى صغير أنيقٍ جدرانه من الحجر البني اللون، وقد أدهشه ذلك. لكنها لم تدعه للدخول، وهو لم يتوقّع منها أن تفعل ذلك. فكّر أن الأمور سارت أفضل ممّا تصوّر بالنسبة للموعد الأوّل.

أخبــرته أنها تعيش في شقة صغيرة استأجرتها منذ فترة، وذكرت له أيــضاً أن إيجارها زهيد، وأنها محظوظة للحصول عليها. تساءل إن كانت قد حصلت على تعويض مالي من زوجها بعد الطلاق، لأنها سبق وذكرت أن زوجها كان غنياً جداً. أمل أن تكون قد حصلت على المال للمضي قدماً فــي حياتها، فقد بدا له من العدل أن تحصل على شيء ما من ذلك الزواج غير الأسى والحزن.

قالــت له بتهذيب: "شكراً على العشاء" ثم تابعت بحزم: "لكنه لم يكن موعداً غرامياً".

- "أعلــم ذلــك، وشكراً لتذكيري بالأمر". قال ذلك وقد لمعت عيناه وهو ينظر نحوها. كان يرتدي قميصاً زرقاء من دون ربطة عنق وسروال جينــز وكنــزة بلــون كنزتها وينتعل حذاءً بنياً من جلد التمساح من دون جوربــين. بــدا وسيماً جداً، وبدت هي رائعة الجمال وهي تودّعه. اقترح قائلاً: "ما رأيك بتناول العشاء معاً في الأسبوع المقبل؟"

- "ســأفكّر بالأمــر". قالــت ذلك وهي تدخل المفتاح في قفل الباب الأمامي للمبنى، ثم لوّحت له واختفت.

- "تصبحين على خير". همس شارلي لنفسه وهو يبتسم، بينما مشى أمــام المبنــى وهو يحني رأسه، ويفكّر بها وبكل المعلومات التي تشاركا فــيها. لــم ينظر خلفه مجدّداً، ولم ير أنّها تراقبه من نافذة الطابق العلوي. تساءلت كــارول بمــا كان يفكّر، وقد كان يفكّر بها طبعاً. شعر شارلي بالرضى بينما ساور كارول شعورٌ بالخوف.

12

بعد يومين من عشاء شارلي مع كارول، وصل آدم أمام منزل والديه في لونغ أيلاند بسيارة الفيراري الجديدة الخاصة به. كان يعرف مسبقاً أنه سيقع في المشاكل، إذ كانوا يتوقّعون منه مرافقتهم إلى أحد الاحتفالات، وكان آدم يخطّط للقيام بذلك فعلاً، لكن احد زبائنه، وهو نجم رياضي مشهور، اتّصل به قبل ذهابه والخوف يملؤه. لقد اعتقلت زوجته بسبب قيامها بسرقة بعض المعروضات، أما ابنه البالغ ستة عشر عاماً فمتّهم بأنّه يقوم بأعمال مشينة، وسوف يرسلونه إلى إصلاحية للأحداث في الصباح. ربما كانت هذه مناسبة هامة لآدم وعائلته، إلاّ أن لاعب فريق مينيسوتا لكرة القدم لم يكن يدري بذلك، وهو يحتاج إلى مساعدة آدم فوراً، ولطالما كان آدم موجوداً دائماً من أجل مساعدة زبائنه، وهذه المرة لم تكن مختلفة أبداً.

لحسن الحظ أن آدم كان يعرف نائب مدير المؤسسة التي حاولت الزوجة سرقة المعروضات منها، لذا تمّ الاتّفاق على أن يكون عقابها عبارة عن مئة ساعة تقضيها في الخدمة الاجتماعية، وقد وافق نائب المدير على أن تبقى تلك العقوبة مجرّد حبر على ورق. عند الساعة السادسة والنصف مساءً كان آدم في طريقه إلى منزل والديه، وقد لزمته ساعة كاملة ليصل إلى منزلهما في لونغ أيلاند. بالطبع فاتته الاحتفالات، لكنه على الأقل وصل في الوقت المناسب للعشاء. علم أن والدته ستكون غاضبة منه، فقد خاب أملها به. في الواقع إنها الاحتفالات الوحيدة التي يحبّ آدم المشاركة فيها، أمّا بقيّة العام فلم يكن للحياة الاجتماعية للعائلة مكاناً لديه. مع أنه يحبّ التقاليد العائليّة، وهو ممتنّ لأن راشيل تحضّر جميع المناسبات مع الأولاد. لقد أقيمت السنة الماضية احتفالات شارك ابنه فيها، وقد جعلته تلك المناسبة يذرف الدموع تأثّراً، فهو لم يشعر بالفخر يوماً مثلما شعر في ذلك اليوم. تذكّر الدموع التي ذرفها والده يوم شارك هو في أحد الاحتفالات حين كان طفلاً صغيراً.

الليلة، علم آدم أنه لن تكون هناك لحظات عاطفية حنونة، إذ ستكون والدته غاضبة لأنه لم يحضر الاحتفالات معهم. إنها مشكلة دائمة لديها، فاهتمامه بزبائنه لم يعنِ لها شيئاً مطلقاً، فلقد شعرت بالغضب من ابنها الأصغر منذ طلاقه ولا تزال كذلك. إنها أقرب إلى راشيل الآن أكثر ممّا كانت قريبة منه يوماً، ولطالما شعر آدم أن والدته تحبّ راشيل أكثر ممّا تحبّه.

حين وصل آدم، كانوا جميعاً يجلسون في غرفة الجلوس، وقد عادوا للتو إلى المنزل. كان آدم يرتدي ربطة عنق وبذلة ذات لون أزرق داكن من ماركة بريوني، وقميصاً بيضاء صنعت خصيصاً له، وينتعل حذاءً مطلياً بشكلٍ أنيق. أي والدة أخرى كانت لتذوب إن رأت ابنها بذلك المظهر، فهو ذو قامة ملفتة للنظر ومظهر وسيم، ويرتدي ثياباً مميّزة وعصريّة. في الماضي حين كان لا يزال شاباً صغيراً، كانت أمه تقول إنّه يشبه فارساً نبيلاً، وكان آدم ينوي أن يجعلها دائماً فخورة به. أمّا هذه الأيام فكل ما تقوله هو إنه باع نفسه ليعيش في الرذيلة، وإن حياته مليئة بالخزي والعار. إنها تعارض كل ما يقوم به، بدءاً من خروجه برفقة أولئك النساء، والزبائن الذين يوكّلونه، وصولاً إلى الرحلات التي يقوم بها إلى لاس فيغاس من أجل الأعمال، أومن أجل إقامة العلاقات الغرامية، أو لرؤية

فتياته اللواتي يقمن بجولاتٍ غنائيّة. إنها تعارض حتى علاقته بشارلي وغراي، وتقول إنهما فاشلان، لأنهما لم يتزوّجا ولن يتزوّجا يوماً، وهما يخرجان دوماً مع نساء فاسقات. في كل مرّة تشاهد صورة له في الصحف برفقة امرأة يواعدها، وهما يقفان معاً خلف قانا أو خلف إحدى النجمات اللواتي يوكّلنه، كانت تتّصل به لتخبره بأنه يجلب لنفسه العار بتلك التصرّفات، وكان آدم واثقاً أن هذه الليلة لن تكون أفضل على الإطلاق.

تفويت الاحتفالات أمر سيء جداً برأي أمّه، فهو لم يأتِ إلى المنزل لمناسبة الأعياد أيضاً، فقد كان في مدينة أتلانتا يحاول حلّ نزاعٍ انفجر حول عقدٍ مع أحد أكبر الموسيقيين الذين يعمل لصالحهم. لم تعنِ الأعياد شيئاً لزبائنه، لكنها عنت الكثير لوالدته. بدا وجهها كالغرانيت حين دخل إلى المنزل ومشى نحو غرفة الجلوس، أما آدم فبدا قلقاً وشاحباً. المجيء إلى المنزل يجعله يشعر كأنه عاد طفلاً من جديد، وذكريات طفولته ليست ذكريات سعيدة، فلقد جعلته عائلته يشعر بأنه دخيل ومخيّب للأمل منذ ولادته.

قال وهو يسير نحو والدته: "مرحباً أمي! أنا آسف لتأخري". وانحنى ليقبلها، فأدارت وجهها بعيداً عنه. كان والده يجلس فوق المقعد محدّقاً بقدميه، ورغم سماعه صوت آدم عند دخوله، إلاّ أنه لم يتحرك لينظر إليه. إنه لم يفعل ذلك ولو مرة واحدة. قبّل آدم رأسَ والدته وابتعد، ثم تابع يقول: "أعتذر منكم جميعاً، لكنني لم أتمكّن من المجيء. كانت لدي مشكلة مع أحد الزبائن، فابنه ارتكب حماقة وزوجته كانت على وشك دخول السجن". لم يعنِ عذره شيئاً لأمه، بل شكّل سبباً إضافياً لغضبها منه.

قالت له: "يا لهم من أشخاص طيبين، أولئك الذين تتعامل معهم". بدا صوتها حاداً كسكين الجزّار، فيما تابعت تقول: "لا بد أنك فخور جداً". بدت السخرية واضحة في صوتها، ورأى آدم شقيقته تحدّق بزوجها، وأخاه يعبس ويدير رأسه بعيداً. أدرك أنها ستكون ليلة من تلك الليالي المروّعة التي تجعله يعاني من ألم في معدته لأيام عديدة.

- "إنه عمل يطعم أولادي". قال آدم ذلك محاولاً أن يبدو مسترخياً، بينما ذهب إلى الطاولة الجانبية ليسكب لنفسه كوباً من الشراب، فقد أراد شراباً قوياً يبرّد أحشاءه.

- "ألا تستطيع أن تنتظر قليلاً، وتجلس معنا قبل أن تسكب الشراب؟ لا تستطيع الذهاب إلى الاحتفالات ولا يمكنك إلقاء التحية على العائلة، لكن يمكنك تناول الشراب على الفور أليس كذلك؟" لم يعرف آدم ما الذي يقوله. كان بإمكانه تحويل الموقف إلى مزاح وتسلية لو أنه يتكلّم إلى شارلي وغراي، لكن مع عائلته لم يكن هناك أبداً ما يدعو للمزاح. كانوا يجلسون كالأصنام وهم بانتظار أن تأتي الخادمة لتخبرهم أن العشاء أصبح جاهزاً. تلك الخادمة هي نفسها المرأة الأفريقية الأصل التي تعمل عندهم منذ ثلاثين عاماً، رغم أن آدم لم يفهم حتى الآن لما تستمرّ بذلك، فوالدته لا زالت أحياناً توجّه لها الإهانات، وتستخفّ بها أمام أفراد العائلة. إنها الشخص الوحيد الذي يستمتع آدم برؤيته أثناء زياراته القليلة للمنزل. اسم تلك الخادمة ماي، ولطالما قالت والدته وعلى وجهها نظرة امتعاض: "أي نوع من الأسماء هو مايْ؟"

- "كيف كانت الاحتفالات؟" سأل آدم بتهذيب محاولاً بدء محادثة بينما كانت أخته شارون تتكلّم بنبرة خافتة سمع زوجة أخيها باربرا، وأخوه بن يتكلّم عن الغولف مع زوج أخته جدعون. لم يكن أحد منهم يحبّ اسم جدعون، لذا كانوا يتظاهرون كأن الرجل لا يملك اسماً. في هذه العائلة إن لم يرضَ الجميع عنك فهم يتظاهرون كأنّك لا تملك اسماً. أخوه بن طبيب أما جدعون فيعمل في بيع عقود التأمين. بالنسبة لآدم، فقد نسي الجميع أنه تخرّج من هارفرد بدرجة امتياز، بسبب الخطأ الفادح الذي ارتكبه بطلاقه من زوجته بعد أن هجرته وهو أمرٌ لا يلام عليه أحد سواه بنظر والدته. فهي تعتقد أنه لو كان رجلاً شريفاً، لن تقدم فتاة مثل راشيل على هجره، وقد تعزّز رأيها هذا بعد النظر إلى الفتيات اللواتي أخذ يواعدهن بعد

الطــلاق. الوصــفات التي تنفع في المواقف المماثلة كثيرة، وقد أصبح آدم يعــرفها كلها حتى الآن، لكنه لن يستطيع ربح هذه اللعبة مطلقاً، مع أنّه ما زال يحاول، وهو لا يعرف أبداً لما يفعل ذلك.

أتــت ماي أخيراً لتدعوهم إلى العشاء. وحالما جلسوا في أماكنهم المعــتادة رأى آدم والدته تحدّق به عبر الطاولة. كانت ترمقه بنظرات تجعل الإسمنت يتكسّر، وكان والده يجلس عند الطرف المقابل لها على رأس الطاولــة، بيــنما تــوزّع الأزواج بينهما. كان الأولاد يأكلون في المطبخ، ولم يكن آدم قد رأى أحداً منهم بعد. كانوا قبل ذلك يلعبون كرة السلّة، ويدفنون السّجائر خفية في الخارج، أمّا ولداه فهما لا يأتيان أبداً فــي المناســبات المماثلة، فوالدته تراهما مع راشيل في أوقات خاصة. جلس شارلي بين والده وأخته، وبدا كأنهم أضافوا له كرسيّاً ليجلس فيه فــي اللحظــة الأخيرة. يصادف دائماً أن تكون رجل الطاولة بين ساقيه عندما يجلس معهم إلى المائدة. في الواقع، لم يكن ذلك يزعجه، لكن بدا له الأمر كإشارة ليفهم أنّ لا مكان له بين أفراد هذه العائلة، لاسيّما في الــسنوات الأخيــرة. فمنذ طلاقه من راشيل وبعد أن أصبح شريكاً في شــركة المحامــاة، أصبح يعامل على أنّه منبوذ، وكأنه مصدر للأسى والعار لاسيّما بالنسبة لزوجته. إنجازاته، وهي إنجازات هامّة في العالم الحقيقــي، فلــم يكــن لها أي أهمية هنا. كان يعامَل كمخلوق قادم من الفــضاء الخارجي، وكان يشعر في بعض الأحيان كأنه دخيل على هذه العائلة. زاد انزعاجه مع الوقت وتاق بشدة ليعود إلى منزله. لكن الجزء الأســوأ بالنسبة له كان حين يتذكّر أن هذا منزله أيضاً، ويصعب عليه تصديق ذلك. فقد كان يشعر كأن أفراد عائلته غرباء وأعداء بالنسبة له، إذ كانوا يعاملونه على هذا الأساس.

- "إذاً مــا الــذي كــنت تفعله مؤخراً؟" سألته والدته ذلك حالما عمّ الــصمت، كــي يسمعه الجميع وهو يعدّد أماكن مثل لاس ڤيغاس وأتلانتا، حــيث تنــشر النوادي الليلية والأماكن المشبوهة وبنات الهوى المتجوّلات اللواتي هنّ على استعداد لتلبية رغبات آدم.

قــال آدم بغمــوض: "آه! أتجوّل هنا وهناك". لقد فهم تماماً ما الذي ترمــي والدتــه إليه، مع أنه كان من الصعب تجنّب الحفر والأخاديد، لكنه كالعــادة حــاول أن يفعل ذلك، فتابع يذكّرها: "كنت في إيطاليا وفرنسا في شهر آب/أغسطس". سبق أن تكلّم معها عبر الهاتف، وأخبرها عن ذلك.

لم يكن من داعٍ لإخبارها أنه كان في أتلانتا الأسبوع الفائت، يحاول حلّ مشكلة أخرى. من الجيّد أنها تعلم أين كان في فترة الأعياد، ولم تتوقّع أن يــزورها. لقد قام بمجهود كبير كي يحضر إلى هنا هذا اليوم. حدّق آدم بأخــته بعد ذلك فابتسمت له. للحظة أحسّ بما يشبه الهلوسة، إذ رأى كأن شــعرها قد أصبح طويلاً فجأة، ومكسوّاً بالخصل العريضة البيضاء، وأنها قــد كشّرت عن أنيابها. لطالما فكّر آدم أنها تشبه زوجة فرانكشتاين. لدى أخته ولدان قلّما يراهما آدم، وهما يشبهانها هي وجدعون تماماً. كان جميع أبناء أخته وأخيه غرباء بالنسبة له، وقد اعترف في السابق لشارلي وغراي أنــه يفــضّل إبقاءُ علاقته بهم على هذا الشكل. لطاما شعر أنّ جميع أفراد عائلته غريبو الأطوار، في الوقت الذي كانوا يظنّون بدورهم أنه هو غريب الأطوار.

- "هــل اســتمتعت في بحيرة هوهونك؟" لم يفهم آدم لماذا ما زالت والدتــه تقــصد ذلــك المكان. لقد جمع والده ثروة كبيرة في سوق الأسهم المالية منذ أربعين عاماً، وهم قادرون على زيارة أي مكانٍ في العالم، لكن والدته ما زالت تتظاهر كأنهم فقراء. إنها تكره الطائرات، ولم تسافر يوماً إلى مكان بعيد.

- "نعــم اســتمتعت كثيــراً". قالت ذلك وهي تبحث عن أي شيء تهاجمــه به، فهي تستخدم عادة أي شيء يخبرها به كي تهزمه بقسوة. أمّــا هــو فقرّر ألاّ يعطيها أي معلومات أكثر من تلك التي تقرؤها في

المجلات التي تشتريها أو ما تشاهده عبر التلفاز. بشكل عام، إنها ترسل له دائماً قصاصات من أبشع الصور له، صور يقف فيها خلف أحد زبائنه مثلاً وهم يقتادونه إلى السجن مكبّل اليدين. تكتب والدته دائماً تعليقات صغيرة على الصور التي ترسلها فتكتب مثلاً: "إذا كنت لم ترَ الصورة،.." وحين تكون الصورة قبيحة جداً ترسل منها ثلاث نسخ منفصلة عبر البريد، وتكتب ملاحظات تبدأ بجملة مثل: "هل نسيت أن أرسل لك هذه..."

– "كيف حالك والدي؟" لطالما كان هذا السؤال دائماً في محادثات آدم وعائلته، وهو سؤال يتلقّى عليه دائماً الإجابة نفسها. كان مقتنعاً منذ صغره بأنهم قد استبدلوا والده برجلٍ آلي، تُرك هناك من قبل مخلوقات أتت من الفضاء الخارجي، وهذا الرجل الآلي الذي تركوه لديه يعاني من خطأ في تصنيع إحدى قطعه، مما جعل من الصعب عليه أن يتكلّم بسهولة. إنه قادرٌ على ذلك، لكن عليك أن تركل ذلك الرجل الآلي في البدء ليتحرّك، وفي تلك اللحظة بالتحديد تدرك أن بطاريته قد فرغت. أمّا جواب والده النموذجي فهو: "لا بأس.." إنه يجيب دائماً وهو ينظر إلى صحنه، فهو لا ينظر مطلقاً نحو أحدٍ، بل يتابع تناول طعامه. إنه يعزل نفسه ذهنياً تماماً، ويرفض المشاركة في الأحاديث. كانت هذه الطريقة الوحيدة التي مكّنت والده من أن يعيش خلال السنوات السبع والخمسين من زواجه من والدة آدم. بن، شقيق آدم، سيبلغ سن الخامسة والخمسين هذا الشتاء، وشارون قد بلغت الخمسين من عمرها منذ فترة قصيرة، أما آدم فقد أتى إلى هذه العائلة صدفة وعن طريق الخطأ، بعد تسع سنوات من ولادة أخته. ومن الواضح أنه لا يستحقّ بنظرهم أن يناقش أو أن يخاطب إلاّ حين يقوم بعمل خاطئ.

لا يستطيع آدم أن يتذكّر أن والدته قالت له يوماً إنها تحبّه، فهي لم تُسمعه مطلقاً كلاماً لطيفاً منذ ولادته. حتى في صغره كان آدم مصدر

حرج وإزعاج لهم، وألطف أمرٍ قاموا به من أجله هو تجاهله. أما الأسوأ فكان التسلّط عليه وتوبيخه أو صفعه، وهذه مهمّات كانت تمارسها والدته، وهي ما زالت تفعل ذلك وقد أصبح في سن الأربعين الآن. الأمر الوحيد الذي تخلّصت منه عبر السنوات هو صفعه.

– "إذاً من تواعد الآن، آدم؟" سألته والدته ذلك بينما قدّمت ماي السلطة. افترض آدم أن هذا جزء من العقاب الذي تقوم به والدته لأنه لم يحضر الاحتفالات. لقد أخرجت الأسلحة الثقيلة باكراً هذه المرّة، ففي العادة، هي تنتظر حتى ينتهي من تناول الحلوى لتخرج تلك الأسلحة مع القهوة. لقد تعلّم آدم منذ فترة طويلة أن ما من إجابة ترضي والدته، وأن إخبارها الحقيقة حول موضوع ما قد يؤدي إلى تدمير المنزل بسبب العراك.

أجابها بغموض: "لا أحد، فأنا كثير الانشغال هذه الفترة".

– "هذا واضح!" قالت والدته وهي تمشي منتصبة نحو الخزانة. لقد بدت نحيفة وذات جسدٍ متناسق رغم أنها في التاسعة والسبعين من عمرها، أمّا والده فقد بلغ الثمانين لكنه لا يزال قوياً، جسدياً على الأقل.

تناولت من الخزانة نسخة عن صورته في مجلة ما، ووضعتها على الطاولة كي يتمكّن الجميع من رؤيتها. تساءل آدم لِما لم ترسلها له بعد! يبدو أنها كانت تحتفظ بها حتى يوم العطلة، كي يتمكّن الجميع من الاستمتاع برؤيتها. إنها صورة التقطت له في حفلة ڤانا الموسيقيّة، حيث تقف إلى جانبه فتاة وقد فتحت فمها وأغمضت عينيها. كانت الفتاة ترتدي سترة جلدية وقد ظهر جمال جسدها من تحت قميصها السوداء، أمّا تنورتها فقصيرة جداً. سألته والدته بنبرة مستاءة تُظهر كأنه يخفي عنهم أمراً ما: "من هي هذه الفتاة؟" حدّق آدم بالصورة لدقيقة ولم يستطع أن يتذكّر، لكنّه أخيراً تمكّن من تذكّر ذلك الوجه؛ إنّها ماغي، الفتاة التي حصل لها على مقعد فوق المسرح، والتي أوصلها إلى منزلها

في ذلك المبنى المتواضع حيث تسكن. كان على وشك أن يطمئن والدته بـألاّ تقلق لأنه لم يقم علاقة معها، لذا لا يمكن أن تحاسبه على ظهوره برفقتها، إلاّ أنه قال بغموض من جديد: "إنّها مجرّد فتاةٍ تقف بجانبي في الحفلة".

- "ألا تـواعدها؟" قالت ذلك بنبرة بدا فيها الارتياح وخيبة الأمل في الوقت نفسه. إذ عليها الآن أن تختار سلاحاً آخر تحاربه به.

- "لا! ذهبت إلى الحفلة برفقة شارلي".

- "من؟" تتظاهر والدته دائماً بأنها لا تتذكّره. بالنسبة لآدم، عدم تذكّر أسماء أصدقائه هو شكل آخر من أشكال الرفض والنبذ.

- "تشارلز هارينغتون. إنه الرجل نفسه الذي تتظاهرين دائماً أنك لا تعرفينه!"

- "آه، هذا الرجل! لا بد أنّه شاذ، فهو لم يتزوّج بعد". أرادت أن تركّـز على هذه النقطة الآن لتعيد السيطرة إلى يديها. إن قال إنه ليس كـذلك ستسأله كيف له أن يعرف ذلك، ممّا قد ينقل حرجاً جديداً عليه، وإن حـاول تفادي ثورة غضبها ووافق معها ليتخلّص من لسانها الحاد فهـو بالتأكـيد سيشعر بالذنب لاحقاً. سبق له أن جرّب ذلك بمواضيع مختلفة. وجد آدم أن أفضل حل هو ألا يجيب أبداً، وبدلاً من ذلك ابتسم لمـاي التـي نظرت نحوه بطرف عينها. إنها نصيرته الوحيدة في هذا المنزل، ولطالما كانت كذلك.

حـين تـركوا مائـدة الطعام بعد العشاء، وشاهدهم آدم يعودون ليجلـسوا فـي المقاعد التي كانوا يجلسون فيها قبل العشاء منذ ساعات عديـدة، أحسّ أن العقدة التي تربط معدته قد أصبحت بحجم قبضة يده. فـي تلـك اللحظة نظر حوله في الغرفة وأدرك أنه لا يستطيع الجلوس بـرفقتهم لمـدة أطول. ذهب ليقف بجانب والدته، إذ ربما شعرت برغبة بمعانقته، مع أنه أمر نادر الحدوث.

- "أنا آسف أمي. أشعر بألم في رأسي يبدو شبيهاً بالصداع النصفي. أمامـي رحلة طويلة الآن، وأعتقد أن من الأفضل أن أنطلق". كل ما أراد فعله هو الخروج من باب ذلك المنزل لمتابعة حياته.

نظـرت والدتـه نحـوه لفترة طويلة وشفتاها مطبقتان، ثم هزّت رأسها. لقد عاقبته بشكل كافٍ لعدم ذهابه معهم إلى الاحتفالات الدينية، لذا أصبح يملك حرية المغادرة الآن. لقد قام بدوره بالكامل ككبش فداء، وهـو دور خصّـصته له طيلة حياته، منذ أن امتلك الجرأة ودخل إلى حـياتها، في الوقت الذي ما عادت تريد فيه أطفالاً. كان آدم عبارة عن هجـوم غيـر مـتوقّع وغير مرحّب به في حفلات الشاي الخاصة بها وجلـسات لعـب البريدج، ويبدو أنه عوقب دائماً على فعل ذلك، وهو مـازال يُعاقـب. لطالما كان مصدر إزعاج بالنسبة لها، ولم يكن يوماً مـصدراً للسعادة. لقد أخذ الآخرون الأدوار التي عيّنتها لهم تماماً. فبن شـعر بالـذل وهـو في الرابعة عشرة من عمره لأن والدته أصبحت حـاملاً، وشـارون التـي كانت في التاسعة من عمرها شعرت بانتهاك حقـوقها بسبب دخُول آدم إلى حياتهم. أما والده، فقد كان يلعب الغولف طيلة لوقت، ولم يكن متوفّراً ولو لمرة واحد. وكانتقام أخير، قرّروا أن يحـضروا مـربية لتعتني به، لذا لم يكن يراهم أبداً، واكتشف لاحقاً أن إحضار مربية كان نعمة بالنسبة له، فالمرأة التي اعتنت به حتى أصبح فـي العاشرة من عمره محبّة وطيبة، وهي الشخص الوحيد الذي تعامل بلطـف معه أثناء طفولته. استمرّ ذلك حتى عيد مولده العاشر، حيث تمّ طـردها من دون أن يُسمح لها حتى بتوديعه، ولا يزال آدم يتساءل في بعـض الأحـيان ما الذي حدث لها. لكن بما أنها لم تكن شابة في ذلك الـوقت افتـرض أنّهـا توفّيت. لقد شعر بالذنب لسنوات طويلة لأنه لم يحـاول أن يبحث عنها أو أن يكتب لها رسالة على الأقل ليشكرها على معاملتها الجيدة له.

قالــت لـــه والدته: "لو لم تكن تكثر من تناول الشراب وتخرج برفقة بـنات الهـوى لمــا شعرت بالصداع". لم يفهم آدم ما علاقة بنات الهوى بصداع رأسه، لكنه لم يسألها. لقد سمع كلامها فقط بمنتهى البساطة.

- "شــكراً علــى العشاء الرائع". لم يكن يملك أدنى فكرة عمّا تناوله علــى العـشاء، على الأرجح أنه أكل اللحم المشوي، فهو لا ينظر إلى ما يأكله في هذا المنزل. إنّه يأكل فحسب.

قالت بحزم: "اتّصل بي من مرّة لأخرى". هزّ رأسه، ومنع نفسه من ســؤالها عن السبب، فهذا سؤال آخر ما كان أحد ليجيب عنه. لما سيودّ أن يتّصل بها؟ لم يكن يودّ ذلك، لكنه يتّصل بها كل أسبوع في مطلق الأحوال، بـسبب احترامه لها وتعوّده على ذلك. كان يصلّي دائماً لكي تكون خارج المنـزل، كي يترك لها رسالة مع والده. أما هذا الأخير فبالكاد يتمكّن من الـتفوّه بـثلاث كلمات، بعد أن يلقي التحية وقبل أو يودّعه، وهذه الكلمات الثلاث تكون عادة: سوف أقول لها".

ودّع آدم الجمـيع، ثـم ودّع ماي في المطبخ، بعدئذٍ خرج من الباب الأمامي، وركب سيارته الفيراري، ثم أطلق تنهيدة عميقة.

قــال بـصوت مرتفع: "تبّاً لهذه المناسبات! إنني أكره هؤلاء البشر". بعد أن صرّح بذلك عالياً شعر بتحسن، وانطلق بالسيارة مسرعاً. بعد عشر دقائق كان قد أصبح على الطريق السريع للونغ أيلاند، وهو يقود متجاوزاً الـسرعة القـصوى، لكن ألم معدته أصبح خفيفاً. حاول الاتصال بشارلي، فقــط كــي يسمع صوت إنسانٍ طبيعي، لكنه كان خارج المنزل، فترك له رســالة. وبيـنما تابـع القيادة إلى المنزل، وجد نفسه يفكّر بماغي. بدت صورته برفقتها في المجلة سيئة، وتذكّر أنه وجد مظهرها أفضل من ذلك، فقد كانت فتاةً ظريفة بطريقتها الخاصة. فكّر بها لبضع دقائق، وتساءل إن كــان علــيه الاتصال بها. ربما لا يجدر به فعل ذلك، لكنه علم أنه بحاجة لفعــل شـــيء هذه الليلة ليستعيد شجاعته واعتداده بنفسه، فهناك الكثيرات

اللواتــي بإمكانه الاتصال بهن. حالما وصل إلى المنزل اتّصل بهن جميعاً، لكــن كلهــن كــنّ خارج منازلهن. إنه يوم الجمعة وجميع النساء اللواتي يعرفهن لا بد أنهن يواعدن رجالاً آخرين. كل ما كان آدم يحتاجه هو لمسة بشرية... شخص يبتسم له ويتحدّث إليه ويحتضنه. لم يكن حتى بحاجة إلى ممارســة الحــب. كل ما أراده هو التواصل مع شخص ما كي يشعر بأنه كــائن بشري، فرؤية عائلته سلبت الهواء النقي من داخله. بدا الأمر وكأن مصاص دماءٍ قد امتصّ كل قطرة دماء من جسده، وقد أصبح الآن بحاجة إلى دمٍ جديد.

تصفّح آدم مفكّرته وهو يجلس في الشقة. اتّصل بسبع نساءٍ لكنه كان يــسمع دائماً صوت المجيب الآلي، ولم يجبه أحد. وجد نفسه يفكّر بماغي مــن جديد. افترض أنها في العمل الآن، لكنه قرّر أن يحاول الاتصال بها، مــع أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل. فتّش عن السترة الجلدية التي كان يــرتديها يــوم حفلة ثانا، ليبحث عن قصاصة الورق الصغيرة التي كتب علــيها رقم هاتفها. بحث في كل الجيوب، وأخيراً وجدها. ماغي أو مالي! طلب رقمها. من السُخف أن يتوقّع وجودها في المنزل، لكنه أراد أن يتكلّم إلى أحدهم، فأفكاره كانت تثقل عليه. إنه يكره شقيقته... لا، إنه لا يكرهها فقــط، بــل هو يمقتها تماماً، ومن المؤكد أنها لا تحبه بدورها. إنها لم تقم بــشيء في حياتها إلا الزواج وإنجاب ولدين. كان سيشعر بالسعادة لو تكلّم مع غراي أو شارلي، لكنه يعلم أن غراي برفقة سيلفيا، وأنّ الوقت متأخر جداً ليتّصل به. ثم تذكّر أن شارلي قد رحل ليمضي عطلة الأسبوع خارجاً، لذا اتّصل بماغي، وشعر بالذعر يزداد في داخله. إنه يشعر بذلك كلّما ذهب لــزيارة أهلــه، والآن يــدأ فعلاً يشعر بصداع نصفي. بطريقة ما، مجرّد وجــوده برفقتهم كان يعيد إليه الذكريات السيئة لطفولته. سمع الهاتف يرنّ مــرّات عديــدة، لكن لم يجبه أحد. أخيراً سمع رسالة المجيب الآلي باسم فتــيات عديدات. ترك اسمه ورقمه لماغي، وتساءل لماذا أزعج نفسه بفعل

ذلـك، فماغي كجميع اللواتي يعرفهن كانت خارج المنزل تلك الليلة. حالما وضـع سـماعة الهاتف علم أنّ من الغباء الاتصال بها. إنها إنسانة غريبة عـنه، ولم يكن باستطاعته أن يشرح لها ما الذي يفعله به لقاؤه بعائلته، أو كـم تسبّب له والدته من ألم. ماغي فتاة سخيفة، قرّبها منه تلك الليلة لعدم وجود فتاةٍ أخرى برفقته، إلاّ أنها مجرّد نادلة. صورتها في قصاصة المجلة التي استخدمتها والدته لتعذيبه جعلته يتذكّرها. شعر بالارتياح لأنها لم تجب عـن اتـصاله، فهـو حتى لم يقم علاقة معها، والسبب الوحيد الذي جعله يحتفظ برقمها هو أنه نسي الورقة في جيبه ولم يقم برميها من قبل.

رغـم تحذيرات والدته الرهيبة حول تأثير الشراب، ومحاولة إقناعه أنـه سبب ألم رأسه، سكب لنفسه شراباً قبل أن يأوي إلى الفراش. ثم دخل إلـى غـرفته وتمدّد محاولاً أن يستعيد قوته بعد الأمسية البائسة في لونغ أيلانـد. إنه يكره الذهاب لرؤية العائلة. إنها طريقة متأنقة للتعذيب النفسي، تلزمه دائماً أيام عدّة كي يتخطّى تأثيرها. ما الجدوى من دعوته، إن كانوا سـيعاملونه كالمنـبوذ طيلة حياته؟ استلقى آدم في السرير وهو يفكّر بهم، بينما بدأ الصداع الذي حذّرته منه والدته يزداد سوءاً. ولزمته ساعة كاملة بعد ذلك كي يتمكّن من النوم.

بعـد مـضي ساعة كاملة رنّ جرس الهاتف، وكان آدم يغطّ في نوم عميق. رأى في نومه أن وحوشاً قادمة من العالم الخارجي تحاول أكله حياً وهـي تطلـق أصـواتاً غـريبة، ثم رأى والدته تقف إلى جانب الوحوش وتـضحك، وهـي تلوح له بالمجلة أمام وجهه. وضع غطاء السرير فوق رأسـه، وتخيّل نفسه يركض أمامها ويصرخ بأعلى صوته. أدرك فجأة أن الهاتـف يـرنّ، فوضع سماعة الهاتف على أذنه، وهو لا يزال شبه نائم، وأجاب: "نعم...!"

- "آدم؟" لـم يميّـز آدم الصوت، وأدرك حين استيقظ أن ألم رأسه أصبح أسوأ ممّا كان عليه قبل أن ينام.

- "مـن المـتكلّم؟" انقلـب في السرير وبدأ يعود للنوم من جديد. لم يعرف من المتصل، ولم يكن يهتمّ بذلك.

- "أنا ماغي. لقد تركت رسالة على مجيبي الآلي"

- لم يكن قد استعاد وعيه تماماً كي يفهم ما تقوله: "ماغي... من؟"

- "ماغي أومالي. لقد اتّصلت بي. هل أيقظتك؟"

- "نعـم، لقـد فعلت". أصبح ذهنه أكثر صفاءً الآن، وهو يحدّق في المنبّه بقرب السرير. إنها الساعة الثانية بعد منتصف الليل. "لماذا تتّصلين بـي في هذا الوقت؟" أخذ ذهنه يصفو، وبدأ صداع رأسه يختفي، لكنه علم أنه إن تحدّث إليها فسيطير النعاس من عينيه، ولن يتمكّن من العودة للنوم.

- "اعـتقدت أن هناك أمراً هامّاً لأنك اتّصلت بعد منتصف الليل. لقد عدت من العمل للتو، لذا فكّرت أنك ما زلت مستيقظاً".

- "لم أكن مستيقظاً". قال ذلك وهو يستلقي في السرير ويفكّر بها. لا بد أنها اعتبرت اتصاله بها في هذا الوقت أمراً مزعجاً، لكن اتصالها به في الثانية بعد منتصف الليل ليس بأفضل. في الواقع إنه أسوأ من اتصاله، لكن الوقت قد أصبح متأخراً جداً الآن لرؤيتها، فهو شبه نائم.

- "لـمَ اتّصلت بي؟" بدت فضولية قليلاً وتكلّمت ببساطة. لقد فرحت بلقائه ذلك اليوم، وشعرت بالامتنان له لتأمين مكانٍ جيّد لها على المسرح، لكنها شعرت بخيبة أمل لأنه لم يعاود الاتصال بها. حين ذكرت الأمر أمام أصـدقائها فـي المطعـم حيث تعمل، لم يعتقد أحد منهم أنه سوف يتّصل لاحقـاً، لو أنّهما مارسا الحب معاً في تلك الليلة لربما شعر برابط ما معها وعـاد للاتـصال بها، أما أنهما لم يفعلا، فإنه لن يهتمّ لأمرها. لكن رئيس النادلين أكّد لها أن العكس هو الصحيح.

قـال آدم بنبـرة يغلـب علـيها النعاس: "كنت فقط أتساءل إن كنت مـشغولةً في منتصف الليل؟" بدت منذهلة، بينما شعر آدم بالخجل بعد أن اسـتيقظ تماماً وأنار الضوء. معظم النساء اللواتي عرفهن كنّ ليقفلن الخط

بـوجهه، إلا النساء اليائسات طبعاً. لكن ماغي لم تكن يائسة، وبدت كأنها تشعر بالإهانة من هذا الشرح لسبب اتصاله بها. سألته قائلة: "هل كان هذا اتصال للإزعاج فقط؟" في حالته لم يكن اتصاله إلا ترياقاً لسمّ والدته، وهو سمّ فعّال جداً، وكل ما كان يتمنّاه هو أن يجد روحاً متعاطفة معه تؤمن له التـرياق الذي يحتاج إليه. وإن أضيفت النكهة الجنسية فلن يؤذيه ذلك أبداً. لكنه بدا أخرق لأنه فكّر بماغي، فهو بالكاد يعرفها.

– "لا، لـم أقـصد الإزعاج. لقد شعرت بالوحدة، وكنت أعاني من الصداع". ظهر مثيراً للشفقة حتى بنظر نفسه.

– "هل اتّصلت بي لأنّك تعاني من ألم في رأسك؟"

– "نعـم... نوعاً ما". قال ذلك وهو يشعر بالخجل من نفسه، وتابع: "لقـد أمـضيت أمـسية سـيئة جداً مع عائلتي في لونغ أيلاند. فقد كانوا يحضرون احتفالاً.

– "حسناً!" أتمنّى أن تكون قد استمتعت بالاحتفال على الأقل"

– "ليس تماماً".

– سألته بارتياب: "لِمَ لم تتّصل بي من قبل؟"

– "كنت منشغلاً". لقد أصبح أسفه أكبر لأنهّ اتّصل بها. آخر ما أراد التعامل معه في الساعة الثانية صباحاً هو فتاة كان ينوي ألاّ يتّصل بها من جديـد، لكـنه أدرك أن الأمـر أصبح لصالحه لأنه اتّصل بها. فهذا كثيرٌ بالنسبة لاتصال إزعاج من غريب في منتصف الليل.

قالـت بلكـنة أبناء نيويورك المميّزة: "أنا أيضاً كنت منشغلة. شكراً للمقعد على كل حال، لقد أمضيت أمسية جميلة. لم تكن تنوي الاتصال بي، أليس كذلك". بدت حزينة وهي تقول ذلك.

قـال وهـو يـبدو مغتاظاً: "من الواضح أنني كنت أنوي ذلك لأنّني اتّـصلت بـك فقط منذ ساعتين". إنّه لا يدين لها بأي شرح. آه! لقد عاوده الـصداع الآن بـشكل مزعج جداً. الأمسيات في لونغ أيلاند تسبّب له ذلك دائماً، وماغي لم تقدّم له المساعدة أيضاً، بعكس ما كان يأمل.

– "لا، لم تكن تنوي الاتصال، لقد قالت لي صديقاتي إنّك لن تفعل".

– "وهل ناقشت الموضوع مع صديقاتك؟" شعر بالارتباك، وفكّر أنها ربما تكون قد ناقشت أبناء حيّها جميعهم بشأن اتصاله بها أو عدمه.

– "سألتهن فقط رأيهن، هل كنت ستتّصل بي لو أنني مارست الحب معـك؟" سألته ذلك وهي تشعر بالفضول، بينما تثاءب آدم وأغمض عينيه وتقلّب في الفراش.

– "كيف لي أن أعلم بحق السماء؟ ربما.. وربما لا. من يعلم؟ يعتمد ذلك على إعجابنا ببعضنا أو عدمه".

– "لأكـون صادقة معك، أنا لست واثقة أنني معجبة بك. أعتقد أنني أعجبت بك تلك الليلة حين التقينا، أمّا الآن فأعتقد أنّك كنت تتسلّى بي فقط. ربمـا اعـتقدت أنـت وشـارلي أنني مضحكة". بدت ماغي كأنها تشعر بالإهانة. فالليموزين والأماكن التي أخذها إليها دلّتها بوضوح على أنه غني جـداً. والـشبّان المشابهون له يستغلّون مثيلاتها من الفتيات، وبعد ذلك لا يعـاودون الاتصال بهن. هذا ما قالته لها صديقاتها، وحين لم يقم بالاتصال بهـا، قـرّرت أنهن محقّات. أصبحت سعيدة الآن لأنها لم تذهب معه إلى منـزله، فلقد فكّرت بالموضوع وقرّرت يومها ألاّ تفعل، فهي لا تعرفه ولم تكن مستعدة لتقديم جسدها مقابل مقعدٍ في المسرح.

كـذب آدم علـيها وقال: "ظنّ شارلي أنّك لطيفة". لم يكن يملك أدنى فكرة عمّا ظنّه شارلي عنها، فهما لم يذكراها في أحاديثهما مجدّداً منذ تلك اللـيلة. لقد كانت فقط كشخص يمرّ بسرعة أمام شاشة الرادار لليلة واحدة، فهما لم يريَاها من جديد. إنها محقّة؛ فهو لم يكن ينوي الاتصال بها إلاّ بعد كابـوس لونغ أيلاند، وعدم إجابة أي من النساء على اتّصالاته قبلها. كان يائساً ليتواصل مع شخصٍ ما، والآن بدأ يتلقّى أكثر ممّا أراد.

- "ومـــاذا عنك آدم؟ هل ظننت أنني لطيفة أيضاً؟" إنها تضغط عليه. فتح عينيه من جديد وحدّق بسقف الغرفة متسائلاً لما يتحدّث إليها. إنه ذنب والدته. أصبح مقتنعاً الآن أنّ معظم ما حدث في حياته من مآسٍ هو بسبب أمّه، أما الجزء المتبقي فهو بسبب راشيل.

- "اسـمعي! لماذا نفعل هذا ببعضنا؟ أنت لا تعرفينني. نحن غريبان عن بعضنا، وأنا أشعر بصداع قوي جداً، ومعدتي تؤلمني أيضاً. أمي تعتقد أننـــي سـكّير، وربما هي محقّة، لكنني لا أعتقد ذلك. في مطلق الأحوال، أشـــعر أنـــي تافه لا قيمة لي. لقد ولدت في عائلة شعرت معها كأنني في الجحـــيم، وأمـــضيت معها أمسية للتو، وشعرت بما يكفي من الازعاج. أنا أكـــره والديّ وهما لا يحبّاني أيضاً. لا أعلم لما اتّصلت بك، لكنني فعلت، ولم تكوني في المنزل. لمَ لا ندع الأمر ينتهي عند هذا الحد. فقط تظاهري أنــك لم تتلقّي هذه الرسالة. ربما كان اتصال ازعاج ليس أكثر، إذ لا أعلم لمـــاذا اتّـصلت بك بحق الله، إلاّ لأنني شعرت بالأسى، وأنا أشعر بالأسى دائماً بعد أن أرى والدتي". أصبح يتحدّث إليها بجدّية، واستمعت ماغي إليه بصمت حتى النهاية.

- "أنـــا آسفة آدم. لم يكن والداي رائعين أيضاً. توفيّ والدي وأنا فـــي الثالـــثة وأمـــي كانت سكّيرة. ولم أرها منذ كنت في السابعة من عمري".

- "ومـــن الـــذي قام بتربيتك؟" لم يعلم لماذا تابع الحديث معها، لكنه شعر بالفضول تجاهها.

- "عـــشت مـــع عمّتي حتى بلغت الرابعة عشرة من عمري، عندها توفـــيّت هي أيضاً، فبقيت في الميتم إلى أن تخرّجت من المدرسة الثانوية. فـــي الواقـــع، نلت الشهادة العامة وأنا في السادسة عشرة من عمري، وأنا وحيدة منذ ذلك الوقت". قالت ماغي ذلك كأنها تسرد أحداثاً عادية، ولم تبدُ بحاجة إلى الشفقة.

- "يـــا إلهـــي! تبدو هذه مجموعة من الأحداث السيئة". معظم النساء اللواتي عرفهن كانت لديهن قصصاً مشابهة، نادراً ما كانت النساء اللواتي يعاشـــرهن يعشن حياةً سهلة. معظمهن تعرّضن إلى المضايقة من قبل أحد أقربائهن، فتركن منازلهن في سن السادسة عشرة، وذهبن للعمل كممثلات أو عارضـــات أزيـــاء. قلّة من النساء فقط عشن حياة طبيعية أو كن فتيات مجـــتمع كاللواتـــي يخـــرج شارلي معهن. لم تكن ماغي مختلفة عن بقية النـــساء، لكنها بدت ذات نظرة فلسفية، ولم تكن تنتظر منه فعل شيء حيال وضـــعها. لـــم تكن تتوقّع منه دفع ثمن عمليات تجميل لتعوّض لنفسها عن واقع أن والدتها كانت امرأة مستهترة أو لأن والدها كان سكّيراً. مهما كان ما حدث لها في الماضي، فقد بدا أنّها تعيش بسلام مع حياتها.

سألها آدم: "وهل لديك عائلة الآن؟"

- "لا. أشعر بالوحدة في أيام العطلة، لكنني أزور والديّ بالتبني من فترة لأخرى".

قـــال آدم بـــبعض السخرية: "صدّقيني إن عدم وجود عائلة لديك هو نعمـــة. ما كنت لتحبّين أن تحظي بعائلة تشبه عائلتي". لم تكن ماغي واثقة بأنهـــا ستوافقه الرأي، لكنها لن تقوم بمناقشته عند الساعة الثانية والنصف صباحاً. إنهما يتحدّثان منذ نصف ساعة بلا هدف معيّن، لذا فكّرت أنه أمر وقح ومهين. تساءلت كم امرأة أخرى قد اتّصل بها قبلها، وإن كان سيُزعج نفـــسه بالاتّصال بها لو أنّ امرأة غيرها هرعت لمساعدته. من الواضح أن لا أحد غيرها فعل، إذ إنّه ما زال وحده، وكان نائماً حين اتّصلت به.

- "في معظم الأحيان أفكّر أنني كنت أودّ الحصول على عائلة، حتى لـــو كانـــت سـيّئة". كانت ماغي ما تزال بكامل نشاطها ووعيها، رغم أن الوقت بات متأخراً، فسألته: "هل لديك أخوة وأخوات؟"

- "ماغـــي! هـــل يمكننا التحدّث عن هذا الموضوع في وقت لاحق؟ سأتّـــصل بـــك غداً، وأسرد لك تاريخ عائلتي بكامله. أعدك بذلك". سمعت

ماغي صوت تحطّم، ثم تأوّه آدم وأطلق صرخة بصوت مرتفع: "تبّاً!" بدا كأنه أصيب بأذى، فشعرت ماغي بالقلق عليه، وسألته: "ماذا حدث؟"

- "كنت أخرج من السرير وارتطمت ساقي بزاوية الطاولة المجاورة، فوقع المنبّه فوق قدمي. الآن لم أعد متعباً وحزيناً فحسب، بل أصبحت مصاباً أيضاً". بدا آدم كولد في الخامسة من عمره يكاد ينفجر بالبكاء، وحبست ماغي قهقهة بداخلها.

- "أنت في حالةٍ يرثى لها. ربما يجدر بك أن تعود إلى النوم".

- "كنت سأقترح أن أعود إلى النوم منذ نصف ساعة".

- وبّخته قائلة: "لا تكن فظاً، أتعلم أنّك أحياناً تبدو فظاً جداً؟".

- "تبدين كوالدتي الآن، إنها دائماً تقول لي أشياءً كهذه. فقط فكّري كم من اللطيف أن ترسل لي قصاصات مجلات أظهر فيها كالبائس، أو برفقة أحد زبائني وهم يقتادونه إلى السجن. فكّري كم من الفظاظة أن تدعوني بالسكّير، وأن تخبرني كم تحبّ زوجتي السابقة، رغم أنّها خانتني وتركتني، وتزوّجت من رجل آخر!" ها قد عاد للتعبير عن نفسه من جديد! عاد إلى سريره، وبدأت ماغي تستمع إليه من جديد.

- "هذه ليست فظاظة؛ إنها قسوة ولؤم. هل تقول والدتك هذه الأشياء فعلاً؟" بدت ماغي متفاجئة ومتعاطفة معه في الوقت نفسه. رغم أنه كان يصرخ في وجهها، لكنه أدرك أنها فتاة لطيفة. أدرك ذلك حين التقى بها تلك الليلة، لكن لم يكن في حياته مكانٌ لفتاة مماثلة. أراد ممارسة الحب والتمتّع بالفتنة والحماس، لكن بما أنّها لم تكن مستعدة لتشاركه السرير، فهو لم يتمكّن من رؤية أي فتاة رائعة هي ماغي. لقد قالت له بضعة أمور سخيفة حول عدم قيامها بممارسة الحب في الموعد الأول، وبالنسبة لآدم إن كانت لا تريد ممارسة الحب معه منذ اللقاء الأول فلن يكون هناك موعد ثانٍ. والآن هاهي تتكلّم معه عند الساعة الثالثة صباحاً، وتستمع إلى تذمّره من والدته. لم تبدُ منزعجة من الأمر حتى، رغم أن اتّصاله بها لم يكن

هدفه في البدء إلاّ الحصول على التسلية. لم يعجبها ذلك وأخبرته بالأمر، لكنها رغم ذلك لم تقفل الخط، بل تابعت الحديث، فقالت له بلطف: "لا يجدر بك أن تسمح لها بقول أمور مماثلة لك آدم". كانت والدتها قاسية معها أيضاً، ثم رحلت من دون أن تودّعها.

قال آدم وهو يصرخ تقريباً: "لِمَ تظنّين أنني أعاني من صداع إذاً؟ لأنني أحبس كل غيظي في داخلي، ولا أعبّر عنه". أدرك آدم أنّه يتصرّف بجنون، فقد بدا هذا الاتصال كعلاج نفسي خالٍ من أي حديث عن العلاقات الحميمة. إنها أغرب محادثة قام بها في حياته. كاد يشعر بالأسف لأنه أجاب على الهاتف، لكنه شعر بالارتياح بعد حديثه مع ماغي.

- "يجب ألاّ تحبس مشاعرك في داخلك. ربما عليك التحدّث إلى والدتك لتخبرها بما تشعر به". استلقى آدم في السرير ورفع حاجبيه مستغرباً. لقد بدا الأمر بسيطاً بنظر ماغي، وهي لم تكن عديمة الرحمة. لكنها لا تعرف والدته، وهذا لحسن حظها طبعاً. سألته باهتمام: "ماذا تناولت لتخفيف صداعك؟"

- "تناولت نوعين من الشراب في منزل والدتي وشراباً آخر حين عدت إلى المنزل".

- "هذا سيّء فعلاً. هل أخذت حبّة أسبيرين؟"

- "بالطبع لا!"

- "أظنّ أنه يجدر بك تناول حبّة أسبيرين أو تيلينول".

قال وهو ما زال مستلقياً في السرير، ويشعر بالأسف على نفسه: "أنا لا أملك أي دواء للصداع". بدا التحدّث إليها ممتعاً بشكلٍ غريب، إنها فعلاً طيّبة، ولو لم تكن كذلك لما استمعت إليه وإلى شكواه حول والديه، ولما تحلّت بالصبر وهو يخبرها عن ألمه.

- "أيعقل أنّك لا تمتلك حبّة دواء في منزلك؟" ثم فكّرت بأمر ما وسألته: "هل أنت من فرقة ذات أفكار متشدّدة؟ سبق أن عرفت رجلاً لا

يأخذ الدواء أبداً، ولا يذهب لرؤية الطبيب، بل يكتفي بالصلاة". بدا ذلك لها غريباً، لكنه على ما يبدو كان ينجح معه.

- "لا! بالطبع لا. أنا لا أنتمي إلى أي فرقة متشددة. لكن عائلتي هي سبب كل مشاكلي، وأنا كنت أتناول العشاء مع والديّ. ولا أمتلك الأسبيرين لأنّني لست متزوّجاً، فالمتزوجون فقط يملكون أشياء مماثلة، لأن الزوجات يشترين هذه الحاجات. سكرتيرتي تشتري لي الأسبيرين في المكتب، لكنّني أنسى شراء الدواء للمنزل".

- "عليك الخروج لشراء الدواء غداً قبل أن تنسى ذلك مجدداً". إنها تملك صوتاً طفولياً، لكنّه يبدو مسكناً للألم حين يستمع المرء إليه. وفي النهاية، لقد قدّمت له ما كان يحتاج إليه: الإصغاء والتعاطف.

ذكّرها قائلاً: "عليّ العودة للنوم، وكذلك أنت. سأتّصل بك غداً. هذه المرّة سأفعل ذلك حقاً". على الأقل كي يشكرها على اهتمامها!

قالت بحزن: "لا، لن تفعل. فأنا لست منمّقة بما يكفي لشخص مثلك آدم، فلقد رأيت الأماكن التي تزورها. لا بدّ أنّك تخرج مع امرأة جميلة ومتأنّقة". إنّها مجرّد نادلة في بيير 92. لقد التقيا عن طريق الصدفة، وترك تلك الرسالة لها عن طريق الصدفة أيضاً. أمّا الحادثة الثالثة التي حصلت بالصدفة أيضاً، فهي أنها عاودت الاتصال به وأيقظته.

- "أنت تبدين مثل والدتي من جديد. إنها تقول أموراً مماثلة، وهي لا ترضى أبداً. وتظنّ أنه كان يجدر بي أن أجد فتاة متزمّتة أخرى لأتزوّجها منذ سنوات عديدة. والآن، بما أنّك ذكرت الموضوع أخبرك أنّ الفتيات اللواتي أخرج برفقتهن لسن منمّقات أكثر منك". ربما كانت ملابسهن أغلى، لكن حتى هذه الثياب اشتراها لهن على الأرجح رجل غني عرفنه قبله. في مطلق الأحوال، حتى لو لم توافقه والدته على ذلك فهو يرى أنّ ماغي محترمة أكثر منهن جميعاً.

- "إذاً، لماذا لم تتزوّج من جديد؟"

- "لا أعلم لماذا. لقد ذقت لوعة الزوّاج مرة، وبشكل مرير جداً، فقد اكتشفت أن زوجتي هي تماماً كوالدتي، وليس لدي النيّة لتجربة ذلك مرة أخرى".

- "ألديك أولاد؟" لم تسأله ذلك في الليلة التي التقيا فيها، فقد كانت الفوضى تعمّ السهرة ولم تمتلك الوقت الكافي لذلك.

- "نعم، أماندا وجاك. وهما في الرابعة عشرة والثالثة عشرة من عمريهما". قال ذلك وهو يبتسم، وتمكّنت ماغي من سماع ذلك في صوته.

- "أي جامعة قصدت؟".

- "لا أصدق ذلك؟" قال ذلك بسبب شعوره بالذهول لأنه تابع الإجابة عن أسئلتها، تابع يقول: "قصدت جامعة هارفرد، وتخرّجت من كليّة الحقوق بامتياز". قال ذلك بشيء من الغرور، لكنّها لا تراه الآن، وكل ما يقولانه عبر الهاتف مسموحٌ به.

قالت وهي تبدو متحمّسة لقد علمت ذلك. علمت أنّك قصدت جامعة هارفرد، وأنّك عبقري. هذا مدهش!" ردّة فعلها المتحمسة هذه جعلت آدم يجلس في سريره، ويبتسم ابتسامة عريضة.

- "لا، هذا ليس مدهشاً". تكلّم بتواضع هذه المرة، وتابع: "أشخاص كثيرون يقومون بذلك. في الواقع، أكره الاعتراف بذلك، لكن راشيل تخرّجت بامتياز فائق، أي بدرجة أعلى مني، ومن المرة الأولى. أما أنا فلم أفعل ذلك". كان يعترف لها بجميع نقاط ضعفه وأخطائه.

- "من يأبه لذلك إن كانت امرأة حقيرة".

- "هذا أمر جيد تقولينه لي". بدا مسروراً لسماعها. لقد وجد حليفاً له من دون أن يقصد ذلك.

- "أنا آسفة. لا يجدر بي قول أمر مماثل عن أم ولديك".

– "بل يجدر بك ذلك. أنا أقول ذلك طيلة الوقت. إنها فعلاً حقيرة، وأنا أكرهها. حسناً..." صحّح لنفسه وتابع: "أنا لا أكرهها، بل أمقتها بشدة". لم يكن يرغب بالتفوّه بكلام سيّء، إذ ربما كانت ماغي فتاة متديّنة وأزعجها ذلك منه. تابع يسألها: "هل أنت متديّنة؟"

– "أنا أذهب أحياناً إلى الكنيسة وأضيء الشموع، لكن هذا كل ما في الأمر. حين كنت طفلة أردت أن أصبح راهبة".

– "لكانت تلك خسارة كبيرة لوجه جميل مثل وجهك ولجسد رائع كجسدك. الحمدلله إنك لم تفعلي". بدا كأنه يقصد كلامه فعلاً.

– "شكراً آدم. يا له من كلام جميل! أعتقد أن عليك أن تنام الآن، وإلا سيصبح صداع رأسك أسوأ في الغد". لم يفكّر آدم بذلك منذ أكثر من نصف ساعة، إذ يبدو أن صداعه قد اختفى فيما هو يتحدّث إليها. لكن أصبحت الساعة الآن الرابعة فجراً.

– "ما رأيك بتناول الفطور معاً؟" في أي ساعة تستيقظين؟"

– "أستيقظ عادة في الساعة التاسعة. كنت أنوي أن أنام أكثر غداً، فهو يوم عطلة من العمل".

– "أنا أيضاً لدي عطلة. إذاً سأمر عليك عند الظهر. سآخذك إلى مكان جميل لتناول الغداء في وقت مبكر".

– "ما مدى جمال هذا المكان؟" بدت ماغي قلقة، فمعظم ما ترتديه كان يخصّ إحدى زميلاتها في السكن ولا شيء مما ارتدته يوم التقت به كان من ملابسها الخاصة، لهذا السبب كانت القميص ضيقة جداً. لكنها لم تقل ذلك لآدم، أما هو فخمّن ما الذي يقلقها. معظم النساء اللواتي خرج برفقتهنّ يعانين من المشكلة نفسها.

حاول إعطاءها عدّة خيارات فقال لها:"ما رأيك بسروال جينز أزرق جميل أو تنورة جميلة أوسروالاً قصيراً جميلاً أيضاً؟"

شعرت بالانشراح وهي تقول: "تنورة جميلة تبدو جيدة".

– "ممتاز! وأنا سأرتدي واحدة أيضاً". ضحكا معاً على كلامه، ثم أخذ آدم عنوانها من جديد، وكتبه على الدفتر الذي يبقيه بجانب السرير. عادة ما يكتب الملاحظات على هذا الدفتر في الليل، حين يتمّ الاتصال به لأن أحد زبائنه قد اعتُقل. لكن اليوم كان الأمر أكثر مرحاً. قال لها: "شكراً ماغي. لقد أمضيت وقتاً ممتعاً الليلة". قد يكون ممتعاً أكثر ممّا لو أنه أمضاه برفقتها. فبهذه الطريقة تمكّن من التكلم معها، ولم يحاول إغراءها، وهو لا يظنّ أنه سيحاول ذلك أثناء غدائهما المبكر غداً. ربما ينتهي بهما الأمر كصديقين. فقد بدءا الليلة بداية جيدة على هذا الصعيد.

– "لقد أمضيت وقتاً ممتعاً أنا أيضاً. أنا سعيدة لأنّك اتّصلت بي، مع أن اتصالك كان للحصول على غنيمة ليس أكثر". مازحته ماغي بكلامها، فأصرّ آدم عليها قائلاً: "لم أكن أتّصل للحصول على غنيمة". لكنها لم تبدُ مقتنعة، وهو أيضاً لم يبدُ كذلك. لقد كان هذا هدفه بالفعل، لكنه جنى من ورائه كسباً أكبر، وقد اختفى صداع رأسه الآن.

قالت له باستهزاء: "آه! نعم صحيح. لقد كان كذلك وأكثر. أي اتصال يأتي بعد العاشرة يكون بهدف التسلية، وأنت تعرف ذلك".

– "من وضع هذه القوانين؟"

– "أنا فعلت". قالت ذلك وهي تضحك.

– "هيّا خذي قسطاً من النوم وإلا ستبدين بحالة سيئة غداً. بالأحرى لا، لا أعتقد أنّك ستبدين كذلك فأنت يافعة جداً كي تظهري بحالة سيئة. لكن أنا سأبدو كذلك".

قالت وهي تحكم جازمة: "لن يحصل ذلك بالتأكيد. أنا أعتقد أنّك وسيم جداً".

قال بهدوء: "تصبحين على خير ماغي. غداً لن تكوني قادرة على التعرف إلي بسبب وجهي المنتفخ". بين تعليقها حول هارفرد وحول وسامة

مظهره بدأ آدم يعجب بها فعلاً، فقد جعلته ماغي يشعر كأنه يساوي ملايين الدولارات، مع الصداع في رأسه أو بدونه. كانت هذه نهاية جميلة لأمسية مزعجة، فقد عوّضت عليه التعذيب الذي يتعرّض له كلّما زار لونغ أيلاند. تابع يقول: "أراك غداً".

قالــت بنعومة: "تصبح على خير". ثم أقفلت الخط. عندما استلقت في ســريرها ووضعت الغطاء فوقها، تساءلت ماغي إن كان آدم سيحضر غداً فعلاً. عادة ما يلقي الشبان وعوداً مماثلة ولا يلتزمون بها، لكنها قرّرت أن ترتدي ملابسها وتنتظره بجميع الأحوال تحسباً لحضوره. على أي حال إن لــم يحــضر غــداً، فقد كان من اللطيف التحدث إليه الليلة. إنه حقاً رجل لطيف، وقد أعجبت ماغي به.

13

في اليوم التالي جلست ماغي على الأريكة في غرفة الجلوس تنتظر آدم. كانــت الساعة قد اقتربت من ساعة الظهيرة، وبدا الطقس مذهلاً. إنه نهــار الــسبت الأول من شهر تشرين الأول/أكتوبر. ارتدت ماغي تنورة قطنــية قــصيرة، وقميــصاً ذات كمــين قصيرين زهرية اللون، كانت قد اســتعارتها من إحدى زميلاتها، وانتعلت حذاءً مفتوحاً ذهبي اللون. شدّت هــذه المــرّة شــعرها إلى الخلف وربطته على شكل ذيل حصانٍ بوشاحٍ زهريٍ، فجعلها تبدو أصغر سناً ممّا هي في الواقع، وهذه المرّة كانت تضع القلــيل مــن مساحيق التجميل. لقد شعرت أنّها بالغت في وضع مساحيق التجمــيل على وجهها في تلك الليلة التي التقيا فيها. إنها المرّة الثانية التي تنظــر فــيها إلى ساعتها، وقد أصبحت الساعة الآن الثانية عشرة وخمس دقائــق، وهو لم يحضر بعد. جميع الفتيات اللواتي يسكنّ في الشقة خرجن باكــراً ذلك الصباح، وبدأت ماغي تتساءل إن كان آدم سيأتي فعلاً. قرّرت أن تمــنحه ســاعة بعــد، وإن لم يظهر خلالها فستقوم بجولة في الحديقة لتتمشّى قليلاً. لا سبب يدعوها لتشعر بالاحباط إن لم يحضر، فهي لم تخبر أحداً كي لا يسخر أحد منها إن خدعها. كانت تفكّر بالأمر حين رنّ جرس الهاتف. إنه آدم! ابتسمت حين سمعت صوته، لكنها عادت لتتساءل إن كان يتّــصل بهــا ليلغي موعدهما. من الغرابة أن يتّصل بها الآن بدلاً من أن يكون في مدخل المبنى، يقرع الجرس.

حاولت أن تتكلّم بنبرة عادية، كي لا يعتقد أنها أصيبت بخيبة أمل. "مرحباً. كيف حالك؟ كيف أصبح صداع رأسك؟"

– "أي صداع؟ لقد نسيت رقم شقّتك".

– "أين أنت؟" شعرت ماغي بالذهول. سوف يأتي إذاً! من الأفضل أن يأتي متأخراً على ألاّ يأتي مطلقاً.

– "أنا في مدخل المبنى. هيا انزلي! لقد حجزت طاولة في مطعم لتناول الغداء". إنّه يتّصل من هاتفه الخلوي.

– "سأنزل في الحال". أقفلت ماغي الخط، ونزلت الدرج بسرعة قبل أن يتمكّن من الاختفاء أو تغيير رأيه. نادراً ما يحدث أمر مماثل معها، فنادراً ما يقول الناس لها أمراً ويلتزمون به، أمّا هو فقد فعل.

مشت إلى الخارج من البوابة الرئيسية. كان آدم يجلس في سيارة الفيراري الحمراء وهو يبدو كنجم سينمائي. إنها السيارة التي قادها إلى لونغ أيلاند بالأمس، فيما غضّ جميع أفراد عائلته النظر عنها بتهذيب، ولم يعلّقوا على الموضوع. فوالده يقود سيارة مرسيدس مناسبة تماماً، وكذلك أخوه وزوجته. أمّا زوج أخته فيملك سيارة بي أم دبليو، بينما لم تكن شقيقته تجيد قيادة السيارات. كانت تتوقّع من الآخرين أن يغيّروا مشاريعهم، ويتوقّفوا عن القيام بأعمالهم الخاصة، لكي يقلّوها إلى حيث تريد. بنظرهم جميعاً، فإن قيادة الفيراري هي أمر خارج عن حدود اللياقة، بل هي تصرف سوقيّ، ولا يستحقّ حتى المناقشته. أمّا آدم فكان يحبّ سيارته الفيراري كثيراً.

– "آه يا إلهي! يا لها من سيارة!" وقفت ماغي على الرصيف تنظر إليه، وتقفز بحماس. ابتسم آدم ابتسامة عريضة وهو يراقبها، ثم فتح لها الباب وطلب منها أن تصعد. لم ترَ ماغي يوماً أمراً مماثلاً إلاّ في الأفلام. بعد قليل كانت تجلس إلى جانبه وهو يقود بها. لم تصدّق ما يحدث لها، وتمنّت لو أن أحداً من معارفها يراها. سألته بحماس: "هل هذه السيارة لك".

ضحك منها وقال: لا! لقد سرقتها. بالطبع، إنها لي. تباً! دعينا نواجه الأمر، لقد تخرّجت من جامعة هارڤرد". ضحك كلاهما، ثم أعطته ماغي علبة صغيرة فسألها: "ما هذا؟"

– "إنّها هدية صغيرة لك. ذهبت إلى محل البقالة واشتريتها لك هذا الصباح". لقد اشترت له علبة كبيرة من التيلينول تحسّباً لشعوره بالصداع مرة أخرى.

قال وهو يبتسم لها: "هذا لطف منكِ. سأحتفظ بها لكي أستخدمها حين أزور والدتي في المرّة المقبلة".

قاد آدم عبر السنترال بارك، وكان الطقس جميلاً جداً. توقّف في الجادة الثالثة أمام مطعم مجاور للرصيف، تحيط به حديقة. طلب بنديكت بالبيض لكليهما بعد أن أكّدت له ماغي أنها تحبّه. إنها لم تتذوّق هذا الطبق من قبل، لكنه بدا شهياً حين وصفه لها. بعد قليل جلسا حول طاولة في الحديقة، وشربا القهوة، وحين غادرا المطعم قرّرا أن يتمشّيا قليلاً. أحبّت ماغي النظر إلى واجهات المحلات برفقته، والتحدّث عن الأشخاص الذين يعمل لصالحهم. تحدّث آدم عن ولديه وعن زواجه الفاشل فأخبرها كم كان الأمر مؤلماً له، ثمّ تكلّما عن صديقيه المفضّلين شارلي وغراي. ومع انتهاء فترة بعد الظهر، شعرت ماغي كأنها تعرف كل شيء عنه، أمّا هي فبدت حذرة ولم تخبره إلاّ القليل عن نفسها.

كانت ماغي أكثر تحفظاً منه، وبدا أنها تفضّل أن يتحدّثا عنه لا عنها هي. أخبرته بعض القصص عن طفولتها وعن والديها بالتبنّي، وعن الأشخاص الذين تعمل معهم. لكن بدا واضحاً لكليهما أن حياتها أقل تشويقاً من حياته. معظم الأحيان كل ما كانت تقوم به هو الأكل، والنوم، والذهاب إلى السينما، والعمل. بدا لآدم أن ليس لديها الكثير من الأصدقاء، إذ قالت إنها لا تملك الكثير من الوقت لتمضيه برفقة الأصدقاء. إنها تعمل لساعات طويلة في بيير 92، وحين سألها عمّا تفعله في أوقات فراغها، ابتسمت،

وقالــت له: "أنا أعمل فقط". لاحظ آدم كم كان من السهل التكلّم معها، فهي لطــيفة والحــديث معها ممتع ومحبّب. ورغم أنها تعيش حياةً بسيطة، فقد بــدت ذكــية في متابعة شؤون حياتها. لقد مرّ عليها الكثير من الأحداث، بعــضها كــان ســيئاً جداً لامرأة في السادسة والعشرين من عمرها. بدت أصغر سناً من عمرها الحقيقي، لكنها أكثر رشداً في عقلها، بل أكثر بلوغاً من آدم.

عادا إلى سيارته عند الساعة السادسة مساءً، وفكّرت ماغي في سرّها أنها تكره أن ينتهي هذا النهار. بدا كأن آدم يقرأ أفكارها، إذ استدار نحوها، وعلــى وجهه تعابير الأمل، وسألها: "ما رأيك لو قمت بتحضير الشواء لنا على شرفتي؟ ما رأيك بذلك ماغي؟"

– "يــبدو لي ذلك جيداً جداً". قالت ذلك وهي تحدّق به، فأخبرها آدم أن لديه بعض اللحوم في ثلاجته.

ســبق لها أن رأت مبانٍ تشبه المبنى الذي يسكن فيه في الأفلام فقط. رحّــب بهــا البواب، وابتسم لها. إنها امرأة جميلة، والناس ينظرون إليها باستحــسان أيــنما ذهبت. ضغط آدم على زر المصعد، وحالما وصلا إلى شقّته، وقفت ماغي بصمت تحدّق إلى المكان.

جــاءت ردّة فعلها مشابهة تماماً لردّة فعلها حين رأت الفيراري: "آه، يا إلهي! فقط انظر إلى هذا!" إنه يسكن في الطابق الثاني والثلاثين، ويملك شرفة تحيط بالمنزل كله، فيها حوض استحمامٍ ساخن وعدّة للشواء ومقاعد طــويلة للاســتلقاء. قالت وهي تحدّق إليه بذهول: "إنّه فيلم سينمائي. كيف حدث لي هذا؟"

مازحها قائلاً: "أنتِ محظوظة على ما أعتقد". ما جعله يشعر بالحزن عليها الآن وقد أصبح يعرفها أكثر، هو أن أمراً مماثلاً لم يحدث معها من قبل، وأنه بعد العشاء، كان عليها العودة مجدداً إلى ذلك المبنى البائس حيث تــسكن. كره آدم الحقائق التي تخصّ حياتها، فهي تستحقّ أفضل ممّا قدّمه

لها القدر. هناك فعلاً أمور غير عادلة في هذه الحياة. كل ما يمكنه فعله هو تقــديم أمــسية جمــيلة لها، وإطعامها جيداً، وقضاء بعض الوقت اللطيف برفقتها، ليرسلها بعد ذلك مجدداً إلى عالمها البائس. لا شيء ممّا سيفعله قد يغيّر حياتها الحقيقية، لكن الغرابة في الأمر هي أنها لم تكن تمانع. إنها لا تملك ذرّة غيرةٍ أو حسدٍ بداخلها، ومهما رأت أو سمعت عن مظاهر حياته، فهي تشعر بالسعادة من أجله.

كانت ماغي مختلفة تماماً عن النساء الأخريات اللواتي التقى بهنّ مــن قــبل، ومع أنها ظاهرياً بدت مثلهن، لكنها من الداخل لم تكن أبداً تــشبههن. إنها لطيفة وطيبة ومضحكة، وكل شيء فيها بدا حقيقياً، كما أنها ذكية وتستمتع بالخروج معه. ولتكتمل فرحته، فهي تراه قادراً حتى علــى المــشي فوق الماء. أمّا النساء الأخريات فكن دائماً يخرجن معه ليــستخدمنه مــن أجل مصالحهن الخاصة. أردن المجوهرات، والثياب الباهظة الثمن، وبطاقات الائتمان، والشقق الفخمة، والسيارات الجديدة. أردن القــيام بعمليات تجميل على نفقته الخاصة ليصبح لديهن معارف جــدد يؤمنون لهنّ وظائف جديدة، أو من أجل الحصول على أدوار في الأفلام. كانت النساء اللواتي عرفهن قبلها يملكن علاقات مزدوجة، أما ماغــي فكل ما كانت تريده هو البقاء برفقته وقضاء وقت جيّد. ظهرت علــيها البراءة التي لا تقاوم، والتي لم يجد آدم سوى الصفات المعاكسة لهــا فــي النــساء الأخــريات اللواتي التقى بهنّ عبر مسيرته، وخلال السنوات الكثيرة الماضية من حياته.

أعدّت ماغي طبقاً من السلطة، بينما أخرج آدم اللحم من الثلاجة وبدأ بالــشواء. كانت قطع اللحم ضخمة وتكفي لإعداد عشاء كبير. بعد العشاء تــناولا المــثلجات علــى الــشرفة، فتلطّخت ملابسهما بالمثلجات، وراحا يــضحكان على بعضهما. تلطّخت قدما ماغي بمثلّجات بنكهة الفريز، لكنها لم تكترث لذلك.

اقترح عليها آدم: "تعالي، وضعي قدميك في مياه الحوض الساخنة". أزاح آدم الغطاء عن الحوض، وكانت المياه دافئة ومليئة بالفقاعات، أما الحوض نفسه فيتّسع لعشرة أشخاص أو أكثر. جلست ماغي على حافة الحوض، ووضعت قدميها في المياه، وقهقهت.

- "لا بدّ أنك تقيم الكثير من الحفلات هنا". قالت ذلك وهي تنظر نحوه، بينما جلست على حافة الحوض الدافئ بتنورتها القطنية وقميصها الزهري. في تلك اللحظة بدت أشبه بطفلة صغيرة تلهو بالماء.

أجابها آدم من دون تقديم جواب شاف: "ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟" لم يحبّ يوماً التكلّم عن النساء الأخريات في حياته. وظنّ أن ماغي كانت على وشك أن تسأله عن هذا الموضوع.

- "انظر إلى العدّة". قالت ذلك وهي تنظر حولها، ثم عادت لتنظر نحوه، وتابعت: "حوض ساخن، وشرفة كبيرة، ومعدات شواء، وشقّة ضخمة رائعة، ومنظر ساحر. تباً! لو كنت أعيش في مكانٍ كهذا، لدعوت أصدقائي للبقاء هنا طيلة الوقت". لم تتكلّم مطلقاً عن الموضوع الذي ظنّ أنها ستتطرّق إليه. قال آدم بصدق: "أفعل ذلك في بعض الأحيان، لكنني في أحيانٍ أخرى أفضّل البقاء هنا بمفردي، فأنا أعمل بجهد وأحتاج كثيراً إلى الراحة".

هزّت ماغي رأسها بتفهّم، فهذا ما تشعر به تماماً حين تصل من عملها في الليل. أضاف آدم وهو ينظر نحوها بلطف: "أنا أمضي وقتاً رائعاً برفقتك هنا".

قالت ببساطة وهي تراقبه من حيث تجلس: "وأنا أيضاً. لِمَ لا تريد أن تتزوّج من جديد؟"

قال بارتباك: "ما أدراكِ بذلك؟"

شرحت له قائلة: "لقد أخبرتني بذلك عبر الهاتف بالأمس". هزّ آدم رأسه. بالأمس كان يشعر بالنعاس معظم الوقت لدرجة أنه نسي الكثير ممّا

أخبرها به، وكل ما تذكّره هو أنّ التحدّث إليها جعله يشعر بالارتياح. تابعت تسأله: "ألا تريد المزيد من الأولاد؟ أنت ما زلت شاباً ويمكنك الحصول على المزيد". إنّها الأسئلة التقليدية التي تطرحها عليه النساء عادة ليكتشفن نواياه، وهو لم يحبّذ يوماً تلك الأسئلة، لكنه كان دائماً صريحاً معهن. إنه يؤمن بقول الحقيقة للنساء، بغضّ النظر إن صدقن كلامه أم لا. معظمهن لم يصدّقنه، بل يعتبرن الحصول عليه تحدّياً كبيراً لهن حالما يخبرهن الحقيقة.

- "أنا أحبّ ولديّ، ولا أريد المزيد من الأطفال، ولا أحتاج للزواج من جديد. الزواج لم يكن تجربة رائعة بالنسبة لي، وأنا أعيش حياةً أكثر متعة كأعزب مما كنت عليه وأنا متزوّج".

ضحكت ماغي منه وهي تقول: "نعم، أراهن أنك تفعل ذلك، إن أي رجل يملك ما تملكه كان ليستمتع بعزوبيته". كانت ماغي المرأة الأولى التي تقول ذلك، معظم النساء كن يحاولن إقناعه أنه سيكون بحالٍ أفضل إن تزوّج. أما ماغي فلم تفعل ذلك، بل بدت كأنها ترى أنه محقّ.

وافقها قائلاً: "هكذا أرى الأمور. لماذا أعطي كل ما أملك لامرأة واحدة قد تخيّب ظنّي في النهاية، وتجعلني أشعر بالتعاسة؟" هزّت ماغي رأسها. لم يستطع آدم أن يتخيّل وجود امرأة تحقّق آماله وتجعله سعيداً، وشعرت ماغي بالحزن من أجله.

- "هل لديك العديد من الصديقات؟" شكّت ماغي بذلك. لقد بدا من النوع الذي يملك العديد من الصديقات فعلاً، فالفيراري تظهر أنه رجل مفعم بالحيوية ويحبّ النساء.

قال بصدق: "أحياناً. لكنني لا أحبّ الارتباط الدائم، فحريّتي تعني الكثير لي". هزّت ماغي رأسها، وقد أعجبت به لأنه لا يحاول إخفاء حقيقته مطلقاً. كان كل شيء واضحاً تسهل رؤيته.

تابع يقول: "تمرّ فترات لا أخرج فيها مع أحد".

سـألته بنظـرة مستفسرة: "ماذا عن هذه الفترة؟ هل هناك العديدات اللواتي تخرج برفقتهن؟"

ابتـسم لها من حيث يجلس وسألها: "هل نحن نملأ استمارة اختبار ما مجـدداً؟" قد سألته ليلة أمس العديد من الأسئلة، ويبدو أنها من النوع الذي يسأل كثيراً. تابع يقول: "أنا لا أواعد أحداً في هذه الفترة".

– "هـل تقـوم بوضـع علامات تقييمية الآن؟" مازحته وقد ظهرت الملامح الأنثوية فيها أكثر من السابق. إنها فتاة جميلة! تمكّن آدم من رؤية ذلك على ضوء النهار بشكل أوضح مما رآه في الليلة التي التقيا فيها.

– "وهل أنت تتقدّمين إلى هذه الوظيفة؟"

قالت بصدق: "ربما... لست واثقة".

سألها بهدوء: "ماذا عنك؟ هل تواعدين أحدهم؟"

– "لا، لم أواعد أحداً منذ عام. آخر رجل خرجت برفقته، اتّضح أنه مـروّج مخدّرات وانتهى الأمر به في السجن. التقيت به في بيير 92، وقد بدا لطيفاً".

طمأنهـا قائلاً: "أنا لا أروّج المخدرات، إن كنتِ قلقة بهذا الشأن. كل ما ترينه حصلت عليه بعرق جبيني".

– "لـم أكـن قلقـة بهذا الشأن معك". عندها وقف آدم وذهب ليضع بعـض الموسـيقى، فبدأت الأمسية تأخذ طابعاً رومنسياً. حين عاد سألته ماغـي سـؤالاً آخـر، سؤالاً كان غاية في الأهمية بالنسبة إليها. "إذا ما أصـبحنا على علاقة يوماً ما، هل ستستمرّ في الخروج مع نساء أخريات في الوقت نفسه؟"

– "ربمـا. لن أعرّضك للخطر إن كان هذا ما يقلقك. أنا حذر جداً، وقد أجريت فحص الإيدز مؤخراً".

– "وأنـا أيضاً". قالت ماغي ذلك كمسألة واقعية، فقد أجرت الفحص بعد أن دخل مروّج المخدرات إلى السجن.

– "إن كـنت تسألين إن كنت أعدك بأن أبقى لك وحدك ماغي، فعلى الأرجـح لا. على الأقل ليس في الفترة الأولى. بعد ذلك، لا أحد يعلم إلى أين تأخذنا الأمور. أنا أحب إبقاء الخيارات مفتوحة أمامي. وفي سنّك، أنت أيـضاً علـيك فعل ذلك". هزّت ماغي رأسها. لم تحبّ ما تسمعه، لكنه بدا منطقياً لها أيضاً. على الأقل آدم يتكلّم بصدق معها، فهو لن يعدها بشيء ثم يخـدعها، لكنه سيخرج برفقة نساء أخريات، وبإمكانها القيام بالأمر نفسه. تابـع يوضـح لهـا: "حتـى لـو كنا نتواعد، أفضّل أن يبقى لدينا حياتين منفصلتين، فأنا أعزب منذ فترة طويلة، منذ أحد عشر عاماً تقريباً، وسيبقى الأمـر كـذلك حسب ما أظنّ. لا أحبّ أن تتشابك حياتي مع حياة شخص آخر".

قالـت ببـساطة: "ما زلت أعتقد أنك مخطئ بهذا الخصوص، أقصد بـشأن الزواج من جديد. لكن الأمر يعود لك بالطبع. أنا لا أريد أن أتزوّج قـبل فترة طويلة أيضاً. فأنا ما زلت يافعة، وهناك العديد من الأمور التي أودّ القـيام بها قبل الزواج. لن أتزوّج قبل بضع سنوات على الأقل، لكنني في النهاية أودّ بالطبع أن أتزوّج وأرزق بأطفال".

– "نعم. عليك فعل ذلك".

قالـت بهـدوء: "أريد أن أعطي أولادي كل ما حُرمت منه. أريد أن أكون أمّاً جيّدة قبل كل شيء".

– "لم يكن لدي أم يوماً أنا أيضاً". قال ذلك وهو يمشي نحو الحوض حـيث كانـت تجلـس وتحركّ قدميها كالأطفال. تابع يقول: "ليست جميع الأمهات أمهات حقيقيات، فوالدتي لم تكن كذلك يوماً. كانت ولادتي مفاجأة لها بعد عِشر سنوات من مولد شقيقتي، وأربع عشرة سنة بعد مولد شقيقي، لذا لم يكترث لي أحد طيلة حياتي. لم يكن يجدر بهم الاحتفاظ بي".

– أنا سعيدة لأنّهم فعلوا". قالت ذلك بنعومة، بينما وقف آدم بجانبها، ثم تابعت: "كنت سأشعر بالحزن فعلاً لو أنهم لم يفعلوا". وابتسمت ماغي له.

قال لها بلطف: "شكراً لك". ثم انحنى وقبّلها. بعدئذٍ اقترح آدم أن يأخذا حماماً ساخناً في الحوض معاً. كان يملك ثوب سباحة جديد بمقاسها تماماً، فهو يملك مجموعة كبيرة من أثواب السباحة النسائيّة في الخزانة، وطلب منها أن تختار منها ما تشاء. كانت عدّة العزوبية ممتازة وكاملة التجهيز بالفعل. لو لم يكن آدم صادقاً معها لأزعجها الأمر، لكن بما أنّه كان صادقاً، ولم يعد هناك من أسرار يخفيانها عن بعضهما، فلا بأس بالأمر.

ارتدت ماغي ثوب السباحة ونزلت في الحوض، وبعد دقائق خرج آدم مرتدياً ثوب السباحة الخاص به وانضمّ إليها. جلسا هناك يتحدّثان ويتبادلان القبل إلى أن عمّ الظلام نيويورك، في تلك الليلة الدافئة من تشرين الأول/أكتوبر. استلقيا بجانب بعضهما لفترة طويلة، ثم لفّها آدم بمنشفة وحملها إلى الداخل. ألقاها على سريره، ثم أزاح عنها المنشفة وكأنه يفتح هدية ما. بدت متأنّقة جداً وهي مستلقية في السرير. لم يسبق لآدم أن رأى جسداً جميلاً كجسدها في حياته. شعر بالذهول لأنه أدرك أنها شقراء بالطبيعة. لم يكن هناك أي شيء مزيّف في ماغي أومالي، فكل ما فيها بدا حقيقياً.

مارسا الحب معاً، وقد تفاجأ كلاهما لأنهما انسجما مع بعضهما كثيراً، واستمتعا معاً. حتى إنهما ضحكا وتفوّها بأشياء سخيفة من فترة لأخرى. شعرت ماغي بالراحة الكاملة برفقته، وبعد فترة استلقيا بجانب بعضهما على السرير، ثم خرجا مجدّداً إلى الحوض الساخن. قالت له ماغي إنّ هذه الليلة هي أفضل ليلة في حياتها، وكان يسهل تصديق ذلك. لقد كانت تعيش حياةً صعبة ولا تزال تفعل. وما حصل هو أمر يفوق

الوصف بالنسبة لها. لاسيّما أنها ستعود غداً من جديد إلى شقّتها وعملها، وأن لا شيء سيتغيّر رغم حماسها. لكن اللّحظات التي أمضتها برفقته جعلتها تشاركه حياةً لم تعش مثلها أو تتخيّلها من قبل. علم آدم أن الأمر سيكون مثيراً للاهتمام وحماسياً بالنسبة لها إن استمرا برؤية بعضهما، واستمرت بالتنقّل بين عالمين مختلفين.

مارسا الحب معاً مرة أخرى قبل أن تغادر، وهذه المرة كانا عفويين أكثر، وقد جعلهما شغفهما يتفاجآن أكثر.

دعاها لتمضي الليل معه، رغم أنه عادة لا يفعل ذلك. لكنه كره أن يرسلها مجدّداً إلى ذلك الكابوس الذي تعيش فيه. لكن كان على كليهما أن يتقبّلا ذلك. عليها أن تتعوّد بأن تعود إلى منزلها، وهو بدوره عليه أن يتعوّد بأن يسمح لها بالمغادرة. فهو لم يكن يقدّم لها مسكناً دائماً، بل مجرّد استراحة من الحياة التي تعيشها. قالت ماغي إن هذا جيّد بالنسبة لها، لكن من الأفضل لها أن تعود إلى منزلها تلك الليلة.

أصرّ آدم على إيصالها بنفسه إلى المنزل، إذلم يكن يريدها أن تذهب بسيارة أجرة، فالوضع خطير جداً حيث تسكن. بدت ماغي طيّبة معه، وأراد أن يكون طيباً معها بالمقابل. شعرت كأنها سندريلا مجدّداً حين أوصلها إلى المنزل، لاسيّما أنه هذه المرة كان يقود سيارة فيراري خاصة به وليس سيارة ليموزين مستأجرة.

قالت له وهو يقبّلها مودّعاً: "لن أسألك إن كنت تودّ الصعود إلى منزلي".

همس لها يمازحها: "على الأرجح أن لديك زوج وعشرة أولاد تخفينهم عني".

ضحكت ماغي وقالت: "إنهم خمسة أولاد فقط".

– "لقد أمضيت وقتاً رائعاً معك". قال لها ذلك وقصده فعلاً.

قالت له وهي تقبّله من جديد: "وأنا كذلك".

وعدها قائلاً: "سأتّصل بك غداً".

ضحكت ماغي وقالت: "نعم... طبعاً". خرجت من السيارة، وأسرعت الخطى لتدخل إلى المبنى، ثم لوّحت له بيدها، واختفت. تذكّرت الكلمات الأخيرة التي قالها لها، وتمنّت فعلاً أن يتّصل بها، لكنها لم تكن تعتمد على ذلك. فماغي تعلم أكثر من سواها أن لا شيء في الحياة موثوق به وثابت.

14

اتّصل آدم بماغي عدّة مرّات خلال الأسبوع التالي، وأمضت عدّة ليال في شقته. كانت قد انتقلت إلى الدوام النهاري في عملها، لذا أصبح برنامج عملها ملائماً له تماماً، وقد أحبّت ماغي النوم في منزله في الليل. بدا كل شيء ممتازاً بالنسبة لهما، والتزما بالاتفاق الذي أبرماه بينهما، فماغي لم تطرح الأسئلة حول المستقبل، ولم يكن لديها سبب لفعل ذلك. وفي الليالي التي أمضياها معاً لم يطرحا الأسئلة حول من التقيا أو ماذا فعلا في الوقت الذي كانا فيه بعيدين عن بعضهما.

في الواقع كان آدم مأخوذاً بها، حتى إنه كان يتّصل بها في وقت متأخر قبل أن يخلد إلى النوم في الليالي التي لم يمضها معها. شعر مرتين فقط بالدهشة والاضطراب لأنه اكتشف أنها لم تكن في المنزل، لكنه لم يخبرها بأنه اتّصل، ولم يترك لها رسالة. أما ماغي، فلم تخبره بشيء لتبرّر غيابها عن المنزل حين رأته. لكنه اعترف لنفسه بأنه انزعج لأنه لم يجدها في المنزل تنتظر اتصاله. استمرّ كلاهما بالكلام عن حسنات حرّيتهما، ومع ذلك لم يكن آدم على علاقة مع امرأة أخرى في الأسابيع الأولى التي تواعدا فيها، لم تكن لديه رغبة في ذلك، فقد زاد مع الوقت إدمانه عليها. أما ماغي فأخبرته بصراحة أنه لا يوجد في حياتها شخصٌ آخر، لكنه كان يتّصل بها في بعض الليالي فلا يجدها في المنزل، واكتشف

مع الوقت أنه يكره ذلك، وقد جعله هذا الأمر يفكّر بمواعدة نساء أخريات، فقط كي لا يتعلّق بماغي أكثر فأكثر. لكن بعد مرور شهرٍ كان لايزال وفيّاً لها وحدها.

شعر آدم بالانزعاج لأنه لم يلتقِ بشارلي منذ عودته إلى المدينة قبل شهر، لكنه كان يجده منشغلاً كلما اتّصل به ليدعوه للخروج. كان آدم يعلم بأن لدى صديقه جدول عملٍ اجتماعي كثيف، وأعمالاً كثيرة يقوم بها في الشركة، لكنه تضايق لعدم وجود وقت يمضيانه معاً، إلا أن الجزء الجيّد من هذا الأمر هو أنه أعطاه وقتاً أطول ليمضيه برفقة ماغي. أصبح آدم يقلق عليها أكثر، ويشعر بالانزعاج لعدم معرفته بما تفعله حين يكون بعيداً عنها، فهما ما زالا يمضيان بعض الليالي بعيداً عن بعضهما، وكانت ماغي تمضي بعضها خارج المنزل. لم تخبره يوماً بما كانت تفعله، إنما كانت تظهر في اليوم التالي مشرقة وفرحة، وتعود إلى السرير معه، فيشعر بالسعادة مع جسدها الذي لا يقاوم. لقد ازداد تعلقه بها يوماً بعد يوم، وهكذا كانت تهزمه في لعبته الخاصة من دون أن تعلم ذلك. فالخيارات والحرية التي قال لها إنه يريد الاحتفاظ بها في البداية لم يعد لها معنى الآن. وبالحكم على عدد المرات التي اتّصل بها فيها وكانت خارج المنزل، بدا أنها كانت تستفيد من حرّيتها أكثر منه.

لم يرَ آدم غراي في تلك الفترة أيضاً. لقد تكلّم معه عدّة مرّات، لكن غراي كان يستمتع بحياته المنزليّة مع سيلڤيا، ولم يكن يودّ الذهاب إلى أي مكان. أخيراً أرسل آدم رسالة إلكترونيّة لغراي وشارلي، وجعلهما يوافقان على إقامة سهرة للرجال فقط، قبل يومين من عيد البربارة، إذ مرّ أكثر من شهر على لقائهم معاً. كانت هذه المرة الأولى منذ سنوات التي يمرّ فيها هذا الوقت الطويل من دون أن يلتقوا ببعضهم، وراح كل منهم يدّعي أن الاثنين الآخرين هما من اختفيا.

التقى الأصدقاء الثلاثة في مطعم في وسط المدينة، هو من الأماكن المفضلة لديهم. كان آدم أوّل الواصلين، ثم وصل شارلي، ووصل غراي بعده تماماً. لاحظ آدم أن غراي كان قد اكتسب بعض الوزن، ليس الكثير منه، لكن ما يكفي ليبدو وجهه ممتلئاً. قال إنه وسيلڤيا يتشاركان دوماً بالطهو معاً، وبدا سعيداً أكثر من أي وقت مضى. إنهما يعرفان بعضهما منذ ثلاثة أشهر، ويتواعدان منذ شهرين، وقال غراي إنهما لم يواجها أي مشكلة بعد، فهما لا يتشاجران أبداً وهما سعيدان جداً. شعر صديقاه بالسعادة من أجله، لكنهما فكّرا أن الوقت لايزال مبكراً ليبدأ بالشجار. أخبرهما غراي أنه لم يعد ينام أبداً في شقته وأنه يمضي الليل عندها، لكنه بقي مصراً على أنه لم ينتقل للعيش معها رسمياً بعد، بل هو ينام عندها فقط. الجملتان بدتا متطابقتين بالنسبة لشارلي وآدم، لكن على ما يبدو، شعر غراي بالارتياح للتمييز بين المفهومين.

سأل آدم شارلي بنبرة فضولية: "مادا عنك؟ أين كنت طيلة الشهر؟"

أجاب شارلي بغموض: "كنت أخرج كثيراً". بينما ضحك غراي، فقد اعترف له شارلي قبل أيام أنه قام بالخطوة الأولى، وأنه يقابل كارول باركر الآن. لم يحدث شيء بينهما بعد، لكنهما يخرجان لتناول العشاء معاً ليتعرّفا أكثر على بعضهما. كانا يتقابلان عدّة مرّات في الأسبوع، لكنه لم يقم بتقبيلها بعد، فهما يتقدّمان ببطء. واعترف شارلي ببساطة، أنهما خائفان حتّى الموت من أن يتأذّيا من جديد.

رأى آدم نظرة تآمرية على وجه غراي، فأجبر شارلي على إخباره بالأمر أيضاً.

- "يا إلهي أنت أيضاً! ما الذي يحدث لكما؟ غراي يمضي الليل عند سيلڤيا، أو بالأحرى هو يعيش فعلاً معها لكنه لا يريد الاعتراف بذلك لنفسه، وأنت تبدو على وشك السير على خطاه أيضاً". تذمّر آدم قائلاً إنهما قد خانا عهد العزوبيّة وقوانينها، لكنه كان سعيداً من أجلهما،

فهما يريدان إيجاد الشخصين المناسبين لهما قبل فوات الأوان، أمّا هو فلم يكن واثقاً بأنه يريد ذلك أيضاً. بدا له أن علاقته بماغي تسير على الطريق الصحيح، لكنها لن تتطوّر أكثر، فقد اتفقا على ذلك منذ البداية. إنّهما يتواعدان فقط ويعيشان حياتين منفصلتين. لكن حين كانا يتواجدان معاً كانت تبدو له مثيرة جداً، وأحب آدم البقاء معها. بدا كأنه لا يشبع منها أبداً، كما شعر أحياناً بالانزعاج من الحرية والاستقلالية التي تعيشها. لم يحدث ذلك معه من قبل، لطالما كان هو من يتمتّع باستقلاليته في العلاقات، لكن ماغي فاقته بذلك هذه المرة. بدت بحاجة إلى الكثير من الوقت لنفسها، وهذا ما أراده هو دوماً لنفسه أيضاً. لكن الأمر مختلف معها.

– "ماذا عنك؟" سأل شارلي آدم بينما بدأوا بتناول الحلوى. "أنت بقيت صامتاً فيما رحت تسأل عمّا نفعله في هذه الفترة. هل تواعد إحداهن؟ أم أنك التقيت بمئة من المحظوظات كالعادة؟" كان آدم يواعد نساءً أكثر ممّا يمكن لشارلي أن يحصي، وأحياناً كان يخرج برفقة عدد من النساء في الوقت نفسه.

قال آدم بشكل عادي: "أنا أواعد إحداهن منذ شهر. إنه ليس أمراً مهماً. لقد اتّفقنا على ألاّ تصبح علاقتنا جدّية. هي تعلم أنّني لا أريد أن أتزوّج".

سأله شارلي باهتمام: "وماذا عنها؟ ألم تدقّ ساعتها بعد؟"

هزّ آدم رأسه وقال: "إنها لا تزال شابّة لتهتمّ بتلك الساعة. هذه هي ميزة الفتيات الشابات".

علّق غراي وهو يقلّب نظراته: "آه، يا إلهي! لا تقل لي إنها في الرابعة عشرة من عمرها. سينتهي بك الأمر في السجن يوماً ما إن لم تكن حذراً". كان غراي وشارلي يحبّان إغاظته حول النساء الصغيرات اللواتي يخرج برفقتهن، أما آدم فكان يقول إن كلامهما هو مجرّد حسد.

– "اهدأ يا رفيقيَ! إنها في السادسة والعشرين. وهي امرأة طيّبة فعلاً، وتملك جسداً رائعاً". وعقلاً رائعاً أيضاً، لكنه لم يزعج نفسه في قول ذلك لهما، خشية أن يفكّرا بأنه قد أعجب بها فعلا، مع أن هذا ما كان يخشاه، إذ يعلم آدم أنه سيعاني من مشكلة كبيرة حين يقع في غرام عقل امرأة. في الحقيقة كان الرجال الثلاثة واقعين في الغرام، لكنهم لم يكونوا مستعدين بعد للاعتراف بذلك لبعضهم، أو حتى لأنفسهم. لم يختبر بعد أي واحد منهم عامل الوقت في علاقته الغرامية. فهم لم يعيشوا بعد الشجار الأول أو خيبات الأمل العادية التي تحدث مع الجميع. كانوا لا يزالون يتمتّعون بإبداعاتهم ومرحهم.

جلس الرجال الثلاثة هناك حتى وقت متأخر من بعد منتصف الليل، وهم يتكلّمون ويشربون ويستمتعون برفقة بعضهم. لقد اشتاقوا لبعضهم كثيراً خلال الشهر الماضي، ولم يدركوا ذلك. كانوا منشغلين كثيراً بأشياء أخرى، ويمضون الوقت مع النساء فلم يدركوا أنّهم يشكّلون جزءاً مهماً في حياة بعضهم، وأن الفراغ الذي يتركونه لدى بعضهم حين يبتعدون كبير جداً. تكلّموا عن السياسة والمال والاستثمار، وكذلك عن الفن وعن افتتاح معرض غراي الجديد. تكلّموا أيضاً عن أعمال آدم وشارلي. فقد ازداد عدد زبائن آدم، وبدا شارلي راضياً عن تطوّر مؤسسته. غادر الرجال الثلاثة المطعم على مضض، وكانوا آخر المغادرين، بعد أن تعاهدوا على أن يلتقوا أكثر في الفترة القادمة.

قال لهم غراي قبل أن يوقف الثلاثة سيارات أجرة ويتوجّهوا إلى وجهات مختلفة: "فلنعاهد بعضنا، أنّه مهما حدث بيننا وبين النساء اللواتي نواعدهن أو مع اللواتي سيأتين بعدهن، فإننا سنستمرّ بلقاء بعضنا دائماً كلّما تمكّنا من ذلك، أو على الأقل أن نتكلّم عبر الهاتف. لقد افتقدتكما كثيراً في الفترة الأخيرة، فأنا أحبّ سيلفيا، وأحبّ حياتي معها...".

قـال غـراي تلـك الجملة وهو ينظر نحوهما وعلى وجهه ابتسامة عريضة، ثم تابع: "... لكنني أحبّكما أيضاً".

علّق شارلي على كلامه أوّلاً فقال: "طبعاً!"

ثم وافقهما آدم: "تباً! هذا صحيح".

بعـد لحظـات اسـتقلّوا سيارات أجرة مختلفة، وعادوا إلى حياتهم ونـسائهم. اتّصل آدم بماغي حين وصل إلى المنزل، رغم أن الوقت كان متأخّـراً جداً، وهذه المرّة شعر بالغضب لأنه لم يجدها في المنزل. كانت الساعة الواحدة صباحاً تقريباً، فأين هي بحق الله؟ ومع من؟

بعـد مـضي يومـين ذهب شارلي لحضور حفلة نظّمتها كارول للأطفال في المركز. طلبت منه أن يأتي بلباس تنكّري، وقد وعدها بأنه سيحـضر قطـع الكـيك للأطفـال فقد أحبّ شارلي زيارة كارول في المركز. لقد سبق وخرج معها للغداء مرتين، فاصطحبها مرة إلى مطعم موس ومرةً أخرى إلى مطعم سالي، أمّا معظم الأوقات فكان يراها عند العشاء بعد العمل. كان ذلك مريحاً أكثر، وبعيداً عن زملائها في العمل. فلا أحد منهما أراد إثارة الكلام والشكوك حولهما، فهما لم يقرّرا بعد إن كـان مـا يجمعهمـا هو صداقة أم علاقة غرامية. ربما هو مزيج من الـصداقة والحب معاً. لكن، إلى أن يكتشفا ما هو بالتحديد، لم يريدا أن يتعرّضـا للـضغط مـن الأشخاص الذين يعرفونهما. آدم وغراي هما الشخـصان الوحيدان اللذان يعرفان بالأمر، وهو لم يخبر كارول حين تكلّـم معهـا صباح اليوم التالي بأنه أخبرهما. قال لها فقط إنه استمتع بوقـته مع أصدقائه، وقالت له إنّها سعيدة من أجله. لم تلتقِ كارول بأي مـنهما بعـد، لكن ممّا أخبرها به شارلي علمت أنهما مثيران للاهتمام كثيراً، ويستحقّان وفاءه لهما وارتباطه بهما. أخبرها أنهما بمثابة شقيقين له، وقد احترمت ذلك. بالنسبة لشارلي، بات صديقاه كعائلة له في غياب رابط علاقات الدم في عالمه.

بدا الأولاد رائعين بأزيائهم الخاصة بالعيد. كانت غابي ترتدي رداء المـرأة الخارقـة، أما زورو فقد ألبسته قميصاً كتب عليها الكلب الخارق. كـان الأولاد يرتدون أزياء مختلفة كميكي ماوس وسلاحف النينجا والرجل العنكـبوت وغيـرهم مـن السّاحرات والأشباح. كانت كارول تعتمر قبعة سوداء طويلة مستدقة الرأس، وتضع شعراً مستعاراً أخضر اللون، وترتدي كنزة سوداء ذات قبة عالية مع سروال جينز أسود. كان عليها التنقّل كثيراً بـين الأطفال، لذلك فهي لا تستطيع أن ترتدي زيّاً أكثر تكلّفاً. لكنها لوّنت وجههـا باللـون الأخضر ووضعت طلاءً للشفاه ذا لونٍ أسود. في الواقع بـدأت كـارول تتبـرّج هذه الأيام حين يخرجان معاً للعشاء ليلاً، فلاحظ شـارلي ذلك على الفور، وأطرى عليها حين خرجا في أوّل موعدٍ رسمي بينهما. كانت قد وضعت البودرة الحمراء على خدّيها فقط حين لاحظ ذلك. قالت له إنها تشعر بالسخف، لكنها بقيت تتبرّج لاحقاً رغم ما قالته.

أتى شارلي إلى الحفلة مرتدياً زي الأسد الجبان من فيلم الساحر أوز. لقـد اشـترت لـه سـكرتيرته هـذا الـزي من متجر يبيع ثياباً للممثّلين المسرحيين.

اسـتمتع الأولاد كثيراً خلال الحفلة، ولاقت قطع الكيك رواجاً كبيراً. أحـضر شـارلي لهـم السكاكر أيضاً، لأن ليس باستطاعتهم الخروج كي يطـرقوا أبـواب بيوت الحي. إنه حي خطير، ومعظم الأولاد صغار جداً. كانـت الساعة قد أصبحت الثامنة مساءً حين غادر شارلي وكارول، وكانا قـد اتفقـا سـابقاً على الذهاب بعد الحفلة لتناول العشاء معاً، لكنهما كانا مـرهقين وقد أكلا الكثير من السكاكر، تماماً كالأولاد. تناول شارلي عدداً مـن ألـواح الـشوكولا كالسنيكرز، أمّا كارول فلم تستطع مقاومة يقطين الشوكولا المحشو بحلوى الخطمي.

قالت كارول لشارلي بحذر: "كنت لأدعوك إلى منزلي. لكنه في حالة فوضى عارمة. فقد كنت خارج المنزل لأسبوع كامل".

لقد تناولا العشاء معاً طيلة الأسبوع، باستثناء اليوم الذي خرج فيه شارلي مع غراي وآدم لتناول العشاء.

سألها شارلي بارتياح: "هل تودّين أن تأتي إلى شقّتي لتناول المشروب؟" لم تذهب كارول إلى شقته من قبل، فشارلي يقوم دائماً بدعوتها إلى الخارج، وقد قصدا معاً سابقاً الكثير من المطاعم التي يحبّانها معاً، أو تلك التي يحبّها أحدهما.

ابتسمت له وقالت: "أودّ ذلك. لكنني لن أطيل البقاء، فأنا مرهقة".

وافقها قائلاً: "وأنا أيضاً".

توجّهت سيارة الأجرة نحو الجادة الخامسة، وتوقّفت عند عنوان شارلي. خرج شارلي من السيارة بزي الأسد الذي كان يرتديه وكارول بشعرها الأخضر المستعار ووجهها الأخضر اللون. ابتسم لهما حارس البناية، ورحّب بهما وكأن شارلي كان يرتدي بذلة رسميّة وكارول ترتدي فستان سهرة. استقلاّ المصعد بصمت، وهما يبتسمان لبعضهما. فتح شارلي باب الشقة، وأنار الأضواء، ثم مشى إلى الداخل، فلحقته كارول بحذر وهي تنظر حولها. بدت شقّته جميلة وأنيقة، ومليئة بالتحف المميّزة التي ورث معظمها عن أهله، وجمع بعضها عبر السنوات. مشت كارول ببطءٍ عبر غرفة الجلوس، وأطرت على منظر الحديقة من هناك.

- "هذا رائع شارلي!"

- "شكراً لك". إنها فعلاً شقة رائعة، لكنها باتت تشعره بالكآبة مؤخّراً، فكل شيء يبدو له مملاً وقديماً، والمكان يبدو صامتاً كالموت. بدا ذلك غريباً، لكنه مؤخراً بات يشعر بالسعادة أكثر على متن اليخت. طبعاً هذا عدا عن الوقت الذي كان يمضيه برفقة كارول.

توقّفت كارول أمام طاولة مليئة بالصور. أخذت تنظر إليها، بينما ذهب شارلي ليحضر الشراب لهما، ثم عاد بعد أن أنار الأضواء المتبقّية. كان هناك العديد من الصور لوالديه، وصورة جميلة لألين، وبعض صور

للأصدقاء. كانت هناك صورة مضحكة له مع غراي وآدم، التقطوها ذلك الصيف على متن اليخت حين كانوا برفقة سيلفيا وأصدقائها، وهناك صورة أخرى للقمر الأزرق مأخوذة من الجانب الأمامي وهو يرسو في المرفأ.

- "يا له من يختٍ جميل!" قالت له كارول ذلك بينما أعطاها كوب الشراب. لم يخبرها شارلي بعد بشأن اليخت، فقد كان ينتظر الوقت المناسب ليفعل ذلك، ففي النهاية سيكون عليه إخبارها أنه يملك يختاً. في البداية كان يتظاهر كثيراً أمامها، أمّا الآن، وبعد أن أصبحا يلتقيان أكثر، فقد أراد أن يكون صادقاً معها. فليس سراً أنه رجل غني.

- "أنا وغراي وآدم نمضي شهر آب/أغسطس على متنه كلّ عام. التقطت هذه الصورة في سردينيا، حيث أمضينا وقتاً ممتعاً". قال شارلي ذلك ببعض التوتر، بينما هزّت كارول رأسها، ورشفت بعض الشراب، بعد ذلك لحقته نحو الأريكة حيث جلسا.

سألته بشكلٍ عاديّ: "لمن هو هذا اليخت؟" لقد سبق وأخبرته أن جميع أفراد عائلتها بحّارة، وأنها قد أمضت أوقاتاً طويلة من شبابها في البحر. كان يأمل أن تحبّ يخته، رغم أنه يعلم أن البحارة عادةً لا يحبّون اليخوت، وأنهم يطلقون عليها اسم الجرّة النتنة. لكن لم يكن هناك من شكٍ بجمال يخته. تابعت كارول تسأله: "هل هو مستأجر؟" كانت تتصرّف بشكلٍ طبيعي، وابتسم شارلي لوجهها الأخضر. بدا زيّ الأسد الذي كان يرتديه سخيفاً الآن، وهو يجلس بارتياح فوق الأريكة واضعاً رجلاً فوق الأخرى، فيما ارتفع ذيل الأسد خلفه بشكل مستقيم، ما جعل كارول تقهقه من الضحك. كلاهما، بدا مظهرهما مضحكاً.

أجاب شارلي عن سؤالها الثاني قبل الأول، فقال: "لا. نحن لا نستأجره".

- "هل هو لآدم؟" سبق أن ذكر لها شارلي أن آدم رجلٌ ناجحٌ جداً، وأن عائلته غنيّة. هزّ شارلي رأسه، ثم أخذ نفساً عميقاً.

- "لا. إنــه لي". عمّ صمتٌ رهيب في الغرفة، بينما نظرت كارول طــويلاً في عينيه، ثم قالت له بنظرات متفاجئة: "لك أنت؟ لم تخبرني بذلك من قبل". لقد كان فعلاً يختاً ضخماً.

- "خــشيت ألاّ يعجبك ذلك. كنت قد عدت للتو من رحلة حين تقابلنا للمــرّة الأولــى. أنا أمضي ثلاثة أشهرٍ في أوروبا على متنه كلّ صيف، وأمضي أسبوعين في الكاريبي خلال الشتاء. إنه مكان من الجميل التواجد فيه".

أجابته كارول متأملة: "أنا واثقة من ذلك. أوه! شارلي... إنه مذهل!"

كانــت هذه دلالة واضحة على مدى ثراء شارلي، وهو أمر يتناقض مــع عمــل كارول وطريقة حياتها وكل ما تؤمن به. لم يكن ثراء شارلي خافــياً عليها، لكنها كانت تعيش حياةً أكثر بساطة من حياته، فمركز هارلم والــناس الــذين يــتواجدون فــيه هم محور حياتها، وليس يختاً يعوم في الكاريبي. علم شارلي أنها تملك روحاً شجاعة أكثر منه، لكنه لم يكن يريد أن تقلّل من قيمته بسبب تبذيره، كما لم يكن يريد أن يفزعها.

قال لها بهدوء: "أتمنّى ألا يزعجك الأمر. أودّ لو تصعدي معي يوماً علــى متــنه. إنه يدعى القمر الأزرق". شعر شارلي بتحسّن حين أخبرها، رغم أنه لم يعلم بعد كيف تشعر، فقد بدت مذهولة.

سألته كارول بفضول: "كم يبلغ طوله؟"

- "ثمانــون متراً". أطلقت كارول صفيراً كردّة فعل، ثم أخذت رشفة كبيرة من الشراب.

- "يا إلهي! أنا أعمل في هارلم... وأنت تملك يختاً يبلغ طوله ثمانين متراً... هذا يتعارض كثيراً مع عملي". لكنها تابعت تجد الأعذار له قائلة: "لكــن من جهة أخرى، لقد أعطيتني للتو مبلغ مليون دولار لأصرفه على أطفالي، وأعتقد أنك لو لم تكن تملك الكثير من المال ما كنت لتساعدنا. لذا قد يكون هذا أمراً جيّداً".

- "أتمنّى ذلك، فأنا لا أريد لأمرٍ سخيفٍ كاليخت أن يفرّق بيننا".

نظرت نحوه كارول برزانة وبعينين محبتين، ثم قالت بهدوء: "لن يفعل. علــى الأقل هذا ما أتمنّاه". لم يكن هناك مظاهر غطرسة في طريقة تعامله مع الموضــوع، ولاحظت كارول مدى حبّه ليخته، لقد كان فعلاً يختاً ضخماً جداً. وبعد التفكير تابعت تقول له: "إنها مدّة طويلة لتسافر خلالها في الصيف".

قــال شارلي بأمل: "ربما تأتين معي في السنة القادمة. لست مضطراً للــبقاء خارجاً لفترة طويلة. هذا العام لم يكن لدي عمل ينتظرني، لذا بقيت بعــيداً لفترة أطول من العادة. أحياناً تصيبني فكرة العودة إلى هنا بالذعر، فأنا أشعر بالوحدة". نظر حوله في الغرفة وهو يقول ذلك، ثم نظر نحوها. عندها ابتسم وقال: "أنا أستمتع على متن اليخت مع غراي وآدم، وأنا أنتظر بفــارغ الــصبر لأعرّفك عليهما". لكن شارلي وكارول لم يكونا مستعدين لــذلك بعد، فهما بحاجة لمزيدٍ من الوقت كي يطوّرا علاقتهما. فكّر شارلي بأمــر وهــو ينظــر نحوها، ثم وضع ذراعه حولها، وقال لها: "إذاً، الآن أصبحت تعرفين سرّي العميق. أنا أملك يختاً".

- "هل هذا أسوأ ما سأعرّفه عنك؟"

- "نعــم. فأنــا لم أدخل السجن يوماً، ولم أحاكم مرّة بسبب جناية أو حتــى جنحة. ليس لدي ولدٌ شرعي أو غير شرعي. لم أعلن يوماً إفلاسي، ولم أتزوّج بعد، ولم أقم يوماً بسرقة زوجة أحدهم. أقوم بتنظيف أسناني كلّ لــيلة قــبل أن أخلد للنوم، حتى لو كنت ثملاً، وهو أمرٌ نادر الحدوث، كما أنني أدفع دائماً ثمن بطاقات المواقف. لنرَ ماذا هناك بعد...". توقّف شارلي قلــيلاً ليلــتقط أنفاسه، بينما أخذت كارول تضحك. كان ذيل الأسد لايزال مرتفعاً وراءه على الأريكة.

- "تبدو سخيفاً جداً مع هذا الذيل".

- "وأنــت عزيزتي، تبدين رائعة بوجهك الأخضر". حالما قال ذلك، اقتــرب منها وقبّلها، وحين توقّف كانت كارول قد شعرت بصدمة كبيرة.

كانت هذه السهرة مليئة بالمفاجآت، لكنها حتى الآن مرضية، رغم أنها شعرت ببعض الصدمة حين علمت بشأن اليخت. همس شارلي لها: "لطالما أردت أن أقبّل امرأة ذات شفتين سوداوين ووجه أخضر". ضحكت كارول لكلامه، وعاد شارلي يقبّلها من جديد. هذه المرة اقتربت كارول منه أكثر، فقد أيقظ في داخلها أحاسيس نسيتها منذ سنوات. لقد وضعت قلبها وروحها في عملها، ونسيت كل شيء آخر، لكنها تذكّرت الآن بين ذراعي شارلي كم من اللطيف أن يقبّلها أحدهم، وكم من الجميل أن يحبّها رجل ما.

همست له وهو يمسك بها جيّداً: "شكراً لك". كانت خائفة جداً من التواجد بقربه خشية أن تقع في الحب من جديد، لكن شارلي أخذها بلطف إلى عالمه الخاص، وشعرت بالأمان معه. تماماً كما شعر هو بدوره معها.

بعد ذلك تجوّلا معاً في الشقة، وأراها بعض التحف التي يحبّها كثيراً، كما أراها صوراً لوالديه ولأخته، وبعض اللوحات التي أحضرها معه من أوروبا، ومن بينها صورة راقصة معلّقة فوق سريره. نظرت إليها كارول لعدّة لحظات، ثم خرجا من الغرفة. ما زال الوقت مبكراً كي يتشاركا السرير، لكن رؤية تلك اللوحة قادتهما إلى الحديث عن الباليه، فأخبرته أنها كانت ترقص في الماضي.

قالت له بندم: "كنت جادة بالنسبة لرقص الباليه حتى سن السادسة عشرة، لكنني توقّفت عن الرقص". فهم شارلي عندها سبب رشاقتها وجمال جسدها.

- " ولِمَ توقّفتِ؟"

ابتسمت له بودّ وأجابت: "أصبحت طويلة جداً، وأصبح من المفترض أن أرقص في الصفوف الخلفيّة، فالقصيرات هن اللواتي يقفن في الصفوف الأماميّة دائماً. أعتقد أنهن أصبحن أكثر طولاً الآن، لكن ليس بطولي طبعاً". هناك بعض السيّئات لطولها إذاً! لكن ذلك ليس مهمّاً بالنسبة لشارلي، فهو يحبّ طولها ورشاقتها. لقد تمكّنت من المحافظة على أنوثتها وتألّقها، وهو لا يزال أطول منها، لذا لم يزعجه طولها.

- "هل تودّين الذهاب لحضور حفل باليه يوماً ما؟" التمعت عيناها حين سمعت سؤاله، فوعدها شارلي أن يصطحبها إلى إحدى الحفلات. لقد كان هناك العديد من الأشياء التي أراد القيام بها برفقتها.

بقيت كارول عنده حتى منتصف الليل، وتبادلا العناق والقبلات عدّة مرات. دخلا إلى المطبخ حيث أعدّا عشاءً خفيفاً قبل أن ترحل. لم يتناولا عشاءً جيداً تلك الليلة إلى أن أعدّا بعض السندويشات في مطبخه، لأنهما تناولا الحلوى والكيك مع الأطفال. أخيراً جلسا إلى طاولة المطبخ يتسامران.

حاولت كارول أن تشرح له كيف تشعر، فقالت له: "أعلم أن هذا يبدو سخيفاً شارلي، لكن لطالما كرهت تعجرف الأغنياء وتبذيرهم وزهوهم. لم أشأ يوماً أن أكون مميّزة، إلاّ إن استحقّيت ذلك. لطالما أردت مساعدة الفقراء وذوي الحظ السيّء. وأنا أشعر بالذنب حين أفعل أشياء لا يستطيع الآخرون فعلها، أو حين أبذّر أموالاً لا يمكنهم تبذيرها، لذا فأنا لا أفعل ذلك. أنا ليس بمقدوري التبذير أصلاً، لكن حتى إن تمكّنت من ذلك فلا أفعل. هذه طبيعتي". كان شارلي يعرف ذلك عنها، ولم يتفاجأ. لكنها لم تتكلّم يوماً عن عائلتها، لذا لم يكن يعلم إن كانوا يملكون المال أم لا. من الطريقة التي تعيش فيها والحياة التي اختارتها لنفسها افترض أن عائلتها لا تملك المال. ربما تملك القليل منه لكن ليس الكثير. لم يكن في كارول ما يدل على امتلاكها المال الكثير إلاّ ذلك المظهر الأرستقراطي. ربما تتحدّر من عائلة متوسّطة شكّل لها إرسال كارول إلى برنستون عبئاً كبيراً.

أجابها بهدوء بينما أنهيا السندويشات: "أتفهّم ذلك. هل جزعتِ لأنني أملك يختاً؟"

قالت مفكّرة: "لا. إنه أمرٌ ما كنت لأفعله حتى لو امتلكت المال. لكنك تملك الحق بصرف مالك بالطريقة التي تحلو لك. أنت تقوم بأعمال خيريّة

كثيرة عبر مؤسستك، لكنني أشعر دائماً أنه يتوجّب عليّ أن أعيش في الفقر المدقع، وأعطي كل ما أملك للآخرين".

– "في بعض الأحيان عليك الاحتفاظ ببعض ما تملكين كي تستمتعي به".

– "أنا أفعل، لكنني أفضّل أن أقدّم ما أملكه. أشعر بالذنب لأنني آخذ مرتّباً من المركز، فأنا أعتقد أن هناك من هم بحاجة إلى هذا المال أكثر منّي".

أشار شارلي قائلاً: "عليك أن تأكلي". كانت تشعر بالذنب أكثر منه. لقد ورث شارلي ثروة ضخمة منذ كان شاباً، وعاش لسنوات وهو يتحمّل مسؤولية هذه الثروة، لكنه استمتع بالرفاهيّة، وبلوحاته، وبالأغراض التي جمعها، كما استمتع بصورة خاصة بيخته. لم يعتذر يوماً لأحد بسبب ذلك، إلا إنه فعل الآن بطريقة غير مباشرة. كانت فلسفتهما مختلفة، لكن ليس كثيراً حسبما أمل شارلي.

اعترفت له قائلة: "ربما أنا أبالغ قليلاً، فالتشدّد يجعلني أشعر كأنني أكفّر عن خطاياي".

أجابها شارلي بجدّية: "أنا لا أرى أي خطايا، بل أرى امرأة رائعة تقدّم حياتها للآخرين، وتعمل بكل قوّتها من أجْلهم. أنت تحتاجين إلى الحصول على بعض المرح".

قالت بهدوء: "أنا أحصل على المرح وأنا معك، شارلي".

– "وأنا أيضاً". ثم ابتسم لها، وقبّلها مجدداً. أحبّ كثيراً أن يقبّلها، وأراد أن يتمادى أكثر، لكنه لم يتجرأ. هو يعرف أن كارول تشعر بالخوف من الارتباط، وأنها لا تريد أن تتأذّى من جديد. أما شارلي فكانت لديه مخاوفه الخاصة أيضاً، فقد كان قلقاً من بعض الأمور مثلها تماماً، وهو يترصّد الأخطاء التي ستقوم بها، وفي حالتها سيكون الخطأ واضحاً وأمام عينيه. إنها ببساطة تنتمي إلى خلفية عائلية مختلفة تماماً عنه، فهي عاملة

اجتماعيّة تكرّس حياتها للعمل في هارلم، كما أنها غير راضية عن عالمه. لم تكن كارول فتاة مجتمع من اللواتي يظهرن في السهرات الاجتماعيّة، وهي لا توافق على طريقة حياته، رغم توافقها معه كإنسان. لكن السؤال الأهم هو إن كانت ستتخطّى تحفّظاته وتتقبّل طريقة حياته. إن كانا سيستمران معاً، فسيكون عليها أن تتأقلم مع تلك الفروقات. في الوقت الحاضر اعتقد أنهما سيتمكّنان من فعل ذلك، ورأى أن الأمر بيد كارول أكثر منه. فهي من عليها أن تسامح تبذيره من دون أن تشعر بالرغبة في الهرب منه.

أوصلها شارلي إلى المنزل في سيارة الأجرة، وحين وصل أمام منزلها وقبّلها لم تدعه كارول للصعود إلى شقّتها، فقد أخبرته سابقاً أن شقّتها في حالة فوضى. لم يسبق له أن رأى شقّتها، لكنه تخيّل أنها تعيش في غرفة واحدة، ومع ذلك لديها حياة عمليّة ناجحة.

طبع قبلة على أرنبة أنفها قبل أن يتركها، فضحكت حين رأت اللون الأخضر فوق شفتيه. كان وجهها لا يزال أخضر اللون بسبب حفلة عيد البربارة. وعدها وهو يعود إلى السيارة: "سأتّصل بك غداً، لأخبرك بشأن بطاقات الباليه". لوّحت له كارول، وشكرته من جديد، ثم اختفت داخل المنزل، بينما ابتعد شارلي في السيارة.

حين عاد إلى شقته بدت خالية.

أعجبته الطريقة التي ملأت بها كارول شقّته، وحياته، وقلبه.

15

أخبــرت الــسكرتيرة شارلي أنها اشترت له بطاقتين لحضور سهرة بالــيه، مساء يوم الجمعة، إذ سوف يكون هناك عرض رائع لفرقة غيسل، فتــرك رسالة لكارول يخبرها بالأمر. بعدئذٍ فتح بريده الإلكتروني، فوجد النسخة الجديدة لملف خرّيجي برنستون، فأخذ يبحث عن اسم كارول بهدف التسلية فقط. إنه يعرف العام الذي تخرّجت فيه، لذا كان من السهل التفتيش عــن اســمها. فتّش في الصفحات الوافقة لتاريخ تخرجها، ثم عبس لأنه لم يجده.

بحــث مــن جديــد، لكن اسمها لم يكن هناك، وهو أمر غريب. من الواضح أن هناك خطأً ما. أخبر سكرتيرته لاحقاً ذلك النهار بالأمر، وقرّر أن يقــدّم خدمة لكارول ويوفّر عليها الوقت، لأنه كان واثقاً من أنها ستودّ تــصحيح هــذا الخطأ، وإضافة اسمها إلى لائحة الخريجين. لذا طلب من ســكرتيرته أن تتّــصل بجمعيّة الخريّجين لتخبرهم عن تقصيرهم. أعطاها اسم كارول الكامل: كارول آن باركر، والعام الذي تخرّجت فيه.

بعــد الظهــر كــان على شارلي مراجعة البيانات المالية. وحين اتّــصلت بــه سكرتيرته ردّ عليها وقد بدا منزعجاً من المقاطعة، كان يحــاول تنظــيم بعــض المشاريع المالية القادمة المعقدة، لذا كان عليه التركيز كثيراً ليفهم ما تقوله له.

- "لقــد اتّصلت بمكتب التخرج في برنستون، تماماً كما طلبت مني ســيّد هاربنغتون، وأعطيتهم اسم الآنسة كارول، فقالوا لي إن لا أحد بهذا الاســم قد تخرّج يوماً من هناك. طلبت منهم التأكد من الموضوع، وفعلوا ذلــك. لا أعتقد أنها تعلّمت في برنستون، ربما هذه هي المشكلة، فالمكتب يصرّ على أنها لم تفعل".

- "هــذا غيــر معقــول! أعطيني الرقم، سأتّصل بهم بنفسي". شعر بالانــزعاج لغــبائهم، وعلم أن كارول كانت لتشعر مثله تماماً. إنه يعرف حتــى نــادي المأكولات التي تنتمي إليه، وقد كُتب في سيرتها الذاتية أنها ذهبت إلى برنستون.

حــين اتّــصل بعد خمس دقائق أخبروه بالأمر نفسه. خالفوه الرأي تمامــاً، وقالــوا إنهم لا يمكن أن يخطئوا بأمر كهذا، فكارول آن باركر لم تتخرّج يوماً من برنستون. في الواقع، وحسب سجلاتهم، لا أحد بهذا الاسم قد حضر حتى الدروس في الجامعة. حين أقفل شارلي الخط، مرّت رعشة بــاردة فــي جــسده. وبعد خمس دقائق ساوره شعور بالارتياب، فاتّصل بجامعــة كولومبيا، لكنهم أخبروه بالأمر نفسه. وحين أقفل الخط هذه المرة أدرك أنــه وجــد في كارول الخطأ الذي كان يبحث عنه، فقد اكتشف أن المــرأة التي وقع في غرامها هي امرأة محتالة. مهما كان العمل الذي تقوم بــه، والنيّة الطيّبة التي تعمل بموجبها، فهي لا تملك أياً من الشهادات التي تزعم أنها تملكها. حتى إنها أخذت من مؤسسته مليون دولار، اعتماداً على وثائــق مــصرفيّة زائفة وسمعة كاذبة، وهذا يعتبر جرماً إلى حدٍّ ما، رغم أنهــا لــم تأخــذ المال لنفسها، بل لتساعد الآخرين. لم تكن لديه فكرة عمّا سيفعله بتلك المعلومات الجديدة، واحتاج شارلي إلى بعض الوقت كي يفكّر فيها ويتقبّلها.

اتّــصلت بــه كــارول بعد ظهر ذلك اليوم، وللمرّة الأولى منذ بداية علاقتهما قبل ستة أسابيع، لكنه لم يجب عن اتصالها. لا يستطيع أن يختفي

فجأة من حياتها دون أن يعطي تفسيراً للأمر، لكنه أراد أوّلاً بعض الوقت لتقبل الموضوع، لاسيّما أنه سيصطحبها بعد يومين إلى حفلة باليه. اتّخذ قراره بعد ظهر ذلك اليوم بألاّ يقول شيئاً إلى أن يراها، وسوف يتعامل بعد ذلك مع الأمر. اتّصل بها لاحقاً ذلك النهار، وأخبرها أن لجنة الأمناء في المؤسسة تشكّل له أزمة الآن، لذا لن يتمكّن من رؤيتها حتى يوم الخميس. قالت له كارول إنها تتفهّم ذلك تماماً وإن هذه المشاكل تصيبها هي أيضاً، لكن حين أقفلت الخط، تساءلت كارول لما ظهرت رعشة في صوته. في الواقع، كان شارلي على وشك البكاء، لأنه شعر بخيبة أمل كبيرة، فالمرأة التي قدّرها منذ اليوم الأول الذي رآها فيه هي امرأة كاذبة.

أمضى شارلي يومين من العذاب وهو ينتظر رؤيتها من جديد، وحين اصطحبها يوم الجمعة إلى حفلة الباليه بدت جميلة جداً. كانت ترتدي فستاناً قصيراً متعدد الألوان، وتنتعل حذاء ذا كعبين عاليين، وقد وضعت على كتفيها سترة سوداء من الفراء. بدت ثيابها أنيقة، وقد وضعت قرطين من اللؤلؤ، قالت إن أمها أعطتهما لها، إلا أن شارلي لم يعد يصدّق كلمة ممّا تقوله له. لقد لطّخت كلّ ما بينهما بأكاذيبها حول كولومبيا وبرنستون، وهو لم يعد يثق بها، أما كارول ففكّرت أنه يبدو مضجراً وغير سعيد. سألته إن كان كلّ شيء بخير حين بدأ العرض، فهزّ رأسه إيجاباً. بالكاد تكلّم معها في السيارة، وكذلك الأمر في مركز لنكولن. لاحظت كارول أنه في حالٍ سيّئة جداً، لكنها افترضت فقط أن شيئاً سيّئاً قد حصل في المؤسسة.

في فترة الاستراحة ذهبا إلى البار ليأخذا شراباً، وقبل أن يعودا إلى مقعديهما، اعتذرت منه لتذهب إلى غرفة النساء قليلاً. وفي تلك اللحظة بالذات، رأت ثنائياً ينظر إليهما قبل أن تتمكّن من الابتعاد، لذا أدارت وجهها بعيداً وكأنها تحاول الاختباء منهما، لكن شارلي لاحظ ذلك على الفور. كل ما قالته له هو إنهما صديقان لوالديها وإنها لا تتحمّلهما، ثم ابتعدت. أدرك شارلي من يكونان حين اتّجهت المرأة نحوه لتلقي عليه التحية، ولحق بها زوجها. إنه يعرفهما، لكنه اعترف أنه لا يحبّهما أيضاً، فهما ثنائي فضولي يحاول البروز في المجتمع.

ثرثرت المرأة قليلاً حول العرض، فبدأت تتكلّم عن نقاط القوة والضعف لدى الراقصين، وقالت إنها أحبّت المواسم السابقة أكثر. ثم ثبّتت نظراتها على شارلي، وقالت له شيئاً لم يفهمه في البدء.

- "حسناً! لقد قمت بانقلاب كبير، أليس كذلك؟" قالت هذه الكلمات، وبدا أنها تدرك تماماً مّا تتكلّم عنه، لكنها بدت مزعجة في الوقت نفسه. راح شارلي يحدّق بها، دون أن يملك أدنى فكرة عمّا كانت تعنيه، وتمنّى لو أن كارول تعود بسرعة. إذ رغم غضبه منها، فإن وقوفه إلى جانبها كان أفضل من الوقوع في فخ امرأة ثرثارة مع زوجٍ معسول اللسان، وقد التصقا به فقط لمعرفتهم بمركزه الاجتماعي. تابعت المرأة كلامها: "سمعت أنها كادت تصاب بانهيارٍ عصبي حين تركها زوجها. لا أعلم لما تزوّجت به على أي حال، فعائلة فانهورن تملك أموالاً أكثر ممّا يملك. إنه مجرّد متموّل جديد، أما آل فانهورن فهم من أقدم العائلات الثريّة في البلاد". لم يفهم شارلي لما راحت تتكلّم معه عن عائلة فانهورن. إنه يعرف آرثر فانهورن معرفة سطحية، فهو رجل محافظ جداً، لم يلتقِ شارلي برجلٍ مثله من قبل، لكنه حاد الطباع وممل، وما يملكه من مالٍ لم يكن أمراً يهمّ شارلي.

- "عائلة فانهورن؟" تساءل شارلي باستغراب، فقد بدت له تلك المرأة كالمجنونة، إذ راحت تثرثر وتتكلّم عن تفاصيل حكاية لا يستمتع شارلي أبداً بسماعها. كانت تتكلّم عن امرأة تركها زوجها، وهي كما يبدو من عائلة فانهورن. بدا كل ذلك كالجنون بالنسبة لشارلي، بينما نظرت المرأة نحوه وكأنه غبي تماماً.

- "نعم، عائلة فانهورن! أنا أتكلّم عن ابنة هذه العائلة. أليست هي من رأيتها معك، وأنا في طريقي إليك؟" نظرت المرأة نحوه كأنه مخبول، وفجأة، فهم شارلي ما تقوله، فشعر كأنه قد تلقّى ضربة على رأسه.

- "بالطبع! أنا آسف. كنت مشتت الأفكار.. الآنسة فانهورن.. بالطبع".

سألته بوقاحة: "هل تخرجان معاً دائماً؟" لا تخجل النساء المماثلات من طرح الأسئلة، فهن يعشن على نقل المعلومات، ليستخدمنها لاحقاً من أجل نيل إعجاب الآخرين في المناسبات الاجتماعيّة، رغم أنهن في الحقيقة لا ينتمين إلى الفئات الاجتماعية الراقية. فهذان الثنائيان يتحدّثان مع الجميع، لكن أحداً لم يحبّهما.

قال وهو يهزّ رأسه: "هناك علاقة عملٍ بيننا. لقد أصبح هناك ارتباط بين مؤسستي ومركز الأطفال الذي تديره كارول. إنهم يقومون بعملٍ رائعٍ مع الأطفال المستغلّين. بالمناسبة ما كان اسم عائلة زوجها؟ هل تذكرين؟"

- "ربما موسلي أو موسي، شيء من هذا القبيل. يا له من رجل مثير! لقد جنى ثروة كبيرة، وأعتقد أنه متزوّج من فتاة أصغر سناً من كارول الآن. من المؤسف أن الأمر قد أثّر فيها إلى هذا الحد".

- "لم يكن اسم عائلة زوجها باركر أليس كذلك؟" أصبح لدى شارلي مهمّة الآن، فقد أراد معرفة الحقيقة، من أي مصدرٍ كانت. حتى من أشخاص بغيضين، يحاولون التقرّب من وجهاء المجتمع.

- "بالطبع، لا! هذا اسم عائلة والدتها. أقرباؤها هم أصحاب مصرف باركر في بوسطن... إنهم ليسوا أغنياء بقدر عائلة فانهورن بالطبع، لكنهم يملكون ثروة لابأس بها. من الجيد لكارول أنها وريثة لثروتين، وليس لواحدة فقط. هناك أشخاص محظوظون منذ الولادة". قالت المرأة ذلك بينما هزّ شارلي رأسه وهو يرى كارول آتية. كان من السهل رؤيتها بين الجموع بسبب الحذاء ذي الكعبين المرتفعين الذي كانت تنتعله. أشار لها شارلي أنه سيوافيها إلى المكان الذي تقف فيه، ثم شكر المرأة التي أعطته المعلومات، وابتعد عنها. لقد اكتشف الكثير من الأكاذيب في اليومين الأخيرين، ولم يعد يعرف ما الذي سيصدّقه بشأن كارول.

- "أنا آسفة لأنني تركتك مع تلك المرأة المزعجة. اعتقدت أنني لو بقيت قريبة منها لظلّت برفقتنا إلى الأبد. هل سبّبت لك ألماً في أذنك؟"

أجابها بإيجاز :"نعم؟"

- "إنها تفعل ذلك دائماً. فهي من أكبر الثرثارات في نيويورك. كل ما تتكلّم عنه هو من تزوّج من، ومن هو جدّ ذلك الشاب، وكم هي الثروة التي ورثها أحدهم... الله وحده يعلم من أين تأتي بكل تلك المعلومات. أنا ببساطة، لا أطيقها". هزّ شارلي رأسه بينما لحقا بالجموع، وعادا لمتابعة العرض. فتحت الستائر على الفور، وجلس شارلي متّكئاً بعيداً عنها وهو يبدو جامداً كالصخر. حسب ما اكتشف في اليومين الأخيرين، فإن أسوأ ما في كارول لم تكن خلفيتها الاجتماعية المتواضعة، والعالم المختلف الذي تنتمي إليه، ولا حتى صفة المخادعة التي اعتقد بوجودها لديها يوم الأربعاء. بل سيئتها الأساسيّة كما اتّضح له الآن هي أبسط بكثير: إنها كاذبة!

حين انتهى العرض وأنزلت الستائر، ابتسمت له كارول، وشكرته قائلة: "لقد كان العرضُ رائعاً، شكراً لك شارلي. لقد أحببته".

قال لها بتهذيب: "أنا سعيد لذلك". سبق ن وعدها بأن يصطحبها إلى العشاء، لكنه لم يعد يريد ذلك. ما أراد قوله لها لم يكن ليقال في مكان عام، لذا اقترح عليها أن يذهبا إلى شقّته، فابتسمت له وأخبرته أنها ستحضّر له البيض المخفوق. هزّ شارلي رأسه، وبالكاد تمكّن من القيام ببعض المحادثات العاديّة معها وهما في طريق العودة إلى شقّته. لم تكن لديها فكرة عمّا به تلك الليلة، لكن بدا واضحاً لها أنه منزعج من أمر ما، ولم يكن عليها أن تنتظر طويلاً لتكتشف الأمر.

فتح الباب الأمامي لها، وأضاء الأنوار، ثم دخل إلى غرفة الجلوس وهي تلحق به، لكنه لم يكلّف نفسه عناء الجلوس، بل نظر نحوها بشكلٍ هجومي، وقال: "ما الذي ظننت أنك تقومين به بالادّعاءات السخيفة التي

قلتها حول عدم حبك لنادي المأكولات، وللمناسبات الاجتماعيّة، وللأشخاص الذين يملكون المال؟ لماذا، بحق الله، كذبت عليّ؟ أنت لست مجرّد فتاة بسيطة تعملين على إنقاذ المساكين في هارلم. أنت آتية من العالم الذي أنتمي إليه، وذهبت إلى الجامعة التي ذهبتُ إليها. أنت تقومين الأشياء التي أقوم بها نفسها، وأنت ثريّة تماماً مثلي... آنسة فانهورن، لذا لا توهميني أنك منزعجة وأنك تعانين في عالمي الخاص".

– "من أين أتيت بكلّ هذا؟ ليس من شأنك أبداً إن كنت ثريّة. لا أريد أن يقدّرني الناس ويحترموني ويتملّقوا لي بسبب نسبي. أريدهم أن يحترموني ويحبّوني من أجلي أنا، وما من قوّة على الأرض تحقّق لي ذلك إن بقي اسم عائلتي فانهورن، لذا أنا أستخدم اسم عائلة أمي... وإن يكن؟ حاكمني على ذلك! أنا لا أدين لك أو لأي كان بأي شرح". بدت كارول غاضبة تماماً مثله.

– "لم أكن أريدك أن تكذبي عليّ، كان عليك أن تخبريني الحقيقة. كيف لي أن أثق بك إن كذبت عليّ بشأن نسبك؟ لِمَ لم تخبريني الحقيقة كارول؟"

– "للسبب نفسه الذي جعلك تخفي عنّي مسألة اليخت، فأنت اعتقدت أن ذلك سيخيفني أو سيصدمني أو يبعدني عنك؛ أو ربما كنت خائفاً من أن أسعى وراء مالك. حسناً، أنا أملك مالي الخاص، لكن كل ما قلته عن انزعاجي في عالمك هو صحيح. لقد كرهت هذا العالم طيلة حياتي، فقد نشأت فيه ومللت منه. مللت البذخ والاحتفالات والادعاءات السخيفة، وأنا لا أريد أن أكون جزءً منه بعد الآن، فأنا أحبّ ما أقوم به. أحبّ هؤلاء الأولاد، وهذا كلّ ما أريده الآن. لا أريد حياةً جامحة، ولا أحتاجها، فقد كنت أكرهها حتى حين كنت أعيشها. لقد تخلّيت عنها منذ أربع سنوات، وأصبحت أكثر سعادةً الآن. وأنا لن أعود مطلقاً إلى حياتي السابقة، لا من أجلك ولا من أجل أي شخصٍ آخر". لشدة غضبها، بدت كارول وكأن البخار يتصاعد من أذنيها.

– "لكنك ولدت هناك. أنت تنتمين إلى ذلك المجتمع، حتى لو لم تحبّي ذلك. كدت أزحف وأنا أعتذر لك... كان بإمكانك على الأقل أن توفّري عليّ ذلك. كان بإمكانك على الأقل أن تخبريني من تكونين بدلاً من أن تجعلي مني مغفّلاً. متى كنت ستخبرينني بالأمر؟ أم أنك ما كنت تريدين فعل ذلك؟ هل كنت تنوين أن تدّعي بأنك الآنسة الصغيرة البسيطة إلى الأبد، كي تجعليني أزحف على يديّ وركبتيّ وأنا أعتذر لك بسبب ما أملكه ومن أكون وكيف أعيش؟ الآن حين أفكّر بالأمر، لم أعد أصدّق أنك تعيشين في شقّة صغيرة. هل هذا صحيح؟ أنت تملكين ذلك المنزل، أليس كذلك؟" التمعت عيناه وهو ينظر نحوها، فلقد كذبت عليه في كلّ شيء. أحنت كارول رأسها للحظات، ثمّ نظرت نحوه.

– "نعم أنا أملكه. أردت الانتقال إلى هارلم حين فتحت المركز، لكنّ والدي لم يسمح لي بذلك، وأصرّ على أن أحصل على ذلك المنزل. لكنني لم أعرف كيف أشرح لك الأمر".

– "على الأقل هناك فردٌ من عائلتك يمتلك بعض المنطق، حتى إن كنت لا تفعلين. لكنت تسبّبت لنفسك بالقتل لو فعلت، ومازلت معرّضة لذلك. أنت لست الأم تيريزا، بحق الله! أنت فتاة صغيرة وثريّة، تماماً كما كنت أنا في الماضي، صبيّاً صغيراً وثريّاً. والآن أنا رجل ثري. أتعلمين ماذا؟ إن لم يحبّ الناس هذا، فتباً لهم، فهذا ما أنا عليه. ربما في يومٍ من الأيام ستتوقّفين عن الاعتذار أيضاً، لكن حتى يحدث هذا وتكتشفين بأنه لا بأس إن كنت ثرية، لا يمكنك الاستمرار بالكذب على الناس، والتظاهر بأنك شخص آخر. إنه أمر غبي وبائس تقومين به، وقد جعلتني أبدو كالمغفّل. لقد اتّصلت بمكتب خرّيجي برنستون هذا الأسبوع، وأخبرتهم أنهم ارتكبوا خطأً، وأنهم أغفلوا إضافة اسمك إلى لائحة الخريجين، فأخبروني أنك لم تقصدي يوماً تلك الجامعة، وذلك لأنني اعتقدت أن اسمك هو كارول آن باركر، عندها ظننت أنك محتالة. لكن اتّضح لي أنك لست

كذلك، بل أنت كاذبة. في العلاقات يدين الناس لبعضهم ببعض الصدق، مهما كان الموضوع. نعم، أنا أملك بختاً. نعم، لديّ الكثير من المال... وكذلك أنت. نعم، أنت من عائلة فانهورن. فما المشكلة؟ لكن حين تكذبين عليّ بهذا الشكل، فأنا لن أثق بك ولن أصدّقك بعد الآن. وسأقول لك أمراً: لم تعد لديّ رغبة بالبقاء معك. وإلى أن تعرفي تماماً من تكونين، ومن تريدين أن تكوني، ليس هناك ما تبقّى لنقوله لبعضنا". كان شارلي مستاءً جداً، ويرتجف من رأسه حتى قدميه، أما كارول فشعرت مثله تماماً. كرهت أن تؤول الأمور إلى هذه الحال، لكنها بطريقة ما شعرت بالارتياح، لأنها كرهت الكذب عليه، فعدم إخبار الأشخاص الذين تراهم في المركز بالحقيقة أمر، وعدم إخبار شارلي أمرٌ آخر.

- "شارلي، أردت فقط أن تحبّني كما أنا وليس بسبب اسم والدي".

- "ما الذي كنت تعتقدينه؟هل ظننتِ أنني سأسعى وراء مالك؟ هذا سخيف، وأنت تعلمين ذلك. لقد انقلبت هذه العلاقة إلى مهزلة، فكذبك عليّ قلّة احترامٍ لي".

- "لقد كذبت فقط بالنسبة لاسمي ومنشئي، وهذا غير مهم، فأنا مازلت نفسي، وأنا أعتذر منك. أنت محق، ما كان يجدر بي فعل ذلك، لكنني فعلت.. ربما كنت خائفة كثيراً، وحين تعرّفتَ عليّ على أنني كارول باركر أصبح من الصعب أكثر عليّ أن أخبرك من أكون فعلاً. أنا لم أقتل أحداً بحق الله! ولم أسرق مال أحد!"

- "لقد سرقت ثقتي، وهذا أسوأ".

- "شارلي، أنا آسفة. أعتقد أنني بدأت أقع في حبّك". حالما قالت ذلك بدأت الدموع تنهمر فوق خدّيها، فقد أحسّت أنها دمّرت كل شيء، وجعلها ذلك تشعر بالحزن.

رمى شارلي كلامه كالعاصفة أمامها، وقال: "أنا لا أصدّقك. لو أنك وقعت في حبّي، لما كذبت عليّ".

- "لقد ارتكبت خطأً، والجميع يفعلون ذلك من وقتٍ لآخر. كنت خائفة، وأردتك أن تحبّني لشخصي فقط".

- "كنت قد بدأت أفعل ذلك، لكن الله وحده يعلم من تكونين فعلاً. كنت أقع في حب كارول باركر، وهي فتاة بسيطة لا تملك المال، والآن اتّضح أنك شخصٌ آخر. أنت وريثة ثروة ضخمة، بحق الله!"

- "وهل هذا سيء جداً؟ ألا يمكنك مسامحتي على ذلك؟"

- "ربّما لا. الأمر السيئ هو أنك كذبت عليّ، كارول... هذا هو الجزء السيّء". بينما قال شارلي ذلك، التفت بعيداً عنها، وحدّق خارجاً من النافذة نحو الحديقة. وقف هناك وهو يدير لها ظهره لفترة طويلة. لقد تكلّما ما يكفي لليلة.. وربما للأبد.

- "هل تريد مني أن أغادر؟" سألته كارول بصوت ملؤه الصدمة.

في البدء لم يجبها، ثم عاد وهزّ رأسه. وأخيراً تكلّم قائلاً: "نعم، أريد ذلك. لقد انتهى كلّ شيء، ولم يعد بإمكاني أن أثق بك. لقد كذبت عليّ لشهرين تقريباً. تباً! إنها فترة طويلة".

- "أنا آسفة". قالت ذلك، لكنه بقي يدير ظهره لها. لم يكن يريد أن يرى وجهها من جديد، إذ كان شارلي يتألّم كثيراً. فالخطأ الذي كان يترصّده فيها قد ظهر.

خرجت كارول بصمت من الشقة، وأغلقت الباب خلفها. كانت لاتزال ترتجف حين دخلت المصعد ونزلت لتخرج من المبنى. قالت لنفسها إن الأمر برمّته كان سخيفاً. لقد غضب منها لأنها ثرية وهو بدوره ثري، لكن لم تكن هذه هي المسألة، وأدركت كارول ذلك. لقد غضب منها لأنها كذبت عليه!

استقلّت سيارة أجرة، وعادت إلى منزلها آملة أن يعود فيتّصل بها تلك الليلة، لكنه لم يفعل. لم يتّصل تلك الليلة ولا في اليوم التالي. كانت

تتفقّد بريدها الصوتي باستمرار. مرّ أسبوع، ولم يتّصل بها. أخيراً أدركت أنــه لن يفعل ذلك مطلقاً. ما قاله لها تلك الليلة كان صحيحاً. قال إن الأمر قــد انتهــى، فهو لم يعد بإمكانه الوثوق بها. مهما كانت نواياها طيّبة، لقد كسرت الثقة الموجودة بينهما، وهو أمرٌ أساسي في العلاقة، لذا لم يعد يريد رؤيتها، أو التكلّم معها. أدركت كارول أنها أغرمت به، لكنها أدركت أيضاً أن ذلك لن يغيّر في الأمر شيئاً. لقد رحل شارلي بهدوء، وانتهى كل شيء.

16

قــبل أسبوعين من عيد الشكر كان آدم وماغي يمضيان سهرة هادئة في منزله، حين بدأت ماغي فجأة تتكلّم عن عيد الشكر. لم تفكرّ بالأمر من قــبل، لكــن الآن وقــد بدأا يمضيان معظم وقتهما معاً، أرادت قضاء عيد الشكر معه، وتساءلت إن كان سيمضيه مع ولديه. لم تلتقِ ماغي بهما بعد، وقد اتفقا هي وآدم أن الوقت لايزال مبكراً لذلك. كانا يمضيان معظم الليالي معــاً، وكــان آدم يحبّ التواجد معها، لكن كما قال لها فهما لا يزالان في مرحلة التجربة، وهما ينسجان هذه العلاقة على مهل.

نظر آدم نحوها بانشداه، وقال: "عيد الشكر؟ لماذا؟"

– " هل ستكون مع أولادك في ذلك النهار؟"

– "لا، راشــيل ستأخذهما إلى منزل والدَي زوجها في أوهايو. نحن نتناوب في أيام العطلة، وهذا العام دورها هي".

ابتسمت له، وتمنّت أن يكون هذا خبراً جيّداً بالنسبة لها. منذ سنوات لــم تحظَ ماغي بعيد شكرٍ حقيقي مع الأشخاص الذين تهتمّ لأمرهم، وذلك منذ كانت طفلة صغيرة. ذات مرّة قامت بطهو ديك حبش مع والدتها، لكن هذه الأخيرة ثملت قبل موعد العشاء ونامت، ما جعل ماغي تجلس بمفردها إلــى طاولــة المطــبخ كــي تأكل. لكن على الأقل، كانت والدتها لا تزال موجودة، حتى لو كانت فاقدة للوعي في الغرفة المجاورة.

سألته وهي تعانقه وتنظر نحوه: "هل تعتقد أن بإمكاننا قضاءه معاً؟"

أجابها وهو يبدو متجهّماً: "لا! لا أعتقد".

- "لِمَ لا؟" أخذت ماغي الأمر كصدّ مباشر لها. لقد كانت الأمور تسير بشكلٍ جيّدٍ فعلاً بينهما، وحدّة إجابته فاجأتها وجرحت مشاعرها.

- "لأنه سيكون عليّ الذهاب إلى منزل والديّ، ولن أتمكّن من اصطحابك إلى هناك". مع اسم عائلة كأومالي قد تصاب والدته بسكتة قلبيّة، بالإضافة إلى أنه ليس من شأنهم أن يعرفوا من يواعد.

- "لِمَ ستذهب إلى هناك؟ لقد أمضيت وقتاً مزعجاً في المرة السابقة". لم يبدُ هناك أي معنى لكلامه بنظرها.

- "نعم، هذا صحيح. لكن لا علاقة لهذا بالموضوع، فالمسألة ليست مسألة قضاء وقتٍ ممتعٍ، إنها مسألة تقاليد والتزامات. أنا أقدّر أهميّة العائلة مع أن عائلتي تصيبني بالجنون. عائلتي مقرفة، لكنّني لا أزال أشعر أن عليّ الذهاب وإظهار الاحترام. الله وحده يعلم لماذا، لكنّني أشعر بأنني أدين لهم بذلك. والداي مسنّان، ولن يتغيّرا، وقد أصبحت معتاداً على ذلك، لذا أنا أذهب رغم انزعاجي. وأنتِ، أليس لديك مكان تذهبين إليه؟" بدا تعيساً وهو يسألها ذلك، كما انزعج لتذكره أن عليه قضاء عطلة أخرى بائسة مع ذويه من جديد. لهذا السبب كان آدم يكره أيام العطل، فوالدته تتكفّل بتدمير كل عطلة من عطله، باستثناء تلك التي يقضيها مع ولديه، حيث يشعر ببعض المرح الذي لا يجده في لونغ أيلاند. تابع يسألها: "أين ستمضين عيد الشكر؟"

- "في شقتي.. بمفردي، فالأخريات جميعهنّ سيذهبن إلى منازلهنّ". وهي بالطبع ليس لديها مكان تذهب إليه.

- "توقّفي عن جعلي أشعر بالذنب". بدا صوته أقرب للصراخ، وتابع يقول: "لديّ ما يكفي من مشاكل مع والدتي مع الظروف الحاليّة. ماغي أنا حقاً آسف لأن ليس لديك مكان تذهبين إليه، لكن ليس بإمكاني فعل شيءٍ من أجلك. عليّ الذهاب إلى المنزل".

قالت بنبرة ملؤها السخط: "أنا لا أفهم ذلك، فهم يعاملونك بشكلٍ سيّء. هذا ما أخبرتني به بنفسك، إذاً لماذا تريد الذهاب إلى المنزل؟"

- "أشعر أن عليّ فعل ذلك، فليس لديّ خيارٌ آخر". قال ذلك وهو يبدو مرهقاً. لم يكن يدافع عن قراره من أجلها، إلاّ أن وضعه كان صعباً من الأساس.

أصرّت ماغي على موقفها قائلة: "بل لديك".

- "لا ليس لديّ... ولا أريد أن أناقش ذلك معك من جديد. سأكون في منزل والديّ تلك الليلة، ويمكننا القيام بنشاطٍ ما معاً خلال عطلة نهاية الأسبوع".

- "ليس هذا هو الموضوع، لكنني أريد قضاء أيام العطلة معك، فنحن نخرج معاً منذ شهرين". بدت مصرّة على موقفها، ولم يعجبه ذلك. كانت تطأ أرضاً خطيرة بالنسبة له.

حذّرها قائلاً: "ماغي! لا تضغطي عليّ، فهذه ليست علاقة ثابتة. نحن نتواعد فقط، وهذا مختلف".

أجابته بسخرية: "حسناً، اعذرني. لكن من الذي مات ونصّبك ملكاً مكانه؟"

- "كنت تعرفين القواعد منذ البداية. أنت تهتمّين بحياتك وأنا أهتمّ بحياتي الخاصة، ونحن نلتقي فقط حين يكون الوضع ملائماً لنا معاً. حسناً! عيد الشكر غير مناسب بالنسبة لي. كنت أتمنّى لو أن الأمر مختلف. صدّقيني... أتمنّى ذلك. كنت لأشعر بالسعادة لو أمضيت العيد معك، لكنني لا أستطيع. سأعود إلى المنزل وأنا أعاني من الصداع ومن ألم في معدتي، لكن.. تباً! إنهم يتوقّعون حضوري".

قالت متجهّمة: "هذا مقرف".

وافقها فوراً وهو يقول: "نعم إنه كذلك".

– "وماذا بشأن كلّ هذه التفاهات التي ذكرتها من أن ما بيننا لا يعتبر علاقة؟ وأنه مجرّد لقاءات في أوقات الفراغ؟"

– "هـذا ما نفعله، من دون ذكر قضاء نهاية الأسبوع معاً، وهو أمرٌ مهمّ جداً".

– "إذاً هـذا يجعلهـا علاقـة غراميّة. أليس كذلك؟" استمرّت ماغي بالضغط عليه، وقد نسيت الإشارات الخطيرة التي قد تؤثّر عليها أكثر مما تؤثّـر علـيه، لكنها شعرت بالاستياء بسبب ما قاله عن عيد الشكر، وعدم تمكّـنها مـن البقاء معه. جعلها ذلك أقوى وأكثر قدرة على تحدّيه وتحدّي قواعده.

– "العلاقة هي ما يحدث بين اثنين ينويان الزواج، وأنا لا أنوي ذلك. إننا نتواعد، وهذا يلائمني". لم تضف ماغي كلمة على ما قاله، وفي صباح اليوم التالي عادت إلى شقّتها، فيما شعر آدم طيلة بعد الظهر بالذنب تجاهها بـسبب مـا قاله. هو يدرك أنّ ما بينهما هو فعلاً علاقة غراميّة، فهذا ما أصـبح الأمـر عليه. إنه لا يواعد فتاة غيرها، وعلى حدّ علمه أنها مثله تماماً. هو فقط لم يكن يريد الاعتراف بالموضوع، لكنه أيضاً لم يكن يريد جـرح مـشاعرها، فقد كره فكرة عدم بقائه معها يوم عيد الشكر، وشعر بالغضب بسبب ذلك.

فـي الـيوم التالي، كانت ماغي في عملها حين اتّصل بها، فترك لها رسـالة صـوتيّة، لكنها لم تردّ عليه حين عادت من عملها، كما لم تحضر إلى شقّته. عاد آدم واتّصل بها تلك الليلة، إلاّ أنها كانت خارج المنزل. بدأ يتّصل بها كلّ ساعة، حتّى منتصف الليل، إذ ظنّ أنها تتلاعب به، إلى أن أجابـت أخيـراً واحدة من زميلاتها، وأخبرته أن ماغي هي خارج المنزل فعـلاً. وفي المرّة الأخيرة التي اتّصل فيها قالت له زميلتها إنها خلدت إلى الـنوم. بعد ظهر اليوم التالي كان آدم قد بدأ يتوتّر، وأخيراً قرّر أن يتّصل بها إلى مكان عملها، وهذا ما فعله.

سألها وهو يحاول أن يبدو أكثر هدوءاً مما هو عليه في الواقع: "أين كنت ليلة أمس؟"

– "اعـتقدت أنـنا نتواعد فقط. ألا يعني ذلك أنه لا يجدر بنا طرح الأسـئلة؟ أظـنّ أن هـذه هي القواعد. أليس كذلك؟ فما بيننا ليس علاقة غرامية!"

– "اسمعي... أنا آسف. كان ذلك كلاماً غبياً. كنت مستاءً فقط بشأن عيد الشكر. أشعر كأنني نذل لأنني سأتركك بمفردك".

صحّحت له قائلة: "أنت فعلاً نذل لأنك ستتركني بمفردي".

– "ماغـي.. أعطينـي هدنة في هذا أرجوكِ. عليّ الذهاب إلى لونغ أيلاند. أقسم بالله إن لا خيار آخر أمامي".

– "بل لديك. أنا لا أمانع لو أنك ستمضي الليلة مع والديك، فأنا أتفهّم ذلـك. لكـن توقّـف عـن الـذهاب إلى منزل والديك في المناسبات لكي يعاقبوك".

– "إنهما والدِاي، وعليّ مسايرتهما. اسمعي، تعالي إلى منزلي الليلة. سأحضّر لك العشاء ونمضي وقتاً رائعاً".

بـدت هادئة وهي تقول: "لديّ ما أقوم به قبل ذلك. سأكون هناك عند الساعة التاسعة".

– "ما الذي ستفعلينه؟"

– "لا تطرح الأسئلة. سأكون هناك حالما أستطيع".

– "ماذا يعني هذا؟"

– "عليّ الذهاب إلى المكتبة". قالت ذلك بينما تزايد غضبه.

– "هـذا أسـوأ عذرٍ سمعته. حسناً سأراك الليلة. تعالي متى أردت ذلك". أقفل الخط وهو يودّ لو أنه طلب منها ألاّ تكلّف نفسها عناء المجيء، لكـنه أراد رؤيتها، وأراد أن يعرف ما الذي يجري. في العادة، تمرّ ليلتان

في الأسبوع يتّصل بها خلالهما، فلا يجدها في المنزل. أراد أن يعرف إن كانت تخرج مع شخصٍ غيره. ماغي هي المرأة الأولى التي يبقى آدم مخلصاً لها منذ سنوات، ومن حقّه أن يتساءل إن كانت تخدعه.

كان يجلس على الأريكة، يتناول كوباً من الشراب وينتظرها حين وصلت تلك الليلة. كانت الساعة قد قاربت العاشرة وقد ملأ آدم كوبه الثاني. كان ينظر إلى ساعته كلّ خمس دقائق. وحين دخلت ماغي نظرت نحوه باعتذار.

– "أنا آسفة. لقد استغرق الأمر أكثر ممّا توقّعت، لكنني أتيت حالما تمكّنت من ذلك".

– " ماذا كنت تفعلين؟ أخبريني الحقيقة".

قالت له وهي تبدو متوتّرة: "ظننت أننا اتّفقنا على عدم طرح الأسئلة".

– "لا تقولي لي هذه التفاهات. أنت تواعدين شخصاً آخر، أليس كذلك؟ هذا ممتاز! ممتاز جداً! خلال السنوات الإحدى عشرة الماضية كانت لديّ صفوفٌ طويلة من النساء، لكن حين دخلتِ أنت إلى حياتي، أصبحت مخلصاً لك وحدك، ولأوّل مرة منذ سنوات. وأنت ما الذي تفعلينه؟ تخرجين مع رجل سواي".

جلست ماغي قبالته تنظر مباشرة في عينيه، ثم قالت بهدوء: "آدم، أنا لا أواعد غيرك. صدّقني".

– "إذاً أين تكونين كلّما اتّصلت بك في الليل؟ أنت تبقين خارج المنزل حتى منتصف الليل تقريباً. تباً! أنت لا تبقين أبداً في المنزل حين لا تكونين معي. أين كنت هذه الليلة؟" أخذت عيناه تلتهبان وقلبه يخفق بسرعة، كما بدأ الصداع يهاجمه، لأن المرأة التي يشعر أنه مجنون في حبّها تعاشر رجلاً آخر. لم يعد آدم يعرف إن كان سيبكي أو سيصرخ. ربما كانت هذه عبرة له، ليعرف ما الذي سبّبه هو للنساء الأخريات في السابق، لكن بالطبع لم يبدُ الأمر ممتعاً وهو يحدث معه. إنه مجنونٌ بها...

أجابته بهدوء: "أخبرتك أنني كنت في المكتبة."

– "ماغي أرجوك، لا تكذبي عليّ. ألا تتحلّين بالشجاعة لإخباري بالحقيقة؟" حين رأت ماغي الألم الظاهر في عينيه، أدركت أنها لا تملك خياراً آخر، وأن عليها إخباره بالحقيقة. لم تكن تريد القيام بذلك، لكن بما أنه يظنّ أنها تعاشر رجلاً آخر، فالأمر يستحقّ أن تخبره بما تقوم به حين تكون بعيدة عنه.

– "أنا أحضر صفوفاً تؤهّلني لمتابعة دراسة القانون". قالت ذلك بهدوء، لكن بحزمٍ شديدٍ أيضاً، بينما جلس آدم في مقعده يحدّق فيها.

كان واثقاً أنه أخطأ في سماعها: "أنت... ماذا؟"

– "أريد الالتحاق بكلّيّة الحقوق. سيتطلّب الأمر مئة عامٍ كي آخذ شهادتي، إذ يحقّ لي أن أحضر مادتين فقط في كلّ فصل. في مطلق الأحوال، ليس بإمكاني تحمّل نفقات صفوفٍ أخرى، فقد حصلت على منحة جزئيّة فقط". أخرجت نفساً عميقاً حين قالت ذلك، وشعرت بالارتياح لإخباره بالحقيقة، ثمّ تابعت تقول: "كنتِ في المكتبة الليلة، لأن لديّ فرضاً عليّ إنجازه". حدّق آدم بها غير مصدّق ما تقوله. ثم ظهرت على وجهه ابتسامة.

– "هل تمزحين معي؟"

– "لا، أنا لا أمزح معك، فأنا أقوم بذلك منذ عامين".

– "لماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟"

– "لأنني اعتقدت أنك ستسخر مني".

– "ولماذا تفعلين هذا بحق الله؟"

– "لأنني لا أريد أن أبقى نادلة طيلة حياتي، وأنا لا أبحث عن رجلٍ لإنقاذي. لا أريد أن أعتمد على أشخاصٍ آخرين، فأنا أريد الاعتناء بنفسي". ما قالته كاد يجعل عينيه تدمعان. كلّ النساء اللواتي عاشرهن من قبل كنّ بحاجة إلى رجلٍ أخرق مثله ليعتمدن عليه، أما ماغي فكانت تعمل،

وتذهب في الوقت نفسه إلى المدرسة ليلتين في الأسبوع، طامحة بدخول كليّة الحقوق. إنها لم تطلب منه يوماً فلساً واحداً، وإضافة إلى ذلك، كانت تظهر في منزله أحياناً كثيرة وهي تحمل كيساً من البقالة، وهو أمرٌ لم يطلبه منها يوماً. إنها فعلاً امرأة مدهشة.

– "تعالي إليّ. قال ذلك وهو يومىء لها، فاقتربت إلى حيث يجلس. وضع آدم يده حول خصرها، وقال: "أريدك أن تعرفي أنني أراك مذهلة، فأنا لم أعرف امرأة رائعة مثلك من قبل. أنا أعتذر لنذالتي، وأعتذر لأنني سأتركك يوم عيد الشكر. أعدك أن نحتفل يوم الخميس، ولن أسألك بعد اليوم عمّا تفعلينه. وهناك أمرٌ آخر..." نظر نحوها وقد ظهرت في عينيه عاطفة لم ترها من قبل، وتابع: "أنا أحبّك".

لم يقل لها آدم هذا الكلام من قبل، وهمست ماغي بنعومة: "أنا أيضاً أحبّك. ما الذي سيحدث بالقواعد التي وضعتها الآن؟"

بدا مشوّشاً وهو يقول: "أي قواعد؟"

– "أنت تعرف أي قواعد. هل يعني هذا أننا مازلنا نتواعد أم أن ما بيننا علاقة جدّية؟"

– "هذا يعني أنني أحبّك ماغي أومالي. فلتذهب القواعد إلى الجحيم. سنكتشف ما بيننا مع الوقت".

بدت مفتونة وهي تسأله: "أحقاً سنفعل؟"

– " نعم سنفعل. وفي المرة القادمة حين أتكلّم عن القواعد عليك أن تقولي لي: فلتذهب قواعدك كلّها إلى الجحيم. بالمناسبة، عن أي موضوع كان فرضك اليوم؟"

– "عن الضرر الذي يلحقه شخص بآخر"

– "آه، تباً! دعيني أرى ما كتبته غداً، فأنا ثمل الليلة ولن أتمكّن من فهمه". كان كلاهما يعرف أنه ليس ثملاً، لكنه كان مهتماً أكثر بنقلها

إلى السرير، فهو بالتأكيد ليس ثملاً لدرجة ألاّ يفعل هذا.

– "هل ستساعدني فيه حقاً؟"

– " بالتأكيد. سنعمل على جعلك تنهين المدرسة التحضيرية والدراسة الجامعيّة في وقت قياسي".

قالت بجدّية: "لا يمكنني فعل هذا، إذ عليّ أن أعمل". لم يكن هذا توسّل منها كي يساعدها، بل مجرّد سرد للوقائع.

– "حسناً! سنناقش هذا في وقتٍ لاحقٍ". حملها آدم بين ذراعيه إلى غرفة النوم، فسألته حين ألقاها فوق السرير: "هل عنيت حقاً ما قلته، أم أنك ثملٌ فعلاً؟"

– "لا، ماغي. أنا لست ثملاً. أنا أحبّك، لكنني بطيء أحياناً باكتشاف الأمور". رغم أن فترة أسبوعين ليست قليلة، لاسيّما بالنسبة له. ابتسمت ماغي، وأطفأ آدم الأنوار.

إذ إن كلاً منهما يرى في الآخر عائلته. أخبرها غراي أن لديه أخاً بالتبني، أصغر سناً منه في مكانٍ ما في العالم، لكنه لم يرَه منذ سنوات، ولم يعد يعرف أين يجده بعد الآن، أما شارلي فكان أخاه بمقتضى الصداقة والمحبة بينهما. وممّا أصبحت تعرفه عن ماضيه، من السهل أن تتوقّع ما الذي يحدث معه كل مرة. إنه يشعر بالرهبة من أن تقوم أي امرأة بهجره، لذا يقوم بتركها أوّلاً.

- "إن هذا الرجل لا يتغيّر أبداً. إنه لا يتنازل بما يتوقّعه من المرأة".

كلاهما يعلم أن العلاقة بين شخصين تقضي بأن يلين الشخص في بعض الأحيان. تابع غراي قائلاً: "قال إنها كذبت عليه. تباً! من الذي لا يفعل ذلك من وقتٍ لآخر. هذا أمر يحدث... يقوم الناس بتصرّفات غبيّة أحياناً". هزّت سيلفيا رأسها، وهي تشعر بالفضول لمعرفة ما حدث.

- "بماذا كذبت عليه؟"

- "لم يخبرني. لكن حسب معرفتي به، وبالحكم على ماضيه، أعتقد أنها لم تكذب في أمر ذي بال، لكنه استخدم هذا كعذر كي يقول إن بإمكانها أن تكذب في أمور أكبر وأكثر أهمية، فهذا ما يحصل دائماً. إنه كالمسرحية الشعبية اليابانية كابوكي، فهو يحدث الكثير من الفوضى، ويغيّر في الوجوه، ويقوم بتصرّفات تصيب من يراها بالصدمة. صدّقيني أنا أعرفه جيّداً. إنه أمر مخجل! سينتهي به الأمر وحيداً في يوم من الأيام". في الواقع لقد أصبح وحيداً فعلاً...

قالت سيلفيا بعد تفكير: "ربما هذا ما يريده".

ابتسم غراي لها بحزن، وقال: "أكره أن أرى ذلك يحدث له". أراد أن يرى صديقه سعيداً مثله تماماً. كل شيء بينه وبين سيلفيا كان رائعاً. كل شيء أصبح كذلك منذ التقيا. إنهما يضحكان أحياناً لأنهما لم يتشاجرا، ولم يحدث بينهما الشجار الأوّل بعد، فشهر العسل بينهما لا يزال يُزهر.

ظهر شارلي عند الساعة السادسة تماماً من يوم عيد الشكر. أحضر معه زجاجتين من الشراب الفاخر، فجلسوا جميعهم يستمتعون بالرفقة الجميلة وبالسهرة المميّزة، مع الشراب الرائع والطعام اللذيذ.

علّقت سيلفيا قائلة: "يا إلهي، شارلي! يمكننا افتتاح متجر للمشروبات مع هذه الزجاجات. إنها مذهلة!"

ابتسم شارلي لها وقال: "فكّرت أننا إن كنا سنعاني بجميع الأحوال من آثار الشرب غداً، فليكن ذلك بسبب شراب فاخر".

كانت سيلفيا ترتدي سروالاً من المخمل الأسود مع كنزة بيضاء، وقد ربطت شعرها إلى الخلف، ووضعت قرطين صغيرين من الماس. راحت تبتسم بحنان كلّما التقت عيناها بعيني غراي. لم يسبق لشارلي أن رأى صديقه سعيداً بهذا الشكل، وقد أثّر به ذلك كثيراً. انتهى زمن المجنونات وأمراضهن النفسيّة، وانتهى زمن أصدقائهن القدامى الذين يهدّدون حياتهن باستمرار، زمن النساء اللواتي يتركنه من أجل رجل آخر بلمحة البرق، واللواتي يحرقن لوحاته قبل أن يرحلن. سيلفيا هي بالضبط ما يحتاج إليه غراي، فقد بدا واضحاً لكل من يراهما أنها تحبّه تماماً كما يحبّها. ارتاح شارلي لرؤيتها تعامله معاملة الملوك، وجعل ذلك قلبه يشعر بالدفء، لكنه في الوقت نفسه جعله يشعر بأنه متروك بمفرده. يشعر المرء دائماً بغياب الحب من حياته حين يرى شخصين مغرمين ببعضهما البعض. إنه الشعور بالحلاوة المرة بالنسبة له. حضّرت سيلفيا وجبة لذيذة بمساعدة غراي. بدت الطاولة جميلة بغطائها الأبيض، والأزهار التي نسّقتها سيلفيا بنفسها، كما بدت حياة غراي جيّدة، فهو يتمتّع بالدفء من الحب الذي يتشاركه معها.

لم يتكلّموا عن كارول حتى منتصف فترة العشاء، إذ لم يذكرها شارلي أبداً، لكن غراي لم يتمكّن من تحمّل التشويق أكثر، ففتح الموضوع بنفسه.

حاول أن يتكلّم بشكل عادي وهو يسأل شارلي: "إذاً، ما الذي حدث مع كارول؟ ما الذي كذبت عليك بشأنه؟" لكنه لم يبدُ أبداً عادياً وطبيعياً، بينما رمقته سيلفيا بنظراتها. كانت واثقة أن الموضوع مؤلم بالنسبة لشارلي، ولم تعتقد أنه كان على غراي السؤال عنه. لكن الأوان قد فات الآن، فقد قفز إلى الحديث برجليه، أما شارلي فلم يبدِ ردّة فعلٍ قوية.

- "آه! مجرّد أشياء تافهة، مثلها تماماً، فهي لم تخبرني حتى باسمها الحقيقي. يبدو أنها تحاول تغيير حياتها عن طريق التستّر تحت اسم مستعار، ولم تعتقد أن ما بيننا يستحقّ منها إخباري بالحقيقة".

- "آه! هذا سيّء جداً. هل هي تختبئ من حبيبٍ قديم؟ بعض النساء يفعلن ذلك". حاول غراي إيجاد الأعذار لها، فهو يعلم أن شارلي يجدها مذهلة، وكره أن يراه يتخلّص من امرأة جيّدة أخرى كعادته. من أجل مصلحة صديقه فقط، أراد أن يعطي إنعاشاً رومنسياً لفشله مع كارول. لكن من نبرة صوت شارلي الجليدية بدا كأن العلاقة قد ماتت، وأن الأوان قد فات على جهود غراي ونواياه الحسنة.

أجابه شارلي ببطء: "لا، إنها تختبئ من نفسها".

- "أنا فعلت ذلك وكذلك أنت. بعض الأشخاص يفعلون هذا طيلة حياتهم".

- "أعتقد أن هذا ما كانت تفكّر بفعله، واكتشفت ذلك عن طريق الصدفة. في البداية ظننت أنها تكذب بشأن شهاداتها، لكن اتّضح لي أن الأمر أكثر تعقيداً ممّا تصورت. كانت تخفي هويتها عن الجميع. ادّعت أنها فتاة بسيطة تكره الحياة الاجتماعية المنمّقة وأنها لا تحترم سوى الأشخاص الذين يعملون بجهد في الحياة مثلها تماماً - وهو أمرٌ أقدّره فيها بالطبع - لكن الأصل الوضيع في حالتها كان كذبة كبيرة. جعلتني أشعر بالذنب بسبب ما أنا عليه، وما أملكه، وبسبب طريقة عيشي، وانتمائي. كنت خائفاً حتى من إخبارها بأنني أملك يختاً".

- "وهل تبيّن لك أنها ليس كما ادّعت؟ وأنها أميرة متنكّرة؟" لم يبدُ الأمر جرماً يعاقب عليه بالموت في نظر غراي، لكنه كان كذلك بالنسبة لشارلي.

- "اتّضح لي أنها من عائلة فانهورن، بحق الله! إنها من عائلة ثريّة مثلي تماماً. لم أتعب نفسي بذكر الأمر لها، لكن كما أذكر فإن جدّها يملك يختاً أضخم من يختي".

- "من عائلة فانهورن؟!" بدا غراي متفاجئاً.

- "نعم". قال شارلي ذلك بمرارة، وكأنها قد خانته مع أحد أعز أصدقائه أمام أعين الناس في فندق بلازا، بينما صوّرتها وسائل الإعلام.

- "أوه! هذا محيّر جداً. أقصد من عائلة فانهورن... تباً، شارلي! يجب على هذا أن يسهّل الأمور عليك. لمَ أنت مخبول هكذا؟ الحياة ليست لعبة، وأنت تعلم أنّك لا تستطيع صناعة محفظة حريرية من أذني الخنزير. رغم أن الكثير من الناس يحاولون ذلك، لكنه أمر صعب وهو لا ينجح عادة. لديها نسبٌ خاص بها، وهو قد يكون أفضل من نسبك. هل هذا ما يزعجك؟" قال غراي ذلك بتبصّر، بينما أجفلت سيلفيا، لكن لم يشأ غراي أن يخفي ما يفكّر به.

- "لا. بالطبع، لا! أنا لا أشعر بالحسد من نسبها العريق".

بدا شارلي منزعجاً، وتابع يقول: "لكنني لا أحبّ فكرة أنها كذبت عليّ فقد سخرت مني. ظننت في البداية أنها تشعر بالخجل من نمط حياتي، بينما كنت أتوخّى الحذر وأقدّم الاعتذارات، واتّضح أخيراً أنها نشأت مثلي تماماً. ربما لم تحبّ ذلك العالم، لكنه عالم منشئها هي أيضاً. ذلك التواضع هو مجرّد ادعاء كاذب". بدا غاضباً وهو يقول ذلك، بينما أخذ غراي يضحك.

مازحه قائلاً: "لا تتردّد أبداً بإخبارنا بما تفكّر فيه فعلاً. حسناً، إنّها تدّعي أنها إنسانة بسيطة، وماذا في ذلك؟ لن يساعدها اسم عائلتها أبداً في

العمل الذي تقوم به. وأنت أيضاً لا يلائمك اسم عائلتك. ربما هي لا تريد أن تلعب دور السيّدة السخيّة الآتية من المجتمع الثري. تريد أن تكون واحدة من هؤلاء الفقراء الذين تساعدهم، وهكذا فهي لن تواجه المشاكل معهم. لا يمكنك لومها شارلي".

- "بلى يمكنني. يمكنها أن تكذب على أولئك الذين تعمل معهم إن كان هذا ما تريده، لكن ليس من الجيّد أن تكذب عليّ. أخبرتني أنها تعيش في شقّة من غرفة واحدة. تباً! إنها تعيش في منزلٍ قيمته عشرة ملايين دولار، وهو يقع في الجهة الشمالية للمدينة".

قال غراي بسخرية: "فعلاً، كم هذا بغيض. أنا مندهش! وكم تقدّر قيمة شقّتك الفخمة التي تخلب الألباب، والمطلة على السنترال بارك؟ خمسة ملايين؟ عشرة ملايين؟ ودعنا نرى كم دفعت ثمن القمر الأزرق؟ لا يمكنني أن أتذكّر... خمسين مليوناً أم ستّين...؟"

قطّب شارلي حاجبيه، وحملق في وجه غراي، وقال: "ليس هذا هو الموضوع. لقد كذبت عليّ بشأن اسمها، ومن تكون، وكيف نشأت، وهي قد تكذب بشأن أي شيء آخر. وعلى الأرجح أنها فعلت ذلك مرّات عديدة حتى الآن".

- "ربما لم تفعل". بدا الأمر لغراي أشبه بالزوبعة التي تحدث داخل إبريق الشاي. لقد سكب شارلي الشاي فوق رأسها تماماً، وابتعد عنها. لم يبدُ ذلك شجاراً عادلاً بالنسبة لغراي، وفي النهاية شارلي هو الخاسر الأكبر، رغم أن لا يرى ذلك. في الواقع، لقد تغيّرت نظرة غراي للحياة كلياً خلال الأسابيع الماضية. تابع قائلاً: "ربما كل ما أرادته هو أن تكون مثل بقية الناس. ألا تحبّ أنت ذلك في بعض الأحيان؟ أتحبّ أن تكون دائماً تشارلز سامنر هارينغتون؟ أراهنك أنك لا تريد ذلك. تباً، شارلي! أعطها فرصة، حسناً، لقد شعرت بأنّك غبيّ لأنك اكتشفت من تكون، لكن ما هو الأمر الخطر إلى هذا الحد؟ أحقاً لا

يمكنك مسامحتها على شيء مماثل؟ أتعتقد أنّك كامل الأوصاف إلى هذا الحد؟"

- "أنا لا أكذب على أولئك الذين أحبّهم. لا أكذب على أصدقائي، فلم أكذب يوماً عليك".

- "حسناً! لهذا السبب نحن نحبّ بعضنا. لكنني سأقول لك أمراً واحداً، لن أترك سيلفيا يوماً لأتزوّج منك".

ضحك شارلي وهو يقول: "تباً! كنت آمل أن تفعل هذا". ثم حدّق في سيلفيا وقال: "آسف سيلفيا، لقد رأيته قبلك".

أجابته سيلفيا بصدق: "أنا سعيدة بمشاركته معك". ثم قرّرت أن تتدخّل فتابعت: "أنا لا أقصد أن أتدخّل، وأنا أتفهّم وجهة نظرك، إذ يقلقني دائماً أن يقوم الناس بتصرّفات لا تعجبني. أعتقد أنه لا يزال هناك الكثير من الأمور المخبأة التي لا أعرفها، لكنني أعتقد في حالة كارول، أن تفكيرها هذا في محله. لا أحد يعرف تماماً ما الذي يفكّر به الناس، وما الذي يرونه في أشخاص مثلك ومثلها. أعتقد أن غراي محق، فهي أرادت أن تصلح صورتها. كان يجدُر بها إخبارك في مرحلة ما، ربما في وقت أبكر. من المؤسف أنك قمت باكتشاف ذلك بنفسك، لكنها تبدو امرأة رائعة، بسبب كل ما قلته عنها، ولأن هناك الكثير من الأشياء المشتركة بينكما. ربما عليك إعطاؤها فرصة ثانية. كلنا بحاجة إلى فرصة في بعض الأحيان. بإمكانك دائماً أن تتركها إن وجدت أمراً سيئاً آخر، فأنت لا ترتبط بها لمدى الحياة. هناك تسويات وحلول وسط في العلاقات، كما نعرف جميعاً. للأسف، لا أحد منّا كامل الأوصاف، لذا عليك أن تسامحها في مرحلة ما. إنها عملية تسوية في النهاية، إذ بإمكانك تحمّل سيئات شخص من أجل حسناته الكثيرة، طالما أن الميزان يميل إلى الناحية الإيجابية، فالأمر يستحق العناء. بدا لي قبل حدوث هذه المشكلة أنها تملك الكثير من الأشياء التي تحبّها". سكتت سيلفيا بينما بقي شارلي يحدّق فيها. رأت بركتين عميقتين

مــن الحــزن في عينيه، بالإضافة إلى الكثير من الألم، وهو ألم لم يشارك أحداً فيه مطلقاً. ظهرت دموع في عينيه حين نظر بعيداً.

- "أنا فقط لا أريد أن أتأذى. الحياة كما هي الآن صعبة بما يكفي".

اقتــربت سيلفيا وأمسكت بيده، فقد كانا يجلسان بجانب بعضهما على الطاولـــة الأنيقة التي حضّرتها. قالت مع بحّة من حنجرتها: "من الصعب علــيك مواجهة الحياة بمفردك، أعلم ذلك". نظر مجدّداً نحوها وهزّ رأسه، لكــنه لــم يكــن واثقاً إن كان فعلاً يوافقها الرأي. من الصعب عليه فعلاً مــواجهة الحياة وحيداً، لكنها ستكون أصعب عند خسارة شخص يحبّه. لقد مــرّت سيلفيا بتلك التجربة أيضاً، فانتحار حبيبها جعلها تشعر كأنها هي قد ماتت.

قــال بحــزن: "لا أعلــم، ربما أنت محقّة. لكنني كنت غاضباً جداً. شــعرت بأنّنــي مخدوع وغبي حين اكتشفت الأمر. إنها تشعر بكره كبير لعالمهــا وللبيــئة التــي تنتمي إليها، تكره كل ما تمثّله هذه البيئة. هل هذا طبيعي وصحّي؟" علّق غراي قائلاً: "ربما لم تكن حياتها سهلة وهي طفلة. كلــنا نعتقد أن الآخرين عاشوا طفولة مذهلة، لكننا لا نعلم من كان متروكاً أو مــن الــذي تمّ استغلاله، ومن الذي كان أهله يستهترون به، ومن الذي تحــرّش بــه أحــدُ أقربائه. إننا ببساطة لا نستطيع أن نعرف، وكلنا لدينا ذكــرياتٌ مؤلمة علينا أن نتعايش معها. لا أحد يعيش حياته كلها من دون التعــرّض للأذى. ربما لم يكن والداها جيّدين أيضاً. لقد قرأت الكثير عن والــدها، إنه رجل غني جداً، لكنه لم يبدُ لطيفاً وودوداً بالنسبة لي. لا أعلم شــارلي... ربمــا أنت محق، وربما تكون كارول كاذبة متمرّسة، وستقوم بتحطــيم قلــبك. لكن ماذا لو لم تكن كذلك؟ ماذا إن كانت فعلاً مجرّد فتاة بريئة شعرت بالسأم ممّا هي عليه، ومن كونها ابنة أغنى رجلٍ في العالم؟ يــصعب تخيّل ذلك بالنسبة لرجل مثلي، لكن أنت من بين كل الناس، عليك أن تعــرف أن المــسؤوليات التي عليك تحملها بسبب انتمائك الاجتماعي

ليست دائماً سهلة وممتعة. سأخبرك الحقيقة، أنا أحبّ الأشياء التي تمتلكها، أحــبّ أن أستمتع بوقتٍ رائعٍ على متن اليخت معك، لكن بصراحة، لست واثقــاً أنني أودّ عيش ذلك كل يوم. أحياناً يبدو ذلك لي عملاً شاقاً، يجعل المــرء يشعر بالوحدة". بدا هذا الكلام صادقاً إلى أبعد الحدود، إذ لم يسبق لغراي أن تكلّم بهذه الصراحة مع شارلي، وقد تأثر شارلي من كلامه أكثر ممّا توقّع غراي.

- "أنــت محــق. إنه عمل شاق ويشعرك بالوحدة في أحيانٍ كثيرة. لكــنك لا تملك الخيار. أنت ترث ذلك في لحظة معينة وقد يكون ذلك في وقــت مبكــرٍ كما حدث لي، وعندها تنتهي حياتك الخاصّة. لن تتمكّن من الجلوس جانباً والانتحاب والقول بأنك لا تريد أن تلعب، بل تقوم بأفضل ما يمكنك فعله".

- "يبدو لي أن هذا ما حصل لكارول. ربما هي بحاجة لاستراحة ممّا هي عليه".

بــدا شــارلي كئيباً بينما أمسك بقطعة خبز، وأخذ يفتتها فوق غطاء الطاولــة، وهــو يفكّــر بمــا قاله غراي وسيلفيا. هناك احتمال بأن يكون كلامهمــا صــحيحاً. قال لهما: "كارول قالت لي إنها كادت تصاب بانهيار عصبي حين انتهى زواجها. لقد أخبرتني بنفسها عن ذلك سابقاً، إذ يبدو أن زوجها كان نذلاً، وقد تعرّضت للأذى بسببه. لقد التقيتُ به ذات مرة، وهو لــيس رجلاً لطيفاً. لقد جنى الكثير من المال، لكنني أعتقد أنه حثالة. لدي شعور بأنه تزوّج بها لأنّها من عائلة فانهورن".

وجهــة نظر غراي معقولة جداً. ربما كانت كارول تحتاج لاستراحة مــن كــل هــذا. إنها تعيش حياتها مختبئة منذ أربع سنوات، وهي تشعر بالأمان في شارع هارلم أكثر ممّا كانت تشعر عالمها. كان هذا أمراً محزناً فــي حياتها، وقد أخبرته ببعض ما حدث معها، بينما يعلم شارلي أن هناك أشياء لم تخبره بها بعد، فذلك أمر صعب عليها. قال لهما: "سأفكّر بالأمر".

ثـم أخـذ نفساً عميقاً، وتنهّد بارتياح بينما انتقلوا للكلام بمواضيع أخرى، فالحـديث عمّا يشعر به حيال كارول كان ثقيلاً بالنسبة لهم جميعاً. إن لدى الجمـيع مآسٍ وآلاماً ومخاوف، لكن يبقى الأهم هو النجاح في تخطّي هذه المصاعب، من دون الارتطام بالقعر وإغراق السفينة. بقي شارلي برفقتهما حتى الساعة العاشرة، فتحدّثوا عمّا كانوا يقومون به جميعهم. أخبره غراي وسـيلڤيا قصصاً طريفة عن بعضهما، وعن حياتهما معاً، أما هو فتكلّم عن المؤسـسة، ولـم يأتوا على ذكر كارول من جديد. عانقهما كليهما قبل أن يغـادر، وتأثّـر حتى الصميم برؤيتهما سعيدين معاً، لكن ذلك جعله يركز علـى التفكير بوحدته. لم يتمكّن حتى من التخيّل كيف يقوم شخصان بدمج حياتهما معاً، بعد سنوات أمضياها كلٌ في طريق. كان يود أن يجرّب ذلك، لكـنّه في الوقت نفسه، كان خائفاً من أمور كثيرة. ماذا لو شعرا بالملل من بعـضهما، أو قاما بخيانة بعضهما؟ ماذا لو توفّي أحدهما أو أصابه مرض مـا؟ مـاذا لـو قاما ببساطة بتخييب ظن بعضهما، وأرهقتهما آلام الحياة ومتاعـبها؟ مـاذا لو حصل أمر مأساوي مع أحدهما، او حتى معهما في الـوقت نفسه؟ بدا في الأمر مخاطرة كبيرة بالنسبة له. لكن حين جلس في سـريره لاحقـاً، وفكّـر. انحنى جانباً وأمسك بسماعة الهاتف، ثم طلبت أصـابعه رقـم كارول قبل أن يتمكّن من منع نفسه من القيام بذلك. الأمر التالي الذي تمكّن من استيعابه هو سماع صوت كارول عبر الهاتف. بدا له كأن شخصاً آخر قد قام بطلبها.

– "كارول؟" بدا مندهشاً لسماع صوتها، تماماً كما كانت دهشتها به.

– "شارلي؟"

– "أنـا... أنا... أردت فقط أن أتمنّى لك عيد شكر سعيد". قال ذلك وهو يكاد يختنق بلسانه، وبدت كارول متفاجئة كثيراً.

– "لـم أعتقد أبداً أنني سأسمع صوتك من جديد. هل أنت بخير؟" لم يتحدّثا مع بعضهما منذ أسابيع.

– "أنـا بخيـر". قـال ذلك وهو مستلقٍ في السرير، مغمضاً عينيه ويـستمتع بصوتها. بدت كأنها ترتجف وهي تسمع صوته من جديد، وأنها هي أيضاً مستلقية في سريرها. تابع يقول لها: "لقد تناولت العشاء بمناسبة عـيد الـشكر مع غراي وسيلڤيا". لا بد أن بعضاً ممّا قالاه له قد دخل إلى أعمـاق روحـه وإلا لما اتّصل بها، وقد أدرك شارلي ذلك. لأوّل مرّة في حـياته يقـوم شـارلي بالتمهل، وبالنظر حوله من جديد ليعود إلى الوراء خطـوة أو خطوتـين. لقد كان في المرحلة النهائية، وقد أصبحت الطريق أوضح أمامه. قال لها: "لقد كان عشاءً جميلاً. ماذا عنك؟"

تـنهّدت وهـي تبتسم لسماع صوته. كان من الرائع التحدّث عن الشؤون اليومية. فقالت: "كالعادة. لا أحد من أفراد عائلتي يكون شاكراً في هذا اليوم. فهم واثقون بمدى روعتهم بشكل مخجل. لا يخطر ببالهم حتـى أن هـناك أشخاصاً آخرين لا يملكون ما يملكونه هم، وربما لا يـريدون امتلاكه حتى. الأمر لا يتعلّق بالعائلة بالنسبة لنا، بل بكم نحن رائعـون لأنـنا من عائلة ڤانهورن.. يشعرني ذلك بالمرض. في السنة المقـبلة، سأمـضيَ عيد الشكر في المركز مع الأطفال، فأنا أفضل أكل سـندويش بالحـبش أو بزبدة الفستق مع جيلو إن كان هذا ما سنحصل علـيه بعـد وصـول المال الذي ستعطينا إياه، على تناول المشروبات الفاخـرة والعـصافير النادرة مع عائلتي. لا يزال ذلك الطعام عالقاً في حلقومـي، بالإضـافة إلى أنني لا أحبّ أكل العصافير، ولطالما كرهتُ ذلك".

ابتسم شارلي عند سماع كلامها. كان غراي وسيلڤيا محقين. ربما هـو مخطـئ بـشأنها، فقد كان عملاً شاقاً بالنسبة لها كونها من عائلة ڤانهـورن. أرادت أن تكون مثل جميع الناس، لقد شعر بذلك بنفسه في بعض الأحيان.

- قال شارلي بهدوء: "لدي فكرة أفضل".

– "ما هي". سألته ذلك وهي تحبس أنفاسها. لم تكن تملك أدنى فكرة عمّا سيقوله، لكنها ببساطة أحبّت سماع صوته، كما أحبّت كل شيء فيه. لقد فعلت ذلك منذ البداية.

– "في السنة المقبلة ربما نحتفل بعيد الشكر معاً مع غراي وسيلفيا. فديك الحبش كان شهياً". ابتسم لتذكّره الأمسية الرائعة التي تشارك بها معهما، والتي كانت لتبدو أفضل لو أن كارول كانت برفقته.

قالت كارول والدموع تملأ عينيها: "سأحبّ ذلك بالتأكيد". بعد ذلك قرّرت أن تتكلّم عن كذبتها من جديد فهي لم تفكّر خلال الأسابيع الأربعة الماضية إلاّ بهذا الموضوع. كانت نيّتها ودوافعها طيبة لكنها علمت أن ما فعلته خاطئاً. إن أرادت أن تكون معه وتحبّه، عليها أن تخبره الحقيقة حتى لو لم يعجبه سماعها، أو حتى إن كانت خائفةً من قولها له. كان عليها أن تثق به أكثر لتخبره من تكون، مهما كان الثمن، ومهما بلغت المخاطرة. قالت له بحزن: "أنا آسفة لأنني كذبت. كان ذلك تصرّفاً غبياً من قبلي".

– "أعلم ذلك. فأنا أيضاً أقوم ببعض الأشياء الغبيّة من وقت لآخر. كلنا نفعل ذلك. كنت خائفاً من إخبارك عن يختي مثلاً". كانت تلك خطيئة إهمال وليست غلطة فادحة، رغم أنه لم يخبرها للأسباب نفسها. في بعض الأحيان يكون من الصعب الظهور بوضوح أمام الناس، فقد يعطي ذلك بعض الناس هدفاً كبيراً يركّزون عليه، ويطمعون بالوصول إليه. أحياناً كثيرة كان يشعر بأن عين الثور قد رسمت على ظهره، تماماً كما يبدو أن كارول كانت تشعر، فهذه ليست طريقة سهلة للعيش.

قالت بحذر: "أود رؤية يختك في وقت ما". لم تكن تريد أن تعجّل الأمور، فقد كانت ممتنة لأنه اتّصل... ممتنّة أكثر منه. أخذت الدموع تتدحرج من زاويتي عينيها على المخدّة. لقد صلّت من أجل عودته إليها، وقد استجاب الله لصلاتها.

وعدها شارلي قائلاً: "أود أن تفعلي". إنّه يرغب بأن يمضي وقتاً معها على متن القمر الأزرق. لم يتمكّن من التفكير بأمر أفضل، وتابع يسألها: "ما هي مشاريعك ليوم غد؟"

– "لا شيء. فكّرت بالمرور إلى المركز. المركز مقفل لكن الأولاد هناك. إنهم يشعرون بالملل في عطلة نهاية الأسبوع، كما أن أيام الأعياد صعبة بالنسبة لهم".

قال لها بصدق: "إنها صعبة عليّ أنا أيضاً، فأنا أكره أيام الأعياد. إنها أكثر فترة أكرهها خلال العام". إنها تعيد إليه ذكريات كثيرة، ذكريات عن الذين خسرهم. عيد الشكر ذكراه مؤلمةً لكن عيد رأس السنة أكثر إيلاماً منه. تابع يسألها: "ما رأيك بتناول الغداء معاً نهار غد؟"

التمعت عيناها فرحاً وهي مستلقية في السرير، وأجابت: "أودّ ذلك كثيراً".

مازحها قائلاً: "يمكننا الذهاب إلى المركز إن أردت، ولن أضع ساعتي الذهبية".

– "ربما عليك ارتداء زي الأسد. إنه يليق بك، فتصرفك شجاع جداً". قالت ذلك بصوت مليء بالتقدير والإعجاب لأنه اتّصل بها.

– "نعم إنّه كذلك. سأمرّ بك عند الظهر إذاً". كان ذلك صعباً عليه بالفعل، لكنه شعر بالسعادة لأنه قام بذلك. أدرك أنه يجدر به شكر سيلفيا وغراي على هذا. فبفضلهما، تحلّى بالشجاعة ليتّصل بها.

– "سأكون جاهزة، و.. شارلي... شكراً لك".

قال شارلي بلطف: "تصبحين على خير".

18

بـدت الطـريق إلـى لونغ أيلاند طويلة جداً، بينما قاد آدم سيارة الفيراري على الطريق السريع. لم يمضِ الليلة السابقة مع ماغي كي لا يـضطر إلـى سـماع تعليقاتها حول زيارته لأهله في الصباح قبل أن يغـادر، وإن كانـت تعلـيقاتها صحيحة. أوصلها إلى منزلها في الليلة الماضـية، وعلم أنها ستمضي النهار بمفردها. لكن لم يكن بإمكانه أن يفعـل لهـا شـيئاً. شعر أن هناك أشياء في الحياة لا يمكن تغييرها أو تجنبها. إنه جزءٌ من أخلاقياته ومن واجباته تجاه عائلته، مهما بدا الأمر مـؤلماً بالنـسبة له. قضاء عيد الشكر مع عائلته مسؤولية لا يمكنه أن يتهـرّب منها، مهما بدت غير سارّة. ماغي محقّة بالطبع، لكن ذلك لن يغيّـر شـيئاً. قـضاء النهار مع عائلته يبدو له كمواجهة النار. بسبب الإثـارة التـي يـشعر بهـا، كان ممتناً لزحمة السير التي أبطأت تقدّم الـسيارات، فقـد بدت كإنقاذ مؤقتٍ له، ولو طرأ عطلٌ ما على السيارة لكان ذلك مفرحاً أيضاً.

حـين وصل أخيراً، كان قد تأخّر نصف ساعة عن الموعد، فحدّقت فـيه والدتـه حين دخل عبر الباب. كانت تلك طريقتها الخاصة لتقول له: "أهـلاً وسـهلاً بك في المنزل". قال آدم: "عفواً أمي. هناك زحمة سير لا تصدّق. وصلت بأسرع ما أمكنني".

- "كـان عليك أن تغادر في وقتٍ أبكر، فأنا واثقة أنك لو كنت ذاهباً لمقابلـة امـرأة ما لفعلت ذلك". آه! إنها الضربة الأولى. علم آدم أن هناك المزيد بعد. لم يكن هناك من جدوى من الإجابة، لذلك لم يفعل. إنها تسجّل أهدافاً بشكل دائم، ولم يسجّل آدم يوماً هدفاً واحداً.

كـان جمـيع أفـراد العائلـة قد وصلوا قبله. وكان والده قد أصيب بالـزكام، أما أولاد أخته وأخيه فكانوا يلعبون في الخارج. لقد حصل زوج أخـته علـى عمـلٍ جديد، أما أخوه فأخذ يسخر من عمله، وأخته أخذت تنتحب. لم يتكلّم أي منهم عن أمرٍ يعنيه، إلى أن قالت له والدته إنها قرأت أن فتـاة تتعاطى المخدّرات، فلِمَ يستمرّ بالتعامل مع زبائن مثلها؟ أي نوع من الشركات يدير، لكي يروّج للمدمنين والحقراء؟

بـدأ آدم كعادتـه يشعر بعقدة كبيرة تربط معدته. لا شيء أسوأ من العادة، لكن عدم الارتياح لهذه المواضيع لم يتغيّر. تكلّمت والدته عن التقدّم في السن، وأنها في يومٍ من الأيام لن تعود موجودة بينهم، لذا من الأفضل لهـم أن يقدّروها بينما لا يزال بإمكانهم فعل ذلك. حدّقت أخته في الفضاء، أما أخوه فقال إن صُناعة سيارات الفيراري أصبحت سيئة هذه الأيام، فيما تابعـت والدته الكلام عن حسنات راشيل، أما والده فغفا على الكرسي قبل الغـداء، ممـا جعل والدته تشرح لهم أنه قد نام بسبب تأثير الدواء. تابعت تـتكلّم مع آدم عن انفصاله عن راشيل، وتقول له إنه لو كان أكثر اهتماماً بهـا لما تركته من أجل رجلٍ آخر. ألا يقلق آدم بأن يتربّى أولاده على يد رجـلٍ آخر؟ ما خطبه على كل حال؟ بعد كل ما فعلوه من أجله لكي ينمو ويـصبح رجـلاً محتـرماً، لم يعد يذهب إلى الاحتفالات أو حتى يحضر مناسبات الأعياد، بل يفضّل الخروج مع النساء اللواتي يبدون كالساقطات. بيـنما أخذ آدم يستمع إليها شعر كأن الوقت قد توقّف. سمع صوت ماغي، وفكّـر أنّها بمفردها في شقّتها في ضاحية نيويورك. وفجأة، وقف آدم بينما دخلت ماي كي تخبرهم أن الغداء جاهز، فيما حدّقت والدته فيه.

– "ما الخطب؟ هل أنت مريض؟" كان لون وجهه قد امتقع فعلاً.

– "أعتقد أنني مريض فعلاً"

– "ربما أصبت بالزكام أيضاً". قالت والدته ذلك بينما التفتت لتتابع كلامها مع أخيه. لم يتحرّك آدم بل بقي مسمّراً في مكانه يراقبهم. ماغي محقة، وهو يعلم ذلك.

قال للجميع في الغرفة: "عليّ أن أغادر". لكنه كان ينظر نحو والدته.

أجابته وهي تنظر مباشرة نحوه: "هل أنت مجنون؟ لم نتناول الغداء بعد". علم آدم أنها لم تكن تراه أبداً. كانت لا تزال ترى الصبي الصغير الذي عذّبته طيلة حياته. الصبي الذي اقتحم حياتهما وطاولة البريدج الخاصة بها. الصبي الذي أخذت تنتقده منذ ولادته. إنها لا ترى أبداً الرجل الذي أصبح عليه مع كل إنجازاته، وبراعته، وخيبات أمله، وألمه. لا أحد منهم كان يأبه لألمه، حتى في الوقت الذي تركته فيه راشيل، اعتبروا أنه هو المذنب. لطالما كان بنظرهم هو المذنب، وسيظلّ دائماً هكذا. ربما كان يخرج فعلاً مع نساءٍ ساقطات، وماذا إذاً؟ إنهن يعاملنه بلطف أكثر من أفراد عائلته، وهنّ لا يزعجنه أبداً. كل ما أردنه هو عملٌ سخيف، وعمليات تجميل، وبعض الأموال من بطاقات ائتمانه. وماغي لم تكن تريد ذلك حتى، إذ لم تكن تريد شيئاً سواه. استيقظ والدهُ ونظر حوله، ورأى آدم يقف في وسط الغرفة.

– "ما الذي يحدث؟ ماذا يجري؟". لا أحد في الغرفة كان يتحرّك. كانوا جميعهم ينظرون نحو آدم، والتفت آدم ليتكلّم إلى والده.

– "سوف أغادر. لم يعد بإمكاني القيام بذلك بعد اليوم".

– "اجلس". قالت والدته ذلك بالطريقة نفسها التي كانت لتستخدمها لو أنه في الخامسة من عمره، وقد وقف في الوقت غير المناسب. لكن اليوم لم يكن الوقت غير المناسب، بل هو الوقت المناسب جداً. ربما كان عليه القيام بذلك من قبل. ماغي محقّة تماماً، ما كان يجدر به القدوم، كان عليه

التوقف عن المجيء إلى المنزل منذ سنوات طويلة. إن لم يستطيعوا احترامه، ولم يأبهوا له، ولم يودّوا رؤيته، وإن ظنّوا أنّه يستحقّ المواقف الصعبة التي وضعته راشيل فيها، إذاً ربما هم ليسوا عائلته أصلاً أو أنهم لا يستحقّون أن يكونوا كذلك. لديه ولدان وهذا كل ما يريده، وهما ليسا هناك بجميع الأحوال. هؤلاء الأشخاص غرباء بالنسبة له، ولطالما كانوا كذلك. إنهم يريدون أن يبقى الوضع على هذه الحال، أما هو فلم يعد يريد ذلك. إنّه في الحادية والأربعين من عمره، وقد أصبح راشداً أخيراً... لقد حان الوقت لذلك.

قال بهدوء: "أنا آسف أبي. أنا ببساطة لم يعد بإمكاني فعل ذلك".

بدا والده مرتبكاً: "ماذا ستفعل؟ إلى أين تذهب؟" الدواء الذي تناوله جعله يشعر بالتشوّش، لكن ليس بقدر ما أظهر. علم آدم أنه يعلم تماماً ما الذي يحدث، لكنه لم يكن يريد التعامل مع الوضع. هو لم يفعل ذلك يوماً، وهذا اليوم لا يختلف عن غيره.

– "سأذهب إلى منزلي". قال آدم ذلك وهو يجول بنظره حول الغرفة، نحو الأشخاصُ الذين لم يفشلوا يوماً في إتعاسه لسنوات طويلة، وهم لم يدخلوه يوماً إلى عالمهم. لذا فإنه يختار الآن بأن يبقى خارج هذا العالم.

– "أنت مريض". قالت والدته ذلك بينما كانت ماي لا تزال واقفة عند الباب، غير واثقة إن كان عليها أن تعلن جهوز الغداء أم لا. تابعت والدته تقول: "أنت بحاجة إلى رؤية الطبيب، فأنت تحتاج للمعالجة. تحتاج إلى معالجٍ نفسي، فأنت رجل مريض جداً آدم".

– "أنا أمرض فقط حين آتي إلى هنا ففي كل مرة أغادر هذا المنزل أشعر بعقدة في معدتي أضخم من حجم رأسي. لا أحتاج إلى المجيء إلى هنا بعد الآن لكي أمرض، ولا أنوي فعل ذلك. عيد شكرٍ سعيد، ونهار سعيد، لكم جميعاً". قال ذلك ثم استدار ومشى مغادراً الغرفة. لم ينتظر سماع المزيد من التعليقات أو المزيد من الاستغلال، إذ يكفيه ما حصل

عليه اليوم. نظر قليلاً نحو ماي وهو في طريقه إلى الخارج، فنظرت نحوه بطرف عينها. لا أحد منهم حاول إيقافه، ولم يقل أحدهم كلمة واحدة له وهو يخرج. أبناء أخته وأخيه لم يعرفوه حتى، ولم تأبه عائلته له أبداً، وهو لم يكن يريد أن يهتمّ لأمرهم. فهو لا يريد أن يهتمّ لأمر أشخاص لا يهتمّون له. تصوّر أنهم جلسوا يحدّقون ببعضهم وهم يسمعون صوت الفيراري تنطلق، ثم انتقلوا إلى غرفة الطعام. ولم يذكره أحدٌ منهم بعد ذلك.

اندفع مسرعاً في سيارته في طريق العودة، وكانت الزحمة قد خفّت بينما عاد إلى المدينة. وصل إلى الطريق الرئيسية لنيويورك خلال نصف ساعة وهو يبتسم لنفسه. لأول مرّة في حياته شعر أنه حر... حرّ فعلاً، فراح يضحك عالياً. ربما كانت والدته محقة، وربما هو مجنون فعلاً، لكنه لم يشعر أنه أقل جنوناً في حياته من قبل. لم تؤلمه معدته أبداً. كان جائعاً جداً. وكل ما أراده الآن هو ماغي!

توقّف أمام متجر كبير وهو في طريقه إلى شقّتها، فوجد في المتجر كل ما يحتاج إليه: ديك حبشٍ منظّف ومطبوخ، لا ينقصه إلاّ من يأكله واشترى أيضاً جلو بنكهة التوت البري، والبطاطا الحلوة والبسكويت، كما اشترى البطاطا المهروسة والبازيلاء وفطيرة اليقطين للتحلية. اشترى كل ما يحتاج إليه بتسعة وأربعين دولاراً وتسعة وتسعين سنتاً. بعد عشر دقائق كان يقرع باب منزلها. ردّت ماغي بصوت حذر، فهي لم تكن تنتظر أحداً. شعرت بالصدمة حين أدركت أنه آدم، وأدخلته على الفور. كانت ترتدي ثوب النوم حين فتحت الباب له. بدت بحالة فوضى، فشعرها لم يكن مسرّحاً ووجهها ملطّخاً بالكحل، ولاحظ آدم بوضوحٍ أنها كانت تبكي. نظرت نحوه بارتباك وذهول.

بدت مرتبكة وقالت: "ماذا حدث؟ لماذا لست في لونغ أيلاند؟"

– "البسي ثيابك. سنذهب إلى منزلي".

– "إلى أين؟" بدا لها كرجل مجنون. كان يرتدي بذلة ذات لون فحمي، وقميصاً بيضاء وربطة عنق، وكان حذاؤه يلمع. بدا رائعاً جداً، لكن عينيه كانتا غريبتين، فسألته: "هل أنت ثمل؟"

– "لا، أنا رصين كالصخر. هيا البسي، سنغادر".

– "إلى أين سنذهب؟" لم تتحرك ماغي، بينما أخذ آدم ينظر حوله في الشقة. بدت الشقة مزرية أكثر ممّا توقّع، ولم يخطر بباله أنها تعيش في مكانٍ كهذا.

كان هناك سريران صغيران غير مرتبين في غرفة النوم، وكيسان للنوم في غرفة الجلوس فوق الأريكة. أما المصباحان الوحيدان في الغرفة فكانا مكسورين. لم يكن هناك شيء مطابق لغيره في الغرفة، وبدا كل شيء وسخاً. ستائر النوافذ مكسورة، وهناك مصباح معلّق في وسط الغرفة متدل من سلكٍ بالٍ أما السجادة فكانت قذرة. ذراعا الأريكة كانتا باليتين، وقد تدلّتا على الأرض.

رأى علبة كرتون كبيرة تستخدم كطاولة في وسط الغرفة. لم يتصوّر أنها تعيش بهذه الطريقة، أو أنها تخرج من مكانٍ كهذا غير محترم. كانت الثياب الوسخة المحضّرة للغسيل موزعة فوق أرض الحمام، والصحون الوسخة تنتشر في كل مكان. لقد شمّ في المبنى وهو في طريقه إلى الشقة رائحة القطط والبول. شعر آدم بألم من قلبه لمجرّد رؤيتها هناك بثياب النوم. كان ثوبها عبارة عن قميص من الفانيلا رثّة وقديمة، جعلتها تبدو فتاةً صغيرة.

سألها بكلل: "كم تدفعين إيجاراً لهذا المكان؟" لم يكن يريد أن يصف المكان بالمزرعة... لكنه كان كذلك.

قالت له والخجل بادٍ عليها: "حصّتي مئة وخمسة وسبعون دولاراً". لم تسمح له ماغي بأن يصعد إلى الشقة من قبل، وهو لم يطلب ذلك منها. والآن ها هو يشعر بالذنب لأنه لم يفعل، لأن المرأة التي تمضي كل ليلة

تقريباً في سريره والتي يقول لها إنه يحبّها، تأتي إلى هذا المكان السيئ حين تتركه. هذا أسوأ من وضع سندريلا وهي تنظّف منزل زوجة والدها، وتمسح الأرض ركوعاً على ركبتيها. لم يخطر بباله أنها تعيش على هذا النحو، إنه كابوسٌ فعلاً. أما في الوقت المتبقي، فكانت ماغي تمضي ساعاتها وهي تعمل بذلٍ في بيير 92. قالت له وكأنّها تبرّر موقفها: "هذا كل ما أستطيع تحمله من نفقات". بينما غالب آدم دموعه.

قال بنعومة وهو يلفّ ذراعه حولها، ويقبّلها بقوة: "هيا، ماغي. فلنذهب إلى المنزل".

– "ما الذي سنفعله؟ أليس عليك الذهاب إلى منزل والديك؟"

ظنّت أنه لم يذهب بعد، وقد جاء لرؤيتها قبل الرحيل. في أحلامها كانت تراه يدعوها لتذهب معه إلى منزل والديه، لكنها لم تدرك كم كانت ستشعر بالتعاسة لو أنه فعل ذلك.

– "لقد سبق وذهبت إليهم ثم غادرت. مشيت خارجاً، وجئت لأكون معك. لم أعد أستطيع تحمّل تفاهاتهم بعد اليوم". ابتسمت له حين قال ذلك، وشعرت بالفخر به، وأدرك آدم ذلك. على الأقل هناك شخص واحدٌ يفتخر به. إنه أكثر عملٍ بطولي قام به، والفضل يعود إليها.

لقد فتحت عينيه على الأمر، لذا حين نظر جيداً وسمع جيداً لم يعد يتحمّل. لقد ذكّرته أنه يملك الخيار. سألته وهي تمرّر يدها في شعرها: "هل سنخرج لتناول الغداء؟" بدت بحالة يرثى لها، إذ لم تكن تتوقّع رؤيته قبل الليل.

– "لا. سنحتفل بعيد الشكر في المنزل. هيا! فلنذهب". جلس على الأريكة فلامست الأرض على الفور. كل شيء بدا بحالة مزرية، وكره آدم الجلوس هناك. لم يستطع تخيّل العيش في ذلك المكان، ولم يخطر في باله من قبل أن هناك أشخاصاً في العالم يعيشون على هذا النحو، فكيف إن كانت ماغي نفسها من تعيش هناك! اعتصر قلبه من الألم عليها. لزمها عشرون دقيقة لكي تجهز. ارتدت سروال جينز وقميصاً وسترة جينز

أيضاً، وانتعلت حذاءً طويل الساقين. غسلت ماغي وجهها وسرّحت شعرها، وقالت إنها ستستحمّ وتضع مساحيق التجميل في شقته. كانت تترك ثياباً محترمة وجميلة في شقته أيضاً، فقد كانت تكره تركها في شقتها لأن زميلاتها في السكن كن يستعرن ثيابها وأحذيتها، ولا يُعدنها إليها أبداً.

بعد أن رأى آدم أين تعيش، لم يصدّق أنها بدت ملائمة وجميلة له. على المرء أن يكون ساحراً كي يخرج من مكانٍ كهذا، ثم يتصرّف ويشعر أنه كائن بشري، لكنها تمكّنت من فعل ذلك بطريقة ما.

لحق بها نزولاً على الدرج، وبعد دقيقتين، كانت سيارة الفيراري قد انطلقت بهما ليعودا إلى شقته. ساعدته في حمل البقالة وفي إعداد العشاء، بعد أن استحمّت ومارسا الحب. أعدّت ماغي الطاولة بينما حضّر آدم ديك الحبش، وتناولا عشاء عيد الشكر في مطبخه وهما يلبسان ردائي الحمام. بعد العشاء عادا إلى السرير، فغمرها آدم بين ذراعيه بينما فكّر بكل ما حدث ذلك النهار. لقد اجتازا طريقاً طويلة جداً.

قال لها وهو يضمّها إليه أكثر، ويبتسم لها: "أظنّها إذاً علاقة غرامية الآن".

– "ما الذي جعلك تقول ذلك؟" ابتسمت له. بدا جميلاً جداً لها وهي بدت كذلك أيضاً.

– "لقد أمضينا العيد معاً، أليس كذلك. ربما يصبح لدينا تقليد خاص. لكن في السنة المقبلة سيكون علينا ارتداء ملابسنا لأن ولدي سيكونان هنا. وأنا لا أنوي أخذهما إلى منزل والدتي".

كان لا يزال عليه أخذ قرارٍ بالنسبة لعطلة تستمرّ لثمانية أيام، لكن لا يزال أمامه أسابيع قبل تلك العطلة.

لم يكن يريد أن يُبعد ولديه عن عائلته، لكنه لم يعد ينوي التضحية بنفسه والاحتراق ليرضيهم. لقد انتهت تلك الأيام. هناك احتمال ضئيل بأن يُعلّمهم خروجه من المنزل كيف يتعاملون معه بشكلٍ أفضل، لكنه يشكّ في

ذلك. كل ما يعرفه الآن هو أنه سعيد برفقة ماغي، وأن معدته لم تكن تؤلمه، وهذا تطوّر كبير وهام.

لم يخبرها بما كان يفكّر به طيلة الأسبوع، إلاّ ليلة الأحد. ومع أنها خطوة كبيرة، لكنه بعد أن رأى شقتها لم يعد باستطاعته السماح لها بالعودة إلى هناك. لقد أخافه ذلك حتى الموت، لكنه طمأن نفسه قائلاً إنه لن يتزوّج منها، بحق الله!

كانا ينظّفان الصحون بعد العشاء يوم الأحد قبل أن تغادر. أنهيا معاً كل ما كان لديهما من بقايا ديك الحبش عند الغداء، وكان لذيذاً جداً. إنه أفضل عيد شكرٍ له ولها.

– "ما رأيك بأن تنتقلي للعيش معي؟ تعلمين... يمكنك تجربة ذلك... سنرى كيف تسير الأمور... أنت هنا معظم الوقت... ويمكنني مساعدتك في فروضك..." بدأ صوته يخفّ تدريجياً بينما التفتت ماغي لتنظر نحوه بتردد. لقد أثّر بها كلامه، لكنه أخافها. بدت مرتبكة وهي تقول: "لا أعلم. لا أريد أن أصبح معتمدة عليك آدم. ما رأيته هو كل ما بإمكاني الحصول عليه. إن تعوّدت على العيش هنا، وأردت التخلّص منّي في النهاية، سيكون من الصعب علي العودة إلى هناك".

– "إذاً، عندها لا ترحلي. ابقي هنا. لن أحاول التخلّص منك يوماً ماغي. أنا أحبّك والأمر بيننا ينجح حتى الآن".

– "هذه هي المشكلة، هذا ينجح حتى الآن فقط. لكن ماذا يحدث إن تغيّرت؟ لا يمكنني أن أتحمل نفقات الإيجار". لقد أثّرت به تلك الفكرة، لكنه بدا راضياً عن نفسه حين أجابها: "ليس عليك المشاركة في الإيجار، فأنا أملك هذا المكان". ابتسمت ماغي وقبّلته.

– "أنا أحبّك، ولا أريد أن أستغلّك. لا أريد شيئاً منك. أريدك أنت فقط".

– "أعلم ذلك. وأريدك أن تنتقلي للعيش معي. أنا أشتاق إليك حين تكونين بعيدة، وأشعر بصداعٍ حين لا تكونين هنا". ظهرت معالم الحزن

على وجهه. سيشعر بالارتياح لو علم تماماً أين تذهب وفي أي وقت تعود.

وقفت تنظر نحوه وقالت: "توقّف عن جعلي أشعر بالذنب". ثم هزّت رأسها وقالت: "حسناً... سأفعل. لكنني سأحتفظ بشقتي لفترة، فقط في حال لم ينجح ذلك. إن لم ينجح أو أصبحنا نسبّب توتّراً لبعضنا سأعود إلى هناك". لم يكن ذلك تهديداً، بل مجرّد حذر مبالغ فيه، وقد احترمها من أجل ذلك، تماماً كما كان يفعل على الدوام.

أمضت ماغي تلك الليلة معه، بينما نام آدم بأمانٍ إلى جانبها وبينما كانا على وشك النوم ربّتت على كتفه ففتح عينيه. إنها تشعر بالرغبة بمناقشة مواضيع العالم الهامة والمصيرية معه، تماماً في اللحظات التي يكون فيها على وشك النوم. هذا ما كانت تفعله النساء الأخريات من قبل، لذا توقّع آدم أن يكون للأمر علاقة بالكروموزومات الأنثوية التي تتحدّد عند الولادة. تحبّ النساء التحدث إلى الرجال حين يريد هؤلاء الاستسلام للنوم!

– "نعم.. ماذا؟" بالكاد تمكّن آدم من البقاء صاحياً.

– "ما هو وضعنا الآن؟" بدت ماغي صاحية تماماً بالنسبة له.

– "ماذا...؟"

– "حسناً! نحن نعيش معاً الآن ونمضي الأعياد سوياً. أعتقد أنها علاقة غرامية فعلاً. أليس كذلك؟ أو أنك تدعوها غير ذلك؟"

– "أدعوها.. النوم.. أنا بحاجة إليه كثيراً الآن.. هيا احصلي على قسطٍ منه أنت أيضاً... أنا أحبّك. سنتكلّم عند الصباح... هذا أمر جيّد..." كان نصف نائمٍ الآن.

قالت وهي تبتسم له: "نعم... أعلم ذلك". كانت ماغي متحمّسة جداً لتنام إلى جانبه، فاستلقت، وراحت تحدّق به، بينما تحرك آدم في السرير، وقد نسي الدنيا وغطّ بالنوم.

19

اصطحب شارلي كارول يوم الجمعة عند الظهر، على جناح السرعة، كي يخرجا معاً للغداء في لاغولو. إنه مطعم عصري في جادة ماديسون، لديه أطعمة شهية ويكثر فيه الناس. لم يعد يشعر بالإحراج لأنه يأخذها إلى المطاعم المتواضعة والبسيطة. الآن، وبعد أن عرف من تكون، أصبح كلاهما يشعران بالمرح عند ذهابهما إلى أماكن أكثر أناقة. تناولا غداءً لذيذاً، ثم تنزّها حول جادة ماديسون، وأخذا ينظران إلى واجهات المحلات.

للمرة الأولى حدثته كارول عن حياتها السابقة. لقد كان غراي محقاً، فالدم الأزرق والبيوت الفخمة لا تقدّم بالضرورة طفولة سعيدة. أخبرته كم كان والداها بعيدين عنها ويعاملانها ببرودة، وكم كانا باردين تجاه بعضهما أيضاً. أخبرته أنهما كانا يعاملانها بقسوة من الناحيتين العاطفية والجسدية. لقد تربّت على يدي مربية، ولم تكن ترى والديها أبداً. قالت إن والدتها كانت تبدو كمخلوقٍ من جليد، ولم يكن لديها أخوة كي ترتاح إليهم، فهي فتاة وحيدة. أخبرته أنها كانت تمضي أسابيع طويلة من دون أن تراهما، وقد غضبا كثيراً من طريقة الحياة التي اختارتها لنفسها. أصبحت تكره كل ما يمثّله عالمها من نفاق وهوس بالممتلكات المادية، وعدم اكتراث لمشاعر الناس، وعدم احترام أي شخص يولد في ذلك العالم. بدا من الواضح أنها

عاشت طفولة وحيدة، وبعد ذلك انتقلت من برودتهما وعدم اكتراثهما إلى رجل مستغل تزوّجت منه. ذلك الرجل – كما توقّع غراي – تزوّج منها بسبب نسبها، وحين تركها أخيراً، أرادت أن تتطلّق ليس منه فحسب، بل من كل ما يمثّله لها ومن كل القيم التي كرهتها طيلة حياتها.

قال شارلي بلطف: "لا يمكنك فعل ذلك كارول". لطالما مرّت أوقات شعر أنه يريد أن يفعل ما فعلته. وإن كان لم يفكّر بالتمادي بالأمر مثلها، فهي دفعت ثمناً باهظاً.

تابع يقول: "عليك أن تتقبّلي نفسك أياً من تكونين. أنت تقومين بأشياء رائعة للأطفال الذين تعملين معهم، لكن ليس عليك أن تحرمي نفسك من كل شيء كي تفعلي ذلك. يمكنك التمتع في العالمين".

أجابته بصدق: "لم أتمتّع يوماً في طفولتي. كرهت كل شيء فيها منذ أن كنت فتاةً صغيرة. كان الأولاد إمّا يريدون أن يلعبوا معي لمعرفتهم من أكون، أو لم يشاؤوا اللعب معي للسبب نفسه. لم أعرف يوماً ما عليّ توقعه، وتعبت كثيراً كي أكتشف ذلك". فهم شارلي كيف يحدث ذلك، وقد ذكره بأمرٍ وهما يمشيان معاً. تردّد في ذكر الموضوع لها باكراً، فهما لم يريا بعضهما منذ فترة طويلة، لكن بدا كأنهما لم يفترقا أبداً. كانت تتأبّط ذراعه وهما يتنزّهان في الجادة ويتحادثان، وكأنهما لم يتركا بعضهما إطلاقاً. شعر شارلي كأنه ينتمي إلى حياتها، وقد راودها الشعور نفسه.

– "ستقومين على الأرجح بقتلي بسبب ما سأقوله". قال ذلك بحذر بينما قطعا الشارع 72، متوجهين نحو الشمال. تغيّر الطقس وأصبح بارداً، لكنه كان صافياً والرؤية واضحة، وكانت كارول تعتمر قبعة صوفية وتضع شالاً من الكشمير وقفازين، أما هو فكان قد قلب قبّة معطفه إلى الأعلى ليحمي نفسه من الهواء. تابع يقول لها: "أنا أقوم كل عام بحضور حفلٍ، على الأرجح أنك لا تحبّين الذهاب إليه، نظراً لما قلته. لكنني أشعر دائماً بأن علي الذهاب. وهذا العام هناك اثنتان من بنات أصدقائي ستظهران فيه للمرة

الأولى، فهناك يقدّمون فتيات المجتمع المخملي اللواتي يظهرن أمام الناس للمرة الأولى، بعيداً عن المجاملات الاجتماعية. إنها حفلة جميلة فعلاً، فهل تأتين معي هذا العام كارول؟" سألها ذلك آملاً أن تقبل عرضه، فضحكت كارول عالياً. بعد كل الخطابات التي قدّمتها عن مدى كرهها لهذا العالم، علمت أنه على الأرجح خائف من دعوتها إلى حفلة مماثلة، حيث تقدّم الفتيات الشابات ذوات الدم الأزرق إلى المجتمع، ويخرجن أمام الناس. إنها تقاليد غير عصرية، لكن كارول متآلفة معها، فالتفتت نحوه وابتسمت.

ضحكت رغم ظهور مسحة من الحزن على وجهها، وقالت: "أكره الاعتراف بذلك، لكنني ظهرت هناك بنفسي. يذهب والداي إلى تلك الحفلة كل عام، أما أنا فلم أعاود الكرة مرة أخرى بعد أول ظهور. لكن ربما يكون الأمر ممتعاً برفقتك، مع أنني لن أذهب لسبب آخر".

سألها وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "هل هذا الجواب يعني الموافقة؟" كان يتوق لزيارة أماكن جميلة معها، وليظهر برفقتها وهي ترتدي فستاناً أنيقاً. كان يحبّ رؤيتها في المركز، لكنه يستمتع في المناسبات الرسمية أيضاً. من الممتع التأنّق من فترة لأخرى، وهذه الحفلة مناسبة جداً.

قالت وهما لا يزالان يمشيان: "إنها موافقة مني، نعم. متى موعد الحفلة؟" فكّرت أن عليها شراء فستانٍ، فهي لم ترتدِ ثوب سهرة منذ سنوات، رغم أنها تستطيع اقتراض فستانٍ من فساتين والدتها فهما ترتديان المقاس نفسه، لكنها لم تكن تريد أن تسألها ذلك. أرادت أن تبدو جميلة لشارلي، وأثواب والدتها وقورة جداً عليها.

– ليس قبل بضعة أسابيع. سأكتشف الموعد الدقيق حين أذهب إلى المكتب". هزّت كارول رأسها. الذهاب إلى السهرة معه، هو خطوة كبيرة بالنسبة لها وخطوة إلى الوراء نحو حياتها القديمة، لكنها علمت أنها مجرّد ليلة واحدة فقط وليست نمط حياة. يمكنها تحمّل الوضع كسائحة، وهي لم تكن تريد أكثر من ذلك. إنها تسوية وبادرة منها تقوم بها من أجل شارلي فقط.

صمتا وهما يتابعان المشي صعوداً نحو منزلها، ثم اتّجها شرقاً نحو الشارع 91. كانا قد شعرا بالصقيع عندها، وبدا كأن الثلج سيتساقط حين وصلا أمام باب منزلها الأمامي. التفتت نحوه وابتسمت له. بإمكانها دعوته الآن وقد أصبح يعلم أين يقع منزلها، ولم يعد يعتقد أنها تستأجر شقة صغيرة خلف هذا المنزل.

– "هل تودّ الدخول؟" سألته ذلك بخجل وهي تبحث عن مفتاحها، ثم وجدته أخيراً في قعر حقيبتها حيث يكون دائماً.

سألها بحذر: "ألا يزعجك ذلك؟" هزّت كارول رأسها بالنفي، فهي تريده أن يدخل أيضاً. أصبح الظلام يعمّ المكان، وقد كانا معاً منذ وقت الغداء، بعد أن تناولا غداءً مطولاً. مرّ وقت طويل عليهما تعويضه الآن، فقد اعترفا خلال الغداء أنهما اشتاقا لبعضهما كثيراً. لقد اشتاق شارلي إلى التحدّث معها، وأراد أن يعلم ما الذي تفعله، ويشاركها في الحماس والتعقيدات وفي تفاصيل حياته الخاصة. لقد اعتاد على نصائحها الحكيمة واستشاراتها الذكيّة، التي اعتاد عليها خلال الشهر الذي كانا يخرجان فيه معاً. لقد افتقد رحيلها على الفور، تماماً كما حصل معها.

سارا نحو ردهة صغيرة مميّزة المظهر، أرضيتها من الرخام الأسود والأبيض. رأى غرفتين للجلوس في الطابق السفلي، واحدة منهما كانت تؤدي إلى حديقة جميلة. أما في الطابق العلوي، فكانت هناك غرفة جلوس أخرى كبيرة ومريحة فيها عدد من الأرائك المنجّدة، وموقدٍ جميل، وتحفٍ إنكليزية أخذتها من منزل والديها بعد استئذانهما، فهما يخزّنان الكثير من تلك التحف.

بدا المنزل أنيقاً، لكنه دافئ ومريح في الوقت نفسه، كما أنه مميّز ومرح أيضاً. كان هناك الكثير من الأغراض الموزعة التي تعني شيئاً لها، بالإضافة إلى بعض الأعمال الفنية التي صنعها الأطفال في المركز، أو حتى أغراض غير اعتيادية وجدتها في الأماكن التي سافرت إليها. كان في

المنـزل مطـبخ كبير ومريح، وغرفة طعام صغيرة ورسمية ذات جدران حمـراء علّقـت علـيها صور لرحلات الصيد، كانت تخصّ جدّها في ما مـضى. في الطابق العلوي كانت هناك غرفة نومٍ مشمسة وكبيرة وغرفة نـوم أخرى للضيوف. كانت كارول تستخدم الطابق العلوي كمكتب منزلي صـغير. رافقته في جولة حول ذلك المكتب، وحين رجعا إلى المطبخ في الطابق السفلي كان شارلي متأثّراً جداً.

قالت بحزن: "أنا لا أدعو أحداً إلى هنا، لأسباب واضحة. أحبّ دعوة الـناس إلى العشاء في بعض الأحيان، لكنني لا أستطيع". كانت تدّعي أنها فقيـرة، وتعـيش حـياة سريّة. علم شارلي أن ذلك يعني أنها تعيش حياة الوحدة، تماماً مثله، لكن لأسباب مختلفة. صحيح أن لديها والدين، لكنها لا تحـبّهما كثيراً، ولم تكن يوماً مقرّبة منهما. لقد كانا غائبين عاطفياً بالنسبة لهـا طـيلة حـياتها، أما هو فليس لديه أحد. لقد عبرا طريقين مختلفتين، ووصلا إلى المكان نفسه.

عرضـت علـيه كـارول تـناول الشوكولاته الساخنة في مطبخها المميّـز، ثم جلسا حول طاولة مطبخها بينما ساد الظلام في الخارج. ذكر لهـا شـارلي مجـدّداً كم يكره الأعياد، وكم يخاف منها. لم تسأله ما هي خطّـته، فقـد فكّرت أن الوقت ما زال مبكراً لتفعل ذلك، فلقد عاد في هذا اليوم للتو مجدّداً إلى حياتها. عرض عليها إشعال النار في الموقد، ثم جلسا على الأريكة في غرفة الجلوس الأساسية، وتكلّما لساعات. تناثرت حياتهما حـولهما كقطعٍ صغيرة، بل كأحجية من الصور المتقطعة، وكانا يحاولان جمعهـا مـع بعـضها كقطعة من السماء هنا، وقطعة من الشجرة هناك، وبعـض الغـيوم العابرة هنالك. تكلّما عن منزليهما، وعن معاناة الطفولة، وحسرة القلب، وعن حيواناتهما المفضّلة. أخبرها كم كان يحبّ أخته، وأنه أصـبح محطماً حين توفّيت، فشرحت له كارول عندها كم شعرت بالوحدة في طفولتها. تلاءمت أحاديثهما معاً تماماً، أفضل ممّا كانا يخطّطان له.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة حين عرضت عليه تحضير العشاء. عندها اقترح شارلي عليها بتهذيب أن يتناولا العشاء في الخارج. كان الثلج قـد بدأ بالتساقط للتو، وتوافقا معاً على أن الجو في الداخل هو أجمل الآن. وفي النهاية حضرا الباستا والعجّة وهما يقفان معاً أمام الفرن، كما حضّرا الخبـز الفرنسي والجبنة والسلطة. وبينما انتهى العشاء كانا يضحكان على قـصص مضحكة أخبرته بها، كما أخبرها عن الأماكن الغريبة التي زارها فـي يخته، وحين عادا إلى غرفة الجلوس أخذها بين ذراعيه وقبّلها، ثم بدأ فجأة بالضحك. سألته وهي تبدو متوترة: "لماذا تضحك الآن؟"

- "كنت أفكّر بعيد البربارة ووجهك الأخضر. بدوت مضحكة جداً". كانت تلك المرة الأولى التي يقبّلها فيها، وهما يتذكّران ذلك جيّداً. وما لبثت أن انقطعت علاقتهما بعد ذلك بفترة قصيرة.

- لـيس بقـدر ما كنت أنت مضحكاً مع ذيل الأسد الذي كان يقف خلفـك تماماً، فالأولاد لا يزالون يتكلّمون عنه حتى الآن. لقد أحبّوه كثيراً، وقد ساعد ذلك الذيل غابي في التحرّك من مكان لآخر في ذلك اليوم. على فكـرة، لقـد أخبَرتني أنها اشتاقت إليك، فقلت لها إنك مسافر". هزّ شارلي رأسه. لم يذهبا في هذا اليوم إلى المركز، وقالت كارول إنها ستذهب اليوم التالـي، أما شارلي فأخبرها أنه يودّ الذهاب برفقتها. لقد اشتاق للأولاد لا سـيّما لغابـي، كما اشتاق إلى ذلك الجو الدافئ؛ لكنه اشتاق أكثر لكارول. حين أخذ يقبّلها من جديد، ونظرت إلى عينيه اللتين ظهر فيهما شيء لطيف جداً، شعرت كارول بالسلام، وكأنها قد عادت إلى منزلها بعد غياب. سألته بلطـف: "أتودّ الصعود إلى الطابق العلوي؟" فهزّ شارلي رأسه. لم يقل لها شيئاً بينما لحق بها صعوداً إلى غرفتها، ثم وقف يتأمّلها للحظة طويلة جداً.

لم يكن يريد أن يضغط عليها فسألها: "هل أنت بخير؟" تذكّر كم كانت رافـضة لمبدأ الخروج برفقة رجل، وذلك منذ شهرين فقط. مرّت أحداث كثيرة في هذه الفترة وقد كشفت لها الأسابيع الأربعة التي غاب عنها خلالها

أنها تحبّه كثيراً، لذلك كانت مستعدة لاغتنام الفرصة. لقد كانت هذه فترة انقطاعٍ طويلة جداً بالنسبة لها.

هزّت رأسها لتجيب عن سؤاله. بعدئذٍ، استلقيا معاً بارتياح في سريرها. إنها تنام في وسط هذا السرير حين تكون بمفردها. مارسا الحب معاً، كان ذلك وقتاً ممتعاً ومفرحاً ومليئاً بالعاطفة والمشاعر الحميمة. كان كلاهما بحاجة إلى تلك العاطفة، وإلى مشاركة بعضهما فيها. بينما راح الثلج يتساقط في الخارج تلك الليلة، وبدا المنظر لهما كبطاقة معايدة أو كأنهما في حلمٍ جميل.

20

مرّت عطلة عيد الشكر بسهولة على غراي وسيلڤيا. ذهبت سيلڤيا إلى معرضها يوم السبت إذ كان عليها إنجاز بعض المهمات، أمّا غراي فذهب إلى محترفه ليرسم. أمضيا يوم الأحد في السرير مع صحيفة نيويورك تايمز منثورة الأوراق حولهما، وقد تشاركا في حل الشبكة، ومارسا الحب، ثم عادا إلى النوم من جديد.

لم يسمعا كلمة من شارلي منذ ليلة عيد الشكر. أملا أن يكون قد أخذ بنصيحتهما، لكنهما لم يتأكّدا من ذلك. في صباح يوم الأحد كان الثلج قد أصبح بسماكة أربعة إنشات على الأرض. تلك الليلة أعدت سيلڤيا العشاء بينما أخذ غراي يقرأ كتاباً في غرفة الجلوس. كانا يتحدّثان بأمور عادية وغير مهمّة على العشاء حين سألها غراي متى سيأتي ولداها إلى المنزل. لم يفكّر بالموضوع من قبل، وحين سألها بدا عليه القلق. علمت أنه يشعر بالتوتر للقائهما، وأنه خائف من عدم موافقتهما على علاقة والدتهما به.

– "أعتقد أنهما سيأتيان قبل عيد الميلاد ببضعة أيام. قال جيلبيرت إنه سيأتي في الثالث والعشرين من الشهر، لكن إميلي كالعادة لم تكن واضحة معي، ستستقلّ الطائرة في اللحظة الأخيرة، وتظهر هنا فجأة كالبركان. إنها تفعل ذلك دائماً".

قـــال غراي بقلق: "هذا ما أخاف منه سيلڤيا. لا أعرف إن كانت هذه فكرة جيّدة".

– "عـمّ تـتحدّث؟ أتقصد مجيء ولدي في عيد الميلاد؟ هل تمزح؟" بـدت مذهـولة لكلامه. لطالما كان ولداها ولا يزالان النور الذي يضيء حـياتها. من المستحيل أن تقول لهما بألاّ يأتيا إلى المنزل، حتى من أجله. تابعت تسأله: "ما الذي تقوله؟!"

قال بعد أن أخذ نفساً عميقاً: "أنا أقول... إنني لا أعلم إن كنت مستعداً لمقابلـتهما. أعتقد أنه يجدر بي البقاء في محترفي بينما يكونان هنا". لدى سـيلڤيا شقة صغيرة في الطابق السفلي كان ولداها يستخدمانها حين يأتيان لزيارتها. أما بقية العام فكانت تستخدمها لتخزن فيها الأغراض، لذا لم يكن هـناك من سبب يمنع غراي من البقاء برفقتها وقد سبق لها أن شرحت له ذلك منذ أسابيع.

قالت سيلڤيا ببساطة: "عزيزي، إنهما سيحبّانك بالتأكيد". حاولت بذلك التخفيف من مخاوفه.

– "أنا لست معتاداً على الأولاد أبداً".

– "هما ليسا ولدين. إنهما راشدان".

– "هــذا ما تعتقدينه أنت. لكن الأولاد يبقون أولاداً حتى لو أصبحوا في الثمانين. إن كانت الأم في المئة من عمرها، ولديها ولدٌ في الثمانين من عمره فهو بالتأكيد سيشكّل أزمة لصديق تلك المرأة. إنه قانون الطبيعة". بدا غراي مقتنعاً تماماً بما يقوله.

– "هذه تفاهات. إنهما لم يشكلا يوماً أي مشكلة لغوردون، رغم أنهما كانـــا أصغر سناً في ذلك الوقت". غوردون هو صديقها الذي توفّي. تابعت سيلڤيا: "صدّقني إنهما ولدان طيّبان، وستحبّهما بالتأكيد".

قال بحزن: "ربما لا". ثم نظر نحوها بقلق.

– "مـــا الذي تقوله؟" شعرت أن المشكلة هي أعمق ممّا كانت تظن. علمت أنه يخاف من الأولاد لكن ليس إلى هذه الدرجة.

– "أقــول إن هــذا العمــق في الالتزام يجعلني متوتراً. طالما نحن نتعامل مع بعضنا فأنا مرتاح، لكن متى بدأت بإقحام الولدين في الموضوع فأنا أرتعب".

– "غــراي.. هذا جنون، بحق الله! سيبقيان هنا لبضعة أسابيع فقط". كانــت ستأخذهما للتزلج في اليوم الذي يلي عيد الميلاد. وأرادت أن يأتي غــراي معهم. أصبحا يعرفان بوجود رجلٍ في حياتها، وبدا أنهما يتقبّلان الأمر بشكلٍ جيّد. فهما يعرفان كم تشعر بالوحدة منذ وفاة غوردون.

– "ربما يجدر بي البقاء خارج الصورة حتى يرحلا". قال غراي ذلك بحــزم. بــدا أكثــر صــراحة مع الوقت، بينما جُرحت سيلڤيا من كلامه، وشعرت بالغضب والذهول.

قالــت مــن بين أسنانها: "دعني أستوضح الأمر جيداً. أنت لا تريد مقابلـــة ولــدَي، ولا تــريد رؤيتـــي إلى أن يرحلا من جديد. هل هذا هو الوضع؟ هل فهمتك جيّداً؟"

– "نعم. يمكنك المجيء لرؤيتي في محترفي متى أردتِ ذلك".

– "تــباً لهــذا!" قالت ذلك بينما تحرّكت بعصبية عبر الغرفة وبدأت بالمــشي ذهاباً وإياباً. تابعت تقول: "لا أريد أن أكون على علاقة برجل لا يريد مقابلة ولدَي. إنهما ولدان رائعان، وأنا أحبّهما. أنا أحبّك أيضاً، لكنهما جزءٌ مني غراي، ولن تتمكّن من معرفتي جيّداً إلاّ حين تتعرّف عليهما".

– "بلى، أنا أعرفك جيّداً، وأحبّك". قال ذلك وهو يبدو مذعوراً. تابع يقول: "لكنني لن أجبر على الانخراط في وضعٍ أعرف أنني لن أتمكّن من تحمّلـــه. لا يمكننـــي الــتعامل مع هذا المستوى من الالتزام. لا يمكنني.. أعرف نفسي جيّداً. لم أحبّ يوماً أن يكون لدي أولادٌ من صلبي ولايمكنني التعامل مع أولاد شخصٍ آخر".

– "إذاً، عليك الخروج برفقة امرأة ليس لديها أولاد".

– أجابها وهو ينظر نحو قدميه: "ربما".

– "متى قرّرت كل ما تقوله الآن؟" بدت مرتعبة ممّا يقوله لها. لم تتوقّع منه أبداً أن يكون غير عقلاني إلى هذه الدرجة.

– "قرّرت ذلك حالما أخبرتني أنهما سيأتيان إلى المنزل في عطلة عيد الميلاد. فكّرت بأن أبقى بعيداً بهدوء لبضعة أسابيع".

– "وماذا بشأن الصيف القادم؟ ألن تأتي معي إلى أوروبا؟"

تحبّ سيلفيا قضاء بعض الوقت بمفردها مع ولديها، لكن ليس لهذه الأسباب السخيفة والقاسية. لم يكن غراي مستعداً لبذل أي مجهودٍ ليقابل ولديها. قالت وقد ظهرت عليها خيبة الأمل: "أردتك أن تأتي معنا للتزلّج". لقد استأجرت منزلاً جميلاً في فيرمونت.

بدا غير مقتنع وقال: "أنا لا أتزلّج".

– "ولا أنا. لكنهما يفعلان ذلك، ونحن نمضي دائماً وقتاً رائعاً معاً".

– "ستقومون بذلك هذا العام أيضاً، لكنني لن أكون موجوداً".

– "تباً لك!" قالت ذلك ودخلت مسرعة إلى غرفة النوم، وأغلقت الباب خلفها بقوة. حين خرجت سيلفيا من الغرفة بعد ساعتين، كان غراي قد ذهب إلى محترفه ليمضي الليلة هناك، للمرة الأولى منذ ثلاثة أشهر. بدا لها الوضع سيئاً جداً، وحين اتّصلت به قال لها إنه يعمل، وهو لا يريد التحدث بالأمر.

قالت لنفسها: "تباً له!" لم تكن تملك أي فكرة عن الطريقة التي ستمكّنها من إقناعه. إنها تعرف كم كانت طفولته سيئة، وكم كان والداه مجنونَين. لقد أخبرها منذ فترة طويلة أن الحياة العائلية لا تناسبه، لكنها لم تتوقّع أن يزعجه الموضوع إلى هذه الدرجة. علمت أنه إن بقي حازماً في هذه المسألة، فسيؤثّر ذلك على علاقتهما في وقت أسرع ممّا

يتصوّران. لم تعرف إن كان عليها أن تتركه وشأنه لترى إن كان سيلين من تلقاء نفسه، أم عليها وضع حدٍ معين لتعطيه إنذاراً نهائياً، وهي في الحالتين ستخسره.

اجتمع الفرسان الثلاثة كما تدعوهم سيلفيا في مطعم صيني قبل عيد الميلاد بأسبوعين. كان الرجال الثلاثة يشعرون بالضغط، ولديهم الكثير من الأعمال. قال شارلي إن لديه مليون عملٍ عليه إنجازه في المؤسسة قبل أن يغادر على متن يخته، وزبائن آدم كانوا قد بدأوا يشعرون بالجنون، لذا كان عليه الذهاب إلى لاس فيغاس كي يحل نزاعاً من أجل أحد موكليه في نهاية الأسبوع، أما غراي فبدا محبطاً فحسب".

مازحه شارلي عندما باشروا العشاء: "إذاً، كيف حال عصفوري الحب؟" لكن غراي هزّ رأسه فقط، فسأله شارلي: "ماذا يعني هذا؟"

– "يعني أنني وسيلفيا بالكاد نتكلّم مع بعضنا. مرّ علينا أسبوعان قاسيان منذ عيد الشكر".

– بدا شارلي مندهشاً وسأله: "ماذا حدث؟ لقد بدوتما على ما يرام حين كنت هناك". ظهرا أكثر من مرتاحين معاً، بل كانا مذهلين.

– "أنا لا أحبّ الأولاد".

ابتسم شارلي وقال: "أعلم ذلك. فالفتيات اللواتي هنّ في الثانية والعشرين من أعمارهن هن من اختصاص آدم، لكن سيلفيا فاتنة، وليست طفلة".

– "لا! لكن لديها ولَدين. وأنا لا أريد حقاً مقابلتهما. سيأتيان في العطلة، وأنا ببساطة لا يمكنني الذهاب إلى شقتها. لا يمكنني.. سيصيبني ذلك بالجنون. في كل مرّة أقترب من عائلة ما، أشعر بالتوتر، بل أشعر بالاحباطِ والحزن. لا أريد مقابلة ولديها. أنا أحبّها هي لكنني لا أحبّهما".

– "آه تباً! وما الذي تقوله سيلفيا؟" شعر شارلي بالقلق.

- "ليس الكثير. إنها غاضبة، وأعتقد أنها جُرحت. إنها لا تقول ذلك، لكن لدي شعور بأنني إن لم أرضخ للأمر فسينتهي كل ما بيننا، وأنا أرفض العـودة. على احترام نفسي، فهناك حدود لن أتمكّن من تخطّيها. نشأت في عائلـة آدمـز المجـنونة، وأصبحت أختي راهبة بوذية، وأخي من عرق غـريب، وأنـا لـم أرَهُ منـذ مليون عام، ولا أريد رؤيته... والداي كانا مجنونين... لذا فأنا أعاني من الحساسية تجاه العائلات".

اختبـر شـارلي إصراره فقال: "حتى تجاه عائلة سيلفيا؟" أكّد غراي قـائلاً: "نعم حتى تجاه عائلتها. سيذهبون إلى فيرمونت بعد عيد الميلاد كي يتـزلّجوا". قال ذلك وكأنّهم سيذهبون بصاروخٍ ما إلى مجرّة أخرى، وكان الكرسي الكهربائي يبدو أكثر جمالاً من هذه الرحلة.

- "أنت أيضاً قد تشعر بالتسلية".

- "لا، لن أفعل. إنهما على الأرجح ليسا باللطافة التي تظنّها سيلفيا. وحتـى إن كانـا كذلك، فأنا لديّ مشاكلي الخاصة، ولا أريد أن أتورّط مع عائلـتها. أريدها هي فقط". لكنّه أدرك أنه إن تشبّث برأيه فسيخسرها هي أيـضاً. لكـن غراي شعر أن ليس لديه خيار آخر، ما جعل شارلي يشعر بالأسف من أجل سيلفيا أيضاً. أدرك أن الأمر يعني الكثير لها. إنها فخورة بولديها وهي تحبّ غراي.

قـال شارلي بلطف: "أتمنّى أن تحلاّ هذه المسألة بينكما. سيكون من المؤسـف ألاّ تفعـلا". خـلال علاقته بسيلفيا شعر غراي بالسعادة التي لم يعـرفها مـن قبل. أخبر شارلي آدم وغراي عن كارول، فقال بفخر: "لقد عملـت بنـصيحتك، لـذا أتمنّـى أن تأخـذ بنصيحتي أيضاً وتقدّم بعض التنازلات. أعتقد أنك ستشعر بالندم لاحقاً إن لم تفعل".

- "أنـا واثق من أنني سأندم". قال غراي ذلك وقد ظهر على وجهه الإذعان. كان مستعداً تماماً ليدفع ثمن قراره ويخسرها، بدلاً من لقاء ولديها والتورّط معهما.

قال آدم بخجل بينما نظر صديقاه نحوه بانتظار كلامه: "لدي خبر صغير أزفّه إليكما". ذكّر شارلي بالحدث قائلاً: "أتذكر ماغي التي التقيت بها في حفلة قانا؟" هزّ شارلي رأسه وقد تذكّرها، فتابع يقول لهما: "لقد انتقلت للعيش معي". بدا فخوراً من جهة، وخجولاً من جهة أخرى وهما يحدّقان به.

سـأله شارلي: "ماذا فعلت؟" تذكّر كيف بدت تلك الليلة، وكيف شعر بالأسـف عليها. لقد بدت له فتاة طيّبة، ولديها روح جميلة. تعجّب ممّا قاله آدم، وقـال: "أنـت؟ ألـست صـاحب شعار: لن أرتبط من جديد، وأريد المحافظـة على حريتي للحصول على مليون امرأة؟ فكيف حدث ذلك؟" لم تـبدُ ماغـي محـتالة بالنسبة له، لكن، من يعلم؟ لا بد أنها فعلت شيئاً كي تجعله ينقلب بهذا الشكل.

- "إنهـا تأخذ دروساً تحضيرية لكلية الحقوق في الليل، واكتشفت أن بإمكانـي مـساعدتها في فروضها". قال ذلك محاولاً أن يبدو طبيعياً، أما الرجلان الآخران فأخذا يقهقهان ويسخران منه.

- "حاول الكذب سوانا..."

- "حـسناً، حسناً... أنا فعلاً معجب بها... أحبّها... كيف كان لي أن أعلـم؟ في دقيقة كنّا نتواعد، وفي دقيقة أخرى وجدت نفسي لا أريدها أن تغـيب عن نظري أبداً. لم أخبرها بذلك بعد، لكنني أنوي أخذها معي إلى فـيغاس في نهاية الأسبوع. لم يسبق لها الذهاب إلى هناك". إنها لم تذهب إلى أي مكانٍ من قبل، وكان آدم يخطّط ليغيّر ذلك قريباً.

سـأله شارلي: "هل أخبرتها عن رحلة اليخت؟" كان آدم سيسافر إلى سـانت بارتس ليلتقي بشارلي على متن اليخت في السادس والعشرين من كانون الأول/ديسمبر، كما يفعل كل عام، وذلك بعد أن يمضي عيد الميلاد مع ولديه.

هـزّ آدم رأسـه محاولاً أن يبدو غير متورّط في الأمر: "فكّرت بأن أخبـرها بعد عطلة نهاية الأسبوع". كان يأمل أن تشعر بالفرح بعد الرحلة

إلى فيغاس، فلا تعلّق أهمية على ذهابه على متن اليخت. تابع يقول: "لا يمكنني تغيير كل شيء. نحن نقوم بهذه الرحلة منذ عشر سنوات. هل أخبرت أنت كارول بشأنها؟"

قال شارلي بحزم: "لا، لكنني سأفعل. أنا لا أحبّ عطل الأعياد". فردّ غراي بنفس الحزم: "وأنا لا أحبّ الأولاد".

اقترح شارلي قائلاً: "هل تريد أن تأتي إلى سانت بارتس معنا". إن كنت تنوي ألاّ تمضي العطلة مع سيلڤيا، من الأفضل أن تأتي".

قال غراي بجبن: "أنا لا أحبّ الكاريبي أيضاً". ثم ضحك من نفسه وتابع: "يا إلهي! إن جمعنا ما نملكه نحن الثلاثة من حقائب سفر يمكننا فتح خطوط جوية خاصة بنا". لكن ليحصل المرء على ما يحصلون عليه الآن، عليه أن يمرّ في طريق صعب، ويدفع الثمن غالياً تماماً كما فعلوا. فهم قد سدّدوا كل ديونهم.

أضاف آدم وهو يضحك: "أنا لا أحبّ الزواج".

أجابه شارلي وهو يسخر منه: "أخبرني بذلك بعد سنة من الآن، في مثل هذا الوقت. تباً! أنت آخر شخصٍ على هذا الكوكب، توقّعت منه أن يعيش مع امرأة. ماذا حدث للفتيات الأُخريات اللواتي تتلاعب بهنّ دائماً؟" شعر شارلي بالفضول، إذ لم يسبق لآدم بأن حصل على أقل من أربع فتياتٍ في الوقت نفسه، وكان معظم الأحيان يخرج برفقة خمس فتيات أو ست في الأسابيع الجيدة. وذات مرّة خرج مع سبعة فتيات في الأسبوع نفسه.

قال بارتباك: "لقد تخلّيت عنهن من أجلها. لم أكن أريدها أن تفعل الأشياء نفسها معي، ظننت أنها تخرج مع رجالٍ آخرين. ثم اكتشفت أنها تذهب إلى المدرسة. لأكون صادقاً، إن مجرّد التفكير بخروجها مع رجل آخر جعلني أصاب بالجنون، ثم أدركت أن ذلك بسبب حبّي لها، فأنا أحبّ العيش برفقتها".

أعلمهما غراي قائلاً: "أنا فقط أنام عند سيلڤيا. لكنني لا أعيش معها". بدا فخوراً لأنه لم يفعل.

ترجم آدم الوضع له قائلاً: "هذا يعني فقط أن ملابسك منتشرة في المدينة، وأن أحذيتك ليست موجودة في الشقة المناسبة. وأنت لن تنام عندها بعد اليوم إن لم تقتنع بمقابلة والديها، أو على الأقل هذا ما أتوقّعه. أعتقد أن هذا مهم جداً بالنسبة لها. إنه مهم بالنسبة لي أيضاً. قد يؤدّي أمر مماثل إلى قطع علاقتي مع ماغي إن لزم الأمر". كانت هذه حكمة يجدر بغراي أن يتّعظ منها، لكنه بقي مصراً على موقفه، وهزّ رأسه.

سأل شارلي آدم باهتمام: "هل التقت ماغي بوالديك؟"

– "ليس بعد، لكنها ستلتقي بهما على الأرجح قبل العطلة. على فكرة، أنا لم أعد أزور والدتي أيضاً. أو على الأقل، لم أفعل في عيد الشكر. ذهبت إلى منزل والدي، وجلست هناك أستمع إلى نفس الهراء الذي يُرمى دائماً بوجهي، لذا قمت ومشيت خارجاً قبل موعد الغداء. اعتقدت أن والدتي ستصاب بسكتة قلبية إن فعلت، لكنها لم تفعل. في الواقع، لقد أصبحت مهذبة جداً معي منذ ذلك الحين كلّما اتّصلت بها".

سأله غراي: "وما الذي قاله والدك؟"

– "لقد استغرق في النوم".

كان العشاء هادئاً، ولم يعد هناك من أخبارٍ جديدة يزفّونها لبعضهم. تكلّموا عن السياسة، والأعمال، والاستثمارات، وعن الفن من أجل غراي، فهو سوف يقوم بعرض لوحاته في نيسان، لكن ثلاثاً من اللوحات التي ستعرض كانت قد بيعت منذ الآن. قامت سيلڤيا بعمل رائع لأنها فتحت له ذلك الباب، وكان ممتناً لها كثيراً، لكنه غير ممتنٍ بما يكفي ليلتقي بوالديها، فهناك بعض الأشياء التي لا يستطيع القيام بها. تكلّم آدم وشارلي عن حماسهما لقضاء أسبوعين على متن القمر الأزرق، وشجّعا غراي لينضمّ إليهما، لكنه لن يفعل ذلك، إذ قال إن لديه الكثير من الأعمال ليقوم بها من أجل معرضه.

كالعادة، كان الرجال الثلاثة آخر من غادر المطعم، وقد تناولوا كمية كافـية مـن الشراب. لم يكن أي منهم يشرب مثل هذه الكمية بمفرده، لكن حين يلتقون ببعضهم، فإنهم يسرفون في الشراب بعض الشيء.

عـاد غـراي إلـى شقته تلك الليلة. وحين عاد آدم إلى منزله كانت ماغي قد نامت. وعاد شارلي إلى منزله وهو يبتسم، ويفكّر بالأسابيع التي سيمضيها على متن يخته. فهو سيغادر قبل أربعة أيام من عيد الميلاد.

كانت هذه طريقة ممتازة ليتظاهر بأن لا وجود لعيد الميلاد أصلاً.

21

أخبـر آدم ماغي عن العطلة في لاس ڤيغاس في صباح اليوم التالي، وأعجـبها الأمـر، فأخذت عطلة من العمل في نهاية الأسبوع. كان لديها بعـض الفروض، لكنها قالت إنها ستأخذ كتبها معها، فتنهي دروسها حين يكون آدم منشغلاً بالأعمال. رمت ماغي ذراعيها حول رقبته، ولم تصدّق حظها الرائع، فهما سيسافران على متن طائرة آدم الخاصة.

لكـنها فجـأة نظرت نحوه بذعر، ثم سألته: "ما الذي سأرتديه؟" الآن وقـد أصـبحت تعـيش معه، لم يعد بإمكانها استعارة أثواب زميلاتها في الـسكن، رغم أنهن لا يملكن ثياباً مناسبة بجميع الأحوال. لكن آدم كان قد فكّر بالأمر مسبقاً، فابتسم وأعطاها بطاقة ائتمان.

قـال بكرم: "اذهبي للتسوّق". وقفت ماغي تحدّق فيه لدقيقة، ثم ردّت له البطاقة.

قالـت بحـزن: "لا يمكنـنـي فعل هذا. قد أكون فقيرة، لكنني لست رخيـصة". كانت تعلم أن النساء الأخريات كن يفعلن ذلك معه، لكن مهما حـدث، لا تستطيع هي أن تفعل ذلك. ستحصل على مالها الخاص في يوم مـن الأيـام، أما في الوقت الحاضر فستكتفي بما تملكه، وهو عبارة عن أجـرها فـي بيير 92 والبقشيش الذي تحصل عليه هناك. تابعت تقول له: "شـكراً حبيبـي. سأفكّر بحلٍ آخر". علم أنها ستفعل ذلك، لكن قلبه يؤلمه

دائماً عليها، فحياتها أصعب بكثير من حياته. أراد أن يساعدها أكثر ممّا يفعل الآن، لكنها لا تسمح له بذلك أبداً. شعر آدم بالاحترام نحوها لأنها تفعل هذا. إنها من صنف مختلف تماماً عن النساء اللواتي عرفهن من قبل.

كانا سيغادران إلى ڤيغاس يوم الجمعة بعد الظهر، وكانت ماغي متحمسة جداً وبالكاد تحتمل الانتظار، فرمت ذراعيها حول رقبته وشكرته. كان يحبّ تقديم أمورٍ مماثلة لها، وبدا متحمساً ليُريها المكان، ويقوم بأشياء مميّزة من أجلها. أراد أن يعوّض عليها كل الأوقات الصعبة التي مرّت بها، وكانت ممتنة له دائماً، ولم تقبل منه شيئاً وكأنه أمر طبيعي ومضمون. في عطلة الأسبوع التي تلت الرحلة إلى ڤيغاس أخبرها أنه يريدها أن تحتفل معه ومع ولديه لمناسبة الأعياد، فقد سبق أن أخبر والدته أنهم لن يذهبوا إلى منزلها. لقد تغيّرت الأيام الخوالي.

حين وصل شارلي ليقلّ كارول إلى حفلة الظهور الأول، وجدها مرتدية ملابسها وهي تنتظره. لقد قطعت أنفاسه حين رآها تَمشي نحوه، فقد كانت ترتدي فستاناً من الساتان الزهري اللون، وتنتعل حذاءً فضياً مرتفع الكعبين، وقد رفعت شعرها على الطريقة الفرنسية. كانت قد استعارت سترة من الفراء من والدتها، واشترت فستانها من بيرغ دورف، وكانت تضع قرطين وعقداً من الماس ورثتها عن جدّتها، وتحمل حقيبة فضية وتضع قفازين أبيضين.

وقف شارلي هناك للحظة طويلة جداً يحدّق فيها، وكان هو يضع رابطة عنق بيضاء، فشكّلا ثنائياً مميّزاً. بدت كارول كمزيج بين غرايس كيلي وإيما ثورمان، مع لمسة من ميشيل فايفر. أما شارلي فبدا كمزيجٍ بين غراي كوبر وكاري غرانت.

استدارت جميع الرؤوس نحوهما حين وصلا إلى القاعة في والدروف أستوريا. بدت كارول أشبه بملكة حقيقية، إذ كان مظهرها مختلفاً تماماً عن المرأة التي التقى بها في المركز، والتي ترتدي سروال الجينز

الأزرق مع حذاءٍ رياضي، أو المرأة التي طلت وجهها باللون الأخضر في عيد البربارة. لكن أفضل ما في الأمر هو أن شارلي أحبّ شخصياتها المختلفة. كان من الممتع الخروج معها في العلن، ورؤيتها وهي ترتدي فستاناً أنيقاً.

مشيا عبر ممر الاستقبال، والتقيا بجميع الفتيات اللواتي يظهرن لأوّل مرّة. استغرقت كارول في ذكرياتها عن ظهورها الأوّل، وقالت إنها شعرت بالخوف حتى الموت يومها، لكنها استمتعت في النهاية.

قال لها بنظرة إعجاب: "أراهن أنك بدوت رائعة، لكنك الآن أجمل بالتأكيد، فأنت تبدين جميلة جداً الليلة". لقد عنى شارلي كل كلمة قالها وهو يدور برفقتها حول باحة الرقص، وهما يرقصان الڤالس. كانا راقصين بارعين، فكل مظاهر حياتهما الباكرة والتمرين الذي قاما به خلال تلك الفترة ظهرت في تلك اللحظة؛ مدرسة الرقص، وحفلات الفتيات الجدد، وكل تلك المظاهر التي حاولت كارول أن تنساها. الليلة عادت إلى عالمها القديم ولو لزيارة قصيرة. علم شارلي أنه لن يستطيع جعلها تفعل أشياءً مماثلة بشكل كثيف أكثر، ولم يمانع في ذلك. فهو نفسه كان يشعر بالملل من هذه المظاهر، لكنه أحبّ المحافظة على خيار حضور هذه المناسبات من وقتٍ لآخر.

مرّا ليسلّما على والديها قبل العشاء بقليل. دلّته كارول عليهما، فتوجّها نحوهما بتهذيب. كان والداها يجلسان مع وجهاء نيويورك، وحين رآهما والدها وقف ليرحبّ بهما. بدا رجلاً طويلاً ومميّزاً ويشبه كارول كثيراً. مدّ يده ليسلّم على شارلي حين عرّفتهما إلى بعضهما، وقد بدا وجهه وكأنه قد نُحت من الجليد. سبق لشارلي أن التقى به منذ بضع سنوات، لكنه شكّ بأن يتذكّره الرجل.

قال آرثر فانهورن بتجهّم: "كنت أعرف والدك. كنا في أندوفر معاً، وقد شعرت بالأسف كثيراً لسماع ما حدث له. لقد كانت خسارة مأساوية".

لم يكن هذا موضوعاً مفرحاً لشارلي، وحاولت كارول تغيير الموضوع. لكن والدها كان يحبّ التحدّث بالمواضيع المؤلمة، فهذه هي طريقته. عرّفت كارول شارلي على والدتها أيضاً. بقيت هذه الأخيرة جالسة بصمت، فيما مدّت يدها لتصافحه، ثم هزّت رأسها، والتفتت بعيداً، وانتهى الأمر عند هذا الحد. عاد شارلي وكارول إلى طاولتهما، ثم رقصا لبعض الوقت وعادا إلى مكانيهما. اعترف شارلي لكارول قائلاً: "حسناً! كان الأمر مروّعاً قليلاً". ضحكت كارول، فقد كان موقف والديها نموذجياً، ولا يمكنها القيام بشيء حيال ذلك.

- "بالنسبة لهما كان هذا لقاءً دافئاً، فأنا لا أذكر أن والدتي قبّلتني يوماً أو غمرتني. لطالما كانت تدخل إلى الحضانة، كما كانت تدعوها، وتنظر حولها كأنها تزور حديقة الحيوانات. كانت تشعر بالخوف من أن يهاجمها أحدٌ إن بقيت هناك لفترة طويلة، لذا لم تكن تبقى مدّة طويلة أبداً. لا أذكر أنني رأيتها مرّة لأكثر من خمس دقائق. إن كنت سأنجب يوماً أطفالاً فسأستلقي معهم على الأرض، وأوسّخ ثيابي مثلهم، وأعانقهم وأقبّلهم حتى يصرخون".

- "كانت والدتي تماماً كما تصفين، تحبّ التواجد مع ولديها دائماً". لقد صعُب الأمر عليه كثيراً حين توفّيت، فلطالما أخبرته أنها تحبّه وتحبّ أخته ألين كثيراً. أما والده فكان معلّمه الناصح وصديقه المفضّل حتى وفاته. إنه بطله! وقد شعر بخسارة كبيرة حين توفّي. في الواقع لقد خسر عالماً بأكمله بوفاتهما. يتذكّر شارلي والده بفرح، فقد كان رجلاً ذا كياسة، وكان أشبه بكلارك غابل، كما كان يحبّ اليخوت. وهذا على الأرجح السبب الذي جعل شارلي يقتني يخته الأول تمجيداً لوالده. حين توفّي، أراد أن يحصل على يخوت كان والده ليحبّها، وقد أخبر شارلي كارول كم من الغريب كيف تلاحق هذه الأفكار الإنسان منذ صغره وحتى سنين رشده.

قال حين جلسا لتناول العشاء: "لا أعتقد أننا نتخطّى مسألة إرضاء والدينا بسهولة".

كانت السهرة ممتعة لكليهما، بدت الفتيات جميلات، ومرّت لحظات عاطفية جداً. رقصت الفتيات في البدء مع آبائهن، وهن يحملن الزهور، ويرتدين فساتين بيضاء. كان المشهد شبيهاً بمشهد بالعرس، وهو بالفعل علامة لاقتراب موعد ارتباط الفتيات. لقد قُدّمت الفتيات كي يجدن الزوج المناسب. خلال السهرة تستمتع الفتيات كثيراً، لكن بعد انتهائها يغيّرن ملابسهن، ويرتدين التنورة القصيرة، ويخرجن إلى الملاهي مع أصدقائهن.

اعترفت كارول قائلة: "تقنياً، أنا لا أوافق على هذه المظاهرة وكل ما ترمي إليه، لكن الحقيقة هي أن لا أهمية لهذا الموضوع، فهو لا يسبّب الأذيّة لأحد. إنها ليست ساعات تسلية أمام الكمبيوتر، لكن يبدو أن الأولاد يستمتعون بها". شعر شارلي بالارتياح لأنها ترى الموضوع، بهذه الصورة، ونظر نحوها بسعادة وهما عائدين إلى منزلها في الليموزين التي استأجرها من أجل المناسبة. كانت السهرة عظيمة وقد استمتعا كثيراً. ابتسمت كارول له وقالت: "شكراً لأنك أخذتني". فاقترب شارلي منها وقبّلها. فكّر أنها أجمل امرأة رآها في حياته، وشعر بالفخر لوجوده معها، رغم أنه شعر بالرعب قليلاً حين رأى والديها، فهو لم يستطع تخيّل النشوء مع والدين مثلهما. أذهلته كارول لأنها طبيعية، وشكر ربه لأنها ليست مثلهما. إنها دافئة وطيّبة وحنونة ولطيفة، بينما هما قاسيان. كانت تبتسم له بسعادة وهما يقتربان من منزلها، ثم قالت له: "لا أستطيع الانتظار حتى يوم عيد الميلاد كي أمضيه برفقتك. أنا أحبّ الأعياد، وفكّرت بشراء شجرة الميلاد غداً حتى نتمكّن من تزيينها معاً". نظر شارلي نحوها وكأنه تعرّض لضربة قوية، وظهرت لحظة غريبة من التردد بينهما. علم أن عليه قول شيء الآن، لأنه سيكون كاذباً إن لم يقل شيئاً. عليه إخبارها بالحقيقة، تماماً كما أخبرها حين عادا لبعضهما، أنه يتوقّع منها دائماً قول الحقيقة.

بدا صوته حزيناً وهادئاً وهو يتكلّم فقال: "لن أكون هنا".

بـدت كارول مذهولة وقد ظهر عليها الحزن الشديد، فسألته: "أتقصد غداً؟"

أجابهـا بحـذر: "لا، بل في عيد الميلاد، فأنا أكره الأعياد. أكره كل لحظـة فـيها، وكل شيء يخصّها. لذا فإنني أمضي ذلك الوقت على متن يختـي كـل عـام. سأرحل لمدة ثلاثة أسابيع". ساد صمت طويلٌ بينهما، وحـدّقت كارول به كأنّها لا تصدّق ما يقوله. سألته وقد شعرت كأنه وجّه لهـا ضـربة على رأسها: "متى سترحل؟" خيّل إليه كأن الدماء تقطر من أذنـيها لـشدة خيبتها، وجعله ذلك يشعر بالأسى. كره أن يسبّب لها خيبة الأمل، لكن هناك أشياء لم يكن باستطاعته فعلها أبداً، وهذه واحدة منها.

بدا شارلي متألّماً، لكنه بقي حازماً وقال: "في الأسبوع المقبل".

- "أترحل قبل عيد الميلاد؟" هزّ شارلي رأسه إيجاباً.

- "سأذهب إلى سانت بارتس مع آدم. إنه تقليد، ونحن نقوم بذلك كل عـام". قـال ذلـك كأنه يبرّر الأمر، لكنّهما علما أن كلامه لا يبرّر شيئاً بنظرها.

- "هـل يتـرك آدم ولديـه في يوم عيد الميلاد؟" جاء صوتها مليئاً بالانتقاد فقد بدا الأمر في منتهى الأنانية بالنسبة لها.

- "إنه يلحق بي بعد يومٍ من عيد الميلاد. أنا دائماً أسبقه بأسبوع".

- "لـمَ لا تذهب برفقته بعد يوم من العيد؟ وبذلك سنتمكّن من قضاء العيد معاً". بدا ذلك تسوية منطقية لكارول، لكن شارلي هزّ رأسه معارضاً.

- "لا يمكننـي فعل ذلك. أنا أعرف نفسي، فقط لا يمكنني. أريد أن أرحـل عـن المكان قبل أن تتجيّش عواطف الناس، وإلاّ أصبت أنا بنوبة عاطفية خطيرة. عيد الميلاد مناسبة خاصة لمن لديهم عائلات وأولاد. وأنا ليس لدي أحد".

قالـت بحزن: "لديك أنا". بطريقة ما علمت أن الوقت لا يزال مبكراً لـتوقّع ذلـك منه، لكنهما على علاقة، وهما يحبّان بعضهما، وعيد الميلاد مناسـبة هامـة بالنسبة لها، ويجب أن يعني ذلك شيئاً له. لكن يبدو أنه لا يعني شيئاً لشارلي، أو ربما يعني أكثر بكثير ممّا تصوّرت!

قال لها مواسياً: "سنقوم بأمور ممتعة حين أعود". لكنها حدّقت خارج النافذة وهي تفكّر.

- "لـن أتمكّن من ذلك حينها. لم أكن أفكّر بالقيام بأمر ضخم جداً". التفـتت نحوه وتابعت: "أردت فقط التواجد معك. وبجميع الأحوال سيكون علـيّ أن أعمـل حينها. لا يمكنني ترك الأولاد من دون سبب حين تعود، فقط لأنك لا تريد قضاء عيد الميلاد برفقتي".

شـرح لها وهو يبدو غير سعيد: "المسألة ليست محاولة مني لتجنّبك. أنا أكره عيد الميلاد. فهو قد وُجد خصيصاً لجعل الناس يشعرون بالتعاسة وكـأنّهم منسيون. حتى الأولاد لا يحصلون أبداً على ما يريدونه. يتشاجر الناس، ويتعارك الأولاد مع بعضهم... بابا نويل هو كذبة نخبر الأولاد بها، ثـم نخـيّب آمالهم لاحقاً حين نعتقد أنهم كبروا كفاية لنخبرهم بالحقيقة. أنا أكره كل ذلك، ولن أقوم به".

قالت كارول وهي تحدّق مباشرة في وجهه: "ربما يكون الحب دائماً مخيّباً للآمال".

قـال وهمـا يـصلان إلى منزلها: "كنت آمل أن تتقبّلي الأمر بروح رياضية".

- "وكنت آمل أن تكون هنا يوم العيد". لقد أزعجتها فكرة قضاء عيد الميلاد مع والديها، فقد كانت تخطّط لقضاء معظم النهار في المركز، ثم مع شارلي.

ساعدها شارلي لتخرج من السيارة، وسار معها إلى باب منزلها. لقد أنهى السهرة بشكل كئيب بسبب ما أعلنه لها، وشعر بالخوف من الاقتراب

منها لتقبيلها حتى. رغم أنها لم تقل الكثير من الكلام، لكن الأمر بدا كنهاية للعلاقة بالنسبة لها. خاف شارلي أن يكون الأمر قد انتهى بينهما. لكنه علم أن ليس بيده ما يفعله من أجلها.

قال بلطف وهو يوصلها إلى المنزل: "سأتّصل بك غداً". لم يطلب منها أن يرافقها إلى منزلها، وهي لم تقم بدعوته، فقد كانت غاضبة جداً بسبب ما سمعته. يبدو أن هذه العلاقة لن تكون كما تصوّرتها كارول، لن تكون كذلك إن لم يُمضِ عيد الميلاد معها.. إن كان سيغيب لثلاثة أسابيع، فهو لن يكون هنا حتى في رأس السنة، لذا سيكون لديها ليلة رأس السنة أيضاً لتمضيها بمفردها.

قالت له بهدوء: عمت مساءً". ثم قبّلته على وجنته، وبعد لحظات تركها شارلي. وقفت كارول خلف النافذة تراقب، بينما ابتعدت سيارة الليموزين.

حين توجّه شارلي إلى منزله كانت كلمات كارول ما زالت ترنّ في أذنيه: "ربما يكون الحب دائماً مخيّباً للآمال". إنها عبارة تافهة، لكنه يستحقّها. لكن هذه المرّة كان كلاهما خائب الأمل. لقد توقّع شارلي منها أن تتفهّم كم أن الأمر مؤلم له، لكنها لم تفعل. وكارول توقّعت منه أن يكون برفقتها، لكنه لن يستطيع ذلك، حتى من أجلها، مهما كان الثمن غالياً بالنسبة لهما.

22

كانت عطلة نهاية الأسبوع في لاس ڤيغاس مذهلة، وقد أحبّت ماغي كل شيء فيها. أحبّت العروض، والمحلات، والأضواء، والمقامرات. أحبّت كذلك الناس، وحتى عروض المصارعة. في النهاية، اشترى آدم لها فستاناً وسترة من الفراء ارتدتهما إلى عرض المصارعة. لقد حصلت أيضاً على خمس مئة دولار بعد المراهنة بخمسين دولاراً من مالها الخاص، ما جعلها تشعر بالصدمة. في طريق العودة شعرت ماغي كأنها أميرة، وابتسم آدم بسبب سعادتها.

- "أنا سعيد لأنك استمتعت بالرحلة". لقد أحبّ تدليلها قليلاً والبقاء معها والتباهي بها، فقد بدت رائعة الجمال بفستانها الجديد وسترة الفراء.

أكّدت له قائلة: "لقد أمضيت وقتاً رائعاً". وشكرته كثيراً. كانا على وشك الهبوط في مطار جون كنديِ الدولي حين ذكرت ماغي فجأة، ومن دون سبب، سهرة رأس السنة، إذ قالت إنه سيكون من الممتع قضاؤها في لاس ڤيغاس، فهي قد أحبّتها كثيراً. لقد انسجمت ماغي كثيراً في عالمه، بدلاً من التذمّر كما تفعل والدته.

قال آدم بشكل مبهم: "نعم، ربما في وقتٍ ما".

سألته وهي تبدو متحمّسة: "ماذا عن هذا العام؟" علمت أنه يذهب كثيراً إلى لاس ڤيغاس وأن لديه طائرة خاصة. لذا بإمكانهما الذهاب إلى

أي مكانٍ يريدانه، وهو أمر جديد بالنسبة لها. شعرت كأنها عصفور ذو جانحين عملاقين.

أجابها وهو ينظر خارج النافذة: "لا يمكنني ذلك". تماماً مثل شارلي، أدرك آدم أن عليه إخبارها بالأمر، إذ سيكون عليه فعل ذلك عاجلاً أم آجلاً. فتابع يقول: "أنا أسافر مع شارلي كل عام، بعد يومٍ من عيد الميلاد".

بدت خائبة الأمل وهي تسأله: "أتقصد أنكما تذهبان في رحلة للرجال فقط كرحلة الصيد مثلاً؟"

– "نعم، نوعاً ما..." أراد أن يترك الموضوع عند هذا الحد، لكنها لم تسمح له.

– "إلى أين تذهبان؟"

– "إلى سانت بارتس، على متن يخت شارلي". حدّقت ماغي فيه بغضب.

– "إلى الكاريبي...؟ على متن اليخت...؟ هل تمزح؟"

– "لا، لست أمزح. شارلي يكره عيد الميلاد، فيذهب دائماً قبل أسبوع من ذهابي، وأنا ألحق به بعد قضاء عيد الميلاد مع ولدي. نحن نقوم بذلك كل عام".

– "وماذا بعد؟ أتعاشران كل فتاةٍ في الكاريبي؟"

أجابها بهدوء: "في السابق، هذا ما كنا نفعله، لكن الآن لا. فأنا لدي أنت". لم يكن يريد الشجار معها، لكنه في الوقت نفسه لم يكن مستعداً لتغيير مشاريعه، فرحلاته مع شارلي تقليد يعني الكثير له.

سألته: "وأنت لا تنوي دعوتي لمرافقتك". بدت كأنها تودّ رمي شيء في وجهه، لكن لحسن حظه لم تجد شيئاً لترميه.

– "ماغي لا يمكنني ذلك. إنها رحلة شارلي، وسيكون بمفرده. إنها رحلة للرجال فقط".

– "تباً لهذه الرحلة! أنا أعلم ما يقوم به الرجال حين يكونون بمفردهم.. كتلك الأشياء التي قمت بها قبل أن تلتقي بي".

– "شارلي ليس كذلك. إنه مستقيم. ولديه حبيبة أيضاً".

سألته ماغي بشك: "هل ستذهب معكما؟" فهز آدم رأسه بالنفي.

– "لا، لن تذهب. سنكون فقط أنا وهو".

– "كم من الوقت ستغيبان؟"

– أسبوعان". أجفل آدم بسبب ردّة فعلها.

– "أسبوعان؟ هل تعتقد أنني سأجلس هنا بينما تخرج لتصاحب النساء؟ إن فكّرت بهذا الأمر فأنت مجنون".

قال وهو يبدو غاضباً: "لا تهدّديني. أعرف أنك منزعجة، لكن ليس بيدي حيلة. لا يمكنني خذل شارلي، ولا يمكنني أن أطلب منه أن يسمح لك بمرافقتنا. سيبدو ذلك غريباً بالنسبة له، فهو يتوقّع أن أذهب بمفردي".

– "رائع! إذاً استمتع بليلة رأس سنة جميلة وأنت تقبّله. ربما هذا كل ما في الموضوع. هل هو شاذ؟"

– "آه، بحق الله! نحن صديقان. نسافر معاً مرتين كل عام. أنا آسف لأن ذلك يحدث خلال عيد رأس السنة، لكنني لن أكن أعلم أنك ستكونين هنا. أنا آسف".

– "وهل ستكون السنة المقبلة مختلفة؟"

– "ربما! لا أعلم. لن أعطي وعوداً لمدة عام من الآن. فلنرَ إلى أين تأخذنا الظروف". حاول أن يبدو أكثر هدوءاً ممّا هو عليه، إذ بمجرّد الاستماع إليها بدأ ينتابه ألم حاد في رأسه.

– "سأخبرك إلى أين ستأخذنا، ستأخذنا إلى الحضيض إن كنت ستتركني أثناء العطل والأعياد، لتذهب في رحلات مع أصدقائك. إن لم

تكـن تـريد أن تمضي الأعياد معي، حسناً... لكن عندها عليك أن ترمي بكـتاب قواعدك حول المواعدة والغرام في سلة المهملات، لأن الأشخاص الـذين يتـشاركون فـي علاقة ما يمضون الأعياد معاً، لا سيّما ليلة رأس السنة".

– "شكراً على المعلومات". كان يمسك رأسه عندها بكلتا يديه، لكنها تجاهلت الأمر. فقد كانت غاضبة منه. قال آدم: "اسمعي! لقد أتينا للتو من رحلة جميلة في لاس فيغاس، فدعينا لا نفسد الأمر. أريدك أن تلتقي بولدَي فـي الأسـبوع المقبل، وأريد أن ينجح هذا الموضوع. سأغيب لأسبوعين فقط. أليس بإمكانك أن تسترخي قليلاً وتكوني لطيفة؟"

– "اللطفـاء يخسرون دائماً. كما أنه ليس عليك أن تغيب لأسبوعين، بل أنت تريد أن تغيب. ما الذي قالته حبيبة شارلي؟"

قال بتجهّم: "ليس لدي أي فكرة".

– "أراهن أنها ليست سعيدة على الإطلاق أيضاً".

اسـتمرّت المعركة بينهما حول ليلة رأس السنة لأسبوع كامل، لكن ماغي تمكّنت من وضع هذا الموضوع جانباً لبعض الوقت كي تقابل ولدي آدم فـي عطلـة نهاية الأسبوع المقبلة. بعد بعض التحركات الحذرة قرّر ولداه أنهما أحبّاها، أمّا هي فشعرت بحب مجنون تجاههما. بدا آدم مسحوراً بـذلك الانسجام، وقد ذهب الأربعة للتزلّج معاً. أخذت ماغي أماندا لشراء هديـة عـيد الميلاد لوالدها، حتى إنها علّمتها كيف تضع مساحيق التجميل علـى وجههـا، كمـا قامت بالطهو مع جاك وأعطته بعض النصائح عن الفتيات. فكّر الولدان أنها أفضل من غيرها، فهي صغيرة بما يكفي ليمرحا معهـا، وكبيـرة بمـا يكفي ليحاولا التشبه بها. توقّع آدم بعض المقاومة تجاههـا، لكـن ذلك لم يحدث. كان الثلاثة قد أصبحوا أصدقاء حين غادر جـاك وأماندا. عندها بدأت الحرب من جديد، فقد توقّف إطلاق النار خلال عطلة نهاية الأسبوع فقط.

تـناول شارلي العشاء مع كارول مرتين بعد تلك السهرة الاجتماعية، وكان الجو معتدلاً بينهما. في أوّل لقاءٍ لم تتكلّم بالأمر، لكن في اللقاء الثاني سألته إن كان قد غيّر مخططاته، فهزّ رأسه نفياً.

– "كارول لا يمكنني فعل ذلك". عندها هزّت كارول رأسها، ولم تقل شـيئاً. أراد أن يمضي الليل برفقتها، لكنه لم يملك الشجاعة لطلب ذلك، لذا ذهـب إلـى منزله بدلاً من ذلك. ساوره شعور بأنه إذا غادر لقضاء عيد المـيلاد بعيداً عنها، فسوف تنتهي علاقتهما حين يعود. لم تفهم كارول ما الذي سيفعله في الأسبوع الذي سيمضيه بمفرده. برأيها ما من سبب يجعله يغـادر قبل السادس والعشرين مع آدم. لم يحاول شارلي شرح الموضوع لها من جديد، وقرّر التعامل مع الأمر حين يعود، إن أرادت التكلّم بالأمر.

اتّـصل آدم بشارلي في المكتب قبل يومٍ من مغادرته، وكان شارلي في عجلة مجنونة كي ينهي أعماله، وقال له آدم إن أعماله هو في المكتب لم تكن أفضل حالاً.

– "زبائني يمرّون بمشاكل في هذه الفترة من العام. إن كان زواجهم في خطر يقرّرون الطلاق، وإن شعروا أن عشيقاتهم معتوهات، فذلك يستحوذ على تفكيرهم، وإن كان أولادهم مشاكسين، ينتهي بهم الأمر في السجن. إن كرهت إحـدى المغنيات أحد عقودها تمزّقه، ونصف الرياضيين الذين أعمل لصالحهم يشربون حتى الثمالة في الأعياد، ويقومون بأعمال سيئة. أنا فعلاً لا أحبّ هذه الفترة من العام". بدا أن آدم يشعر بالضغط الشديد والتوتّر.

ضـحك شـارلي وقال: أنا أيضاً لا أحبّ هذه الفترة!" رغم ردّة فعل كـارول علـى الموضـوع، كان شارلي يتطلّع قدماً لرحلتهما. تابع يقول: "أعـتقد أنـك بالرغم ممّا قلته الآن، فأنت لا تزال على الطريق الصحيح. سـتأتي برفقتـي، أليس كذلك؟" من الجيّد التأكّد دائماً من الموضوع، لكن لدهشة شارلي التزم آدم الصمت لبعض الوقت. كان سؤاله خطابياً فحسب، لكن فجأة سمع شيئاً غريباً في صوت آدم.

اعترف آدم قائلاً: "أنا أمر بوقتٍ عصيبٍ مع ماغي. فهي تظنّ أننا سنبحر في الكاريبي جامعين النساء حولنا من هنا وهناك، وهي غير راضية عن موضوع السفر". ضحك شارلي لذلك الوصف، لكنه عاد إلى رصانته بسرعة، وقال له: "كارول لم تقل الأمور بتلك الطريقة، لكنها غاضبة أيضاً. ظنّت أننا سنمضي عيد الميلاد معاً، فأخبرتها أنني لن أكون هنا. كنت آمل أن تتفهّم ذلك، لكنها لم تفعل. قد يجعلها ذلك تنهي العلاقة بيننا". لكنه لم يكن مستعداً للبقاء في المنزل من أجلها. إن لم تستطع تقبل الأمر، فهذه هي النهاية. أرادها أن تقبله كما هو بجميع أفكاره الغريبة، وهذه إحدى تلك الأفكار. إنه يعاني من رهاب الأعياد، منذ وفاة والديه، وقد زاد رهابه حين توفّيت شقيقته.

قال آدم بحزن: "أنا آسف لسماع ذلك. أنا قلق، وأخشى أن تفكّر ماغي بالطريقة نفسها. من المؤسف ألا تدعا الأمر على حاله، لكن الأعياد لها أهمية كبيرة بالنسبة لبعض الناس. هناك رابط ما بين الأعياد وبين النساء، وإن لم تتصرّف بشكل صحيح فتحنّ النار عليك".

– "هذا صحيح على ما يبدو". قال شارلي ذلك بانزعاج. لكنه كان غاضباً من كارول أيضاً. لقد ساد النفور بينهما منذ أخبرها بالأمر. كان يخطّط للابتعاد لثلاثة أسابيع، وهو وقت طويل لتبقىً خلاله كارول غاضبة منه، لا سيّما أنهما قد عادا إلى بعضهما منذ فترة قصيرة. إنهما ليسا بحاجة إلى المزيد من العراقيل في طريقهما، وهما الآن يصطدمان بإحداها. كان شارلي واثقاً من أن علاقتهما لن تتحمّل المزيد من المشاكل، وقد كره فكرة خسارتها، وبدا خائفاً من حصول ذلك، لكن ليس بشكلٍ كافٍ يجعله يبقى هنا. فالرهاب الذي يصيبه هو بنفس قوّة حاجتها إلى بقائه معها.

– "لتتعقّد الأمور أكثر معي، التقى ولداي بماغي، ويبدو أنهما أحبّاها كثيراً. لأكون صادقاً معك شارلي، أنا لا أريد إغضابها مني". الأسوأ من ذلك أنه كان يكره أن يجرحها، وسفره الآن سيجرحها بعمق!

– سأله شارلي مصدوماً: "ما الذي تقوله؟ ألن تأتي؟"

– "لا أعرف. ربما تغيّر الزمن لكلينا، على الأقل بالنسبة لي". لم يكن واثقاً من قوة ارتباط كارول بشارلي في هذه الفترة. كان يصعب تقدير ذلك، وظنّ أن شارلي نفسه لم يكن واثقاً من ذلك. أما هو وماغي فأصبحا يعيشان مع بعضهما الآن.

– "دعني أفكّر بالأمر، سأتّصل بك".

– "اتّصل بي على هاتفي الخلوي، لأنني سأكون في اجتماع في الخارج بعد الظهر. صدّق أو لا تصدّق، أنا فعلاً أعمل على إخراج أحد موكليّ من السجن".

– يا لك من محظوظ! سأتّصل بك لاحقاً". قال شارلي ذلك، وأقفل الخط.

كانت الساعة قد قاربت الخامسة حين اتّصل شارلي بآدم من جديد، وبدا الرجلان متوتّرين. كانت فترة بعد الظهر كالكابوس بالنسبة لآدم، فقد أخذ يتأرجح بين موكّله والصحافة، أما شارلي فكان عليه القيام بالكثير من الأعمال المكتبية في نهاية العام، لكن قبل كل شيء كان قلقاً بشأن كارول. لقد أعطى اهتماماً شديداً لما قاله آدم، فربما تغيّر الزمن، وعليه هو أيضاً أن يتغيّر. شعر كأنه يقفز من فوق صخرة، وتمنّى ألاّ يقع فوق سطح من الإسمنت.

قال شارلي وكأنه سيقترح أن يقفزا معاً من الطائرة من دون مظلّة: "حسناً! فلنفعل ذلك".

بدا آدم مرتبكاً وهو يسأل: "نفعل ماذا؟" كانت هناك فوضى كبيرة حوله، وهو لا يزال في السجن محاولاً إبقاء الصحافة بعيدة. بدا الوضع كبيت العصافير في حديقة الحيوانات. أجابه شارلي قائلاً: "لمَ لا تحضر ماغي معك إلى اليخت؟ إنها تعجبني، وأنت تحبّها، وهي تحبّك أيضاً. سنمضي وقتاً ممتعاً معاً. بحق الله! قد تنتهي علاقتكما إن لم تفعل". لم يشأ

أن يكـون مسؤولاً عن فشل علاقتهما، فقد تمكّن من رؤية تعلّق آدم بها ومدى رغبته بأن تكون برفقته. تابع يقول: "إن أردت أن تحضرها، يمكنك ذلك. إنه خيارك. وأنا سأدعو كارول أيضاً".

– لم يكن آدم يريد طلب ذلك منه، لكنه أراد اصطحاب ماغي فعلاً، فأجابــه متحمّساً: "شارلي، أنت بطل... أنت أمير... سأخبرها الليلة. ماذا عنك؟"

– "أنــا مجـنون علـى الأرجح، فأنا لست واثقاً إن كنّا جاهزين أنا وكــارول، لكننــي سـأدعوها هذه الليلة أيضاً. كنت أودّ لو أنّها تتقبّل هذا الموضــوع، لكــن إن لم تستطع ذلك، أظنّ أنها ستكون خسارة كبيرة لي. ربمــا أكثـر ممّا أتصوّر". لقد استثمرا الصدق والحقيقة والشجاعة والحب والأمــل فــي علاقتهما، ولم يكن مستعداً للتضحية بذلك. على الأقل ليس الآن. سواء أحبّ ذلك أم لا، فإن تركها في أيام الأعياد سوف يكرّس الجفاء بينهما.

ضحك آدم وقال: "تباً! ما الذي يحدث معنا؟"

أجابه شارلي بضعف: "أنا خائف من مجرّد التفكير بالأمر".

– "أنــا أيـضاً. إنه أمر مخيف يا أخي. على الأقل لن نضطر للقلق بشأن العمل أو الاعتماد على الفتيات الغريبات لكي نلهو".

ضحك شارلي وقال: "لست واثقاً إن كان بإمكاني قول ذلك لماغي لو كنت مكانك".

– "تباً، لا! متى سترحل؟"

– "غداً صباحاً".

– أتمنّى لك رحلة جيّدة. سأراك في السادس والعشرين من الشهر.. بل سنراك كلنا. بالمناسبة يمكنني اصطحاب كارول بالطائرة إلى هناك إن أرادت. أعطها رقم هاتفي ولتتصل بي".

– "سأفعل، شكراً".

– "لا، بل شكراً لك".

لقد كان آدم محقاً، فالزمن يتغيّر.

تــرك شــارلي مكتبه عند الساعة الخامسة والنصف، واستقلّ سيارة أجرة إلى مركز الأطفال، فوصل عند الساعة السادسة، وكانت كارول تقفل مكتبها. شعرت بالدهشة لرؤيته هناك وتساءلت إن كان قد حدث مكروهٌ ما. عــيدا المــيلاد ورأس السنة، وابتعاد شارلي لمدة ثلاثة أسابيع... كل ذلك أعطــى مسحة كئيبة للأيام القادمة بالنسبة لكارول، حتى إن شارلي لم يرَ شجرة الميلاد الخاصة بها!

– "أهــلاً شــارلي كيف حالك؟" بدت كارول مرهقة، فقد كان يومها طويلاً.

قال وهو يدخل: "جئت لأودّعك".

– "متى ستذهب؟"

– "غــداً". هزّت كارول رأسها، فما الذي يمكنها قوله بعد؟ علمت أن علاقــتهما ســتكون قد انتهت حين يعود، على الأقل بالنسبة إليها. شعرت بالغــضب نفسه الذي شعر به حين كذبت عليه بشأن اسمها، فهي ترى أنه حــين يكون المرء على علاقة بأحدهم، عليه أن يُمضي أيام الأعياد معه. لكنه لا يرى الأمر بنفس الطريقة. فالأعياد لا وجود لها بالنسبة له. وربما لا وجــود لها هي أيضاً في حياته. كانت كارول بحاجة إلى شخص متوفر عاطفياً لها، إلى شخص لا يسمح لنفسه بالشعور بتلك الأحاسيس كي يُجرح لاحقــاً. الحــياة تجرح في الكثير من الأحيان، لكن على المرء أن يعيشها رغم ذلك، وقد تمنّت أن يعيشاها معاً.

قالت وهي تضع ملفاً ضخماً في الدرج: "رحلة سعيدة".

قال بهدوء: "لك أيضاً".

لم تفهم كارول كلامه فقالت: "لي أيضاً؟ ماذا لديّ أنا؟"

كانت متعبة جداً، وليست في مزاجٍ يسمح لها بالعبث معه.

– "أتمنّى لك رحلة سعيدة أيضاً".

استقامت في وقفتها، ونظرت مباشرة نحوه وقال: "أنا لست ذاهبة إلى أي مكان".

– "بل أنت مسافرة أيضاً. على الأقل هذا ما أتمنّاه. أتمنّى أن تفعلي..."

تلعثم شارلي بكلامه، بينما أخذت كارول تحدّق فيه. تابع يقول: "إن كنت مستعدة، أحبّ أن ترافقي آدم وماغي في السادس والعشرين من الشهر. سيسافر آدم لملاقاتي، وسيصطحب ماغي معه. لقد خطّطنا لذلك اليوم".

– "وهل تريد منّي أن أذهب؟" بدت مندهشة بينما كان شارلي يبتسم لها. "هل تتكلّم بجدّية."

ربما هو أكثر جدّيّة ممّا كان يريد. قال لها: "نعم. أودّ لو تأتي معهما كارول. هل ستفعلين؟ أتمنّى أن تتمكّني من اللحاق بي".

– "سأحاول. وأتمنّى ألاّ تعتقد أنني كنت أحاول مرافقتك في رحلتك. أنا فقط أردت قضاء عيد الميلاد معك كي تغادر في السادس والعشرين برفقة آدم".

– "أعلم، لكن لا يمكنني فعل ذلك... ليس الآن على الأقل. ربما أستطيع ذلك يوماً ما. لكن إن كان باستطاعتك القدوم، يمكننا قضاء أسبوعين معاً". بدا الأمر مذهلاً بالنسبة لها، وكذلك بالنسبة له الآن، فهذه فكرة رائعة. شعر شارلي بالسعادة لأن آدم قد اتّصل به.

– "لا أعتقد أن بإمكاني البقاء لأكثر من أسبوع. سأرى ما الذي سأفعله".

– "ابذلي جهدك". قال ذلك ثم قبّلها، فنظرت نحوه بشوق وبادلته قبلته، ثم استقلاّ سيارة الأجرة وذهبا إلى منزلها حيث أمضيا الليلة معاً قبل أن يغادر في اليوم التالي، وهكذا رأى شارلي شجرة الميلاد الخاصة بها.

وصل آدم إلى المنزل تلك الليلة، وناول ماغي بطاقة ائتمان. كانت جالسة تدرس في أحد كتب القانون، ولم تنظر نحوه حين دخل. وضع آدم بطاقة الائتمان أمامها على الطاولة، فسألته من دون النظر نحوه: "لماذا هذه؟" كانت لا تزال غاضبة منه بسبب الرحلة، وكانت عطلة نهاية الأسبوع برفقة ولديه مجرّد استراحة من الحرب المفتوحة، أما الآن فقد عادا إلى الحرب الباردة بينهما.

– "تحتاجين إلى التبضّع". قال ذلك وهو يحلّ ربطة عنقه ويرميها على الكرسي.

– "لماذا؟ أنا لا أستخدم بطاقات ائتمانك، وأنت تعلم ذلك". رمت البطاقة إليه فتلقّاها بيده.

– "تحتاجين لاستخدامها هذه المرّة". جلس آدم بجانبها الآن.

– "لماذا؟"

– "لأنك ستحتاجين إلى الكثير من الأغراض. كثوب سباحة، ومنشفة، وحذاء صيفي، وأغراض نسائية أخرى... ما أدراني ما هي. فكّري أنت بالموضوع".

– " بماذا أفكّر؟" لم تكن قد فهمت بعد ما يقصده.

– "بما ستحتاجينه من أجل الرحلة".

– "أي رحلة؟ إلى أين سنذهب؟" تساءلت ماغي إن كان يتكلّم عن فيغاس من جديد، كجائزة ترضية لها.

– "سنذهب إلى سانت بارتس على متن يخت شارلي". قال ذلك وكأنه يذكّرها بأمر ما، فحدّقت به ماغي بقوة.

– "لا، أنت من سيسافر على متن اليخت إلى سانت بارتس وليس أنا. أتذكر؟"

– "اتّصل شارلي اليوم، ودعاك لمرافقتي". قال ذلك بلطف بينما بقيت ماغي محدّقة به، ثم وضعت القلم من يدها جانباً.

- "هل تتكلّم بجدّية؟"

- نعم، وكذلك شارلي. أخبرته أنني لا أريد إغضابك، ولا أظنّ أنه أراد إغضاب كارول، لذا فهو سيدعوها أيضاً".

- "آه يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!" قبّلته وهي لا تزال تصرخ وتقفز في أرجاء الغرفة، ثم قفزت إلى ذراعيه بينما راح هو يضحك.

- هل يفي هذا العرض بالغرض؟" استطاع أن يرى أنه يفعل بالتأكيد.

- "هل تمزح؟ آه، يا إلهي! سأذهب باليخت معك إلى الكاريبي نعم! نعم! نعم!" التفتت نحوه بنظرة امتنان وتابعت تقول: "آدم. أنا أحبّك. كنت سأحبّك بجميع الأحوال، لكنني كنت مجروحة".

- قال لها: "أعلم ذلك". ثم قبّلها من جديد.

- أخبرته وهي تمسك به: "أنا فعلاً أحبّك. وأتمنّى أن تعرف ذلك حقاً".

- "نعم صغيرتي... أنا أيضاً..." ثمّ قبّلها.

عندما يحلّ السّادس والعشرون من الشهر سيكونان قد أبحرا إلى الكاريبي.

23

استمرّ الشجار بين سيلفيا وغراي حول مقابلته لولديها حتى يوم قريبٍ من عيد الميلاد. أصبح ينام في شقته كل ليلة تقريباً، ولم تكن سيلفيا تضغط عليه ليعود إلى شقتها، فقد كانت غاضبة جداً منه. تفهّمت أنه يعاني بعض المشاكل، لكن حسب رأيها فهو يتعمّق أكثر من اللزوم في الأمر، ولم يكن يريد حتّى أن يحاول التعرّف على ولديها. كان جيلبرت سيصل بعد يومين وإميلي بعده بيومٍ واحد. بقي غراي مصرّاً على موقفه، رافضاً أن يقابلهما.

صرخت سيلفيا بوجهه في آخر شجار بينهما، وقالت: "إن كنت منزعجاً من الأمر إلى هذا الحدّ، لماذا لا تستشير مرشداً نفسياً؟" كانا يتشاجران يومياً تقريباً، فهذا موضوع هام لكليهما. "ما الجدوى من قراءة جميع كتب المساعدة الذاتية إن لم تكن مستعداً لمساعدة نفسك؟"

قال بتهجّم: "أنا أساعد نفسي لكنني أحترم قدراتي وحدودي، وعليك أنت أيضاً احترامها. إن العائلات ترعبني".

- "أنت حتى لا تعرف عائلتي بعد".

صرخ غراي قائلاً: "ولا أريد أن أعرفها". ثم مشى خارجاً من المنزل.

شعرت سيلفيا بالاحباط ممّا حدث ومن موقف غراي. إنهما يمرّان بهذه الأزمة منذ شهر تقريباً، ولقد اختفى كل الفرح الذي تشاركا في

اكتشافه مع بعضهما. وصل جيلبرت قبل يومين من عيد الميلاد، ولم تكن سيلڤيا قد رأت غراي في اليومين السابقين. حاولت شرح الأمر لابنها حين سألها عنه، لكن بدا ذلك جنوناً حتى بالنسبة لها. حاولت دون جدوى أن تشرح لغراي سابقاً أن من هم في مثل سنهما عليهم أن يكونوا أكثر تعقّلاً، لكنه ليس متعقّلاً كما يظهر، ولم يكن يحاول معالجة مشاكله تلك. كان يسبح في مشاكله تماماً كما تفعل الأسماك في المياه.

الناحية الجيدة الوحيدة هي أنه، بسبب غضبه وحزنه، أخذ يرسم المزيد من اللوحات. لم يتوقّف غراي عن الرسم لأسبوع كامل. وقد أنهى رسم لوحتين منذ عيد الشكر، وهو وقت قصير جداً. شعر مسؤول معرضه بالدهشة بسبب ذلك، إذ كانت أعماله الجديدة رائعة. يقول غراي دائماً إنه يعطي أفضل ما عنده حين يكون تعيساً، وها هو يثبت ذلك الآن. إنه فعلاً بائسٌ من دون سيلڤيا، ولم يكن يستطيع النوم لذا أخذ يرسم بشكل مستمر، ليلاً نهاراً.

كان يعمل بجهدٍ في وقت متأخر من إحدى الليالي، بعد شجار حاد بينهما، حين دقّ جرس منزله. ظنّ أنها سيلڤيا، وأنها آتية كي تقنعه بالمجئ معها إلى المنزل من جديد. لذا، ضغط على الزر الكهربائي ليفتح لها البوابة الأمامية للمبنى من دون أن يسأل عن الطارق، ثم ترك باب شقته مفتوحاً، وعاد ليتابع الرسم وهو متجهّم. لقد أصبح الأمر بينهما كمن يلعب لعبة ماء، هي تتوسّل إليه دائماً كي يلتقي بولديها وهو يرفض الفكرة، عندها تغضب فيغضب هو أيضاً. أصبحت تلك دوامة مفرغة؛ ترفض سيلڤيا تجاهل الموضوع، وهو يرفض الرضوخ لطلبها.

سمع الباب يُفتح، فنظر نحوه متوقعاً رؤيتها، لكنه بدلاً من ذلك وجد رجلاً كالشبح ينظر نحوه: "أنا آسف... كان الباب مفتوحاً... لم أقصد مقاطعتك... أنت غراي هاوك، أليس كذلك؟"

بدا غراي مندهشاً: "نعم، هذا أنا". أياً كان هذا الرجل فقد بدا مريضاً. كان شعره قصيراً وخفيفاً، ووجهه كوجوه الأموات، وقد غرقت عيناه في

وجهه. بدت بشرته بلون الإسمنت، وبدا كأنه مصاب بمرض السرطان أو بمرض سيء آخر. لم يملك غراي أي فكرة عمّا يفعله هذا الرجل في بيته، أو من يكون. "من أنت؟" أراد أن يسأله ما الذي يفعله في شقته، لكنه هو من ترك باب شقته مفتوحاً، لذا فالذنب ذنبه إن كان غريبٌ ما يقف هنا الآن.

تردّد الرجل قليلاً، ووقف مكانه، ثم قال بهدوء: "أنا بوي". وكأنه لم يكن يملك القوة لقول المزيد.

قال غراي من دون أي تعبير: "بوي؟" لزمه بضع لحظات كي يفهم، ثم بدا كمن أصيب بطلقة نارية. بهت لونه تماماً، وهو يقف مسمّراً في مكانه. "بوي؟ يا إلهي... بوي!" لقد فكّر به كثيراً، لكنه لم يرَه منذ فترة طويلة. إنه الطفل الذي تبنّاه والداه منذ خمسة وعشرين عاماً، واسمه بوي. مشى غراي ببطء نحوه، ثم وقف أمامه، بينما بدأت دموعه تنهمر فوق وجنتيه. لم يكونا يوماً مقربين من بعضهما، ففارق العمر بينهما هو خمسة وعشرون عاماً. بدا بوي كأنه شبح قادم من التاريخ، عاد ليطارد غراي. إنه أحد جذور مشكلته مع سيلڤيا.

تساءل للحظة إن كانت هذه هلوسات، فبوي بدا كشبح العيد. عانقه غراي بينما أخذا يبكيان معاً. كانا يبكيان على ما كان يمكن أن يحدث، وعلى ما حدث. كانا يبكيان على الجنون الذي عاشاه، كل بمفرده في مكانين مختلفين. أخيراً تمكّن غراي من قول بعض الكلام: "ما الذي تفعله هنا؟" لم يحاول غراي حتى أن يراه يوماً، وما كان ليراه لو لم يأتِ إليه بنفسه.

أجاب بوي ببساطة: "أردت رؤيتك، فأنا مريض".

تمكّن غراي من رؤية ذلك بوضوح، إذ كاد جسد بوي أن يكون شفافاً، بل بدا كأنه سيختفي، أو كأن الضوء سيمرّ من خلاله ببساطة.

يسأله غراي بحزن: "ما نوع مرضك؟" مجرّد رؤيته أعادت كل الذكريات لغراي.

– "أعانـــي مـــن مرض السيدا، وأنا أحتضر". لم يسأله غراي كيف التقط المرض، فهذا ليس من شأنه.

– "أنا آسف". قال ذلك وهو يعني ما يقوله فعلاً. لقد حنّ قلبه بشدة عليه وهما يقفان بمواجهة بعضهما. "هل تعيش هنا في نيويورك؟ كيف وجدتني؟"

– "وجــدت اســمك في دليل الهاتف. أنا أعيش في لوس أنجلس". لم يــضيّع وقــته وهو يخبر غراي عن حياته. "أردت فقط أن أراك... فأنت سبب مجيئي إلى هنا، وسأعود إلى لوس أنجلس غداً".

– "إنه يوم عيد الميلاد؟" بدا له هذا وقتاً غريباً للسفر.

– "أنا أخضع للعلاج، لذا علي العودة. أعلم أن هذا يبدو غباءً، لكنني أتيت فقط كي أودّعك". المأساة الحقيقية كانت في أنهما لم يقولا يوماً مرحباً لبعضهما كي يودّعا بعضهما الآن. حين رأى غراي بوي لآخر مرّة، كان لا يــزال ولــداً صغيراً. ثم رآه في مأتم والديه، ولم يره بعد ذلك أبداً، ولم يكــن يــريد أن يــراه. أمضى غراي حياته محاولاً إقفال أبواب الماضي، والآن عــاد هذا الرجل كي يقحم نفسه في حياته، وقد فتح ذلك الباب على مصراعيه من خلال عينيه الغارقتين.

– "هــل تحتاج لأي شيء؟" ربما كان بحاجة للمال، وغراي لم يكن يملك الكثير من المال لكن الشاب هزّ رأسه نفياً.

– "لا، أنا بخير".

– "هــل أنت جائع؟" شعر غراي أن عليه أن يفعل شيئاً من أجله، ثم سأله إن كان يودّ الخروج.

– "سيكون ذلك جيداً. أنا أنزل في فندقٍ قريب. بإمكاننا الخروج لأكل السندويشات".

ذهــب غــراي ليحضر معطفه، وبعد دقائق كانا في الخارج يمشيان نحــو أحــد مطاعم الأكل المعلّب. اشترى له سندويشاً من اللحم المقدّد مع

الــتوابل وزجاجــة عــصير، إذ كان هذا كل ما أراده، أما غراي فشرب القهــوة، وأخــذ يدخّن. راحا يتكلّمان ببطء عن الماضي. لقد كان الوضع مخــتلفاً بالنــسبة لبوي، فوالداهما كانا أكبر سناً حين عاش بوي معهما. لم يتــنقّلا كثيراً، لكنّهما كانا لا يزالان مجنونين. عاد بوي بعد وفاتهما للعيش حيث كان قبل تبنّيه، ثم انتقل إلى البوكرك، ليستقرّ أخيراً في لوس أنجلس. اعتــرف لغــراي أنه كان يعمل في الملاهي منذ سن السادسة عشرة، وأن حــياته بدت كالكابوس. لم يقم والداه بأي تصرّف يساعده في حياته. ذهل غــراي لأن بــوي لا يــزال حياً، إذ لم يبدُ عليه بأنه يعيش حياةً سعيدة، أماغــراي فبدأ يسترجع ذكرياته. إنهما بالكاد يعرفان بعضهما، لكنهما بكيا وأمسكا بأيدي بعضهما. قبّل بوي أصابع غراي ونظر في عينيه.

– "لا أعلم لماذا، لكنني أردت أن أراك. أعتقد أنني أردت أن أعلم إن كان هناك شخص ما سيذكرني حين أموت".

– "لطالمــا تذكّــرتك رغــم أنك كنت صغيراً جداً حين رأيتك لآخر مــرة". لطالمــا كان بوي مجرّد اسم بالنسبة له، أما الآن فقد أصبح روحاً وقلباً. أصبح شخصاً جديداً يبكي عليه ويخسره، ومع أنه لم يكن يريد ذلك، لكــنه أتى إليه كالهدية. لقد قطع هذا الرجل ثلاثة آلاف ميل ليراه ويودّعه. قــال غــراي بلطــف: "سأتذكّرك دائماً". بدأ ينقش صورة وجه بوي في ذاكرته، وعلم أنه يوماً ما سيقوم برسمه، وأخبر غراي بوي بتلك الفكرة.

فأجاب بوي: "أحببت ذلك. عندها سيراني الناس حتى الأبد. أنا لست خائفــاً مــن المــوت". ثم أضاف: "لا أريد أن أموت، لكنني أعتقد أن ذلك سيكون جيداً. هل تؤمن بالجنة؟"

قال غراي بصدق: "بالطبع، فأنا أؤمن بالله ".

– "أنــا أؤمــن بالجــنة، وبأن الناس يلتقون هناك من جديد". ضحك غراي وقال: "لا أتمنّى ذلك. هناك العديد من الأشخاص الذين لا أودّ لقاءهم من جديد، كوالدينا مثلاً". إن كان باستطاعته مناداتهما بذلك!

سأله بوي: "هل أنت سعيد؟" كل ما في بوي بدا شفّافاً وفوق الطبيعة. مجـرد الجلـوس هناك معه، بدا كالحلم. لقد كان غراي سعيداً حتى وقت قـريب، لكـنه أصبح تعيساً منذ شهر بسبب تلك التفاهات مع سيلڤيا. أخبر غراي بوي عن مشكلته.

– "لماذا أنت خائف من مقابلتهما؟"

– "ماذا إن لم يحبّاني؟ ماذا لو لم أحبّهما أنا؟ عندها ستكرهني سيلڤيا. مـاذا إن أحببـنا بعـضنا وتعلّقت بهما، ثم انفصلت عن سيلڤيا؟ عندها لن أراهمـا مـن جديد، أو ربما أراهما ولا أراها. ماذا إن كانا مجرّد طفلين مدلّلـين، وأحـدثا المشاكل بيننا؟ إنه وضع معقّد، وأنا لا أريد المزيد من التعقيد في حياتي".

– "علـى ماذا حصلت من دون ذلك التعقيد؟ كيف ستكون حياتك من دونها؟ ستخسرها إن لم تقابلهما. إنها تحبّهما، ويبدو أنها تحبّك أيضاً".

– "وأنا أحبّها. لكنني لا أحبّ ولديها، ولا أريد أن أحبّهما".

– "هـل تحبّني؟" سأل بوي ذلك، ما جعل غراي يتذكّر فجأة الأمير الـصغير الـذي مات في نهاية القصة في كتاب سانت أكزوبيري. أجاب غـراي عن سؤاله من دون أن يعرف لماذا فعل ذلك. تكلّم بصدق وكأنهما كانا صديقين وأخوين منذ سنوات طويلة.

– "نعـم، أنا أحبّك. لم أكن أحبّك حتى هذه الليلة، فأنا لم أكن أعرفك حتـى. كنت أخشى من التعرف إليك، لكنني الآن أصبحت أعرفك، وأحبّك أيـضاً". لم يكن يريد أن يتعرّف إليه لسنوات طويلة، حتى إنه لم يكن يريد أن يراه، فقد كان خائفاً من الاهتمام لأمره، ومن الحصول على عائلة. فكل مـا يعرفه غراي هو أن العائلات لا تجلب إلاّ الألم والخيبة، لكن بوي لم يكن مسبباً للخيبة. لقد أتى لرؤية غراي وهذه دلالة صافية عن الحب الذي يكنّه له. إنها هدية المحبة التي لم تتمكّن عائلته من تقديمها له، لكنها جميلة ومؤلمة في الوقت نفسه، مثلما يجب على الحب أن يكون.

– "لمـاذا تحبّني؟ ألانني أحتضر؟" كانت عينا بوي تسبحان بالدموع حين التقت نظراته بنظرات غراي.

– "لا، بل لأنّك عائلتي". قال غراي ذلك بصوت مختنق، بينما سالت الدمـوع فوق وجنتيه ولم يتمكّن من إيقافها. لقد انفتحت شرايين قلبه على أقـصى اتـساعها، وبدا من الجيّد أن يقول ما يشعر به: "أنت كل ما تبقّى لي". أمسك الرجلان بأيدي بعضهما فوق الطاولة.

قـال بوي كلامه الذي يعبّر عن واقع الحال: "أنا سأرحل قريباً، عندها ستكون سيلڤيا كل ما تبقّى لك، وكذلك أولادها. إنهم كل ما ستحصل عليه إلى جانبـي". أدرك غراي أن هذا ليس كافياً، إذ لم يكن لديه الكثير بالنسبة لرجل في الخمسين من عمره، يعيش على هذا الكوكب. فوالداه بالرغم من جنونهما، قـد حصلا عل أكثر من ذلك. كان لديهما ثلاثة أولاد بالتبني، وقد جعلا منهم مـصيبة فعلية... لكنهما حاولا جهدهما على الأقل وبذلا كل ما بوسعهما. كما كـان لديهما كل الأشخاص الذين تواصلوا معهما وهما يتجوّلان حول العالم. حتـى لـوحات غـراي والألم الذي ألهمه إياها، كانت بسبب ذينك الشخصين اللـذين تبنـيّاه وتبنّيا بوي. لقد فعلا الكثير من الأشياء، أكثر ممّا فكّر غراي واعتـرف به يوماً، لكنه أدرك ذلك الآن فقط. كان والداه مجنونين ومحدودي التفكيـر، لكنهما على الأقل حاولا رغم الجنون الذي كان يستحوذ عليهما. كما أن بوي قد حاول تحسين حياته أيضاً، حاول بما فيه الكفاية كي يأتي إلى هنا. أما غراي، وبالمقارنة معهم، فقد فعل القليل فقط لتحسين حياته العاطفية، وذلك حتـى قابل سيلڤيا أخيراً. والآن ها هو يريد القضاء على هذه الفرصة أيضاً، ويريد إيذاءها لأنه خائف، أو بالأحرى مرتعب.

– "أنا أحبّك بوي". همس غراي بذلك وهما يجلسان معاً إلى الطاولة، ويمـسكان بأيدي بعضهما. لم يأبه لمن كان يراهما أو بما يفكّر الآخرون. فجـأة لـم يعد خائفاً من الأشياء التي كانت تخيفه من قبل، فبوي هو آخر رمز حيّ للعائلة التي هرب غراي منها منذ سنوات.

قال بوي: "أنا أحبك أيضاً". بدا مرهقاً وبارداً حين وقفا. كان يرتجف، فأعطاه غراي معطفه، وكان ذلك أفضل معطف يملكه. كان غراي قد حمل معطفه حين خرجا من المنزل، والآن جاء تصرّفه كبادرة طيّبة، لم يعرف أخوه المحتضر مثلها من قبل. تمنّى لو أنه ذهب لرؤيته من قبل، لكنه لم يفعل. لم يخطر بباله ذلك من قبل، أو بالأحرى لقد فكّر بالأمر، لكنه تهرّب من تلك الفكرة. أدرك الآن أنه كان يهرب كثيراً وأن ذلك جعله يتجنّب الحياة، كي لا يتأذّى من جديد. أصبحت عائلته رمزاً لكل ما يخشاه. وها قد جاء بوي ليخلّصه من ذلك الخوف.

سأله غراي: "لِمَ لا تبقى معي الليلة؟ أنا سأنام على الأريكة".

قال بوي: "يمكنني البقاء في الفندق". لكن غراي لم يكن يريده أن يفعل ذلك، لذا ذهبا ليحضرا أمتعة بوي، وعادا إلى منزل غراي. قال بوي إن عليه أن يغادر عند التاسعة صباحاً كي يلحق بالطائرة.

– "سأوقظك في الصباح".

وعده غراي بذلك بعد أن ساعده كي ينام في السرير، وقبّله على جبينه، فقد شعر كأن بوي هو ابنه. شكره بوي، ثم نام قبل أن يقفل غراي الباب.

أخذ غراي يرسم طيلة الليل. وضع عدّة مسودات ومخططات لرسم بوي، كي لا ينسى تفاصيل وجهه، ثم وضع أسس الرسم كي يبدأ. شعر كأنه في سباق مع الموت. لم يخلد غراي للنوم طيلة الليل، وعند الساعة الثامنة أيقظ بوي، وأعدّ له البيض المقلي. أكل بوي نصف الطبق تقريباً، وشرب بعض العصير، ثم قال إنه سيغادر. أراد أن يستقلّ سيارة أجرة إلى المطار لكن غراي أصرّ على مرافقته. عندها ابتسم بوي وغادرا معاً. كان عليه أن يكون في المطار عند الساعة العاشرة، فطائرته تقلع عند الحادية عشرة.

وقفا قريبين من بعضهما بعد أن تمّ التحقق من أوراق بوي، ثم سمعا النداء الذي يستدعي ركاب الرحلة. بدا بوي مذعوراً للحظة، فأمسكه غراي

واحتضنه بين ذراعيه القويتين، وأجهش كلاهما بالبكاء. لم تكن دموعهما من أجل الحاضر فقط، بل من أجل ماضيهما الذي فقداه، ومن أجل كل الفرص التي فاتتهما، والتي حاولا استعادتها خلال ليلة واحدة، وقد فعلا ذلك بنجاح.

– "سيكون كل شيء على ما يرام". قال غراي ذلك، لكن كليهما كانا يعلمان أن ذلك ليس صحيحاً. قال له غراي: "أنا أحبّك. اتّصل بي".

– "سأفعل". لكنه قد لا يفعل. أدرك غراي ذلك، فقد تكون هذه اللحظات الأخيرة واللمسة الأخيرة. والآن، وقد فتح غراي قلبه له، أصبح الأمر أكثر إيلاماً، لكنه ألم نظيف وواضحٌ هذه المرّة. إنه كالسيف الناصع الحاد، بل إنه كزوائد استؤصلت بعملية جراحية، بدل أن تُنتزع بشكل مؤلم.

– "أنا أحبّك". نادى غراي بوي وهو يتوجّه نحو الطائرة. قال تلك الكلمات مرّات عديدة كي يسمعه بوي، وحين وصل بوي إلى باب الطائرة استدار نحوه، وابتسم. لوّح بيده... ثم اختفى. لقد اختفى الأمير الصغير، بينما وقف غراي يحدّق بالطائرة من بعيدٍ، ويبكي.

مشى غراي حول المطار لفترة طويلة. احتاج إلى وقت كي يفكّر، ولكي يلتقط أنفاسه. كل ما تمكّن من التفكير به الآن هو بوي، والأمور التي قالها له. ماذا لو أنه يأتِ ولم يرَه غراي من جديد؟ ماذا لو لم يأتِ كل تلك المسافة كي يراه. بدا كأنه هبة من الله.

عند الظهر تقريباً اتّصل غراي أخيراً بسيلفيا من هاتفه الخلوي. فهو لم يتكلّم معها منذ يومين. كما أنه لم ينم طيلة الليل.

قال لها وقد بدا صوته مبحوحاً: "أنا في المطار".

بدت سيلفيا مندهشة: "وأنا أيضاً. أين أنت؟" أخبرها غراي باسم المحطة التي يقف فيها، فقالت له إنها في المحطة العالمية، وأنها تنتظر إميلي. إنها أمسية عيد الميلاد. "هل من خطب غراي؟" نعم، لا... كان

هناك خطب ما، لكن لم يعد هناك أي خطب الآن. لقد أصبح بخير الآن. لم يكن بخير من قبل أبداً لكن وضعه تغيّر الآن، فقد شعر بالراحة لأول مرّة في حياته.

- "مــا الــذي تفعله في المطار؟" فجأة بدت سيلڤيا قلقة، فقد خافت بأن يكون قد قرّر المغادرة إلى مكانٍ ما. تساءلت إن كان كل ما بينهما قد انهار!

- "كنت أودّع أخي؟"

- أخاك؟ ليس لديك أخ!" ثمّ تذكّرت. لكن الأمر بدا كالجنون بالنسبة لها. إنه فعلاً أمر جنوني.

- "بوي؟ سنتكلّم عن الأمر. أين أنت؟" أخبرته سيلڤيا مجدّداً أين هي، فأقفل الخط.

رأته يمشي عبر المحطة نحوها وقد بدا مظهره فوضوياً. كان يرتدي قميــصاً قديمة وسروال جينز وسترة كان عليه أن يرميها منذ سنوات. لقد احتفظ بوي بمعطفه الجيّد، فقد أراده غراي أن يبقيه معه. بدا غراي كرجل مجنون أو كفنان، لم يسرّح شعره منذ أيام طويلة. فجأة عانقها بقوة، وأخذا يبكيان، ثم راح يخبرها كم يحبّها. كان لا يزال يحتضنها حين مشت إميلي نحوهما، وقد ظهرت على وجهها ابتسامة عريضة حالما رأت والدتها.

عرّفتهما سيلڤيا على بعضهما، وبدا غراي متوتراً، لكنه صافحها مع ابتــسامة حــذرة. ســألها كيف كانت رحلتها، وحمل حقيبتها، ومشوا عبر المطار. لفّ غراي ذراعه حول كتفي سيلڤيا، فيما أمسكت إميلي بيد أمّها. بعدئذٍ، ذهبوا إلى شقّتها حيث التقى غراي بجيلبيرت، وحضّرت لهم سيلڤيا الغــداء. ساعدها غراي بطهو العشاء تلك الليلة، ثم أخبرها عن بوي وهما في السرير. تكلّما لساعات طويلة وفي صباح اليوم التالي تبادلوا الهدايا. لم يكــن غراي قد أحضر لها هدية، لكن سيلڤيا لم تهتمّ لذلك. ظنّ ولداها أنه شخص غريب الأطوار، لكنه لطيف، ولدهشة غراي فقد أحبّهما كثيراً. لقد كان بوي محقاً.

تلقّــى غــراي اتصالاً ليلة عيد الميلاد أخبروه فيه أن بوي قد توفّي. الــصديق الــذي اتّــصل قال إنه سيرسل له دفتر يومياته وبعض الأشياء الأخــرى. وفي صباح اليوم التالي غادرت سيلڤيا مع ولديها إلى ڤيرمونت، وذهب غراي معهم. تمشّى خارجاً فوق الثلوج عند المغيب وهو ينظر نحو الجبال. تمكّن من الإحساس بوجود بوي معه، وكأنه يسمع صوته. بعد ذلك عــاد بهــدوء إلى المنزل حيث كانت سيلڤيا بانتظاره، فقد كانت تقف على الشرفة تراقبه وهي تبتسم. وقف تلك الليلة في الخارج معها وهما ينظران نحو السماء، فراح يتأمّل النجوم ويفكّر ببوي... الأمير الصغير.

قال لها بحزن: "إنه هناك في مكان ما". فهزّت سيلڤيا رأسها، وعانقا بعضهما، ومشيا إلى داخل المنزل.

24

استقلّ آدم مع ماغي وكارول طائرته الخاصة، واتّجهوا نحو سانت بارتس، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقيان فيها بكارول. بينما وصلت الطائرة إلى سانت بارتس، كانت كارول وماغي قد أصبحتا صديقتين بسرعة. إنهما امرأتان مختلفتان تماماً عن بعضهما، لكن بينما كان آدم نائماً حدّثتها كارول عن المركز وعن الأطفال الذين تلتقي بهم هناك، وتكلّمت ماغي عن حياتها السابقة، وعن الوقت الذي أمضته في الميتم، وعن صفوف الحقوق التحضيرية، وعن عملها، وأخبرتها كم هي محظوظة لأنها التقت بآدم. شعرت كارول أنها أحبّتها وهما على متن الطائرة، فلقد كانت صادقة وعفوية، كما أنها طيّبة وذكية بشكل كبير، لذا من المستحيل ألاّ يحبّها المرء كما شعرت ماغي بالمثل تجاه كارول. حتى إنهما قهقهتا بشكل تآمري بسبب الغضب الذي شعرتا به حين قرّر آدم وشارلي الابتعاد عنهما في العطلة، واعترفتا لبعضهما بمدى شعورهما بالرضى لأن الرجلين لم يفعلا ذلك في النهاية.

اعترفت ماغي وهي تهمس: "لقد غضبت كثيراً". وضحكت كارول قائلة: "وأنا كذلك... في الواقع لقد جرحني الأمر. قال شارلي إنه يكره عيد الميلاد، وقد أحزنني ذلك". تكلّمتا عن خسارة شارلي لعائلته وكيف أن الرجال الثلاثة مقرّبون جداً من بعضهم. شعرت ماغي بالفرح لأن شارلي قد التقى بكارول أخيراً. كانت تعلم أنهما انفصلا لفترة، لكنها لم تخبر كارول بذلك، إلاّ أنها أخبرتها عن يوم عيد الميلاد الذي قضته مع ولدي آدم، قائلة إنه كان يوماً رائعاً، وإنها وآدم سيأخذان الولدين للتزلّج في كانون الثاني/يناير وذلك أثناء عطلة نهاية أسبوع طويلة. كانت الطائرة على وشك الهبوط عندما استيقظ آدم، وكانت المرأتان قد تكلّمتا بجميع المواضيع الهامة.

سألهما آدم وهو يتثاءب: "ما الذي كنتما تتكلّمان عنه طيلة ذلك الوقت؟"

– "لا شيء". تكلّمت ماغي وقد ظهرت ابتسامة ملتوية على وجهها، ثم قالت إنها تتمنّى ألاّ تشعر بدوار البحر خلال الرحلة. لم تركب ماغي سفينة من قبل، أما كارول فقد فعلت ذلك في السابق. لقد ركبت الكثير من السفن، لكن معظمها كانت سفناً للركاب لا يخوتاً، شعرت ماغي بالذهول لمدى تواضع كارول بعد أن أخبرها آدم من تكون بالفعل. لقد فُتن آدم بجمال كارول ولطافتها، وطيبتها، وتلقائيتها، فقد أحسن شارلي الاختيار هذه المرّة. تمنّى آدم فقط ألاّ يفسد شارلي الأمر ويهرب كالعادة، إذ سيكون من الممتع أن يسافر هم الأربعة معاً على متن اليخت كتغييرٍ للظروف العادية. إنه فعلاً اختلاف وتغيير عظيم في حياته وحياة شارلي.

لقد اتّصل به غراي قبل أن يغادروا بقليل، وكان في طريقه إلى ڤيرمونت. قال له إنه التقى بسيلڤيا وولديها، وإن كل شيء بخير. لم يفهم آدم كيف حدث ذلك، لكن غراي قال بأنه سيخبره عن التفاصيل حين يعود.

كان شارلي بانتظارهم في المطار مع القبطان واثنين من أفراد طاقمه، وقد اكتسب سمرة واضحة. بدا سعيداً ومرتاحاً، وشعر بالسرور لرؤية كارول. حين وصلوا إلى اليخت لم تستطع ماغي تصديق ما تراه، فقد كان يختاً كبيراً جداً. راحت تتنقّل من زاوية إلى أخرى لترى كل شيء فيه، وأخذت تتكلّم مع الموظّفين، وتطرح الأسئلة. قالت إنها تشعر وكأنها

سندريلا حين رأت الحجرة الخاصة بها وبآدم، وإن ذلك سيكون كشهر العسل، فرمقها آدم بنظرة داكنة حين سمع تلك الكلمات.

سخرت منه قائلة: "حسناً، اهدأ. أنا لا أريد أن أتزوّج، أريد فقط أن أبقى على متن اليخت إلى الأبد. ربما يجدر بي الزواج بشارلي". قالت ذلك مازحة.

أجابها آدم وهو يشدّها معه نحو السرير: "إنه كبير السن كثيراً". لم يخرجا من غرفتهما لعدة ساعات، وحين عادا كان شارلي وكارول يستريحان، وبدت كارول وكأنها في منزلها. لقد أحضرت معها صندوقاً من الملابس المتنوعة ما بين سراويل الجينز البيضاء والسراويل القصيرة، وكذلك التنانير والقمصان القطنية، فهي تملك حتى حذاءً خاصاً لليخت. تفقّدت ماغي ذلك كلّه، وأعجبت بتلك الأغراض. لقد أحضرت هي أيضاً الكثير من الفساتين والثياب بالإضافة إلى ثوب السباحة والسراويل القصيرة، وقد أكّدت لها كارول أنها تبدو كلها رائعة. بدت ماغي يافعة وجميلة وذات جسدٍ رائع، وكان بإمكانها أن تحمل أكياس القمامة دون أن يقلّل ذلك من جمالها وسحرها. كان أسلوبها مختلفاً تماماً عن أسلوب كارول، لكنها بدت جذّابة وملفتة للنظر بطريقتها الخاصة. لقد تحسّن مظهرها أكثر خلال الشهور التي أمضتها مع آدم. لم تكن الأغراض التي اشترتها باهظة الثمن، لكنها دفعت ثمنها من حسابها الخاص.

ذهب الثنائيان إلى حجرتيهما قبل العشاء كي يغيّروا ملابسهم بعد فترة سباحة قصيرة، ثم خرجوا إلى متن اليخت الخلفي ليحصلوا على بعض الشراب. كالعادة سيغادرون إلى سانت كيتس في اليوم التالي، لكن ليس قبل أن تتمكّن الصبيتان من التسوّق في الميناء، كما وعدهما شارلي. ذهبوا تلك الليلة للرقص وعادوا مرهقين سعداء، وناموا حتى وقتٍ متأخر من اليوم التالي.

تناولوا الفطور مع بعضهم، ثم ذهب شارلي وآدم للقيام بجولات في الطائرات الشراعية، بينما خرجت كارول مع ماغي للتسوق. لم تشترِ ماغي الكثير من الأغراض، أما كارول فاشترت أثواباً خاصة بالبحر من محلاّت هرمس كي ترتديها خلال الرحلة، وعرضت على ماغي إعارتها إياها حين تريد. عندما غادر الأربعة الميناء بعد الظهر شعروا كأنهم كانوا يسافرون برفقة بعضهم منذ فترة طويلة. الأمر السيء الوحيد الذي حدث هو إصابة ماغي بدوار البحر وهم في طريقهم إلى سانت كيتس. ساعدها شارلي على الاستلقاء فوق متن اليخت، وكانت لا تزال متعبة قليلاً حين أرسوا اليخت بالقرب من المرفأ. لكنها أصبحت بخير عند العشاء، فوقفوا معاً ليشاهدوا غياب الشّمس. كل شيء بدا كاملاً يوماً بعد يوم، ولم يزعجهم أي شيء سوى شعورهم بأن الرحلة تمرّ بسرعة، فهذا ما يحدث دائماً. وقبل أن يشعروا بذلك كان قد وصل آخر يومٍ من الرحلة وآخر سهرة وآخر وقتٍ للسباحة وآخر رقصة أيضاً. أمضوا الليلة الأخيرة على متن اليخت، وراح شارلي يسخر من ماغي بسبب دوار البحر الذي يصيبها، لكنها كانت قد أصبحت بحالة أفضل في اليومين الأخيرين، حتى إن آدم علّمها كيف تُبحر. علّم شارلي كارول كيف تستخدم الطائرة الشراعية، وكانت قويّة بما يكفي كي تفعل ذلك، بينما لم تستطع ماغي ذلك. وشعر الجميع بالأسف لانتهاء الرحلة.

لم تكن كارول قادرة على البقاء لأكثر من أسبوع، وكان آدم وماغي مضطرّين للعودة أيضاً، إذ بدأ زبائن آدم بالتذمّر وكان على ماغي العودة إلى عملها. كان عليهم جميعهم العودة إلى عملهم ما عدا شارلي الذي بقي ليتابع الرحلة. بدا هادئاً جداً وصامتاً في اليومين الأخيرين، ولاحظت كارول ذلك، لكنها لم تقل شيئاً حتى الليلة الأخيرة بعد أن خلدت ماغي وآدم إلى النوم.

– "هــل أنت بخير؟" سألته بهدوء وهما يجلسان على ظهر اليخت تحت ضوء القمر، بينما أخذ شارلي يدخّن السيجار. كانوا عند المرسى تلــك اللــيلة وليس في المرفأ. لطالما فضّل شارلي الرسو هناك، حيث المــياه أكثــر أماناً، وحيث لا وجود لأشخاص يتمشّون عند الميناء في الليل. فضّلت كارول ذلك أيضاً، فلقد أمضت وقتاً رائعاً معه ومع ماغي وآدم.

قــال لها: "أنا بخير". وراح ينظر نحو المياه التي يعتبرها أهم ما في عالمه. تمكّنت كارول من فهم حبّه لليخت، فكل شيء في القمر الأزرق بدا كــاملاً مــن غرف النوم إلى الطعام إلى طاقم العمل الممتاز. أدركت أنه يمكن للمرء أن يتأقلم مع هذه الحياة بسرعة، فهي حياة بعيدة ملايين الأميال عــن الحــياة الحقيقــية ومشاكلها. إنها حياة تؤمّن فيها جميع الخدمات في الوقت المحدّد.

قالــت لــه مــع ابتسامة كسولة: "لقد أمضيت وقتاً رائعا". كان هذا الأسبوع الأكثر راحة واسترخاءً، وهي لم تمضِ مثله منذ سنوات. شعرت كــارول بالــسعادة لأنها كانت برفقة شارلي أكثر ممّا توقّعت، فقد بدا لها الــرفيق المثالي والحبيب الأفضل والصديق الكامل. حدّق نحوها من فوق دخان السيجار، وراح يتأمّلها بغرابة، فشعرت بالقلق من جديد، إذ بدا كأن لديه فكرة غريبة ما في رأسه.

– "أنــا سعيد لأنك أحببت اليخت". قال ذلك وقد ظهرت على وجهه تعابير كئيبة.

– "من الذي لا يحبّه؟"

– "البعض قد لا يفعل. المسكينة ماغي تعرّضت لدوار البحر".

– تعــوّدت علــيه في النهاية". أثنت كارول على صديقتها الجديدة، وكانــت متحمّسة للقائها من جديد، وبدت متأكدة أنها ستفعل. أرادت ماغي المجــيء إلــى المركــز كي ترى ما الذي يقومون به، وقالت إنها تودّ أن

تــصبح محامــية عــن الأطفــال حين تتخرّج من كلية الحقوق، لكن ذلك سيستغرق سنوات طويلة.

علّــق شــارلي: "أنــت بحارة جيّدة. وراكبة أمواج جيّدة أيضاً". لقد تعلّمــت بــسرعة، وذهبت معه للغطس مستخدمة جهاز التنفس تحت الماء لمــرّات عديــدة، كما ذهبت مع آدم للغطس أيضاً. لقد استفادوا جميعاً من وسائل الراحة المؤمنة لهم على متن اليخت.

– "كــنت أحــبّ الإبحار وأنا صغيرة". قالت ذلك وهي تبدو حزينة لأنهــا ستتركه في اليوم التالي. كان من الجميل مشاركته في غرفة النوم، والاســتيقاظ فــي الصباح معه ومعانقته طيلة الليل. سوف تشتاق إليه حين تــرحل، فقــد كانت هذه الرحلة نموذجاً عن الوجه الإيجابي العظيم للحياة الــزوجية. كانــت كارول تكره النوم بمفردها، وقد استمتعت في الأوقات الجــيّدة بالرفقة أثناء زواجها. بدا شارلي مستمتعاً بالنوم برفقتها، ولم يمانع اقــتحامها غرفة نومه الفاخرة في اليخت. سألته كارول وهي تبتسم: "متى ستعود؟" ظنّت أنه سيبقى على متن يخته لأسبوع آخر.

قال لها وهو يبدو غامضاً: "لا أعلم". بدا متضايقاً، ثم حدّق مجدّداً بكــارول. كــان يفكّر بعلاقتهما طيلة الأسبوع، فقد كانت كارول كاملة الأوصــاف فــي كــل شــيء تقريباً، إنها من أصول مناسبة، وخلفيتها ممــتازة، وهي ذكية ومرحة ولطيفة مع أصدقائه، وهي تجعله يضحك. لقــد أحــبّ ممارسة الحب معها، وفي الواقع، هو لم يجد فيها شيئاً لم يحــبّه، وقد أخافه ذلك حتى الموت. أكثر ما أذهله فيها هو عدم وجود أي خطــب أو علّــة تجعلــه يتراجع عن علاقته معها. لطالما وجد في النــساء الأخــريات خطباً ما يساعده على الهرب من العلاقة، لكن ليس هــذه المــرة. كان قلقاً بأن لا يقتنع بالاستقرار كالعادة، وعندها ستشعر كــارول بجرح عميق كالنساء السابقات. لقد التقى أخيراً بالمرأة التي لا يــريد إيذاءها، والتي لا يريد أن تؤذيه أيضاً، لكن حين يقترب الثنائي

كثيراً من بعضهما يصبح من الصعب تجنّب الأذية. لم يعرف شارلي ما الذي سيفعله تجاه ذلك.

قالت كارول بلطف: "هناك أمرٌ يقلقك". وأرادت أن تعرف ما هو.

تردّد لفترة طويلة، ثم هزّ رأسه. لطالما كان صادقاً معها.

- "كنت أفكّر بعلاقتنا". حين قال ذلك بدا صوته كصوت من يعلن وفاة أحد المقربين منه. شعرت كارول بالخوف في اللحظة التي رأت وجهه وقد ظهر عليه العذاب بوضوح.

- "ماذا بشأنها؟"

ابتسم من خلال دخان سيجاره مجدّداً. لم يكن يريد أن يقلقها من دون سبب، لكنه كان هو نفسه قلقاً. "أتساءل دوماً ما الذي يفعله شخصان يعانيان من رهاب العلاقات مع بعضهما، فقد يتأذّى أحدنا في النهاية".

- "ليس إن كنّا نحذر من جروح وندوب بعضنا". إنها بدورها تفعل ذلك بالتأكيد، فهي تعرف الأشياء التي تحزنه. إنه يحتاج في بعض الأحيان إلى مساحة خاصة به، فقد أمضى حياته بمفرده، وهي تشعر في بعض الأحيان أنه يريد البقاء بمفرده، لذلك كانت تترك الحجرة، وتتركه لمعدّاته الخاصة الموضوعة فوق مكتبه. حاولت أن تكون حساسة مع حاجاته.

سألها بصدق: "ماذا إن لم أقرّر أن أتزوّج". لم يكن واثقاً من قراره حول الزواج. ربما تأخّر الوقت كثيراً كي يفعل. أصبح الآن في السابعة والأربعين من عمره ولم يكن واثقاً أنه سيتمكّن من التأقلم مع التغيير. بعد حياة طويلة أمضاها في البحث عن المرأة المثالية، يتساءل الآن بعد أن وجدها فعلاً إن كان هو الرجل المناسب لها، ووصل إلى استنتاج أنه قد لا يكون مناسباً فعلاً.

قالت كارول بهدوء: "لقد تزوّجت من قبل ولم يكن زواجاً رائعاً".

ابتسمت بحزن.

- "عليك إنجاب الأطفال في يوم ما".

- "ربما... وربما لا. لدي أطفال في المكان الذي أعمل فيه. وفي بعض الأحيان أفكّر أن هذا يكفيني. حين حصلت على الطلاق، قلت لنفسي إنني لن أتزوّج من جديد. لن أضغط عليك من أجل الزواج شارلي، فأنا سعيدة بالأمور كما هي".

- "ليس عليك أن تكوني راضية، فأنت تحتاجين إلى المزيد". قال ذلك وهو يشعر بالذنب. لم يكن شارلي متأكّداً إن كان هو الرجل المناسب الذي سيعطيها ما تحتاج إليه، وإن لم يكن مناسباً لها فهو يدين لها بحريتها، وعليه التخلّي عنها. فكّر كثيراً بالموضوع. إنه الهروب بطريقة أو بأخرى، فذلك ما يحصل في النهاية.

- "لِمَ لا تتركني أقرّر ما الذي أحتاج إليه؟ إن واجهت مشكلة ما سوف أخبرك. لكنني الآن، لست أواجه أي مشكلة".

- "وماذا بعد؟ هل سنكسر قلب بعضنا لاحقاً؟ من الخطر ترك الأمور تجري على هواها".

- "ما الذي تقوله شارلي؟" شعرت كارول بالخوف وهي تستمع إليه، كانت تتعلّق به أكثر يوماً بعد يوم، لاسيّما بعد الأسبوع الأخير الذي عاشته معه. من السهل أن تعتاد عليه، وما يقوله الآن يزرع الذعر في قلبها، فقد بدا كأنه على وشك الانفصال عنها.

- "لا أعلم..." قال وهو يضع السيجار في المنفضة. "لا أفهم ما الذي أقوله الآن. دعينا نذهب إلى السرير". حين فعلا ذلك، مارسا الحب معاً ولم يناقشا الموضوع من جديد.

أتى الصباح بسرعة، وكان عليهم الاستيقاظ عند السادسة صباحاً. كان شارلي لا يزال نائماً حين تركت كارول السرير. أخذت حماماً ساخناً، وارتدت ملابسها قبل أن توقظه. استلقى في السرير ينظر نحوها لفترة طويلة. للحظة مرعبة شعرت كارول كأنها تراه للمرة الأخيرة. لم تقم بأي

عملٍ خاطئ خلال الرحلة، ولم تشعره بالضغط وبالارتباط الشديد فيه. لقد سمحت فقط للحياة بأن تأخذ مجراها. لكن نظرة الخوف في عينيه بدت واضحة جداً، كذلك شعوره بالذنب والندم. ذلك كله بدا نذير شؤمٍ بالنسبة لكارول.

ترك شارلي السرير كي يودّعهم. لبس سروالاً قصيراً وقميصاً ذات كمين قصيرين، ووقف على متن اليخت يراقب بينما أنزلوا القارب لإيصالهم إلى المرفأ. كان سيتّجه إلى أنغيلا في ذلك اليوم، بعد أن يغادروا. قبّل شارلي كارول قبل أن تركب في القارب، ونظر في عينيها. شعرت كأنه لا يكتفي بوداعها لفترة قصيرة، لكنّها لم تضغط عليه بالسؤال عن موعد عودته إلى المدينة. فكّرت أن من الأفضل ألاّ تفعل، وكانت محقة، لأن شارلي كان يحاول استعادة توازنه بعد أن شعر أنه على حافة جرف كبير.

ربّت على كتف آدم وعانقه، ثم قبّل ماغي على خدّيها، فاعتذرت منه بسبب دوار البحر الذي أصابها. شكروه جميعهم، ولوّح لهم شارلي وهم يبتعدون.

استدارت كارول كي تراقبه من القارب وهم يبتعدون. ساورها شعور مخيف بأنها لن تراه من جديد وهو يلوّح لهم عن ظهر اليخت. وضعت نظارتيها السوداوين بينما وصلوا إلى الميناء، كي لا يرى أحد دموعها.

25

زادت سرعة وتيرة الحياة بالنسبة لآدم وماغي حين عادا إلى نيويورك، فقد أصبح لديه ثلاثة زبائن جدد، وقال ولداه إنهما يريدان رؤيته أكثر، لاسيّما بعد أن أصبحا يعرفان ماغي، كما أصيب والده بنوبة قلبية. إنها الحياة...! كان والده قد خرج منذ أسبوع من المستشفى، وأخذت والدته تتّصل به عشر مرّات في اليوم تقريباً، وتسأله لما لا يأتي ليراهما غالباً، ولِمَ لا يهتم لصحة والده؟ كان أخوه يذهب لرؤيته كل يومٍ، فما خطبه هو؟ ذكّرها آدم بسخطٍ أن أخاه يعيش على مسافة قريبة منهما.

أما ماغي فبدت كالمجنونة. بدأت تدرس لامتحاناتها النهائية، وكان عليها كتابة فرضين من أجل صفوفها، كما أصبحت تعمل بجهد في بيير 92. أخبرها آدم أن عليها الحصول على عملٍ أفضل، لكن البقشيش الذي كانت تحصل عليه في المقهى بدا رائعاً. خلال الأسبوعين الأوّلين بعد عودتهما من الرحلة، أصيبت ماغي بالإنفلونزا.

كانت لا تزال مريضة حين عادت إلى عملها. لكنها لم تكن تستطيع خسارة يوم عمل آخر، وإلاّ فإنهم سيطردونها. بعد ظهر أحد الأيام كانت لا تزال في العمل حين أتى آدم من المكتب إلى المنزل ووجد ملاحظة بأن عاملة التنظيف قد استقالت. بدت الشقة في حالة فوضى، وأدرك كم كانت ماغي مرهقة، لذا قرّر أن يخرج القمامة ويغسل بعض الأطباق قبل أن

تعود. أفرغ سلة المهملات الموجودة في حمامها في كيس بلاستيكي كبير، وكـــان على وشك ربط الكيس حين لفت نظره شيء ما. لقد رأى عوداً ذا لون أزرق. كان قد رأى مثله في السابق، لكن ليس من فترة قريبة. توقّف عن إكمال ما كان يفعله، وسحبه من الكيس بحذر، وحدّق به غير مصدّق.. جلـــس على الكرسي وهو يحدّق قبل أن يّرميه في سلّة المهملات من جديد ويـــربط الكـــيس، لكـــن حين فعل كان وجهه متجهماً. بدا كالإعصار حين عـــادت ماغي إلى المنزل، أمّا هي فذهبت إلى السرير مباشرة وهي تقول إنها تشعر بتوعّك.

قال من تحت أنفاسه: "لا شك أنك متوعكة". لقد نظّف الشقة بكاملها، وكان يستخدم المكنسة الكهربائية للتنظيف حين وصلت.

- سألته بينما كان ينطلق محدثاً أزيزاً حول الغرفة: "ما الذي تفعله؟"

- "لقد استقالت الخادمة".

- "ليس عليك القيام بهذا. أنا سأنظّف".

- "أحقاً؟ متى؟" بدا غاضباً منها.

- "لاحقـــاً. لقد وصلت للتو من العمل. بحق الله آدم، لماذا تتصرّف كصاروخٍ فضائي مشتعل؟"

قال من خلال أسنانه: "أنا أنظّف المنزل!"

- "لماذا؟" فجأة استدار نحوها والانتقام بادٍ على وجهه.

- "لأننـــي إن لـــم أفعل قد أقتل أحدهم. ولا أريد أن تكوني أنت من أقتلها".

- "ما الذي يجعلك غاضباً إلى هذا الحد؟" لقد كان يومها سيئاً جداً في العمل، والآن هي تشعر بتوعك.

- "أنا غاضب منك. هذا ما يغضبني".

- "ما الذي فعلته بحق الله؟ أنا لم أطلب من الخادمة أن تستقيل!"

- "متـــى كنت تنوين إخباري بأنّك حامل؟ لماذا كنت تحتفظين بتلك المعلومة الصغيرة لنفسك؟ بحق السماء ماغي، لقد وجدت اختبار الحمل في سلّة مهملاتك وهو إيجابي. يا إلهي!" بدا كأنه فقد عقله بسبب السخط. "متى حدث ذلك؟"

قالـــت بهـــدوء: "يوم عدت من منزل والديك، على ما أعتقد". لطالما كانـــا حـــذرين، لكن كانت هذه المرة الوحيدة التي لم يتنبّها فيها، ومنذ ذلك الحين أخذا يتصرّفان بحذر من دون نفع، فقد حدث ما حدث.

- آه، عظـــيم!" قـــال ذلك وهو يرمي خرطوم المكنسة فوق قدميه". كانـــت أمي محقة. كان عليّ البقاء معهم، ولم يكن يجدر بي الاتصال بك". ارتمى فوق كرسي، وبدأت ماغي بالبكاء.

- "هذه قسوة منك".

- "إنهـــا أقـــل قسوة من أن تصبحي حاملاً ولا تخبريني. متى كنت تنوين إخباري بحق السماء؟"

- اكتـــشفت الأمـــر هذا الصباح. لم أكن أريدك أن تصاب بالجنون. كنت سأخبرك هذا المساء".

فجأة، نظر إليها وأدرك ما قالته: "منذ ذلك الوقت؟ هل تمزحين؟ لقد حدث ذلك في شهر أيلول/سبتمبر، ونحن في كانون الثاني/يناير. بحق الله! هل تقصدين ذلك حقاً؟" قد تكون مخطئة في ما قالته.

- "لا. كانـــت هذه المرّة الأولى التي آتي فيها لقضاء عطلة الأسبوع هنا. إنها المرة الوحيدة التي لم نتصرّف فيها بحذر".

- "رائع! هل لاحظت أن عادتك الشهرية لم تأتِ منذ ثلاثة أشهر؟"

- "ظننت أن ذلك حصل بسبب توتري. فهي ليست منتظمة دائماً. في وقتٍ ما مرّت ستة أشهر من دون أن تأتي".

- "وهل كنت حاملاً؟"

– "لا. إنها المرة الأولى التي أصبح فيها حاملاً". شعرت ماغي كأنها مدمّرة.

– "رائع! أوّلاً، نحن لسنا بحاجة إلى موضوع يجلب لنا ألماً في الرأس ماغي. حين تخضعين للإجهاض سوف تبكين وتصابين بضربة مدوّية لستة أشهر". لقد مرّ بهذا من قبل في أحيانٍ كثيرة، ولم يكن يريد أن يعيش هذا الوضع معها بالذات، ولا مع أي امرأة أخرى من جديد. رمقها آدم بنظرات داكنة، ثم قال وقد ساوره الشك: "هل تحاولين نصب فخٍ لي كي أتزوّج بك؟ هذا لن ينجح".

قفزت عندها بغضب عن السرير ووقفت تحدّق فيه وهي تقول: "أنا لا أحاول نصب أي فخ! لم أطلب منك يوماً أن تتزوّجني، فأنا لا أريد الزواج الآن. لقد حملت، وهذا ذنبك تماماً مثلما هو ذنبي".

– "بحق الله! كيف تمرّ ثلاثة أشهر دون أن تعلمي بأنك حامل؟ هذا لا يصدّق. حتى إنّك لن تستطيعي القيام بعملية الإجهاض الآن، فهو أمر خطير بعدم مرور ثلاثة أشهر على الحمل".

– "حسناً! إذاً سأتعامل أنا مع الوضع. ولم أكن أحاول الزواج بك".

– "جيّد، لأنني لن أفعل". صرخ بذلك في وجهها، وعندها دخلت ماغي إلى الحمّام وأغلقت الباب خلفها بقوة. بقيت هناك لساعتين تقريباً. وحين خرجت، كان يجلس في السرير يشاهد التلفاز ولم يقل أي كلمة لها. لم يتناولا العشاء تلك الليلة، وكانت ماغي قد تقيّأت في الحمام وهي تبكي على نفسها.

– "ألهذا السبب شعرت بدوار على متن اليخت؟" سألها آدم دون أن ينظر نحوها.

– "ربما. تساءلت عن السبب، وحين عدنا ووجدت أنني لا زال مريضة، ففكّرت أن هذا قد يكون السبب، لهذا قمت بإجراء الاختبار".

– "على الأقل، أنت لم تنتظري مرور ستة أشهر أخرى. أريدك أن تذهبي لرؤية الطبيب".

قال ذلك وهو ينظر نحوها أخيراً. بدت في حالة يرثى لها، ورأى آدم أنها تبكي، وأن عينيها حمراوين ووجها شاحب، فسألها: "ألديك طبيب؟"

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت: "أحضرت اسم طبيب من زميلة لي في العمل".

– "لا أريدك أن تذهبي لرؤية طبيب غير موثوق. سأحضر لك اسم طبيب يوم غد".

سألته وهي تبدو خائفة: "وما الذي سيحدث بعد ذلك؟"

– "حسناً، سنرى ما سيقوله".

– "ماذا لو كان الوقت قد تأخّر على الإجهاض؟"

– عندها سنناقش الموضوع. قد يكون عليّ قتلك في تلك الحالة". كان يمزح معها فقط، فلقد هدأ قليلاً الآن، لكنها عادت لتبكي من جديد. "هيا، ماغي... أرجوكِ... أنا لن أقتلك، لكنني غاضب".

قالت وهي تبكي متنهّدة: "وأنا أيضاً غاضبة. إنه طفلي أيضاً". عندها تأوّه آدم وضربٍ بيده فوق السرير.

– "إنه ليس طفلاً ماغي. أرجوك.. إنه حمل فقط.. هذا كل شيء الآن". لم يكن يريد أن يستخدم كلمة جنين حتى، فكيف بكلمة طفل!

سألته وهي تنفخ أنفها بمنديل ورقي: "إلامَ يؤدي الحمل برأيك؟"

– "أنا أعلم إلامَ يؤدي، ولهذا أنا غاضب. نامي الآن قليلاً، وسوف نتكلّم بالأمر عند الصباح". قال ذلك وهو يطفئ التلفاز والنور بجانب السرير. كان الوقت لا يزال مبكراً لكنه أراد أن ينام، إذ شعر بحاجة للهرب، فالحمل كان آخر ما يريده.

– "آدم؟" همست ماغي بهدوء بالقرب من أذنه.

– "ماذا؟"

– "هل تكرهني؟"

– "بالطبع لا. أنا أحبّك. لكنني غاضب فقط. لم تكن هذه فكرة جيّدة".

– "أي فكرة؟"

– "فكرة الحمل".

– "أعلـم. أنا آسفة. هل تريد مني أن أرحل". عندما قالت ذلك نظر نحـوها وهو يشعر بالأسف عليها. سيكون هذا الوضع صعباً عليها أيضاً. لاسـيّما بعـد مـرور ثلاثـة أشهر. يعرف آدم أن بعض الأطباء يجرون عملـيات الإجهاض في هذه الفترة من الحمل، لكنه أمر أكثر صعوبة الآن ممّا كان عليه في الفترة الأولى منه.

– "لا، أنـا لا أريـدك أن ترحلي. أنا فقط أريد حلّ هذه المشكلة في أقرب وقتٍ ممكن".

– "هـل تعـتقد أنني سأشعر بالتعب لمدة ستة أشهر بعد الإجهاض؟" بـدت شـديدة القلق. إنه أمر مخيف بالنسبة لها، أكثر ممّا هو مخيف له، وكره آدم الضيق الذي ستعاني ماغي منه، فهذا سيجرحها كثيراً.

أجـاب عـن سؤالها قائلاً: "أتمنّى ألاّ يحدث ذلك. اخلدي إلى النوم الآن". استدارت إلى الناحية الأخرى طيلة الليل، وحين استيقظ في الصباح كانـت فـي الحمام وتمكّن من سماعها تتقيّأ. وقفـه خلف باب الحمام وهو يجفل، فقد بدا ذلك قاسياً جداً.

– "تباً!". قال بصوت مرتفع وذهب ليأخذ حماماً ساخناً ويحلق ذقنه. خرجت ماغي بعد عشر دقائق. كان قد ترك باب حمّامه مفتوحاً كي يراها حين تخرج. بدت شاحبة فسألها: "هل أنت بخير".

– "نعم، أنا بحالة جيّدة".

أعـدّ آدم لهـا الـشاي والتوست المحمّص بعد أن ارتدى ملابسه، وأخبرها بأنّه سيتّصل بها من المكتب، ثم قبّلها قبل أن يغادر. أثناء توجّهه إلـى العمل فكّر آدم بأمر مذهل. ماذا لو رفضت القيام بالإجهاض؟ عندها

سيصبح الأمر مزعجاً فعلاً. ماذا سيقول لها عندها؟ ماذا سيقول لوالديه؟ لم يحـتمل التفكيـر بالأمـر. أجـرى اتصالاته الضرورية حالما وصل إلى المكتب، ثم اتّصل بها إلى مركز عملها عند الظهر. أعطاها اسم طبيبين، إذ ربما كان أحدهما كثير الانشغال، وطلب منها أن تحاول رؤية واحدٍ منهما فـي أقرب وقتٍ ممكن. اتّصلت ماغي بكل من الطبيبين واستخدمت اسمه كمـا طلـب منها، فحصلت على موعدٍ لبعد ظهر اليوم التالي. عرض آدم علـيها الـذهاب معهـا، لكـنها قالت إنها ستتمكّن من التعامل مع الوضع بمفردها. على الأقل حاولت أن تتصرّف بشكلٍ مرضٍ حيال الأمر. لكنهما بالكـاد تكلّمـا مـع بعضهما تلك الليلة. فقد كان كلاهما يشعران بالإرهاق والتوتر.

فـي اللـيلة التالية، بعد موعدها لدى الطبيب، كانت ماغي في الشقة حـين عاد آدم إلى المنزل. إنه يوم عطلتها، وكانت تقوم ببعض الفروض حين دخل.

– "كيف سارت الأمور".

– "بشكل جيّد". لم تنظر ماغي نحوه.

– "جيّد إلى أي حد؟ ما الذي قاله لكِ؟"

– "قال إن الوقت متأخّر قليلاً. لكنهم قالوا إن صحتي العقلية ستكون على المحك إن حاولت الانتحار أو القيام بأمر مماثل".

– "ومتـى ستجرين الإجهاض إذاً؟" بدا مرتاحاً، وساد صمت لبعض الوقت قبل أن تنظر ماغي نحوه بعينيها الكبيرتين ووجهها الشاحب. لم تبدُ بخير في الواقع.

– "لـن أقوم بذلك". تطلّب الأمر بعض الوقت كي يفهم آدم ما تقوله، ثم حدّق بها.

– "كرّري ما قلته".

– "لن أقوم بالإجهاض". قالت ذلك بحذر، وأدرك آدم أنها تقصد ذلك حرفياً من التعابير التي ظهرت على وجهها.

– "ما الذي ستفعلينه إذاً؟ هل ستسلمينه إلى ميتم؟" كان هذا الوضع معقداً ويحتاج للكثير من الشرح، لكنه سيقبل القيام بذلك أيضاً إن كانت تفضّله. فهي في النهاية صاحبة القرار.

– "سوف أرزق بطفل، وسوف أحتفظ به. أنا أحبّك، وأحبّ طفلك. لقد رأيته في الصورة الصوتية. إنه يتحرك. كان يمصّ إصبعه. أنا حامل منذ ثلاثة أشهر ونصف. لقد مضى ستة عشر أسبوعاً حسبما قالوا لي، وأنا لن أتخلّى عن الطفل".

– "آه يا إلهي!" قال ذلك وهو يرتمي فوق أقرب كرسي. "هذا جنون. أستحتفظين به؟ أنا لن أتزوّج بك. وأنت تعلمين هذا، أليس كذلك؟ إن كنت تظنّين أن هذا ما سيحدث فأنت مجنونة. أنا لن أتزوّج من جديد.. لا بك ولا بغيرك، وبوجود طفل أم لا".

– "لن أقبل الزواج بك بأي حال". قالت ذلك وهي تجلس بشكل مستقيم جداً فوق الكرسي. "أنا لا أحتاج لأن تتزوّج بي. سأتمكّن من الاهتمام بنفسي". لطالما فعلت ذلك من قبل. رغم أنها كانت مرتعبة الآن، لكنها لم تعترف له بذلك. لقد أمضت طيلة بعد الظهر وهي تفكر كيف ستؤمّن المال الكافي، لكنها قرّرت عدم أخذ المال من آدم. عليها القيام بذلك بمفردها. حتى وإن كان عليها ترك عملها ومدرستها والذهاب إلى بيت الراحة. إنها لا تريد شيئاً منه.

– "ما الذي سيُفكّر فيه ولداي الآن؟" قال ذلك وهو يبدو مذعوراً. "كيف سنشرح لهما الأمر؟"

– "لا أعلم. كان علينا التفكير بذلك تلك الليلة".

– "آه، بحق الله! في ذلك اليوم لم أكن أفكّر إلاّ بمقدار كرهي لأمي. لم أكن أفكّر بالطفل".

– "ربما كان هذا مقدراً لنا". حاولت أن تتكلّم بفلسفة حول الموضوع، لكن آدم لم يشأ سماع ذلك.

– "لم يكن ذلك مقدراً.. لا. حصل ذلك نتيجة إهمالنا فقط".

– ربما. لكنني أحبّك. حتى إن تركتني في الحال، فسأحتفظ بهذا الطفل". لقد ثبّتت قدميها جيّداً، وهي لن تتحرك أو تغيّر موقفها مهما حاول. لقد أقنعتها الصورة الصوتية، ولن يجعلها أحدٌ تتراجع. لن تقتل ابنهما أبداً.

– "وأنا لست واثقة أنني أريد طفلاً أيضاً، لكن هذا ما حصلنا عليه. أو على الأقل هذا ما حصلت أنا عليه". بدت هادئة وغير سعيدة. إنه أمرٌ يصعب التعامل معه بالنسبة لكليهما.

قال بتعاسة: "سوف أذهب إلى فيغاس في نهاية الأسبوع، وسوف نتكلّم بالموضوع حين أعود. دعينا نأخذ فرصة لبعض الوقت، لنفكّر بالأمر أكثر، فربما ستغيّرين رأيك".

– "لن أفعل!" قالت ذلك وكأنها لبوة تدافع عن صغيرها.

– "لا تكوني عنيدة!"

– "ولا تكن قاسياً!". نظرت نحوه بحزن.

– "أنا لست قاسياً. أنا أحاول فقط التعامل بروح رياضية مع الموضوع، لكنك لا تسهّلين الأمر، فمن القسوة الاحتفاظ بطفل لا أحد يريده. أنا فقط لست مستعداً لإنجاب طفل ماغي، ولا أريد أن أتزوّج من جديد. لا أريد طفلاً، لقد تقدّمت بالسن على أمر كهذا".

– "أنت قاسٍ جداً. تفضّل.. اقتله". قالت ذلك وانفجرت بالبكاء، ما جعل آدم يرغب بالبكاء هو أيضاً.

– "أنا لست قاسياً". صرخ بذلك بعد أن ركضت ماغي نحو الحمام مجدّداً كي تختبيء منه، وعادت تتقيأ.

لم تكن الأيام المتبقية من الأسبوع أفضل حالاً، فهما لم يطرحا الموضوع من جديد، لكنه بقي معلّقاً كقنبلة معدّة للانفجار. شعر آدم بالارتياح لمغادرته إلى ڤيغاس يوم الخميس. فقد كان بحاجة إلى الابتعاد قليلاً. بقي هناك حتى مساء يوم الأحد، وحين عادت ماغي من عملها يوم الإثنين كان ينتظرها في المنزل. جلس على الكرسي وعلى وجهه نظرات الخضوع.

– "كيف كانت عطلة نهاية الأسبوع في ڤيغاس؟" سألته ذلك لكنها لم تقترب كي تقبّله، فقد بقيت ماغي حزينة طيلة الأسبوع، وتساءلت إن كان يخونها لأنه غاضب. لم تترك الشقة، بل جلست هناك تبكي حتى تنام كل ليلة وهي تفكّر أنه يكرهها. فكّرت أيضاً بأنه قد يتركها، وعندها ستكون بمفردها مع الطفل، ولن تراه من جديد.

– "كانت جيّدة، وقد فكّرت كثيراً خلالها". توقّف قلبها عن الخفقان وهي تنتظر أن يخبرها بأن عليها الانتقال من منزله. وأنه بات يشعر بالخجل بسبب حملها.

– "أعتقد أن علينا أن نتزوّج. يمكنك أن تأتي معي إلى ڤيغاس الأسبوع القادم. سوف أذهب إلى هناك مجدّداً بأي حال، وسوف نتزوّج هناك بصمت وينتهي الأمر".

حدّقت فيه غير مصدّقة: "ما الذي تعنيه بقولك إن الأمر سينتهي؟ أتعني أنني سأغادر بعد الزواج، لكن الطفل سيكون شرعياً؟" فكّرت بالعديد من السيناريوهات ولم تجد حلاً جيّداً، لكنه فعل.

– "لا. عندها سنكون متزوّجين. سنرزق بالطفل ونعيش حياتنا معاً.. مع الطفل. حسناً! هل أنت سعيدة الآن؟" لم تبدُ عليه السعادة، لكنه حاول تصحيح الموقف فقط. "بالإضافة إلى ذلك، أنا أحبّك".

– "أنا أحبّك أيضاً، لكنني لن أتزوّج بك". بدت ماغي هادئة ومقتنعة بما تقوله.

– "ألن تفعلي؟ لماذا؟" ظهرت الدهشة على وجه آدم. "ظننت أن هذا ما تريدينه".

– "أنا لم أقل ذلك. كل ما قلته هو أنني سأحتفظ بالطفل، ولم أقل إنني أريد الزواج بك". قالت ذلك بعزم، بينما أخذ آدم يحدّق فيها.

– "ألا تريدين أن تتزوّجي بي؟"

– "لا، لا أريد ذلك".

– "لكن ماذا عن الطفل؟ لماذا لا تريدين أن تتزوّجي بي؟"

– "أنا لن أجبرك على الزواج بي آدم، ولا أريد أن أتزوّج بصمت. حين أريد الزواج، أود أن أحدث الكثير من الفوضى، وأريد الزواج برجل يرغب بالزواج بي، وهو ليس مجبراً على فعل ذلك. شكراً جزيلاً لك، لكن جوابي هو لا".

– "أرجوك قولي لي إنك تمزحين". قال ذلك وهو يضع رأسه بين يديه.

– "أنا لست أمزح. أنا لن أطلب منك المال، ولن أتزوّج بك، وسوف أعتني بنفسي".

– "وهل ستتركينني؟" بدا مذعوراً لمجرّد التفكير بالأمر.

– "بالطبع لا! أنا أحبّك، فلماذا سأتركك؟"

– لأنك قلت إنني قاسٍ في الأسبوع الفائت".

– "أنت قاسٍ لأنك أردت أن تقتل طفلنا، لكنك لست قاسياً إن عرضت عليّ الزواج. شكراً على ذلك، لكنني لا أريد، وأنت أيضاً لا تريد".

صرخ قائلاً: "بلى أريد! أنا أحبّك وأريد الزواج بك. والآن هل ستفعلين ذلك؟" بدا يائساً، وبدت ماغي أكثر هدوءاً منه. لقد اتّخذت قرارها، ورأى آدم ذلك بوضوح.

– "أنت أكثر النساء عناداً". ابتسمت ماغي له، فأخذ يضحك.

– "لم يكن ذلك إطراء. آه، بحق الله ماغي!" اقترب ووضع ذراعيه حولها، وقبّلها لأوّل مرّة منذ أسبوع كامل. "أنا أحبّك... أرجوك... دعينا نتزوّج، دعينا نتزوّج ونرزق بطفل. فلنحاول القيام بالأمور بشكلٍ صحيح".

– "لو أردنا القيام بها بشكل صحيح لتزوّجنا أوّلاً، ثم أنجبنا طفلاً. لكنك ما كنت لتتزوّج بي عندها، لذا لا داعي لأن تقوم بذلك الآن".

– قال وهو يكاد يصرخ: "أنت سترزقين بطفل".

– "حسناً، حاول أن تتخطّى الأمر. أنا لن أتزوّج بك".

– "تباً!" قال ذلك وذهب ليسكب لنفسه كوباً من الشراب، ثم ابتلعه دفعة واحدة.

– "لا يمكنك أن تشرب، فنحن سنرزق بطفل". قالت ذلك بتزمت، فرمقها بنظرات شريرة.

– "مضحك جداً. قد أصبح سكيراً قبل أن نتخطّى الأمر".

قالت ماغي بلطف: "لا تفعل. سيكون كل شيء على ما يرام آدم. سنحل الأمور، وليس عليك أن تتزوّج بي. أبداً".

بدا قلقاً وهو يقول: "ماذا إن أردت أن أتزوّج بك يوماً ما؟"

– "عندها سنتزوّج، لكنك لا تريد فعل ذلك الآن. أنا أعلم ذلك وأنت أيضاً، ويوماً ما سيعرف الطفل ذلك".

– "أنا لن أخبره"

– "قد تفعل". بعض الأشخاص يفعلون أموراً مماثلة في بعض الأحيان، فيقول الوالد لولده: "كان عليّ الزواج من والدتك..." لم تكن تريد أن يسمع ولدها ذلك. ولم تكن تريد أن تستغل عرضه، حتى لو كان مستعداً للقيام بالأمر الصحيح.

– "لِمَ أنت صارمة إلى هذه الدرجة؟ كل النساء اللواتي التقيت بهن من قبل أردن أن أدفع لهن فواتيرهن، والزواج بهن، وإيجاد وظائف لهن،

والقيام بملايين الأشياء من أجلهن، أما أنت فلا تريدين شيئاً منّي".

– "هذا صحيح. أريد طفلك فقط... بل طفلنا". قالت ذلك بفخر.

– "هل استطاعوا رؤية جنس الجنين؟" سألها ذلك باهتمامٍ مفاجئ. لم يكن يريد الطفل، لكن بما أنهما سيحتفظان به سيكون من الجيّد معرفة جنسه.

– "سأعود إلى هناك بعد أسبوعين لإجراء صورة صوتية أخرى. عندها سيتمكّنون من إخباري".

– "هل بإمكاني المجيء معك؟"

– "وهل تريد ذلك؟"

– "ربما،... سنرى". أمضى آدم طيلة عطلة الأسبوع وهو يُفكّر أنه سيتزوّج منها، والآن ها قد خاب أمله لأنه لن يفعل. كل شيء في حياتهما بدا غريباً الآن.

– "ماذا ستقول لوالدتك؟" سألته ماغي هذا السؤال تلك الليلة عند العشاء، فهزّ رأسه.

– "الله وحده يعلم. على الأقل سيكون لديها الآن أمراً شريراً تحاسبني عليه فعلاً. أعتقد أنني سأخبرها بأنني تعلّقت بك منذ لقائنا الأول وبأنك حامل. عندها سترفض بالتأكيد أن أتزوّج بك".

– "يا له من أمر ساحر!" انحنى آدم فوق الطاولة وقبّلها، ثم ابتسم لها.

– "ماغي أومالي، أنت مجنونة لأنك تريدين المحافظة على طفلي من دون الزواج بي، لكنني أحبّك. لذا ما المشكلة؟ انتظري حتى أخبر غراي وشارلي!" ابتسم لها، فضحكت بينما أنهيا تناول العشاء وتحدثا. كم تكون الحياة جنونية في بعض الأحيان! حياتهما كانت كذلك بالتأكيد، لكنهما بدوا سعيدين تلك الليلة وهما ينهيان غسل الصحون، بعدئذٍ ذهبا إلى السرير. لم يكن هذا ما خطّطا له، لكنهما قرّرا القيام بأفضل ما بإمكانهما فعله مهما كلّفهما الأمر.

26

لم يتّصل شارلي بكارول بعد أن تركته على اليخت في سانت بارتس. أرسلت كارول له رسالة عبر الفاكس لتشكره، لكنها شعرت بالارتباك للاتصال به بعد ما قاله لها تلك الليلة قبل أن تغادر. لم تملك أدنى فكرة عن النتيجة التي توصّل إليها الآن، لكن الأمر الوحيد الذي كانت متأكّدة منه هو حاجة شارلي إلى بعض المساحة الخاصة، لذلك أعطته تلك المساحة، وكان ذلك أفضل ما يمكنها القيام به. شعرت بالمزيد من القلق كل يوم، ومرّ أسبوعان كاملان قبل أن يقوم أخيراً بالاتصال بها. كانت تجلس في مكتبها حين رنّ جرس هاتفها. أخبرها شارلي أنه عاد إلى المدينة، لكن نبرة صوته بدت غريبة. سألها إن كانت توافق على تناول الغداء معه في اليوم التالي.

– "سيكون ذلك رائعاً". قالت له ذلك وهي تحاول أن تبدو هادئة، لكنها كانت تخدع نفسها. بدا شارلي حزيناً بشكلٍ لا يوصف، ثم أصبح هادئاً ورسمياً أكثر حين وافقت على مقابلته في اليوم التالي، فتساءلت كارول إن كان من الأفضل أن تلغي هذا اللقاء. علمت ما الذي سيحصل. فهو لم يدعها للعشاء ولم يقل إنه يريد المجيء لرؤيتها تلك الليلة، أراد فقط رؤيتها عند الغداء، في اليوم التالي. هذه المسافة بينهما تعني شيئاً واحداً: أراد مقابلتها لأنه أراد أن يتصرّف بتهذيب، فيخبرها بنفسه أن علاقتهما انتهت. بدا الأمر واضحاً، وكل ما أمكنها فعله الآن هو الانتظار.

لم تكلّف نفسها في صباح اليوم التالي أن تضع بعض مساحيق التجميل على وجهها إذ لا جدوى من الأمر، فهو لا يهتمّ لذلك بجميع الأحوال. لو كان يحبّها ويريدها، لاتّصل بها وهو لا يزال على متن اليخت، أو لأتى لرؤيتها في الليلة الماضية. ربما هو يحبّها لكنه لا يريدها. كل ما عليها فعله الآن هو تحمّل الألم وهو يخبرها بذلك. كانت كارول محطمة حين ظهر شارلي في المركز.

– "مرحباً! قال ذلك وهو يقف عند مدخل مكتبها. "كيف حالك؟ تبدين رائعة". في الواقع، هو من بدا رائعاً وهو يرتدي بذلة رسمية رمادية اللون، وقد اكتسب سُمرة فاتنة بعد تلك الرحلة. أما كارول فشعرت أنها بحالة يرثى لها، بعد ليلة طويلة قضتها مستيقظة وهي تفكّر فيه.

– "إلى أين تودّ الذهاب لتناول الغداء؟" أرادت أن ينتهي الأمر بسرعة، وشعرت بالندم لأنها لم تتّصل به لتلغي هذا اللقاء. يبدو أنه فكّر أن من الأفضل القيام بهذا الأمر وجهاً لوجه، مغ أنه لم يكن يجدر به فعل ذلك، إذ كان بإمكانه الاتصال عبر الهاتف ليقول إنه يريد تركها. سألته وهي تبدو مثبطة العزيمة: "هل تريد فعلاً أن تأكل؟ أم تفضل أن نتكلّم هنا؟" علم شارلي، مثلها تماماً، أن الكثير من الأشخاص سيقاطعونهما في المكتب، إذ سيدخل الأولاد عليهما وكذلك المحامون والمتطوّعون، فهي محور الحركة هناك.

– "دعينا نخرج". حاول أن يتصرّف بتهذيب مؤلم، فحملت كارول معطفها ولحقت به إلى خارج المبنى. "أتودّين تناول الطعام عند مو أوعند سالي؟" في الواقع، إنها لا تهتمّ، فهي لن تتمكّن من تناول الطعام بأيّة حال.

– "في المكان الذي تريده". اختار شارلي مو لأنه الأقرب، فتمشّيا نحو المبنى بصمت. لوّح مو لهما بيده حين دخلا، فحاولت كارول أن تبتسم، لكنها شعرت بأن وجهها قد أصبح كلوح خشبي وأن قدميها ثقيلتان

كالاسمنت، وبأن لوحاً من القرميد قد وُضع فوق معدتها. بالكاد استطاعت الانتظار حتى ينتهي الأمر، لتعود إلى مكتبها وتبكي بسلام.

جلسا إلى طاولة عند الزاوية وطلبا السلطة. بدا شارلي غير جائع، مثلها تماماً. "كيف كانت بقية رحلتك؟" سألته كارول بتهذيب، ثم أمضيا نصف ساعة هما يقلّبان في صحني السلطة، ولا يأكلان إلاّ القليل. شعرت كارول كأنّها تتّجه نحو المقصلة لتنفيذ حكم الإعدام بها.

- "أنا آسف إن كنت قد أزعجتك قبل أن تغادري المركب. فكّرت كثيراً بشأن علاقتنا بعد أن رحلت". قال ذلك، وهزّت كارول رأسها بانتظار ما سيأتي. أرادت أن تطلب منه بأن يسرع قليلاً، لكنها بدلاً من ذلك جلست تحدّق في الفضاء، مدّعية أنها تسمعه. لم تكن تريد أن تسمع ما سيقوله. لكن كان عليها الجلوس هناك وتقبّل الأمر. "هناك أسباب كثيرة تجعل هذا الموضوع ينجح. وهناك الكثير من الأسباب التي تجعله يفشل أيضاً". هزّت كارول رأسها متمنّية لو أنّ بإمكانها أن تصرخ. "نحن لدينا الخلفية الاجتماعية نفسها، ولدينا الكثير من الاهتمامات المشتركة، فلدى كلينا نزعة الإحسان. لكنك أيضاً تكرهين طريقة حياتي، وتريدين نمط حياة أكثر بساطة"... ابتسم لها وتابع: "مظهر منزلك ليس أبسط من منزلي، كما أعتقد أنك تحبّين يختي، وأنت بحارة ممتازة، ونحن لا نسعى خلف أموال بعضنا، كما أننا تخرّجنا من برنستون". تابع شارلي الكلام حتى شعرت كارول كأنها ستموت. أخيراً نظرت نحوه وهي تريد أن تضع حداً لألمها. لقد طال الأمر كثيراً.

- "فقط، قل ذلك شارلي. يمكنني تحمّل الأمر، فلقد سبق أن تطلّقت. فقط تخطّى الأمر هيّا، بحق الله!" بدا شارلي مصدوماً.

- "ما الذي تعتقدين أنني سأقوله؟"

- "إن علاقتنا قد انتهت، لقد فهمت ذلك. ليس عليك أن تتجنّب قول ذلك بصراحة، ولم تكن مضطراً لدعوتي للغداء حتى. في الواقع أتمنّى لو أنّك لم تفعل. كان بإمكانك الاتصال بي أو إرسال رسالة بالبريد الإلكتروني

تقول فيها: "لا أريدك!" تباً لك...! أو شيئاً من هذا القبيل. يمكنني فهم الأمر بمفردي من وراء تلك التلميحات. كانت الأسابيع الثلاثة الماضية بحد ذاتها تلميحاً واضحاً، لذا إن كنت تريد أن تتركني، افعل ذلك بسرعة". شعرت كارول بالارتياح لقول ذلك الآن. أخذ شارلي يحدّق فيها بغرابة، وكأنه لا يعرف ما سيقوله الآن.

- "هل انتهى الأمر؟" بدا حزيناً جداً وهو ينتظر. تردّدت كارول قليلاً، ثم قرّرت أن تخبره الحقيقة، إذ لم يعد هناك ما تخسره الآن.

- "لا، لم ينته بالنسبة لي. أنا أحبّك، وأستمتع برفقتك. أراك مذهلاً، وأحبّ علاقتي بك. أحبّ التحدّث إليك، ومشاركتك في عملي. أحبّ التواجد على متن يختك برفقتك، كما أنني أحببت أصدقاءك. حتى إنني أحبّ رائحة سيجارك، وأحبّ النوم معك. هذا ما أشعر به أنا، لكن يبدو أن شعورك أنت مختلف تماماً. إن كان الأمر كذلك، لا مشكلة. لن أجلس هنا وأحاول إقناعك بأمر لا تريده".

جلس شارلي وهو ينظر إليها لفترة طويلة. راح ينظر في عينيها، ثم ابتسم. "هل هذا ما تعتقدينه؟ هل تعتقدين أنني أتيت إلى هنا كي أقول إن علاقتنا انتهت؟"

- "نعم. لمَ عساي أفكّر غير ذلك؟ قبل أن أغادر اليخت أخبرتني الكثير من الأمور التي تظهر كم كنت قلقاً بشأن هذه العلاقة. بعد ذلك غادرت ولم أسمع منك خبراً لمدة أسبوعين، ثم اتّصلت بي بالأمس وبدوت كالجلاد. دعوتني إلى الغداء وليس إلى العشاء. الأمر واضح إذاً... هيا، شارلي! إن كنت ستفعل ذلك فافعله بسرعة". لم تعد كارول خائفة من الأمر حتى، يمكنها التعامل معه الآن، فقد مرّت بظروف أصعب. بقيت تذكّر نفسها بذلك طيلة النهار.

- "هذه هي النتيجة التي توصّلت إليها على متن اليخت: إن كنت ستفعلها فافعلها. توقّف عن خداع نفسك. توقّف عن انتظار أخطاء

الآخرين. تباً للأخطاء التي أبحث عنها في النساء، وللشعور بالحزن والقلق من موت من أحبّ أو من ابتعادهم عني. إن كان عليّ فعل أمرٍ، فعليّ فعله. وإن حصل ضرر ما سنلملم الركام لاحقاً معاً. كارول، هل تتزوّجين بي؟" كان ينظر مباشرة في عينيها، ففتحت كارول فمها من الدهشة وهي تحدّق فيه.

– ماذا؟" قالت ذلك وهي تشعر بالذهول.

– "هل تتزوجين بي؟" كان يبتسم لها بينما بدأت دموعها تنهمر.

– "تطلب ذلك مني في مطعم مو؟ هنا؟ الآن؟ لماذا؟"

– "لأنني أحبّك. ربما هذا كل ما يهمّ في النهاية. والباقي كله تفاصيل ثانوية".

– "أعني لماذا تطلب ذلك منّي هنا عند مو؟ لماذا لم تأخذني لتناول العشاء، أو لم تطلب رؤيتي ليلة أمس؟ كيف بإمكانك طلب أمر كهذا هنا؟" كانت كارول تضحك من بين دموعها، بينما أمسك شارلي بيديها فوق الطاولة.

– "كان عليّ رؤية المحامي بالأمس من أجل المؤسسة، لأقفل الحساب السنوي، فلم أستطع رؤيتك. ولم أكن أريد الانتظار حتى المساء. لكن ذلك لا يهمّ. هل ستقبلين؟"

جلست كارول تحدّق به لفترة طويلة وعلى وجهها ابتسامة عريضة. بدا مجنوناً قليلاً، لكنه الجنون الجميل. لقد أرعبها فعلاً، فاقتنعت أن كل شيء بينهما قد انتهى، وبدلاً من ذلك أراد شارلي الزواج بها. إنه جنون فعلاً! انحنت كارول فوق الطاولة وقبّلته: "تباً لك! كدت تسبّب لي قرحة في المعدة. نعم أودّ الزواج بك. أنا أحبّك. متى؟" بدأت مباشرة بالتكلّم بالأمر بشكلٍ عملي، وقد وصلت ابتسامتها حتى أذنيها.

– "كيف يبدو لك شهر حزيران/يونيو؟ يمكننا قضاء شهر العسل على متن اليخت. لقد كنت خائفاً، كنت خائفاً من رفضك".

– "بالطبع لا. شهر حزيران/يونيو يبدو رائعاً". كانت لا تزال غير قادرة على تصديق ما طلبه منها. بدا الأمر كالحلم لكليهما.

– "لن يعطيك ذلك وقتاً كافياً كي تحضّري للزفاف". قال شارلي ذلك وكأنه يعتذر لها. لكنه الآن وقد قرّر الزواج بها لم يعد يستطيع الانتظار، لقد حان الوقت لفعل ذلك.

– "سأتدبّر الأمر". قالت له ذلك بينما دفع الحساب وتمشّيا ببطء عبر الشارع عائدين إلى المركز. لم تكن هذه هي الطريقة التي توقّعت كارول حدوث الأمر فيها.

قال لها: "أحبّك". ثم قبّلها وهو يقف أمام المركز. مشى الناس بجانبهم وهم يبتسمون لرؤيتهما هناك، كما مرّ تايغ بقربهما وهو عائد من استراحة الغداء ومازحهما أيضاً.

– "هل تمضيان نهاراً جميلاً؟" سألهما وهو يفتح باب المركز.

– "جميلٌ جداً" قالت كارول ذلك وهي تبتسم له، ثم عادت لتقبّل زوجها العتيد من جديد، قبل أن يتركها للعودة إلى وسط المدينة. لقد تمّت المهمة.

27

اسـتقرت الأمور بهدوءٍ نسبي بين آدم وماغي. قرّر ألاّ يخبر ولديه إلـى حين ظهور معالم الحمل على بطنها، وذلك لن يحدث قبل شهرين. لم يكن آدم يريد إخبار والدته إلاّ بعد أن يعرف ولداه بالموضوع، فقد أراد أن يمـنحهما شرف معرفة الأمر قبل الآخرين. لكن موضوع الحمل لا يزال يتطلّب الكثير من الشرح، وكان آدم واثقاً أنه سيكون لدى راشيل الكثير من الكلام كي تقوله.

كـان آدم منشغلاً جداً خلال تلك الفترة، لكنه تمكّن من مرافقة ماغي لإجـراء الـصورة الصوتية بعد أسبوعين. بدا الطفل بخير وبصحة جيّدة، وعرفا أنه صبي. حين شاهداه يتحرّك بدأ آدم وماغيْ بالبكاء، وكانت ماغي قد دخلت شهرها الرابع.

كان على آدم الذهاب إلى ڤيغاس في الأسبوع التالي، فسألها إن كانت تـودّ مـرافقته، وكان لدى ماغي يوما عطلة في ذلك الوقت، فناسبها ذلك كثيراً. كان آدم يتمتّع بروح هادئة رغم الضغط الذي يعيشه في تلك الفترة، وتحلّـى بروح رياضيّة حيال ولادة الطفل. كما أصبحت ماغي تنام كثيراً وتشعر بدوار معظم النهار، لكنها حاولت ألاّ تتذمّر، فقد كان السبب إيجابياً.

فـي اللـيلة التـي سـافرا فيها شعرت ماغي ببعض التحسّن. أحد الموسـيقيين المهمـين الـذي يعمل معهم آدم كان سيحيي حفلتين ليومين

متتاليـين. لكن آدم قال إنه لن يتمكّن من البقاء لأكثر من ليلتين وكان على ماغي العودة إلى العمل بجميع الأحوال.

سافرا إلى ڤيغاس على متن طائرته الخاصة ونزلا في فندق بيلاغيو الذي أحبّته ماغي كثيراً. ولتكتمل فرحتها، أخبرها آدم أن الفندق سيعطيهما الجـناح الرئاسـي، وهو يضمّ غرفة طعامٍ، وغرفة اجتماعات، وسرير لم يـسبق لماغـي أن رأت بحجمـه. كما كان هناك بيانو في غرفة الجلوس أيـضاً. وصـلا إلـى الفندق باكراً بما يكفي كي يمضيا بعض الوقت في الـسرير معاً قبل أن يخرجا لتناول العشاء، فالعرض الذي حضرا ليشاهداه لـم يكن سيبدأ قبل منتصف الليل. وقبل أن ينزلا لتناول العشاء قال آدم إن لديه بعض الأعمال التي عليه إنهاؤها في الغرفة، وأخبرها أنه سيحتاج إلى غـرفة الاجـتماعات لذلك أغلق أبوابها. بعد قليل، وصل رجلان يرتديان بذلتين رسميتين، فأدخلتهما ماغي إلى غرفة الاجتماعات كما طلب آدم منها أن تفعـل. وحين فتحت باب الغرفة وجدت باقة كبيرة من الورود الحمراء على الطاولة، مع زجاجة من الكريستال موضوعة في دلوٍ، فابتسم آدم لها.

أومـأ لهـا كي تدخل مع الرجلين الذين كانا يبتسمان أيضاً: "ادخلي ماغي".

– "مـا الذي تفعله؟" أمرٌ غريبٌ كان يجري، ولم تفهم ماغي ما هو. بـدا الجميع على علم بالأمر ما عداها. "ما الذي يجري هنا؟" تلفّتت ماغي حـولها بـشك. كانت ترتدي فستاناً زهري اللون من أجل العشاء، وتنتعل حـذاءً ذا كعبين مرتفعين، فقد طلب آدم منها أن ترتدي ثوباً جميلاً. ورغم أن الحمل لم يبدأ بالظهور بشكلٍ واضح بعد، لكن ثيابها بدأت تضيق عليها. بدا جسدها جميلاً تماماً كالسابق لكنه ممتلئ قليلاً.

قـال لها آدم: "سنتزوّج. هذا ما يحدث! أنا لست أسألك، أنا أخبرك. وإن أحدثت أي مشكلة، لن أدعك تخرجين من هذه الغرفة ماري مارغريت أومالي إلاّ بعد أن تتزوّجي بي".

- "هـل تمـزح؟ "سـألته ماغي وهي تبتسم ابتسامة عريضة، وقد شعرت بالذهول.

- "لـم أكن يوماً أكثر جدّية في حياتي". قال ذلك بينما أتى ليقف إلى جانـبها بفخـر. "لـن تضعي الطفل من دوني. أعرّفك بالقاضي روزنتين وبمـساعده والتـر. إنهمـا هنا كي يتمّما إجراءات الزواج. سيكون والتر الشاهد".

- "هل سنتزوّج؟" سألته ذلك وقد ظهرت الدموع في عينيها.

- "نعم. هذا ما سنفعله".

- "وهل تعرف والدتك بهذا؟"

- "ستعرف غداً. أريد أن أخبر ولدّي أوّلاً". لقد فكّر بكل شيء ووجد الحلول لكل اعتراضاتها. لطالما أرادت الزواج به. لكن ليس لأنه مضطرّ لفعل ذلك. لكنه أخرج الأمر من بين يديها الآن، وبدا من الواضح أنه يريد ذلك أيضاً.

أتمّ القاضي الإجراءات، وأخذت ماغي تبكي وهي تجيب عن أسئلته. وضـع آدم خاتم الزفاف الذهبي في إصبعها، وكان قد اشتراه من محلات تيفانـي فـي اليوم السابق، كما اشترى خاتماً مثله لنفسه أيضاً. وقّع والتر على العقد كشاهد لهما. ومع حلول الساعة الثامنة كان الأمر قد انتهى. قبّل آدم ماغـي حين وقفا بمفردهما في الغرفة رشفت ماغي القليل من الشراب فقط لأنه لم يكن يفترض بها أن تشرب".

ابتـسم لها آدم وقال: "أحبّك سيّدة ويس. كنت سأتزوّج بك عاجلاً أم آجلاً، حتى لو لم تكوني حاملاً. لكن هذا الأمر عجّل إتمام الأمر فقط".

- "أكنت ستفعل حقاً؟"

- "نعـم بالتأكـيد" قال ذلك بحزم، وكانت ماغي لا تزال تحت تأثير الصدمة.

تـناولا العشاء في مطعم بيكاسو، ثم ذهبا لمشاهدة الحفل الموسيقي. نظرت ماغي إلى خاتمها خلال السهرة حوالى مليون مرّة، وفرحت لرؤية خاتم آدم أيضاً.

كـان آدم يحـاول الـنوم تلك الليلة بعد ممارسة الحب حين أمسكت ماغـي بكتفه. أرادت أن تتكلّم معه. تحرّك آدم قليلاً لكنه لم يستطع أبداً أن يصحو جيّداً. تمتم لها: "ماذا...؟ أنا أحبّك..."

- "أنا أحبّك أيضا... لقد فكّرت بأمر للتو".

- "ليس الآن... أنا متعب جداً... غداً..."

- "أعـتقد أنـه يجـدر بي أن أبحث عن عمل آخر بعد أن أصبحت الـسيدة ويس". كانت ماغي صاحية تماماً. أما آدم فكان على بعد ثانية من النوم، لكنه تمكّن من هزّ رأسه لها.

- "سـنتكلّم غـداً... أحبّك... تصبحين على خير..." ثم غطّ في نوم عمـيق. أما ماغي فاستلقت بجانبه تفكّر في كل ما حدث. كانت هذه أجمل ليلة مرّت في حياتها.

28

في اليوم التالي، حين اتّصل آدم بوالدته، خيّل إليه أنه يمكن سماع صوتها من لونغ أيلاند حتى جسر بروكلاند.

– "أومالي؟ إنها تلك المرأة التي ظهرت معك في الصورة أليس كذلك؟ هل تحاول قتلي؟ سوف تتسبّب لوالدك بنوبة قلبية أخرى!" استجمعت والدته كل أفكارها، واتّهمته بكل ما استطاعت.

– "إنها امرأة طيّبة أمي". بالكاد توقّفت والدته عن الصراخ كي تسمع ما قاله، وأخبرته أنه يجلب العار للعائلة.

قالت بنبرة اتّهامية: "هل ذهبت إليها يوم خرجت من المنزل بسرعة؟" ضحك آدم هذه المرّة. لن يسمح لها من الآن فصاعداً بجعله يعاني صداعاً في رأسه. فالآن لديه ماغي حبيبته، وشريكته، وصديقته المفضّلة.

– "في الواقع، هذا صحيح. كان ذلك أفضل قرار اتّخذته في حياتي".

– أنت مجنون. بوجود كل النساء المحترمات الجميلات في العالم، ستتزوّج من امرأة تافهة. أعتقد أنه عليّ أن أكون ممتنة لأنك لم تتزوّج بإحدى المغنيات اللواتي تعمل لصالحهن، إذ لكان ذلك أسوأ". بسبب تلك الملاحظة ولأنها لم تحترم ماغي، قرّر آدم أن يخبرها بأن الوضع أسوأ ممّا تعتقد، فهي تستحقّ ذلك، لقد استحقّته منذ اثنين وأربعين عاماً.

– "أمي، قبل أن أنسى. ستنجب ماغي طفلاً في حزيران".

– "آه، يا إلهي!" كان بالإمكان سماع صوت صراخها في نبراسكا الآن. "فكّرت فقط أنك ستودّين معرفة النبأ السعيد. سأتّصل بك قريباً".

– "كيف سأتمكّن من إخبار والدك بالأمر آدم؟ سيقتله هذا الخبر".

قال آدم بهدوء". أشكّ بذلك. لكن إن أردت إخباره، فتأكّدي بأنه مستيقظ. أكلّمك لاحقاً أمي". بعد ذلك أقفل الخط.

– "ما الذي قالته لك؟" سألته ماغي ذلك وهي تمشي عائدة نحو الغرفة. لقد وصلا للتو إلى نيويورك، وقد اتّصل آدم بوالدته بعد مكالمة والديه مباشرة، وقد تقبّلا الموضوع ببساطة، وقالا إنهما أحبّا ماغي كثيراً، وشعرا بالسعادة من أجله.

– "أصبت بالصدمة". قال آدم ذلك وقد ظهرت ابتسامة عريضة على وجهه". أخبرتها أننا سنرزق بطفل أيضاً".

– "جيّد".

التقى آدم وماغي مع غراي وسيلفيا وشارلي وكارول في مطعم السيرك بعد أسبوع، فقد دعاهم شارلي جميعاً، ملمّحاً لهم عمّا يريده. قال إنه يريد إخبارهم بنبأ مهم.

وصل الجميع في الوقت المحدّد، وجلسوا حول طاولة مميّزة. بدت النساء الثلاث فاتنات، وكان الجميع بمزاج جيّد. طلبوا الشراب، وتحدّثوا لبعض الوقت، ثم أخبر شارلي الجميع أنه وكارول قد خطبا، وأنهما سيتزوّجان في حزيران/يونيو، ودهش الجميع بذلك الخبر. ثم نظر آدم نحو ماغي وعلى وجهه ابتسامة تآمرية.

– "ما الذي تخفيانه؟" سألهما شارلي وقد تنبّه لتلك النظرات.

أجابه آدم: "لقد تزوّجنا الأسبوع الماضي". ونظر نحو زوجته ثم تابع: "وسنرزق بطفل في حزيران/يونيو". سُمعت شهقات الصدمة من المجموعة.

– "يا لكما من غادرين!" قال شارلي ذلك، وضحك، لكنه شعر بالفرح من أجلهما، وسرعان ما راحت كارول وماغي تتناقشان بشأن موعد ولادة الطفل، إذ تمّ تحديد موعد الزفاف قبل أسبوعين من موعد الولادة، لذا قالت ماغي إنها ستكون بخير. ستكون بدينة، لكن لا بأس بذلك.

سأل غراي وهو يبدو قلقاً: ماذا بشأن رحلتنا في شهر آب/أغسطس على متن القمر الأزرق؟" وضحك الجميع.

– "الرحلة مستمرة بالنسبة لنا". قال شارلي ذلك وهو ينظر نحو المجموعة، فهزّ الجميع رؤوسهم بالموافقة.

سألته ماغي بحذر: "هل بإمكاننا إحضار الطفل؟"

أكّد شارلي لها قائلاً: "أحضري الطفل مع حاضنة أيضاً. يبدو أن بإمكان الجميع المجيء. وأنت سيلفيا، أتمنّى أن تأتي أيضاً". اتّفق الجميع على أن الرحلة ستكون مجنونة بوجود الأشخاص الستة معاً، لاسيّما السيدات الثلاث. إنه أمر مختلف عن السابق، لكنهم يشكّلون مجموعة حيوية ولطيفة.

ابتسم غراي وقال: "آه! بالمناسبة، لقد انتقلت للعيش مع سيلفيا الأسبوع الفائت. الآن أصبحت أعيش معها، ولست أنام عندها فقط. لدي الآن خزانة ومفتاح، وقد وضع اسمي على الجرس، وأصبحت أجيب على المكالمات الهاتفية".

ضحكت ماغي وهي تقول: "أتذكّر هذه القواعد جيداً. وهل بدأتما بقضاء الأعياد معاً؟ لا تعتبر العلاقة رسمية إلاّ حين تفعلان ذلك". قالت ذلك ورمقت آدم بنظراتها، فأجفل على الفور.

– "لقد فعلت ذلك منذ فترة قصيرة جداً". أجاب غراي عن سؤالها بشأن عطلة الأعياد. فقال إنه ذهب مع سيلفيا وولديها إلى فيرمونت حيث احتفلوا بعيد الميلاد. لقد توتّر قليلاً بسبب ذلك، لكن الرحلة بدت جيّدة. عاد جيلبيرت وإميلي إلى أوروبا في الأسبوع الفائت، وقد وعدهما غراي بأن

يذهب مع سيلفيا برفقتهما إلى إيطاليا قبل أسبوع من الرحلة على متن القمر الأزرق. افترض أن شارلي سيقوم بدعوة سيلفيا إلى الرحلة، كما فعل مع ماغي وكارول في عطلة رأس السنة.

عمل غراي بجهد على رسم وجه بوي. كي ينتهي العمل من اللوحة قبل موعد معرضه في نيسان. أراد أن تكون لوحة بوي أكثر اللوحات أهمية خلال المعرض، لكنها لم تكن للبيع. كان يخطّط لتعليقها في شقّة سيلفيا، وأراد تعريفها على أنها رسمٌ لوجه من العائلة. أصبح بوي في مماته أخاه أكثر ممّا كان أثناء حياته. لقد وجدا بعضهما في الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة، والفضل يعود لبوي.

– "ماذا عنكما أنتما الاثنين؟" مازح آدم غراي وسيلفيا بعد أن اقتنع الثنائيان الآخران بفكرة الزواج. "وأنتما متى ستعقدان قرانكما؟"

– "أبداً". قال الاثنان ذلك معاً كأنهما كورس، فضحك الجميع من جديد.

اقترح شارلي قائلاً: "عليكما القيام بذلك في السنة القادمة في بورتوفينو، حيث التقيتما".

قالت سيلفيا محاولة إقناعهم: "نحن عجوزان جداً على الزواج". بلغت سيلفيا الخمسين من عمرها بعد ثلاثة أيام من عيد مولد غراي الثالث والخمسين. "ونحن لا نريد أن نرزق بطفل".

– "هذا ما كنت اعتقده أنا أيضاً". قال آدم ذلك بخجل وهو يبتسم، وينظر بحبّ نحو ماغي التي أصبحت بحال أفضل في الأيام القليلة الماضية.

قال شارلي بعد تفكير" لا عجب أنك كنت تصابين بدوار البحر".

– "نعم، أعتقد ذلك". قالت ماغي بخجل، "لكنني عندها لم أكن أعرف السبب".

ظهر انسجام كبير بين الأصدقاء الستة، وقد تبادلوا الأنخاب طيلة السهرة. كالعادة، شرب الرجال كثيراً واستغلوا الفرصة لأن النساء لم يقمن

بأي تصرف كي يسيطرن عليهم. فقد كان الجو مرحاً، لذا تناولوا كمية كبيرة من الشراب الفرنسي الفاخر.

حين غادروا المطعم تلك الليلة كانت الخطط قد وضعت، والتواريخ قد حدّدت. كتب الجميع تاريخ زفاف شارلي وكارول، وشاركتهم ماغي بموعد ولادة طفلها، كما اتّفقوا جميعاً على الذهاب بالرحلة السنوية على متن القمر الأزرق في الأوّل من آب/أغسطس.

بدت الحياة جميلة لهم، وبدا أن هناك الكثير من الأوقات المفرحة في المستقبل.

29

كان هذا الزفاف الأوّل لشارلي، لكنه كان الثاني لكارول، لذلك وبعد نقاشات طويلة، نزلت عند رأي والديها وقبلت أن يتمّ الزفاف في كنيسة سانت جايمس. كانت المناسبة صغيرة، وأنيقة، ورسمية. ارتدى شارلي ربطة عنق بيضاء خلال الزفاف، وطلبت كارول من سيلفيا أن تكون وصيفة الشرف ومن ماغي أن تكون إشبينة العروس. ارتدت كارول فستاناً بسيطاً زهري اللون، وكانت تضع في شعرها بعض زهور الزنبق، وحملت في يدها باقة من الأوركيد والورود، فبدت كالملكة حين مشت عبر الممر في الكنيسة وهي تتأبّط ذراع والدها. غراي وآدم كانا وكيلي العريس. بعد الاحتفال انتقل الضيوف المئتان إلى حفل الاستقبال في نادي اليخوت في نيويورك. كان الزفاف تقليدياً قدر الإمكان باستثناء وجود مجموعة من الأطفال الذين أتوا من المركز برفقة تايغ، ومجموعة من المتطوعين الذين حاولوا الاهتمام بهم وضبطهم. كانت غابي هناك بالطبع برفقة زورو، وقد أحضرت كارول فرقة من المغنّين الذين أنشدوا الأغاني المفرحة، وفرقة رقص استمرّت في الاحتفال حتى الثالثة فجراً. نظّمت كارول الطاولات بنفسها وبدا على والديها أنهما يستمتعان بوقتهما أيضاً. رقص شارلي مع السيّدة فانهورن بعد أن رقص برفقة العروس، ورقصت كارول مع والدها. وبعكس معظم حفلات الزفاف، لم يكن هناك وجود

لجيش من الأقرباء غير المرغوب فيهم. في الواقع لم يكن هناك من أقرباء غير والدي كارول.

بدت سيلفيا جميلة في الفستان الليلكي الذي اختارته مع كارول من محلات بارني. حملت بيدها باقة صغيرة من الزهور والورود الليلكية. الأمر الأصعب كان إيجاد فستان مناسب لماغي، لكنهن في النهاية اتّفقن على فستان للسهرة لونه مزيج من الليلكي الذي ارتدته سيلفيا والزهري الذي ارتدته كارول. كان فستان ماغي من اللون الأرجواني الشاحب، وكانت تحمل باقة من زهور الخزامى، وبحلول يوم الزفاف كان الفستان قد أصبح ضيّقاً عليها قليلاً، حتى إنّها بالكاد تمكّنت من التنفّس. أصبح الطفل ضخماً الآن، لكنها بدت جميلة في جميع الأحوال. بدت مليئة بالشباب والأمومة معاً، رغم أنها بالكاد كانت تستطيع التحرّك.

قالت كارول إنها أمضت وقتاً رائعاً في زفافها، وقد ظهر ذلك عليها فعلاً. رقصت مع شارلي، وآدم، وغراي، وتايغ، ومع عدد من أصدقائها القدامى. لكنها بالتأكيد رقصت معظم الوقت مع شارلي. اعترف الجميع أنه لم يسبق لهم أن رأوا شارلي وكارول أكثر سعادة من هذا اليوم، لقد أكلا ورقصا وضحكا طيلة الليل.

بدت الموسيقى رائعة، حتى إن والدي كارول لم يتركا حلبة الرقص. رقص غراي مع سيلفيا التانغو ببراعة جعلت الآخرين يشعرون بالخجل لعدم اتقانهم هذا الرقص. أمّا آدم فلم يستطع المتابعة مع حركة ماغي الدائمة، فكان كلّما التهى عنها قليلاً يعود ليجدها ترقص مع رجل غيره، لكن على مسافة منه بالطبع. لذلك ولكي يبقيها تحت ناظريه، أبقاها في النهاية برفقته في باحة الرقص. في الواقع لم تجلس ماغي مكانها مطلقاً، فقد كانت تستمتع كثيراً، لقد رقصت ورقصت ورقصت... وحين جلست مكانها في النهاية أخبرت آدم أنها لم تعلم ما الذي يؤلمها أكثر ظهرها أم قدماها.

أنّبها قائلاً: "نصحتك بألاّ تقومي بالكثير من الحركة".

كشّرت له وهي تقول: "أنا بخير، والطفل لن يولد قبل أسبوعين".

- "لا تعتمدي على ذلك إن استمرّيتِ بالرقص هكذا. لا أعلم ما هو عدد النساء اللواتي يصبحن في منتصف الشهر التاسع من الحمل ويبدون جذابات، لكنك واحدة منهن". لم يغادر آدم وماغي الحفلة حتى رمت كارول باقتها مباشرة نحو سيلفيا التي التقطتها وهي تهمهم بسخرية. بقي شارلي مع كارول في منزلها تلك الليلة، وكانا سيغادران في الصباح ليصلا إلى اليخت في مونت كارلو. لقد خطّطا للإبحار في اليخت إلى فينيسيا لقضاء شهر العسل هناك لمدة ثلاثة أسابيع. شعرت كارول بالقلق بسبب تركها المركز، لكن تايغ وافق على إدارته حتى عودتها.

نثر الضيوف الذين ظلّوا حتى نهاية الاحتفال الورود فوق العروسين وهما يركبان السيارة ويرحلان. ساعد آدم ماغي بالدخول إلى سيارة الليموزين التي استأجرها. بجميع الأحوال، لم يكن بإمكان ماغي الدخول إلى سيارة الفيراري الخاصة به أو الخروج منها بسبب حجم بطنها. حين وصلا إلى مصعد شُقته كانت ماغي قد بدأت تتثائب، وللمرة الأولى غرقت في النوم قبل آدم. خلعت ثيابها وبدت كالجبل الصغير حين استلقت بجانبه. قبّلها آدم فوق وجنتيها وعلى بطنها، وأطفأ الأنوار. المعانقة باتت صعبة هذه الأيام. لذلك خلد للنوم مباشرة وهو يفكّر بزفاف صديقه، وما لبث أن غطّ في نومٍ عميق. عند الساعة الخامسة فجراً، أي بعد مرور ساعتين، قامت ماغي بلكزه.

- "همم... ماذا؟"

- "سأنجب الطفل.." همست ماغي له بصوت قريب من الذعر. لكنه كان متعباً جداً كي يستيقظ، فالجميع في الزفاف استمتع كثيراً بالشراب اللذيذ. حاولت ماغي أن تجلس في السرير، لكنها شعرت بالكثير من التقلصات. "آدم... حبيبي... استيقظ". لكزته ماغي من جديد بيدها، وهي تضع يدها الثانية فوق بطنها الكبير.

ضحك آدم وقال: "وأنا كنت ثملاً جداً. لماذا لم توقظيني في وقتٍ مبكرٍ أكثر؟"

"لقد حاولت!" كانت تبتسم وهي تحمل طفلها.

– "أعدك في المرّة المقبلة، حين تكلّمينني وأنا نائم سأستمع إليك أكثر".

كانت سيارة الإسعاف بانتظارهما أمام المبنى، لكن قبل أن يغادرا اتّصل آدم بكارول وشارلي ليخبرهما أن الطفل قد ولد.

كان عليهما الاستيقاظ باكراً بجميع الأحوال، لأنهما سيغادران إلى موناكو عند الصباح، لكنهما شعرا بالدهشة بسبب هذا الخبر.

اتّصل آدم بجاك وأماندا من المستشفى، ثم سمحت الطبيبة لماغي بمغادرة المستشفى تلك الليلة مع الطفل. لقد كانا بحالة جيّدة، وأرادت ماغي العودة إلى المنزل مع آدم. لقد كان أجمل يوم في حياتها، والطفل بدا رائعاً.

حين خلد آدم إلى النوم تلك الليلة وقد وضع الطفل في مهده بقرب سريرهما، لكزته ماغي. تأخّر قليلاً كي يتجاوب، لكنه جلس على الفور حين فهم ما يحدث.

– "ماذا، هل أنت بخير؟" لقد بقي على وعده، فاستيقظ بكامل وعيه.

– "أنا بخير، أردت فقط أن أقول لك بأنني أحبّك".

– "أنا أحبّك أيضاً". قال ذلك وعاد ليغرق في السرير وهو يضمّها إليه. "أنا أحبّك كثيراً ماغي ويس". ابتسم بينما غطّ في النوم من جديد، وهذا ما فعلته ماغي أيضاً.

30

التقى الجميع على متن القمر الأزرق في الأول من آب/أغسطس، تماماً كما خطّطوا. أحضر آدم وماغي طفلهما مع الحاضنة، كما طلب شارلي منهما أن يفعلا. بدأت الرحلة كالعادة في مونت كارلو، فقصدوا صالات الألعاب لليلة واحدة، ثم انتقلوا إلى سان تروبيز، وحين اكتفوا من تلك المنطقة غادروا متّجهين إلى بورتوفينو. في بورتوفينو قامت النساء بالتسوّق، بينما تناول الرجال الشراب. وهناك سبحوا جميعهم وتمشّوا في الساحة ليلاً، أكلوا الهلام ورقصوا في الملهى. كانت ماغي تعتني بطفلها بين الحين والآخر، وكان الطفل قد بلغ الشهرين في اليوم الذي غادروا فيه. كان يملك عينين كبيرتين لامعتين وجسماً صغيراً جداً. وكان أشقر الشعر مثل ماغي.

في الصباح بعد أن وصلوا إلى بورتوفينو، تمشّى غراي مع سيلفيا نحو كنيسة سان جورجيو. في تلك الليلة تناولوا العشاء جميعهم في المطعم الذي التقى غراي فيه بسيلفيا، وكانا قد عادا للتو من رحلة مع ولديها، وهذه المرّة بدا غراي أكثر ارتياحاً. لقد تحدّث مع إميلي عن تقنيات الرسم، وأصبح هو وجيلبيرت صديقين حقيقيين. اعترف غراي لشارلي بأن سيلفيا كانت محقّة، فلديها ولدان رائعان فعلاً. وقال له: "لقد كانت محقّة في العديد من الأمور". شرب الآخرون نخب غراي وسيلفيا تلك الليلة، فقد كانت هذه الليلة الذكرى السنوية الأولى للقائهما.

قال آدم بعد أن فتحوا زجاجة شراب ثانية: "لا أزال أعتقد أنه عليكما أنتما الاثنين أن تتزوّجا". إنهما يعيشان مع بعضهما رسمياً منذ سبعة أشهر، لكــن سيلڤيا قالت إن هذا ليس وقتاً كافياً يُعتمد عليه. فهما يعرفان بعضهما مــنذ عام فقط. استهجن الآخرون ما قالته وسخروا منها، فشارلي وكارول تــواعدا لثمانية أشهر قبل الزواج وآدم وماغي تواعدا لأربعة أشهر فقط. وكــل شيء بدا جيّداً بل أكثر من جيّد بالنسبة لهم جميعاً. فقد كانوا سعداء أكثر من أي وقتٍ مضى.

أصــرّت ســيلڤيا قائلــة: "نحن لسنا بحاجة لنتزوّج". ضحك غراي وأخبرها أنها بدت مثله تماماً حين كان خائفاً من مقابلة والديها.

تابعت تقول: "أنا لا أريد أن أخرّب علاقة جميلة".

أكّد لها شارلي قائلاً: "أنت لن تفعلي، وغراي رجل طيّب"،

قالت سيلڤيا بمرح: "لن أفكّر بالموضوع لعام كاملٍ حتى".

فأجابها آدم: "جيّد، سنأتي إلى هنا في العام القادم وفي الموعد نفسه، فلنرَ ما الذي ستفعلينه عندها".

وعادوا ليشربوا نخب غراي وسيلڤيا من جديد.

31

كــان ذلــك اليوم شديد الحرارة، وقد بدت السماء زرقاء ونقيّة، ولو توقّــف المرء عن الكلام لسمع صوت الحشرات والعصافير. لم يكن هناك وجود لأي غيمة في السماء عندما قامت المجموعة بشقّ طريقها نحو التلة. كانت الساعة لا تزال الحادية عشرة صباحاً، لكن الحرّ كان شديداً جداً.

كانت هناك امرأة ترتدي تنورة بيضاء قروية الطراز وقميصاً بيضاء ذات كمــين طويلين، وتحمل باقة من الورود الحمراء، وتنتعلُ حذاءً صيفياً أحمــرُ، كما تعتمر قبّعة كبيرة من القش، وتضع سواراً ذا لون أزرق. إلى جانــبها وقف رجل ذو شعر أبيض يرتدي سروالاً أبيض وقميصاً زرقاء، وخلفهما وقف رجلان وامرأتان، وقد بدت المرأتان مثقلتان بسبب الحمل.

مشى الأشخاص الستة نحو كنيسة سان جورجيو في بورتوڤينو، حيث كان الكاهن بانتظارهم. كان هذا الزواج الثاني للعروس، لكنها تتزوّج للمرّة الأولى في الكنيسة، أما العريس فلم يسبق له أن تزوّج من قبل.

وقــف العــريس والعــروس عند المذبح وهما يبدوان خاشعين بينما جعلهمــا الكــاهن يتبادلان العهود، وقد أخذ أصدقاؤهم الأربعة يراقبونهما. حــين أخبــر الكاهن العريس أن بإمكانه تقبيل العروس، تساقطت دموعه تأثّراً. بعد ذلك استدار غراي وسيلڤيا نحو أصدقائهما. كانت كارول حاملاً للمــرة الأولــى، وماغــي حــاملاً للمرة الثانية. أما شارلي وآدم فقد بدَوا

فخــورين جــداً. لــيس فقط بسبب المرأتين اللتين تزوّجا منهما، بل بسبب صديقيهما اللذين فعلا ذلك أخيراً. وقفوا يتحدّثون أمام الكنيسة لوقت طويل وهم يضيئون الشموع، ثم مشوا نزولاً بهدوء من التلة وتوقّفوا في الساحة، وكان غراي وسيلڤيا يمسكان بأيدي بعضهما.

تــناولا غــداء زفافهمــا في المطعم الذي التقيا فيه للمرة الأولى منذ سنتين بالضبط. كان هذا وقتاً طويلاً ورحلةً طويلة لهؤلاء الستة، فقد أكملوا الطريق ونجحوا في النهاية، وكانوا محظوظين لأنهم التقوا ببعضهم.

– "بصحة سيلڤيا وغراي مع التمني بحياةٍ مليئة بالسعادة".

اقترح شارلي هذا النخب، ثم نظر نحو زوجته، فهما سيرزقان بطفل فــي شهر كانون الأول/ديسمبر، وهو طفلهما الأول. أمّا طفل ماغي وآدم الثاني فسيولد في تشرين الأول/أكتوبر. بعد عامين من حياتهما معاً.

لقد جلبت السنتان الماضيتان السعادة للجميع بسبب الأطفال والزواج، كمــا كانت حياة أولادهم الآخرين جيّدة أيضاً، وأعمالهم في ازدهار دائم. كانــت ماغــي لا تزال تفكّر بدراسة الحقوق، أما مركز كارول فكان يكبر وقــد كبــرت قلــوبهم معه. لقد وضع هؤلاء جميعاً أحمالهم الثقيلة جانباً، وسافروا إلى حياة أفضل وأجمل بسبب حبهم لبعضهم.

عــادوا بعــد الظهر إلى اليخت، ثم سبحوا جميعهم، وتناولوا العشاء